

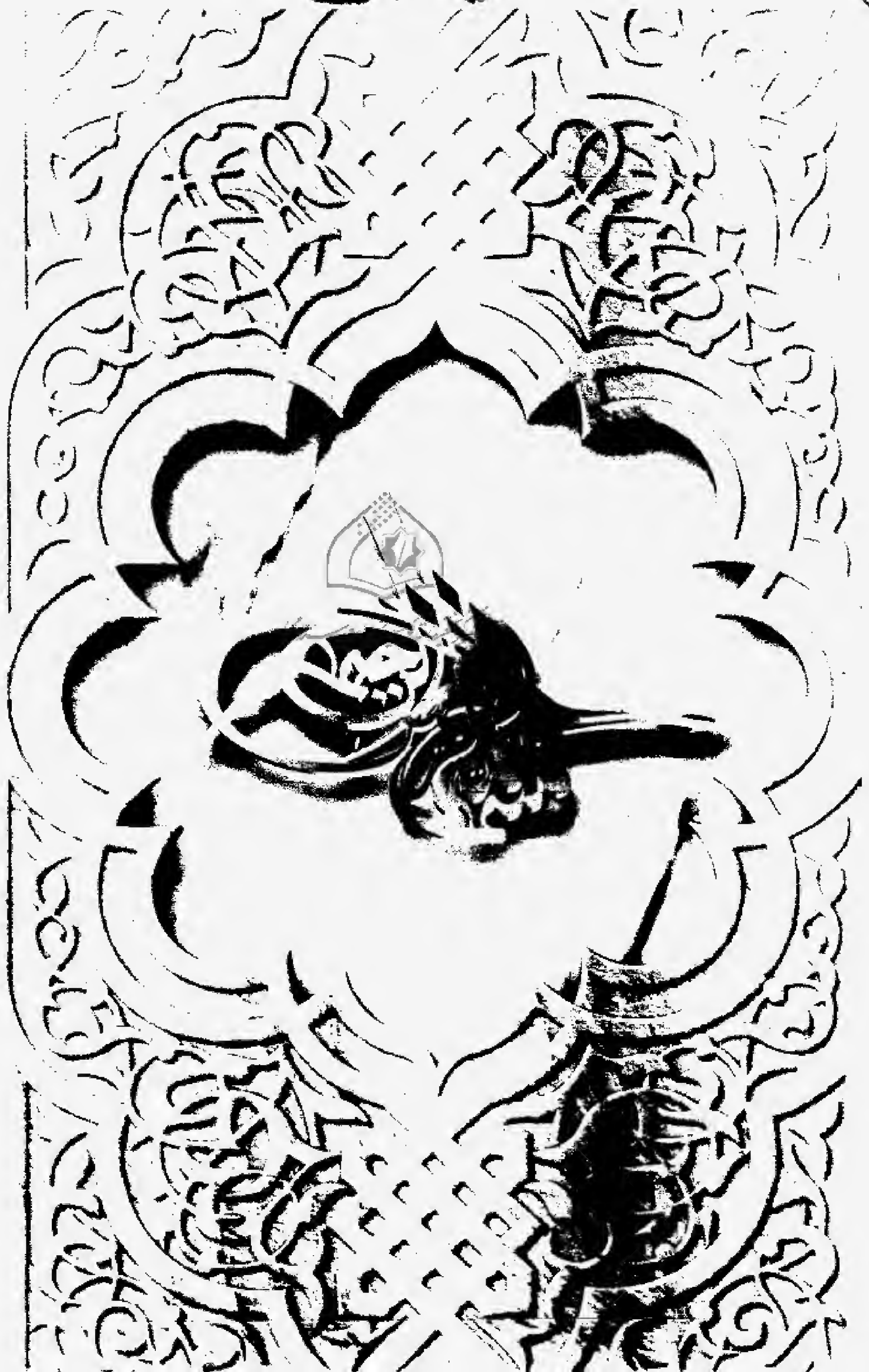
العدد الخامس عشر / رمضان ١٤٢٤ هـ / أكتوبر ٢٠٠٣ م



المشرف العام ورئيس التحرير
 الأستاذ الدكتور أحمد محمد نور سيف
 مدير عام دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث
 رئيس مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي

مدير التحرير
 د. عبد الحكيم الأنيس

هيئة التحرير
 د. بدوي عبد الصمد
 د. محمود أحمد الزين



نواحي النشر

تعني المجلة بنشر البحوث العلمية وتحقيق التراث وفق الأمور التالية:

- ١ - ألا يكون البحث منشوراً من قبل على أي صورة من صور النشر، ولا مرسلًا إلى جهة أخرى، ويعد إرساله إلى المجلة تعهداً بذلك. وفي حال قبوله للنشر في المجلة لا يسمح للباحث بنشره في مكان آخر إلا بعد مرور سنة كاملة على تاريخ نشره فيها.
- ٢ - ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.
- ٣ - ألا يتجاوز ستين صفحة.
- ٤ - أن يكون متسماً بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه ومصادره، متوافقاً مع عنوانه، بعيداً عن الحشو، سليم اللغة، دقيق التوثيق والتخريج، مع الالتزام بعلامات الترقيم المتنوعة، وضبط المشكل، وأن يراعى فيه سائر المعايير العلمية.
- ٥ - أن يكون العزو إلى صفحات المصادر في الحاشية لا في الصلب.
- ٦ - أن ترقيم حواشي كل صفحة على حدة علوم أصولي
- ٧ - أن يقدم اسم الكتاب على اسم مؤلفه عند توثيق النصوص في الحواشي، وكذلك في ثبت المصادر والمراجع.
- ٨ - ألا يشار في الحواشي إلى المعلومات المتعلقة بطبعة الكتاب المحال إليه، إلا في حال اعتماد الباحث أكثر من طبعة للكتاب الواحد.
- ٩ - أن يراعى الابتداء بالتاريخ الهجري في كل ما يؤرخ.
- ١٠ - أن تكتب الأعلام الأجنبية أولاً بحروف عربية، ثم باللاتينية لمن أراد.
- ١١ - أن تثبت المصادر والمراجع مستوفاة في آخر البحث مرتبة على حروف المعجم.
- ١٢ - أن توضع النماذج المخطوطة والصور التوضيحية في المكان المناسب.
- ١٣ - أن يقدم الباحث تعريفاً ببحثه محرراً قام التحرير في نحو مئة كلمة، ويفضل ترجمته إلى الإنكليزية.
- ١٤ - أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث.
- ١٥ - أن يكون البحث مطبوعاً أو مكتوباً بخط واضح، ومصححاً تصحيحاً كاملاً، وترسل النسخة الأصلية للمجلة.
- ١٦ - لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- ١٧ - يشعر أصحاب البحوث الواردة بوصولها إلى المجلة.
- ١٨ - يخضع ترتيب البحوث وتنسيقها في المجلة لاعتبارات فنية.
- ١٩ - يمنح صاحب البحث المنشور عشرين مستلة من بحثه، وثلاث نسخ من العدد الذي نشر له فيه، إضافة إلى مكافأة مالية.

البحوث المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

حقوق الطبع محفوظة

جميع المراسلات باسم مدير تحرير مجلة الأحمديّة

دار البحوث للدراسات الإسلامية وأحياء التراث

ص ب: ٢٥١٧٢ دبي - الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٣٤٥٦٨٠٨ - فاكس: ٣٤٥٢٢٩٩

E-mail: ahmadiyah@bhothdxb.org.ae



الموزعون المعتمدون

الإمارات	دار الحكمة - دبي	هاتف: ٢٢٦٥٣٩٤	فاكس: ٢٦٢٩٨٢٧
البحرين	مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف	هاتف: ٢٩٤٠٠٠	فاكس: ٢٩٠٥٨٠٠
السعودية	المكتبة المكية - مكة المكرمة	هاتف: ٥٣٤٠٨٢٢	فاكس: ٥٣٤٠٨٢٢
قطر	دار العروبة للصحافة والطباعة	هاتف: ٢٥٦٠٠٢	فاكس: ٣٢٥٨٧٤
الكويت	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف	هاتف: ٢٤٦٩٤٦٨	فاكس: ٢٤٦٠٩٥٣
الأردن	شركة وكالة التوزيع الأردنية	هاتف: ٤٦٣٢١٩١	فاكس: ٤٦٣٥١٥٢
مصر	مؤسسة الأهرام - القاهرة	هاتف: ٥٧٩٦٣٢٦	فاكس: ٥٧٨٦٠٢٣
المغرب	الشركة العربية الإفريقية للتوزيع	هاتف: ٢٤٩٢٠٠	فاكس: ٢٤٩٢١٤
لبنان	المؤسسة اللبنانية العربية للتوزيع	هاتف: ٧٤٢٩٩٣	فاكس: ٧٤١٦٥٢



سعر النسخة : الإمارات العربية المتحدة (١٠ دراهم) ، السعودية (١٠ ريالات) ، الكويت (٨٠٠ فلس) ، قطر (١٠ ريالات) ، البحرين (٨٠٠ فلس) ، عُمان (٥٠٠ بيعة) ، مصر (٤ جنيهات) ، سورية (٥٠ ليرة) ، لبنان (٢٠٠٠ ليرة) ، الأردن (دينار واحد) ، اليمن (٧٠ ريالاً) ، السودان (٧٥ ديناراً) ، المغرب (٢٠ درهماً) ، الجزائر (٢٥ ديناراً) ، تونس (دينار واحد) ، موريتانيا (٢٥٠ أوقية) ،

خارج الدول العربية (دولاران أمريكيان أو ما يعادلها)

الاشتراكات السنوية : الإمارات العربية المتحدة (٣٠ درهماً) ، الدول العربية والإسلامية (ما يعادل ١٠٠ درهم إماراتي)

وما عداها (٤٥ دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها)

المكتبة

• الافتتاحية : التفسير في مجالس التذكير ، ودعوة إلى إعاشتها وإشاعتها
مدير التحرير

• التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل ، للعلامة حامد بن علي
العمادي الدمشقي (ت : ١١٧١ هـ)
تحقيق : د. حازم سعيد بونس البياتي

٦٠ - ١٥

• البينات في بيان بعض الآيات ، للإمام ملا علي القاري
(ت : ١٠١٤ هـ)

١١٨ - ٦١

• فرائد العقيان في قوله تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ ،
للعلامة مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي (ت : ١٠٣٣ هـ)
تحقيق : د. عبد الحكيم الأنيس

١٧٠ - ١١٩

• تيسير القرآن بلسان سيدنا محمد ﷺ : دراسة تحليلية موضوعية
د. عبد بن علي الحاج محمد الحريري

٢٥٠ - ١٧١

• تحزيب القرآن في المصادر والمصاحف
أ. د. غانم قدوري الحمد

٢٨٢ - ٢٥١

• المصباح في الفرق بين الضاد والطاء في القرآن العزيز نظماً ونشراً ، لأبي
العباس أحمد بن حماد بن أبي القاسم الحراني (ت : بعد ٦١٨ هـ)
تحقيق : أ. د. حاتم صالح الضامن

٣٠٤ - ٢٨٣

• جزء فيه الخلاف بين يحيى بن آدم والعلمي الأنصاري ، لأبي محمد
هبة الله بن أحمد ابن طاووس البغدادي (ت : ٥٣٦ هـ)
تحقيق : د. عمار أمين الددو

٣٦٢ - ٣٠٥

• موقف النحويين من الآيات المعضلة إعراباً : مظاهره وأسبابه
د. عبد الله بن عويقل السلمي

٣٩٨ - ٣٦٣

• تلحين النحويين للقراء
د. ياسين جاسم المحييد

٤٥٤ - ٣٩٩



مرکز تحقیقات کامپیوتر علمی

قلائد العقيان في قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)
للعلامة مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي (ت ١٠٣٣ هـ)

تح : د. عبد الحكيم الأنيس *

التعريف بالبحث :

موضوع هذا البحث تحقيق مخطوطة نافعة ؛ تعالج تفسير آية عظيمة من كتاب الله
وصفت بأنها " قطب القرآن " وهي قوله سبحانه وتعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وإيتاء ذي القربى ﴾ ، وقد أحسن المؤلف العلامة مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي
باختيارها ، وإبراز معانيها ، وتوضيح مبانيها ، والتذكير بها وبما احتوته من توجيهات
سامية وإرشادات هادية .

وقد انطلق التحقيق من ثلاث نسخ ، وقام على المنهج العلمي المتبع ، وقدم لذلك
بمقدمات فيها نبذة عن المؤلف ، ثم كلام في رحاب هذه الآيات اشتمل على : خبر نزولها ،
وموقعها عند النبي ﷺ والصحابة ، وتاريخ نزولها ، وفنونها البلاغية ، والخبر عن الإعلان
بها على المنابر ، وذكر من ألف في تفسيرها من العلماء .

ثم كلام على هذه الرسالة اشتمل على : مضمونها ، وعنوانها ، وتوثيق نسبتها ،
ومصادرها ، وتاريخ تأليفها ، وأثرها فيمن بعدها ، ونسخها ، وطريقة العمل في إخراجها .
والله المرجو أن يوجه قلوبنا إلى كتابه ، وأن يرزقنا الإخلاص والسداد والقبول .

بحث أول في دار البحوث للدراسات الإسلامية وحياة التراث . ولد عام (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م) ، وحصل
على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن عام (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ، ثم على درجة الدكتوراه
كذلك عام (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) ، وكانت رسالته " العجائب في بيان الأسباب - أسباب النزول - للإمام
ابن حجر العسقلاني : دراسة وتحقيق " ، وله عدة بحوث ومحقيقات منشورة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد . وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذه رسالة جديدة للعلامة الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلية نزيل القاهرة المتوفى فيها سنة (١٠٣٣) هـ . قمت بخدمتها وتقريبها . وإتمام عمل المؤلف فيها ، راجياً من الله ﷻ الإخلاص والقبول ، وأن يكتب لي والمؤلفها أجر خدمة كتابه الكريم ، ونشر تفسيره ، وتيسير فهمه .

وقبل الشروع في تقديم نص الرسالة أقدم بهذه الفقرات :

أولاً : المؤلف

١- التعريف به :

كنت قد كتبت كلمة عن المؤلف في صدر تحقيقي لرسالته « الكلمات البينات في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ »^(١) وأكتفي هنا بالإحالة على ذلك ، وأشار في الحاشية إلى عدد من المصادر التي ترجمت له^(٢) .

(١) نشرت في العدد السادس من مجلة الأحمديّة الصادر في جمادى الأولى سنة (١٤٩١هـ - ٢٠٠٠م) .
(٢) من ذلك :

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣٥٨/٤) .

- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (٢٤٤/٢) ، كلاهما للمحبي (ت : ١١١١ هـ) .

- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل للغزي (ت : ١٢٠٧ هـ) ص ١٨٩ .

- السحب الوابلة على ضرائح الخبائلة لابن حميد (ت : ١٢٩٥ هـ) (١١١٨/٣) .

- الأعلام للزركلي (ت : ١٣٩٦ هـ) (٢٠٣/٧) .

- معجم المؤلفين لكحالة (ت : ١٤٠٨ هـ) (٨٤٦/٣) .

٢- مؤلفاته :

حاولت إحصاء مؤلفات الشيخ الكرمي في تصديري لـ « الكلمات البينات » ووصلت عندي إلى (٨٣) كتاباً ، وهي في التفسير والحديث والعقيدة . علم الكلام والفقه والوعظ والتهذيب والتصوف والسلوك والسير والتاريخ والنحو والصرف والبلاغة والأدب والشعر وشؤون الحكم ، وقد علّمت على المطبوع والمخطوط ، وما . أعرف عنه شيئاً سكت عنه .

وأحب أن أذكر هنا ما استجد لديّ عن كتاب من كتبه القرآنية . سرديتها هناك وهو : « فرائد فوائد قلائد المرجان » وهو مختصر كتابه : « قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن » فقد كنت علقت عليه قائلاً^(١) :

« منه نسخة في التيمورية ، وجاء في فهرسها : فرغ من تأليفه سنة (١٠٥٠) هـ . قال أصحاب الفهرس الشامل : « وهو لا يتفق مع وفاته » . قلت : فإن ثبتت هذه العبارة كان الاختصار لشخص آخر » .

هذا ما قلته هناك ، وقد حصلت الآن على مصورة من الكتاب المذكور ، فعلمت أن الكتاب للشيخ مرعي قطعاً ، إذ يقول في مقدمته : « وبعد فقد استخرت الله تعالى في جمع جمل من ألفرائد الحسان ، وتلخيص فوائدها عظيمة الشأن ، من كتابي الموسوم بـ « قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن » ... وسميتها : « فرائد فوائد قلائد المرجان وموارد مقاصد منسوخ القرآن » .

وبهذا يكون التاريخ المثبت في آخره خطأ من الناسخ ، فمن المتفق عليه أن وفاة الشيخ مرعي كانت سنة (١٠٣٣) هـ ، وقد فرغ من « قلائد المرجان » سنة (١٠٢٢) هـ فيكون المختصر بعد هذا التاريخ . وقد نسخ سنة (١٣٠٩) هـ .

(١) مجلة الأحمدية ، العدد (٦) . ص ٢١ .

ثانياً : هذه الآية

هذه الآية من الآيات التي كان لها شأن في تاريخ الدعوة ، وهي من مفاخر الإسلام والمسلمين ، وعنوان بارز لهذا الدين ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يقرؤونها على من يدعونه إلى الإسلام .

وقال أبو طالب النكي ، ونقله ابن عجيبة : « هي قطب القرآن » ^(١) .

١- خبر نزولها :

قال الإمام أحمد في المسند : « حدثنا أبو النضر [هاشم بن القاسم] ، قال : حدثنا عبد الحميد [بن بهرام] ، حدثنا شهر [بن حوشب] ، حدثنا عبد الله بن عباس ، قال : بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته بمكة جالس ، إذ مرَّ به عثمان بن مظعون فكشَّر ^(٢) إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « ألا تجلس ؟ » قال : بلى . قال : فجلس رسول الله ﷺ مستقبله ، فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء ، فنظر ساعة إلى السماء ، فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض ، فتحرَّف رسول الله ﷺ عن جلسه عثمان إلى حيث وضع بصره ، وأخذ يُنْغِضُ رأسه كأنه يستفقه ما يُقال له ، وابن مظعون ينظر ، فلما قضى حاجته ، واستفقه ما يُقال له ، شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة ، فأَتْبَعَهُ بصره حتى توارى في السماء ، فأقبل إلى عثمان بجِلْسَتِهِ الأولى ، قال : يا محمد ، فيما كنت أجالسك وآتيك ، ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة ! قال : « وما رأيتني فعلتُ ؟ » قال : رأيتك تشخص ببصرك إلى السماء ، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك ، فتحرَّفت إليه وتركتني ، فأخذت تُنْغِضُ

(١) قوت القلوب (١/٢٢٩) ، والبحر المديد (٣/١٥٧) .

(٢) أي ابتسم إليه . القاموس (كشر) ص ٤٧٠ .

رَأْسُكَ كَأَنَّكَ تَسْتَفْقَهُ شَيْئاً يُقَالُ لَكَ . قال : « وفطنت لذلك ؟ » قال عثمان : نعم . قال رسول الله ﷺ : « أتاني رسول الله آنفاً ، وأنت جالس » . قال : رسول الله ! قال : « نعم » . قال : فما قال لك ؟ قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] . قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي ، وأحببت محمداً ^(١) .

٢- النبي ﷺ والصحابة وهذه الآية :

سيأتي معنا أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية على وفد من بني شيبان بن ثعلبة ، وعلى رسل أكثم بن صيفي ، وعلى الوليد بن المغيرة . وكذلك فإن عثمان بن مظعون قرأها على عم النبي ﷺ أبي طالب . وأخرج ابن النجار في « تاريخه » من طريق العكلي عن أبيه قال : مرَّ علي بن أبي طالب ﷺ بقوم يتحدثون . فقال : فيم أنتم ؟ فقالوا : نتذاكر المروءة . فقال : أوما كفاكم الله ﷻ ذاك في كتابه إذ يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ ﴾ فالعدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضل ، فما بقي بعد هذا ؟ ^(٢) .

(١) مسند أحمد (٨٨/٥) برقم (٢٩١٩) . وقال المحققان : « إسناده ضعيف » . ومن قبل قال ابن كثير في تفسيره (٢٢٠/٤) : « إسناده جيد متصل حسن ، قد بين فيه السماع المتصل ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصراً » . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٨/٧) : « رواه أحمد والطبراني ، وشهر وثقه أحمد وجماعة ، وفيه ضعف لا يضر ، وبقيّة رجاله ثقات » ، وصححه أحمد شاكر في تحقيق المسند (٣٣٠-٣٢٩/٤) برقم (٢٩٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٤١/٤) نسبه إلى البخاري في الأدب المفرد ص ٣٠٧ برقم (٨٩٣) وابن مردويه . والحديث في أسباب النزول للواحدي ص ٢٣٤ ، واللباب لابن عادل (١٤٢/١٢) ولم يذكره المؤلف الشيخ مرعي .

(٢) الدر المنثور (١٤٣/٤) .

وجاء عن عبد الله بن مسعود قوله : إن أجمع آية في القرآن خير أو شر ، آية في سورة النحل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ الآية ^(١) .

٣- تاريخ نزولها :

هذه الآية مكية من سورة مكية ، ولا يصح قول من قال بمدنيتهما ^(٢) .
وأضيف : أن الإمام أحمد روى خبراً ^(٣) قد يفيد مدنية الآية ، وهو ما أخرجه من طريق ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب ، عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند رسول الله ﷺ جالساً ، إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض ، قال : ثم شخص ببصره فقال : « أتاني جبريل عليه السلام ، فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ ... ﴾ » .

وعثمان بن أبي العاص إنما أسلم في المدينة في وفد ثقيف ^(٤) ؟ والجواب عن هذا أن في هذا السند ليث بن أبي سليم ، وهو صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك ^(٥) .

وكأنه اشتبه عليه عثمان بن مظعون بعثمان بن أبي العاص .

وكان ابن كثير قد قال في تفسيره : « هذا إسناد لا بأس به ، ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين ، والله أعلم » ^(٦) ، وقال الهيثمي : « إسناده حسن » ^(٧) .

(١) تفسير الطبري (١٤/١٦٣) .

(٢) انظر : المكي والمدني في القرآن الكريم لعبد الرزاق حسين أحمد (١/٣٥٣-٣٥٧) .

(٣) انظر : المسند (٤/٢١٨) .

(٤) انظر : الإصابة (٢/٤٦٠) .

(٥) تقريب التهذيب ص ٥٤٢ .

(٦) تفسير ابن كثير (٤/٢٢٠) .

(٧) مجمع الزوائد (٧/٤٩) .

وإذا صح قول ابن كثير وأبي شيبي . فيقال : نعل عثمان بن أبي العاص يعكس هذا عما رآه قبل إسلامه ، أو أن جبريل نزل بها هذه المرة لتحديد موضعها ، أو تكرر نزوله بها . على أن في الخبرين تشابهاً قد يرجح الوهم في ذكر « ابن أبي العاص » هنا . والله أعلم .

٤ - فنونها البلاغية :

في هذه الآية جملة من الأفانين البلاغية بينها الأستاذ محمود صافي - على تداخل بينها - ، وهي :

« أ - الإنجاز : فقد أمر في أول الآية بكل معروف ، ونهى بعد ذلك عن كل منكر ، وختم الآية بأبلغ العظات ، وصاغ ذلك في أوجز العبارات .

ب - صحة التقسيم : فقد استوفى فيها جميع أقسام النعنى ، فلم يبق معروف إلا وهو داخل في نطاق الأمر ، ولم يبق منكر إلا وهو داخل في حيز النهي ، وقدم ذكر العدل لأنه واجب ، وتلاه بالإحسان لأنه مندوب ، ليقع نظم الكلام على أحسن ترتيب .

ج - حسن النسق : في ترتيب الجمل وعطف بعضها على بعض كما ينبغي ، حيث قدم العدل وعطف عليه الإحسان ، لكون الإحسان اسماً عاماً وإيتاء ذي القربى خاص ، فكأنه نوع من ذلك الجنس ، ثم أتى بجملة الأمر مقدمة ، وعطف عليها جملة النهي .

د - حسن البيان : لأن لفظ الآية لا يتوقف من سمعه في فهم معناه ، إذ سلم من التعقيد في لفظه ، ودل على معناه دلالة واضحة بأقرب الطرق وأسهلها ، واستوى في فهمه الذكي والغبي » ^(١) .

٥ - على المنابر :

هذه الآية تقرأ على المنابر في آخر خطبة الجمعة منذ أكثر من (١٣٠٠) سنة .

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (٣٧٥/٧ - ٣٧٦) . ولم أجد أحداً فصل تفصيله .

قال السيوطي ناقلاً - ولم يسم القائل - : « كان بنو أمية يسبون علي بن أبي طالب ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله ، وكتب إلى نوابه بإبطاله ، وقرأ مكانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ ﴾ الآية . فاستمرت قراءتها في الخطبة إلى الآن » ^(١) .

قال الخفاجي ثم القاسمي : « وهو من أعظم مآثره » ^(٢) ، وقال ابن المنير : « ولعل المعوِّض بهذه الآية عن تلك الهناة ، لاحظ التطبيق بين ذكر النهي عن البغي فيها ، وبين الحديث الوارد في أن المناصب لعللي باغ ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب علي : تقتلك الفئة الباغية . فقتل مع علي يوم صفين » ^(٣) ، ثم قال القاسمي - مستفيداً من الخفاجي - : « ولما فيها أيضاً من العدل والإحسان إلى ذوي القربى ، وكونها أجمع آية لاندراج ما ذكر فيها والله أعلم » ^(٤) .

وقد أعرض عن هذا بعض المفسرين ، وعلل قراءتها تعليلاً آخر :

قال أبو البركات النسفي : « وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر ، ولذا يقرأها

(١) تاريخ الخلفاء ص ٢٣٥ ، وانظر الكشف (٢/٦٢٩) ، وحياة الحيوان الكبرى (١/٦٣) ، ونهر الذهب في تاريخ حلب (١/٣٣٠) ، ومثل هذا بحاجة إلى دراسة تاريخية كاشفة تبين من قام بهذا ومن لم يقم .

(٢) حاشية الخفاجي (٥/٣٦٤) ، وتفسير القاسمي (٤/٥٤٣) .

(٣) الانتصاف من الكشف (٢/٦٢٩) .

(٤) تفسير القاسمي (٤/٥٤٣-٥٤٤) ، والخفاجي (٥/٣٦٤) . ويذكر هنا أن للشريف الرضي

قصيدة قالها في عمر بن عبد العزيز أولها :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العبد من فتى من أمية لبكيك

أنت نرهتنا عن السب والقذف ، فلو أمكن الجزاء جزيتك

انظر : الديوان (١/٢١٥) .

كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة ، لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي » ^(١) .

٦- من ألف في تفسير هذه الآية :

المؤلفون في تفسير هذه الآية :

١- الشيخ المفسر الفقيه النحوي ابن الموصلي : محمد بن محمد بن عبد الكريم

البعلي (٦٩٩-٧٧٤ هـ) . له : « نهاية الإحسان في تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ » ^(٢) .

٢- الشيخ مرعي الكرمي : وهذه رسالته ، وسيأتي الكلام عليها .

٣- الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب الشربيني الشافعي

أنصري . له : « فتح الرحيم الرحمن في تفسير آية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ ﴾ » . وهذا المؤلف ذكره إسماعيل باشا البغدادي في إيضاح

المكنون ، وبيض لوفاته ، وذكره في هدية العارفين وقال : « المتوفى في حدود

(١٠٣٠) هـ » ، وذكر أنه فرغ من الرسالة المذكورة سنة (١٠٢٨) هـ ^(٣) .

وقد ذكرت هذه الرسالة في « الفهرس الشامل » منسوبة إلى : الخطيب

الشربيني : شمس الدين محمد بن أحمد (ت : ٩٧٧) هـ صاحب « السراج

المنير في الإعانة ببعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير » . ومنها نسخة في

جامعة استنبول في (٤٠) صفحة ، وتاريخها (١٠٢٨) هـ ^(٤) ، فإن كان

(١) تفسير النسفي (٢/٢٣٠) ، وانظر تنوير الأذهان (٣/٣١٧) .

(٢) انظر الوافي بالوفيات (١/٢٦٢) .

(٣) إيضاح المكنون (٢/١٦٥) ، وهدية العارفين (١/٧٥٤) ، وللشيخ ذكر في معجم المؤلفين

(٧/١٢٠) ومعجم المفسرين (١/٣٦٥) اعتماداً على البغدادي ، ولم يترجم في خلاصة الأثر !

(٤) الفهرس الشامل (١/٦١٦) .

هذا تاريخ النسخ فالنسبة مترددة ، وإلا فالرسالة لأبي الحسن علي ، وهذا هو الراجح لتصريح البغدادي بأنه فرغ منها في هذا التاريخ .

٤- في مكتبة كوبريلي بمجموع برقم (١٦٠٦/٢٧) فيه رسالة في تفسير هذه الآية من (١٨٩ ب - ٢٠٠ أ) ولم يذكر المؤلف^(١) .

٥- وقد تطرق إلى ذكر هذه الآية العلامة المفسر المربي الشيخ عبد الله سراج الدين (ت : ١٤٢٢ هـ) في كتابه: « هدي القرآن الكريم إلى الخجة والبرهان » ، تحت عنوان : « النور القرآني وإضاءته على العقول والقلوب » ، وقال : « إن تفصيل الكلام على هذه الآية الكريمة يتطلب كتاباً مستقلاً ، ولكن لا بد من كلمة مجملة حول جانب من جوانبها » ، ثم قال : « إن تفصيل الكلام على بقية معاني الآية الكريمة له موضع آخر إن شاء الله تعالى »^(٢) . وقد صدر هذا الكتاب سنة (١٤٠٨) هـ ، ولا أدري هل تيسر للشيخ كتابة شيء عنها أو لا .

(١) الفهرس الشامل (١/٩٢٤) ، وقد ذكروا أن المجموع من القرن العاشر !

(٢) هدي القرآن الكريم إلى الخجة والبرهان ص ٢٥٦ . ٢٥٩ .

ثالثاً : هذه الرسالة

١ - مضمونها :

هذه الرسالة - كما هو واضح من عنوانها - تتناول الكلام على الآية (٩٠) من سورة النحل ، بل على جزء من هذه الآية وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ .

وقد قدم المؤلف لذلك بمقدمة عن فضل هذه الآية وعظمتها ، ثم ذكر مناسبتها لما قبلها ، ثم ذكر الأقوال المقولة في بيان « العدل » المقصود هنا ، وفضل العدل في الحكم والسلوك ، وفضل الحاكم العادل ، وأتبع هذا بالأقوال الواردة في المراد من ﴿ الْإِحْسَن ﴾ وما يدخل فيه ، وفضله ، ثم ذكر نبذة عن فضل صلة الرحم .

وختم بخاتمة جميلة شرح فيها الأخلاق التي يحتاج إليها من يعاشر الناس وهي أربعة أخلاق : الحلم ، والبسط ، والعدل ، والإحسان . وقال بأن هذه الأخلاق الأربعة مجموعة في هذه الآية الشريفة ، بل في قوله : ﴿ وَالْإِحْسَن ﴾ ، وإنها مجموعة في آيتين أخريين من سورتي الأعراف والمؤمنون .

ثم عقب بأن الجامع لهذه الأخلاق المحمودة كلها هو حسن الخلق ، وبعد أن ذكر فضله ومعناه ختم رسالته قائلاً : « وفي هذا القدر كفاية ، وهو تمام النهاية ، وإلا فالكلام على هذه الآية كلها مما يطول ، وفيه أبواب وفصول » .

وقد أتى بنقولات نافعة ، وخلل ذلك بتنبيهات ولطائف .

وكان مقصوده الكلام على ما أمر الله به من مكارم الأخلاق في هذه الآية .

٢ - عنوانها وتوثيق نسبتها :

اتفقت المصادر على تسميتها وذكرها بـ « قلائد العقيان في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ؟ » (١). وجاء العنوان في الأصل المخطوط مختصراً : « قلائد العقيان » للشيخ مرعي الخنبلي .

وهذه النسخة بالذات صحيحة النسبة ، فالأسلوب واحد ، والمصادر متكررة ، وقد ذكر المؤلف فيها رسالته : « إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان » .

٣- مصادرها :

استقيت مادة هذه الرسالة من المصادر الآتية :

أ- المصادر المصرح بأسمائها :

- ١- تفسير أبي الليث السمرقندي .
- ٢- تفسير القرطبي : وهو ينقل من أحكام القرآن لابن العربي .
- ٣- تفسير ابن عادل : وهو ينقل من تفسير الرازي والدر المصون للسمين .
- ٤- تفسير المفتي - يريد أبا السعود - .
- ٥- إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان : للكرمي نفسه .

وقد صرح المؤلف بنقله عنها في مواضع وأغفلها في أخرى .

ب- المصادر المصرح بأسماء مؤلفيها :

- ١- أحمد : ويريد مسنده .

(١) انظر: خلاصة الأثر (٣٥٩/٤) ، والنعت الأكمل ص ١٩٣ ، ومختصر طبقات الحنابلة ص ١١٠ ، والسحب الوابلة (١١٢١/٣) - لكن فيه : « في آية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ .. ﴾ » ، وهديّة العارفين (٤٢٧/٢) .

والعقيان : الذهب الخالص . وقيل : هو ما ينبت نباتاً وليس مما يُحصل من الحجارة . مختار الصحاح ص ٢١٥ .

٢- الأئمة الستة : ويريد كتبهم المشهورة .

٣- البخاري وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي . ويريد كتبهم : الأدب المفرد ، والتفسيرين ، والمعجم الكبير للطبراني ، والمستدرك ، وتاريخ نيسابور كلاهما للحاكم ، والأسماء والصفات ، والبعث والنشور كلاهما للبيهقي . والظاهر أنه نقل عن هذه الكتب بوسائط أغفلها .

٤- ابن تيمية : ويريد كتابه « الاستقامة » .

ج- مصادر أغفل أسماءها : من ذلك :

١- الترغيب والترهيب للمنزري .

٢- النهر الماد لأبي حيان .

٣- الدر المنثور للسيوطي .

٤- الجامع الصغير للسيوطي .

٥- سراج الملوك للطرطوشي . أو :

٦- المستطرف للأبشيهي .

٧- المغني لابن قدامة .

د- أبهم عدداً من مصادره ، كأن يقول :

١- قال بعض العارفين .

٢- قال بعضهم .

٣- قال بعض المحققين .

٤- تاريخ تأليفها :

جاء في أقدم نسخة من هذه الرسالة ، وهي المرموز لها بـ (ح) كما سيأتي : « تم في الجامع الأزهر سنة وعشرين بعد الألف » وفيه سقط بدلالة وجود حرف العطف ، ويؤكد هذا ذكره لرسالته « إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان » التي

لخصها من كتابه: « بهجة الناظرين وآيات المستدلين » و « أرواح الأشباح في الكلام على الأرواح » في يومي السبت والأحد في العشرين من رمضان سنة (١٠٢٢) هـ .
فتأليف القلائد إذن بعد هذا التاريخ .

٥- أثرها فيما بعدها :

وقفت على أثر واحد في كتاب « النفع الغزير في صلاح السلطان والوزير » للشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (ت : ١١٩٢ هـ) ، فقد أورد نصاً منها ، ولكنه لم يعزه إليها كما سيأتي .

٦- نُسخ الرسالة والنسخ المعتمدة :

لم يذكر مَنْ كتب عن مؤلفات الشيخ مرعي نسخاً لهذه الرسالة ، ولم يذكر في الفهرس الشامل سوى نسخة جاريت بجامعة برنستون في أمريكا ، وقد وقفت لها على أربع نسخ ، ثلاث في مكتبة الأوقاف العامة في مدينة الموصل بالعراق ، هي :

١- نسخة في مجموع في مدرسة الحجيات برقم (٢٢/٩) ^(١) ، وفيه للمؤلف :

- رسالة في زيادة العمر ونقصه (وهي : إرشاد ذوي العرفان) .

- تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف .

- قلائد العقيان .

- نصيحة .

- إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ

الْكِتَابِ ۖ ﴾ .

وهذه الرسائل كتبها محمد بن محمد بن موسى العبدي البغدادي الموصلية بدمشق

(١) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (١٠٧/٣) .

- وهو عائد إلى وطنه - سنة (١١٢٨ هـ) ^(١) من خط من نقلها من خط مؤلفها سنة (١٠٢٨ هـ) كما جاء في آخر قلائد العقيان وإتحاف ذوي الألباب .

ورسالة « قلائد العقيان » تقع مع « النصيحة » في (٦) أوراق ، في كل ورقة (١٩) سطراً .

٢- ونسخة ثانية في مكتبة الرضوانية في مجموع رقمه (١٨/١٢٦) ، وأول هذا المجموع « نصاب الاحتساب » وناسخه خير الله العمري سنة (١١٣٤ هـ) .

وفي هذا المجموع الرسائل المذكورة للمؤلف عدا « النصيحة » وكأنها منقولة من النسخة السابقة ، وهي تقع في (٥) أوراق ، في كل ورقة (٢٣) سطراً ^(٢) .

٣- ونسخة ثالثة في مجموع في المدرسة الأحمدية برقم (٢٤/٨١) مع الرسائل الثلاث المذكورة ، وناسخ هذا المجموع أمين بن خير الله العمري الخطيب سنة (١١٧٥ هـ) في الموصل ^(٣) ، ومن الواضح أنها منقولة من النسخة الثانية .

وهي في (٧) أوراق ، في كل ورقة (٢٣) سطراً .

٤- ونسخة رابعة ذكرت بعنوان : « عرائس من الحور الحسان ، ونفائس لأولؤ وجواهر وعقيان في الكلام على قول الملك الديان : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ ﴾ » .

(١) هكذا ذكر التاريخ صاحب الفهرس المذكور ، ولم يتضح لي في التصوير .

(٢) الفهرس المذكور (٢٠٠/٨) .

(٣) انظر الفهرس المذكور (٢٨١/٥) . ويوجد في مجموع في مكتبة الأوقاف العامة بالموصل أيضاً :

تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ ﴾ . والناسخ : يحيى بن ملا بكر في جامع

الأمينية في الموصل . ولم يذكر المؤلف ولا ديباجة الرسالة ، فلا أدري أهى نسخة من القلائد أم

غيرها ؟ انظر الفهرس (١٤٦/٨) .

في مكتبة جاريت (يهودا) في (٥) أوراق من القرن الثالث عشر ^(١) . وهذا العنوان جزء مقتطع من المقدمة .

وقد تيسر لي الحصول على صور من النسخ الموصلية الثلاث ، ومنها أخرجت هذه الرسالة ، وأفضلها الأولى ، ورمزها (ح) ، ثم الثانية ، ورمزها (ر) ، ثم الثالثة ، ورمزها (أ) .

٧- عملي في الرسالة :

١- نسختها من (ح) مفصلاً جملها وعباراتها ونقولها ، مرقماً أقوالها ، وقابلتها بـ (ر) و (أ) ، وفي الأخيرة سقط وأخطاء من الناسخ لم ألزم ذكره كله .

٢- وضعت لها علامات « التفهيم » .

٣- عزوت الآيات والأحاديث إلى أماكنها ، وخرّجت ما لم يخرج منها .

٤- قابلت النصوص المنقولة بأصولها ، وعزوت ما لم يعز ، ووثقتها كلها .

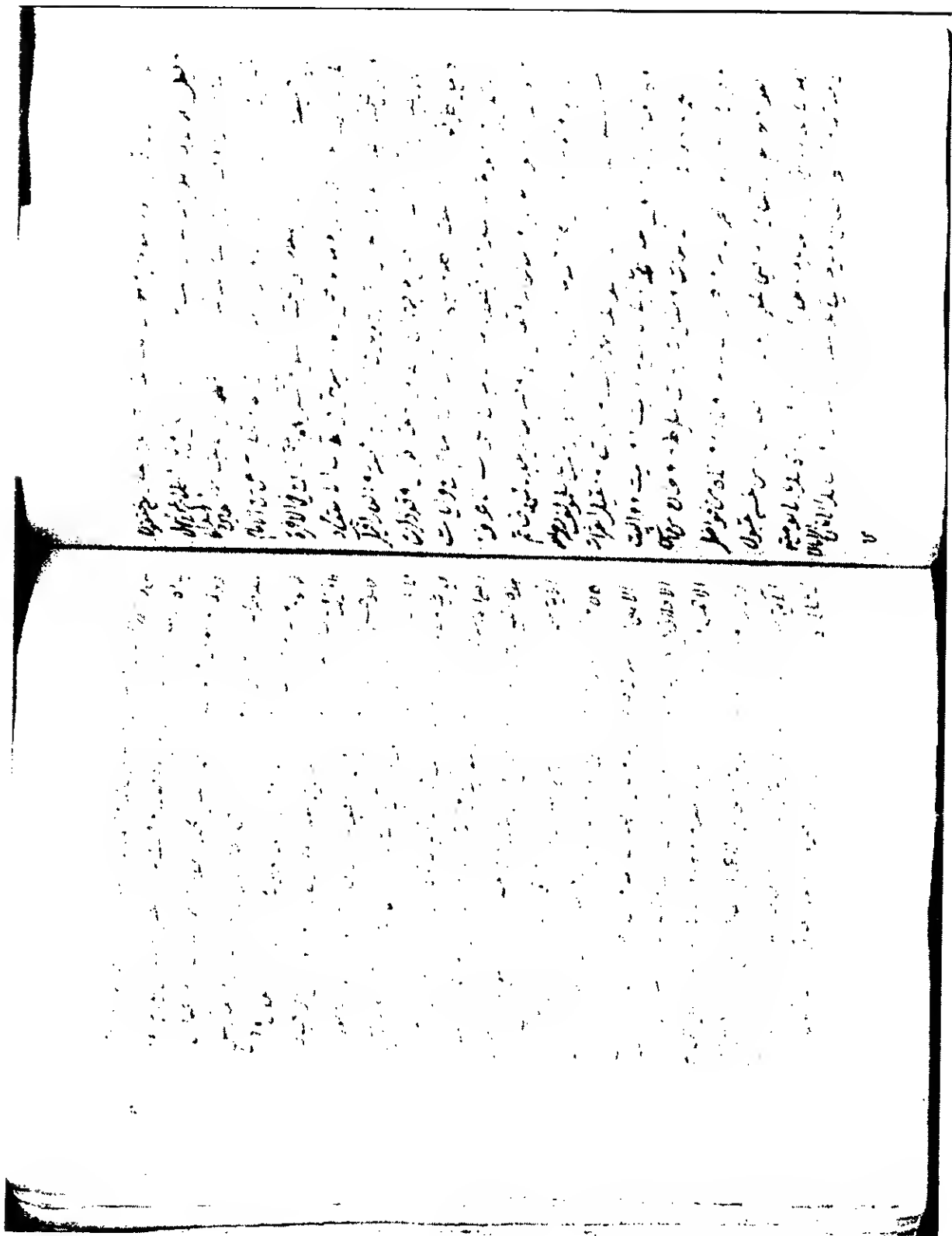
٥- علقت عليها بما يزيد فائدة ويتمم قصد مؤلفها ، وقابلت ما جاء عنده في تفسير الآية بما جاء لدى المفسرين - قدر الإمكان - .

٦- استدركت ما فيه حاجة إلى استدراك .

٧- عزوت إلى جملة من التفاسير لمن يريد تفسير تنمة هذه الآية الكريمة .

٨- قدمت لها بهذه الدراسة عن المؤلف ، والآية المفسرة ، والرسالة .

ومن الله أستمد العون والتوفيق .



النسخة (ح)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك اللهم مجيب الدعوات ، ومقيل العثرات ، وكاشف الكربات ، ومولي الغفران ، وشكراً لك على ما أوليت وواليت وواليت^(١) من نعم مترادفات ، ومنح متتابعات ، ومنن متراكمات ، على كل بر وجان ، من إنس وجان ، فسبحانه ما أعظم شأنه ، وأجزل إحسانه ، بما أولاه ووالاه من فواضل العدل وسوايغ الامتنان ، أمر فيما بلغه الرسول - والسعيد من عرض نفسه للقبول - فهو جل ثناؤه يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ ﴾ .

فشهادة لك بالألوهية يا منزهاً عما يخطر بالجنان ، ويا مرئياً بلا كيف في الجنان ، وأسألك الأمان الأمان من زوال الإيمان .

ولنبيك محمد ﷺ بالرسالة ، وأسأله الشفاعة يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، وتقول كل نفس : يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ، ويعرض الظالم على يديه ندماً وذلةً وهوان^(٢) .

ولأصحابه بأنهم أفضل الخلق بعده ، وأنهم خير أنصار وأعوان ، عليهم أجمعين مزيد الرضوان .

أما بعد : فهذه عرائس من حور حسان ، ونفائس لؤلؤ وجوهر وعقيان ، في الكلام على قول الملك الديان : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ ﴾ .

فأقول وبالله المستعان ، ومنه أرجو العفو والغفران ، لا رب غيره ، ولا مأمول إلا خيره ، فهو حسبي ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير :

(١) كذا في (ح ، ر) ، وفي (أ) : ووليت . والظاهر أن أحد الفعلين مكرر بدلالة ما بعده .

(٢) الوقف بحذف التنوين وسكون الآخر لغة نسبها ابن مالك إلى ربيعة . انظر شرح الأشموني بحاشية الصبان (٢٠٤/٤) .

مقدمة

قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل : ٩٠] .
 قال العلماء ^(١) : إن هذه الآية الشريفة أجمع ^(٢) آية في القرآن ، ولو لم يكن فيه غير
 هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبياناً لكل شيء وهدى .
 قال ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية : هي أجمع آية في القرآن للخير والشر ^(٣) . وفي
 رواية أخرى عنه : هذه أجمع آية في القرآن لخيرٍ يُمثل شرٍ يُجتنب ^(٤) .
 وفي تفسير ^(٥) السمرقندي : جَمَعَ سبحانه في هذه الآية علم الأولين والآخرين ،
 وجميع الخصال المحمودة ^(٦) .
 وقال قتادة ^(٧) : ليس من خُلِقَ حَسَنٍ كان في الجاهلية يُعمل ويستحسن إلا أَمَرَ الله
 تعالى به في هذه الآية ، وليس من خُلِقَ سَيِّئٌ إلا نهى الله عنه في هذه الآية .

-
- (١) هذا اللفظ لأبي السعود في تفسيره (١٣٦/٥) ، والقول للبيضاوي في تفسيره ص ٣٦٤ ، وعلق
 عليه الخفاجي في حاشيته (٣٦٤/٥) بقوله : « ووجه التنبيه أنه إذا جمعت هذه الآية ما ذكر مع
 وجازتها أيقظت عيون البصائر ، وحركتها للنظر فيما عداها » .
 (٢) في (ح) : من أجمع . و « من » ليس في مصادر القول .
 (٣) أخرجه سعيد بن منصور ، والبخاري في الأدب المفرد ص ١٧١ ، برقم (٤٨٩) ، ومحمد بن نصر في
 الصلاة ، وابن جرير (٦٣/١٤) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني والحاكم في المستدرک
 وصححه (٣٥٦/٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٨/٢ ، ٣٧٣) برقم (٢١٧٣ ، ٢٢١٦) .
 الدر المنثور (١٤٣/٤) . والقول في تفسير الثعلبي (٣٧/٦) ، واللباب لابن عادل (١٤٢/١٢) .
 (٤) هذا اللفظ في أحكام القرآن لابن العربي (١٥٥/٣) ، وتفسير القرطبي (١٦٥/١٠) .
 (٥) قوله : « تفسير » سقط من (ر ، أ) .
 (٦) تفسير أبي الليث السمرقندي (٢٤٧/٢) ونصه : « ... فقد أمر بثلاثة أشياء ، ونهى عن ثلاثة
 أشياء ، وجمع في هذه الأشياء ... الخ » والقول في تفسير روح البيان بلا نسبة . انظر تنوير
 الأذهان (٣١٧/٢) .
 (٧) أخرج هذا القول الطبري (١٦٣/١٤) ، وابن أبي حاتم . الدر المنثور (١٤٣/٤) ، وأورده السمرقندي
 (٢٤٧/٢) ، والواحدي في الوسيط (٧٩/٣) ، وابن عادل في اللباب (١٤٢/١٢) ، وغيرهم .

وقال أيضاً : إنَّ الله تعالى من كرمه نهى عن سفاسف الأخلاق ومذاممها ^(١) .
وقال الحسن ^(٢) : والله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من الطاعة إلا جمعه ^(٣) .
ولما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية على المشركين قال فصحاؤهم : دعوتَ والله إلى
مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ^(٤) .

(١) هذا من تنمة القول السابق كما في تفسير الطبري ، ونصه هناك : « وإنما نهى ... الخ » .
(٢) أخرج قوله البيهقي في شعب الإيمان . الدر المنثور (٤/١٤٣) ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير
(٤٨٤/٤) .

(٣) في (ح ، ر) : جمعا ، وفي (أ) : جمعه .

(٤) يشير المصنف إلى الأخبار الآتية :

١- قال الرازي في تفسيره (١٠٤/٢٠) : « روى القاضي في تفسيره عن ابن ماجه عن علي
عليه السلام أنه قال : أمر الله تعالى نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب ، فخرج وأنا معه وأبو بكر ،
فوقفنا على مجلس عليهم الوقار ، فقال أبو بكر : ممن القوم ؟ فقالوا : من شيان بن ثعلبة ، فدعاهم
رسول الله ﷺ إلى الشهادتين وإلى أن ينصروه فإن قريشاً كذبوه . فقال مقرون بن عمرو : إلام
تدعونا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ عليهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ الآية . فقال مقرون بن
عمرو : دعوتَ والله إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا
عليك » وأورد الخبر ابن عادل (١٤٢/١٤٣) ، وتفصيله في دلائل النبوة للبيهقي (٢/٤٢٢-
٤٢٧) وأبي نعيم (١/٢٠٣-٢٠٨) .

٢- وفي الدر المنثور (٤/١٤٢-١٤٣) : « أخرج الباوردي وابن السكن وابن منده وأبو نعيم
في معرفة الصحابة عن عبد الملك بن عمير رضي الله عنه قال : بلغ أكنم بن صيفي مخرج رسول الله ﷺ فأراد
أن يأتيه ، فأتى قومه فانتدب رجلين فأتيا رسول الله ﷺ فقالا : نحن رسل أكنم ، يسألك من أنت
وما جئت به ؟ فقال النبي ﷺ : أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله . ثم تلا عليهم هذه الآية :
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ قالوا : ردد علينا هذا القول . فردده
عليهم حتى حفظوه . فأتيا أكنم فأخبراه ، فلما سمع الآية قال : إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى
عن ملائمها ، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا فيه أذناناً .

ورواه الأموي في مغازيه وزاد : فركب متوجهاً إلى النبي ﷺ ، فمات في الطريق .

قال : ويقال : نزلت فيه هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ ﴾
الآية » .

٣- وفي تفسير أبي اليركات النسفي (٢/٢٣٠) : « قال أبو جهل : إن إخيه يأمر بمكارم الأخلاق » .

ولما قرأ ﷺ هذه الآية على الوليد بن المغيرة قال له : يا ابن أخي أعد ، فأعاد عليه ، فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وما هو بقول البشر ^(١) .

وقال أبو طالب : يا معشر قريش اتبعوا دين ابن أخي ترشدوا وتفلحوا ، فإن ابن أخي لا يأمر إلا بمكارم الأخلاق ^(٢) .

وقال علي كرم الله وجهه : يا آل غالب اتبعوه تفلحوا ، فوالله إن الله أرسله ليأمر بمكارم الأخلاق ^(٣) .

ولما نزل جبريل بهذه الآية قال : يا محمد إن الله يأمرك بـ ﴿ أَلْعَدْلِ ﴾ : شهادة أن لا إله إلا الله ، ﴿ وَالْإِحْسَنِ ﴾ : القيام بالفرائض ، ﴿ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾ : صلة القربى أي الرحم ^(٤) .

(١) ذكره السمرقندي (٢٤٧/٢) راوياً له عن شيخه أبي منصور عبد الله الفرائضي بسمرقند بإسناده إلى عكرمة « أن النبي ﷺ قرأ ... » ولم يذكر السند . وأورده القرطبي (١٦٥/١٠) وقال : « وذكر الغزنوي أن عثمان بن مظعون هو القارئ » .

(٢) هذه قطعة من حديث إسلام عثمان بن مظعون وردت في سياق السمرقندي (٢٤٧/٢) ، ولم ترد في سياق الإمام أحمد (٨٧/٥) برقم (٢٩١٩) ، وذكرها القرطبي (١٦٥/١٠) وابن عادل في اللباب (١٤٢/١٢) .

(٣) هذا القول في تفسير القرطبي (١٦٥/١٠) هكذا ، ومن قبله أورده ابن عطية في تفسيره (٤٩٣/٨-٤٩٤) ونصه : « وروى عن عثمان بن مظعون ﷺ أنه قال : لما نزلت هذه الآية قرأتها على علي بن أبي طالب ﷺ ، فعجب وقال : يا آل غالب اتبعوه تفلحوا فوالله إن الله أرسله إليكم ليأمر بمكارم الأخلاق » . وأرى في هذا السياق وهماً ، وهو إنما قرأ الآية على أبي طالب ، كما في الخبر السابق .

(٤) لم أجده هكذا ، ورأيت في الدر المنثور (١٤٣/٤) : « أخرج ابن جرير (١٦٢/١٤) وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٧٢/١) برقم (٢٠٦) عن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ وَالْإِحْسَنِ ﴾ قال : أداء الفرائض ﴿ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾ قال : إعطاء ذوي الرحم الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم ... » .

إذا تقرر هذا « فاعلم أنه جل ثناؤه لما شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب قبل هذه الآية ، أتبع ذلك بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ ﴾ فجمع في هذه الآية الشريفة ما يتصل بالتكليف فرضاً ونفلاً ، وما يتصل بالأخلاق والآداب عموماً وخصوصاً »^(١) كما سيأتي .

« ومناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه تعالى لما ذكر ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] وصل به ما يقتضي التكليف فرضاً ونفلاً وأخلاقاً وآداباً »^(٢) كما ستسمع .

أما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ ﴾ فمعلوم أن ﴿ إِنَّ ﴾ معناها التوكيد كما هو مقرر في علم المعاني والبيان^(٣) .

وأن ﴿ آله ﴾ لفظ مبحثه معلوم من أنه هل هو مشتق كما ذهب إليه قوم ، أو ليس بمشتق كما ذهب إليه آخرون^(٤) .

والمقصود هنا إنما هو الكلام على ما أمر الله به من مكارم الأخلاق في هذه الآية . ومعلوم كما قال المفتي في « تفسيره » أن الإيثار في قوله ﴿ يَأْمُرُ ﴾ بصيغة

(١) ما بين الهالين كلام الرازي في تفسيره (١٠٣/٢٠) وأورده البقاعي في نظم الدرر (٢٣٥/١١) ، وابن عادل في اللباب (١٤١/١٢-١٤٢) كلاهما بلا عزو .

(٢) هذا نص أبي حيان في النهر الماد (٥١٧/٣) ، والبحر المحيط (٥٢٩/٥) ، وهو مستفاد من الرازي ، ونسب الخازن هذا المعنى إلى أهل المعاني . انظر تفسيره (١٣١/٣) .

(٣) انظر مغني اللبيب (٣٥/١) بحاشية الأمير .

(٤) انظر تفسير البيضاوي ص ٣ وتفسير النسفي (٢٧/١-٢٨) ، ومن توسع في هذا البحث الإمام الفيروزآبادي (ت : ٨١٧ هـ) في كتابه « تسيير فائحة الأناب [المسك أو عطر يضاهيه] في تفسير فائحة الكتاب » .

الاستقبال لإفادة التجدد والاستمرار^(١) .

ومعلوم أنه تعالى إنما لم يذكر متعلقات العدل والإحسان ليعم جميع ما يعدل فيه ويحسن به إليه^(٢) .

واعلم أن الله تعالى أمر في هذه الآية بثلاثة أشياء ، وهي : العدل ، والإحسان ، وإيتاء ذي القربى .

فأما قوله تعالى ﴿ بِالْعَدْلِ ﴾ :

١- فقول : هو الإنصاف^(٣) .

٢- وقيل : هو التوحيد^(٤) . وقيل : هو الإخلاص في التوحيد^(٥) .

(١) تفسير المفتي أبي السعود (١٣٦/٥) ، ولفظه : « وإيتاء صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده ... » .

(٢) هذا في الدر المصون (٢٨٠/٧) ، واللباب (١٤٣/١٢) ، ولفظه : « ... لم يذكر متعلقات

العدل والإحسان والبغي ... ويبغى فيه » .

(٣) ذكره الثعلبي (٣٧/٦) والقرطبي (١٦٥/١٠) ، واقتصر عليه النحاس في إعراب القرآن

(٤٠٦/٢) ، وروى أبو نعيم في الحلية (٢٩١/٧) عن سفيان بن عيينة قال : « سئل علي عن

قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ، فقال : العدل : الإنصاف ، والإحسان :

التفضل » ، فما جاء في الشهب اللامعة للمالقي ص ٩٣ من نسبة هذا القول إلى ابن عيينة غير

دقيق .

(٤) هذا قول ابن عباس كما تقدم نقله من الدر المنثور قبل قليل . وأورده الثعلبي (٣٧/٦) وعزاه هو

والبغوي في تفسيره (٣٨/٥) إلى مقاتل ، انظر تفسيره (٤٨٣/٢) ، وهو في اللباب (١٤٣/١٢)

، وهو والذي قبله في تفسير الجلالين ص ٢٢٣ .

(٥) في هذا نظر ، فقد ذكره الرازي (١٠٤/٢٠) في تفسير الإحسان ، ومن قبله ذكره الثعلبي

(٣٧/٦) والبغوي في تفسيره (٣٨/٥) كذلك ، ووهم المؤلف لمتابعته ابن عادل وهو قد نسبته

إلى ابن عباس !

٣- وقيل : العدل في الأفعال ، والإحسان في الأقوال ، فلا تفعل إلا ما هو العدل ، ولا تقل إلا ما هو إحسان^(١) .

٤- وقيل : العدل : الفرض^(٢) .

٥- وقيل : العدل هو [فعل]^(٣) كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظلم ، والإنصاف وإعطاء الحق^(٤) . قاله علي بن أبي طالب عليه السلام^(٥) .

٦- وقال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية^(٦) : العدل وضع كل شيء في موضعه ، كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه . [و]^(٧) قال^(٨) : والعدل جماع الدين والحق والخير كله ، والعدل الحقيقي قد يكون متعذراً^(٩) ؛ إما علمه ، وإما العمل به^(١٠) ،

(١) ذكره الثعلبي (٣٧/٦) ، والواحدي في الوسيط (٧٩/٣) ، والرازي (١٠٤/٢٠) ، وابن عادل (١٤٣/١٢) .

(٢) ذكره القرطبي (١٦٥/١٠) .

(٣) من المحرر الوجيز (٤٩٤/٨) .

(٤) هذا قول ابن عطية (٤٩٤/٨) ، وذكره القرطبي (١٦٥/١٠-١٦٦) وسقط منه : « وسير مع الناس في » ، وذكره في البحر المحيط (٥٢٩/٥) معزواً .

(٥) هذا سبق نظر أو خاطر . والذي في تفسير القرطبي (١٦٥/١٠) : « [قال] علي بن أبي

طالب : العدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضل » ثم ذكر قول ابن عطية .

(٦) في كتابه الاستقامة (٤٦٤/١) .

(٧) زيادة مني .

(٨) في كتابه الاستقامة (٤٣٤/١) ، والنص كذلك في مجموع الفتاوى (١٣٢/٢٢) ضمن « فصل في محبة الجمال » .

(٩) في الفتاوى زيادة وهي : « أو متعسراً » .

(١٠) في المصدرين المذكورين هنا : « لكون التماثل من كل وجه غير ممكن ، أو غير معلوم » . اهـ . مصححاً .

فيكون الواجب في مثل ذلك ما كان أشبه بالعدل وأقرب إليه وهي الطريقة المثلى . انتهى^(١) .

وبالجملة^(٢) : العدل عبارة عن الأمور المتوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط ، وهو رأس الفضائل كلها ، وواجب الرعاية في جميع الأشياء .

وتحقيقه أن التكليف في شيئين : إما في الاعتقاد ، وإما في أعمال الجوارح .

فأما الاعتقادات فلها أمثلة :

فمنها ما قاله ابن عباس رضي الله عنه : إن العدل هو قولنا لا إله إلا الله . وتحقيقه أن نفي الإله تعطيل محض ، وإثبات أكثر من إله واحد تشريك محض ، وهما مذمومان ، والعدل هو إثبات إله واحد .

ومنها : أن القول بأن الإله ليس بموجود ولا شيء تعطيل محض ، والقول بأنه جسم مركب ومتحيز تشبيه محض ، والعدل إثبات إله موجود منزّه عن الجسمية والأجزاء والمكان .

ومنها : أن القول بأن الإله غير موصوف بالصفات من العلم والقدرة تعطيل محض ، والقول بأن صفاته حادثة متغيرة تشبيه محض ، والعدل إثبات أن الإله عالم قادر حي ، وأن

(١) وفات المصنف أن يذكر قول سفيان بن عيينة : العدل : استواء السر والعلانية من كل عامل لله عملاً . وهو في عدد من التفاسير ، منها تفسيره ص ٢٨٥ ، وتفسير البغوي (٣٩/٥) .

(٢) من هنا إلى قوله الآتي : « وبالجملة فالعدل هو مراعاة التوسط ... » هو من كلام الفخر الرازي ، وقد اختصر منه وتصرف يسيراً . ومن قبله نقله بتلخيص أبو حيان في البحر (٥٣/٥) ، وابن عادل في الباب (١٤٤/١٢-١٤٥) ، وتبع المصنف ابن عادل تقريباً .

وما قاله الرازي في تفسير العدل والإحسان هو محور ما أتى به الشيخ الشعراوي في تفسيره (٨١٥٨-٨١٦٨/١٣) .

صفاته ليست محدثة ولا متغيرة « سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً »^(١) .
ومنها : أن القول بأن العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبرٌ محض ، والقول بأن العبد مستقل بأفعاله قَدْرٌ محض ، وهما مذمومان ، والعدل أن يقال : إن العبد يفعل الفعل بواسطة قدرة وداعيةٍ يخلقها الله تعالى فيه ، « فيضاف الفعل لله خلقاً ، وللعبد كسباً »^(٢) .

وأما أفعال الجوارح فلها أمثلة :

فمنها ما قاله قوم : لا يجب على العبد شيءٌ من الطاعات ، ولا يجب عليه الاحتراز من شيءٍ من المعاصي ، ونفوا التكاليف أصلاً ، وقوم يَحْصُونَ^(٣) أنفسهم ويرمونهم من شاهرٍ ، والطرفان مذمومان ، والعدل شرعنا^(٤) .

ومنها : أنه قيل : كان في شرع موسى عليه السلام القتل العمد استيفاءً القصاص لا محالة ، وفي شرع عيسى عليه السلام العفو ، وفي شرعنا : إن شاء استوفى القصاص ، وإن شاء عفا عن القصاص وأخذ الدية^(٥) ، وإن شاء عفا مطلقاً .

ومنها : أنه قيل : كان في شرع موسى عليه السلام الاحتراز العظيم عن الحائض حتى إنه

(١) من إضافة المؤلف .

(٢) من إضافة المؤلف ، وهو يشير إلى اعتناقه القول بالكسب . هذا وقد علق الصاوي في حاشيته على الجلالين (٢٨٤/٣) على هذا الاعتدال بقوله : « وهذا مذهب أهل السنة ، خرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً للشاربين » .

(٣) في (ح ، ر) : يحضون . وفي (أ) : يحصنون .

(٤) لتوضيح الطرف الثاني أنقل أصل الكلام من تفسير الرازي (١٠٥/٢٠) : « وقال قوم من الهند ومن المانوية : إنه يجب على الإنسان أن يجتنب عن كل الطيبات ، وأن يبالغ في تعذيب نفسه ، وأن يحترز عما يميل الطبع إليه ، حتى إن المانوية يحضون أنفسهم ، ويحترزون عن التزوج ، ويحترزون عن أكل الطعام الطيب ، والهند يحرقون أنفسهم ، ويرمون أنفسهم من شاهرٍ » .

(٥) في (ح) : « وإن شاء عفا عن الدية » ، وفيه سقط واضح .

يجب إخراجها من الدار ، وفي شرع عيسى عليه السلام حل وطئها ، والعدل شرعنا وهو تحريم وطئها [فقط] ^(١) .

ومنها : أنه سبحانه قال : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] . وقال عليه السلام : « خير الأمور أوسطها » ^(٢) .

وبالجملة فالعدل هو مراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط : كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ^(٣) ، ولذلك قال عليه السلام : « أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » ^(٤) .

لطيفة : قال في « تفسير » القرطبي ^(٥) : « قال ابن العربي ^(٦) : العدل بين العبد

(١) زدتها من اللباب (١٤٥/١٢) .

(٢) الحديث كأنه من إضافة ابن عادل ، فليس في تفسير الفخر ، وقد أورده ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند فيه مجهول عن علي مرفوعاً . وانظر التفصيل في المقاصد الحسنة ص ٢١٥ .

(٣) في النسخ الثلاث : الترهب .

وهذا مقتطع من تفسير البيضاوي ص ٣٦٤ ، والظاهر أنه بواسطة أبي السعود في تفسيره ، « والبطالة : ترك العمل لعدم فائدته إذ الشقي والسعيد متعين في الأزل - كما ذهب إليه بعض الملاحدة - والترهب : المبالغة في التزهّد بترك المباحات تشبهاً بالرهبان لأنه لا رهبانية في الدين ، وليس إخلاص الزهد منه » ا.هـ من حاشية الخفاجي على البيضاوي (٣٦٣/٥) .

(٤) اللفظ المذكور هنا أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين (٢١٧١/٤) برقم (٢٨١٨) . وفي كتاب الإيمان في صحيح البخاري من قول عائشة : « وكان أحب الدين إليه - ﷺ - ما دام عليه صاحبه » . الفتح (١٠١/١) .

(٥) (١٦٦/١٠) .

(٦) في أحكام القرآن (١٥٣/٣-١٥٤) باختلاف يسير .

وبين ربه إثبات حقه تعالى ^(١) والامتثال للأوامر ، وأما العدل بينه وبين نفسه : فمنعها مما فيه هلاكها قال تعالى : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠] ، وأما العدل بينه وبين الخلق : فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر ، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه ، ولا يكون منك إساءة إلى أحد بقول ولا فعل لا في سر ولا علن ، والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى ، وأقل ذلك : الإنصاف وترك الأذى .

تنبيه : المتبادر من العدل حيث أطلق الإنصاف الذي هو ضد الظلم والجور ، فالعدل خلاف الجور ، يقال : عدل عليه ^(٢) في القضية فهو عادل ، وبسط الوالي عدله ، فيجب على كل مسلم سيما ^(٣) الحاكم أن يعدل في أقواله وأفعاله وأحكامه قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [النساء : ١٣٥] .

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان في الدنيا ، ومنه إيصال الحقوق لمستحقيها ، وقد يتخلف ، وهو واقع في الآخرة من غير تخلف :

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي ^(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : يحشر الخلق ^(٥) كلهم يوم القيامة : البهائم والدواب والطيور وكل شيء ، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ

(١) في أحكام القرآن وتفسير القرطبي هنا تنمة هي : « على حظ نفسه ، وتقديم رضاه على هواه ، والاجتناب للزواج ، وعزوب الأطماع عن الاتباع ، ولزوم القناعة في كل حال ومعنى » .

(٢) كذا في النسخ الثلاث .

(٣) انظر بحثاً مفصلاً عن « لاسيما » : تركيبها واستعمالها وإعرابها في : « كشف العما عن معاني لاسيما » للمزجاجي .

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٦/٣٠) ، والحديث في الدر المنثور « النبأ » (٣٤٥/٦) ، وذكر من مخرجه أيضاً : عبد بن حميد وابن المنذر ، وبين أن البيهقي أخرجه في البعث والنشور . وليس هو في البعث والنشور المطبوع بتحقيق عامر أحمد حيدر ، وقد استدركه في كتابه استدراقات البعث والنشور ص ٩٥ ناقلاً له من الدر المنثور .

(٥) في الدر المنثور : الخلائق .

للجماء^(١) من القرآن ، ثم يقول : كوني تراباً ، فذلك حين يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً .

وأخرج إمامنا أحمد^(٢) بسند صحيح عن أبي هريرة^(٣) أن رسول الله ﷺ قال : يقتص للخلق بعضهم [من بعض ، حتى]^(٤) للجماء من القرآن ، وحتى للذرة من الذرة .

وأخرج إمامنا أحمد^(٥) والبخاري والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي^(٦) عن عبد الله بن أنيس^(٧) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الله العباد يوم القيامة عراة غرلاً^(٨) بهماً . قلنا : وما بهماً ؟ قال : ليس معهم^(٩) شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان ، [و] لا ينبغي لأحد من [أهل]

(١) الجماء : التي لا قرن لها . النهاية (٣٠٠/١) .

(٢) في المسند (٣٦٤/١٤) برقم (٨٧٥٦) وقال المحققان شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد : « صحيح دون قوله : « وحتى الذرة من الذرة » وهذا إسناد حسن ، رجاله رجال الصحيح ، إلا واصلاً - وهو مولى ابن عينة - ويحيى بن عكيل ، فإنهما يقصران عن رتبة الثقات وأهل الضبط ، وسلف الحديث من طريق عبد الرحمن بن يعقوب دون هذه الزيادة برقم (٧٢٠٤) وإسناده صحيح » .

(٣) سقط من (ح ، ر) ، وكتب في حاشية (أ) : « من بعض » فقط .

(٤) عزاه في الدر المنثور « تفسير سورة غافر » (٣٨٣/٥) إلى الحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات ، وما هنا زيادة في التخريج . انظر مسند أحمد (٤٣١/٢٥) برقم (١٦٠٤٢) وما بين المعقوفتين منه ، والأدب المفرد ص ٩٧٠ ، ومجمع الزوائد (١٣٣/١) وقد عزاه إلى المعجم الكبير للطبراني . وهو في الأوسط برقم (٨٥٨٨) أيضاً ، والمستدرک (٤٣٧/٢ ، ٥٧٤/٤) والأسماء والصفات ص ٧٨ ، ٢٧٣ . وانظر تفصيلاً عن الحديث في حاشية الإمام أحمد .

(٥) في (ح ، أ) : عزلاً ، وكذا في الموضع الثاني في النسخ الثلاث . وغرلاً : جمع الأغرل ، وهو الأكلف - أي غير المختون - . النهاية (٣٦٢/٣) .

(٦) في (ر) : معهما .

النار ^(١) أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه [منه] ، حتى للطمه . قلنا : وكيف وإنما تأتي عراة غراً بهما ؟ قال : [ب] الحسنات والسيئات . وتلا رسول الله ﷺ : ﴿ آيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ آيَوْمَ ﴾ [غافر : ١٧] .

فيجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أن الله سبحانه هو الديان يوم القيامة الذي يُجازي كلاً بعمله ، فيقتص للمظلوم من الظالم ومن السيد لعبده ، و ^(٢) « البر لا يبلى ، والإثم لا يُنسى ^(٣) ، والديان لا يموت ، فكن كما شئت ، كما تُدين تُدان » ^(٤) .

(١) في النسخ الثلاث : الناس !

(٢) في (ح) فقط : وفي . ولعله يريد : وفي الحديث .

(٣) قال المناوي في فيض القدير (٢١٩/٣) : « أي لا بد أن يجازى عليه ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ » ونبه به على شيء دقيق يغلط الناس فيه كثيراً ، وهو أنهم لا يرون تأثير الذنب فينساه الواحد منهم ، ويظن أنه لا يغيرُ بعد ذلك ، وأنه كما قال :

إذا لم يغيرْ حائط في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبارُ

قال ابن القيم [في الجواب الكافي ص ٦٦] : وسبحان الله ماذا أهلكت هذه النكتة [في الفيض : هذه البلية ، وهو تحريف وافق محلاً] من الخلق ، وكم أزال من نعمة ، وكم جلبت من نقمة ، وما أكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء ، فضلاً عن الجهال ، ولم يعلم المغتر أن الذنب ينقض ولو بعد حين ، كما ينقض السم ، وكما ينقض الجرح المندمل على الغش والدغل « ا.هـ مصححاً .

(٤) رواه عبد الرزاق في الجامع عن أبي قلابة مرسلاً ، ورواه عنه البيهقي في الزهد ص ٢٩٦ برقم (٧٠٤) ، وفي « الأسماء والصفات » (١٩٧/١) برقم (١٣٢) . ووصله أحمد فرواه في « الزهد » من هذا الوجه بإثبات أبي الدرداء من قوله ، وهو منقطع مع وقفه . ورواه أبو نعيم والديلمي في الفردوس (٤٩/١) برقم (٢٠٢٤) مسنداً عن ابن عمر يرفعه ، وفيه محمد بن عبد الملك الأنصاري ، وهو ضعيف ا.هـ من « الجامع الصغير » و« فيض القدير » (٢١٨/٣-٢١٩) ، وانظر كشف الخفاء (٣٣٦/١) .

ونسبه ابن عبد البر في بهجة المجالس (٣٣٢/٢) إلى التوراة .

لطيفة : قال بعض العارفين ^(١) : العدل ميزان الله تعالى في الأرض ، يؤخذ به للضعيف من القوي ، وللمحق من المبطل ^(٢) ، وعدل الحاكم يوجب محبته ، وأفضل الأزمنة أزمنة أئمة العدل ^(٣) ، والعدل يُوجب دوام الملك وثباته ، والظلم يوجب زواله ، ولهذا قيل : إن الله تعالى يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ^(٤) ، فالدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام .

واعلم أن الله تعالى يحب العادل : قال تعالى : ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) المادة العلمية الواردة هنا إلى آخر حديث مسلم الآتي وردت في كتاب النفع الغزير في صلاح السلطان والوزير للشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (ت : ١١٩٢ هـ) ص ٤٩-٥٠ بلا عزو إلى مصدر .

وأعادها المؤلف في كتابه « المسرة والبشارة في أخبار السلطنة والوزارة » ص ٧٨-٧٩ .
(٢) في نصيحة الملوك للماوردي ص ٢٥١-٢٥٢ : « وجدنا في بعض عهود الهند : أن العدل ميزان الله في الأرض ، يؤخذ به للضعيف من الشديد ، وللمحق من المبطل ، فمن أزال ميزان الله عما وضعه الله من القيام بالقسط بين عباده فقد أعوز أشد الإعواز ، واغتر بالله أشد الغرة » .
وفي الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لابن الحداد الموصلي ص ١٢٢ : « روي في الخبر الجلي عن الجانب المقدس النبوي أنه قال ﷺ : العدل ميزان الله في الأرض ، فمن أخذ به قاده إلى الجنة ، ومن تركه قاده إلى النار ! »

وفي الشهب اللامعة ص ٨٥ أنه جاء في الزبور : « العدل ميزان الباري ... » .
(٣) هذا في سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي (ت : ٥٢٠ هـ) الباب (١١) ص ٩٥ ، ٩٦ ، وفي المستطرف في كل فن مستظرف لمحمد بن أحمد الأبهسي (ت : ٨٥٠ هـ) الباب (١٩) في العدل والإحسان ص ١٥٣ باختلاف يسير .

(٤) في تسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي ص ١٨٤ : « قال بعض العلماء : الملك يبقى على الكفر ، ولا يبقى على الظلم » وانظر تعليق المحقق . وربع الأبرار (٣/٣١٢) ، وبمجموع فتاوى ابن تيمية (٦٢/٢٨) . وفي المنهج السلوك في سياسة الملوك للشيزري ص ٢٤٣ : « قال الحسن : إن استقامة الملك بالثلاثة المأمور بها في الآية ، واضطرابه بالثلاثة المنهي عنها فيها » .

الْمُقْسِطِينَ ﴿ [الحجرات : ٤٩ وغيرها] ، والقسط هو العدل ، والعدل وضع الأشياء في مواضعها التي أمر الله بها ، وإعطاء الحق ، لكل ذي حق حقه ^(١) .

وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ^(٢) ﴾ [لقمان : ١٧] : هو العدل وإنصاف كل أحد من ^(٣) حقه ، لأن الأمر بالمعروف والعرف المعتاد ، يقتضي ^(٤) توفية الحقوق ديناً ودنياً .

وقد ورد في العدل وأهله عدة أحاديث :

منها ما أخرج مسلم ^(٥) عن ابن عمرو ^(٦) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن

(١) انظر عن العدل :

- ١- نصيحة الملوك ص ٢٤٩ فما بعدها .
- ٢- قوانين الوزارة ص ٤٥-٤٨ .
- ٣- تسهيل النظر وتعجيل الظفر ص ١٨١ فما بعدها ، وثلاثتها للماوردي (ت : ٤٥٠ هـ) .
- ٤- ربيع الأبرار للزمخشري (ت : ٥٣٨ هـ) الباب (٥٢) (٣/٣٨٧-٣٨٨) .
- ٥- المنهج السلوك في سياسة الملوك للشيزري (ت : ٥٨٩ هـ) ص ٢٤٢-٢٥٥ .
- ٦- الجوهر النفيس في سياسة الرئيس محمد بن منصور بن حبيش المعروف بابن الحداد الموصلية (كان حياً سنة ٦٧٣ هـ) ص ١٢٢-١٢٥ .
- ٧- الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان المالقي (ت : ٧٨٣ هـ) ص ٨٥-١٠٠ .
- ٨- الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء لمحمود بن إسماعيل الخربيتي (ت : بعد ٨٤٣ هـ) ص ١٤٣ فما بعدها .
- ٩- النصائح المهمة للملوك والأئمة لعلوان الحموي (ت : ٩٣٦ هـ) .
- (٢) في « النفع الغزير » : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .
- (٣) كرر ناسخ (ر) « من » . وفي النفع الغزير : وإنصاف كل ذي حق ، وتمكينه من حقه .
- (٤) في (ح ، ر) : ويقتضي . ولم أر داعياً للواو .
- (٥) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام (١٤٥٨/٣) ، والنسائي في كتاب آداب القضاء ، باب فضل الحكم (٢٢١/٨) ، وغيرهما ، وهو في الترغيب والترهيب للمنذري (١٦٧/٣) ، وتخرج أحاديث العادلين للسخاوي ص ٦٢ .
- (٦) في النسخ الثلاث : عمر !

المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين العرش^(١) ، هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا .

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : السلطان ظل الله في الأرض ، فمن غشه ظل ، ومن نصحه اهتدى^(٢) .

وفي حديث آخر^(٣) : السلطان العادل المتواضع ظل الله ورحمته^(٤) في الأرض يرفع^(٥) له عمل سبعين صديقاً .

إذا^(٦) فهمت هذا علمت أن الراعي والإمام كلما كثرت رعيته وعظم ملكه وكان من المقسطين كان أفضل الناس ، وأقربهم إلى الله تعالى وأعظمهم درجةً وأكرمهم مرتبةً .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَالْإِحْسَانِ ﴾ :

فهو معطوف على ﴿ أَلْعَدْلِ ﴾ ، وأما : أحسن إحساناً عطف على عدل ، وهو

(١) في الحديث : « الرحمن » بدل « العرش » وفيه عند مسلم : وكلتا يديه يمين . وليس فيه : يوم القيامة .

(٢) أورده السيوطي في الجامع الصغير ، وقال المناوي في الفيض (١٤٣/٤) : « فيه محمد بن يونس القرشي وهو الكندي الحافظ ، اتهمه ابن عدي بوضع الحديث ، وقال ابن حبان : كان يضع على الثقات ، قال الذهبي في « الضعفاء » عقبه : قلت : انكشف عندي حاله » . وانظر تفصيلاً عنه في تخريج أحاديث العادلين للسخاوي ص ٧٢-٧٤ .

(٣) أورده في الجامع الصغير ونسبه إلى أبي الشيخ ابن حبان عن أبي بكر الصديق ، وسكت المناوي عنه لكن قال (١٤٤/٤) : « ورواه عنه الديلمي أيضاً » ، وانظر كشف الخفاء (٥٥٣/١) .

(٤) في الجامع الصغير : ورحمه . ويمثل ما أثبتته جاء في النفع الغزير ص ٣٩ .

(٥) في النسخ الثلاث : يرجع .

(٦) في (ح) : هذا إذا !

مصدر أحسنت كذا ، وفي كذا ^(١) . وفيه أقوال :

١- فقيل : هو الإحسان إلى الناس .

٢- وقيل : هو أداء الفرائض ^(٢) .

٣- وقيل : الإحسان : النافلة ^(٣) .

٤- وقيل : هو العفو ^(٤) .

(١) في (ر) : أحسنت كذا وكذا . وقد سقط حرف الجر « في » ، وجاءت العبارة في (أ) :

« وأما قوله تعالى : ﴿ وَالْإِحْسَنِ ﴾ فهو معطوف على العدل ، من أحسن إحساناً ، وهو مصدر

أحسنت كذا وكذا » . والمؤلف يريد ما قاله القرطبي (١٠ / ١٦٦) :

« وأما الإحسان فقد قال علماءنا : الإحسان مصدر أحسن يحسن إحساناً .

ويقال على معنيين :

أحدهما متعد بنفسه ، كقولك : أحسنت كذا أي حسنته وكملته ، وهو منقول بالهمزة من حَسُنَ الشيء .

وثانيهما : متعد بحرف جر ، كقولك : أحسنت إلى فلان ، أي أوصلت إليه ما ينتفع به » .

(٢) في هذا القول نظر لابن عطية ، قال في المحرر الوجيز (٨ / ٤٩٤ - ٤٩٥) : « لأن أداء الفرائض هي

الإسلام حسب ما فسر رسول الله ﷺ في حديث سؤال جبريل عليه السلام ، وذلك هو العدل ، وإنما

الإحسان : التكميلات والمندوب إليه ، حسب ما يقتضيه تفسير النبي ﷺ لسؤال جبريل عليه السلام

بقوله : (أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، فإن صح هذا عن ابن عباس

عليهما السلام فإنما أراد أداء الفرائض مُكَمَّلة » .

(٣) أورده القرطبي (١٠ / ١٦٥) .

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ٤٨٣) : « رواه الضحاك عن ابن عباس » وعزاه الشعلبي

(٦ / ٣٧) والبغوي في تفسيره (٥ / ٣٨) إلى مقاتل ، انظر تفسيره (٢ / ٤٨٣) ، ونصه : « العفو

عن الناس » .

٥- وقيل : هو أن تعبد الله كأنك تراه ^(١) .

٦- وقيل : هو أن تكون السريرة أحسن من العلانية ^(٢) .

٧- وقيل : هو فعل كل مندوب إليه ^(٣) . ويجمع العفو والإحسان لأن الواجب قد يقع فيه نقص فينجبر بما ليس ^(٤) بواجب .

وبالجملة : فهو كما قال المفتي في « تفسيره » ^(٥) : « فهو الإتيان بما أمر الله به على الوجه اللائق ، وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل ^(٦) ، أو بحسب الكيفية كما أشار إليه قوله ﷺ : والإحسان أن تعبد الله كأنك

(١) ذكره الرازي (١٠٤/٢٠) وله تنمة . وهذا القول والقول الثاني في تفسير الجلالين ص ٢٢٣ .

(٢) هذا قول سفيان بن عيينة . انظر تفسيره ص ٢٨٥ ، وتفسير الثعلبي (٣٧/٦) ، وجاء في تفسير الطوسي : التبيان (٤١٩/٦) منسوباً إلى أبي عيينة . وهو خطأ من النساخ . وورد القول في تفسير أبي المظفر السمعاني (١٩٦/٣) بلا نسبة . أما العدل في هذا القول فهو استواء السر والعلانية ، وقد سبق ذكره .

(٣) وهذا قول ابن عطية كما تقدم .

(٤) في (ر ، أ) : يسن . وهو تحريف . وقد جاء في الكشف (٦٢٩/٢) : « إن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ، ولذلك قال رسول الله ﷺ - لمن علمه الفرائض فقال : والله لا زدت فيها ولا نقصت - : « أفلح إن صدق » . فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط ، وقال ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا » فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط ، من النوافل » .

(٥) تفسير أبي السعود (١٣٦/٥) ، وهو مستفاد من كلام الرازي (١٠٧/٢٠) ، وأورده البيضاوي ص ٣٦٤ .

(٦) في النسخ الثلاث : بحسب النوافل !

تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ^(١) » ^(٢) .

وقال بعض المحققين : حاصل الإحسان راجع إلى إتقان العبادات كلها بأدائها على وجهها المأمور به مع رعاية حقوق الله تعالى فيها ، واستحضار عظمته وجلاله ابتداءً واستمراراً .

وفي « تفسير » ابن عادل ^(٣) : إن الزيادة على العدل قد تكون إحساناً ، وقد تكون إساءة ^(٤) فالعدل في الطاعات هو أداء الواجبات ، والزيادة على الواجبات طاعات ، فهي من جملة الإحسان ، ولهذا قال عليه السلام لجبريل حين سأله عن الإحسان : أن تعبد الله

(١) رواه مسلم برقم (٨) وآخرون . انظر شرحه والتوسع في تحريجه في جامع العلوم والحكم وحاشيته ص ٩٤ .

(٢) وللإمام الغزالي كلام حسن عن العدل والإحسان قاله في الإحياء كتاب الكسب والمعاش (٩٠/٢) : « قد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً ، والعدل سبب النجاة فقط ، وهو يجري من التجارة بحرى رأس المال . والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة ، وهو يجري من التجارة بحرى الربح ، ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله ، فكذا في معاملات الآخرة ، فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ، ويدع أبواب الإحسان ، وقد قال الله : ﴿ وَأَخْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص : ٧٧] ، وقال عليه السلام : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] . ونعني بالإحسان : فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ، ولكنه تفضل منه ، فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه ، وتنال رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور » ثم ذهب يشرحها فانظر ما قاله فهو مهم نافع .

وللراغب الأصفهاني كلام جيد عن العدل والإحسان ، ولا يتسع المجال لنقله ، فانظره في المفردات ص ٥٥٢ ، ولم يخرج عنه السمين الحلبي في عمدة الحفاظ (١٦٧٢/٣) .

(٣) تفسير ابن عادل (١٤٥/١٢) .

(٤) في النسخ الثلاث : إشارة !

كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . انتهى .

وهذا منه ﷺ من جوامع الكلم لأنه جمع - مع وجازته - بيان مراقبة العبد ربّه في إتمام الخضوع والخشوع وغيرهما في جميع الأحوال ، والإخلاص له في جميع الأعمال مع بيان سببهما الحامل عليهما للملاحظة أنه لو قدر أن أحداً قام في عبادة وهو يعاين ربه تعالى : لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن الصمت ^(١) واجتماعه بظاهره وباطنه مع الاعتناء بتتبعها على أحسن الوجوه « وسمّى هذا المعنى بالإحسان لأنه بالمبالغة في الطاعة كأنه يُحسن إلى نفسه بإيصال الخير والفعل الحسن .

ويدخل في الإحسان التعظيم لأمر الله والشفقة على خلقه ، ويدخل في الشفقة أقسام كثيرة ^(٢) ، وقال القرطبي ^(٣) : « إنه تعالى يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض » حتى إن الطائر في حبسك والسنور في دارك لا ينبغي أن تقصر في تعهده ^(٤) بإحسانك . وحكى النقاش قال : يقال : زكاة العدل الإحسان ، وزكاة القدرة العفو ، وزكاة الغنى المعروف ، وزكاة الجاه كتب الرجل إلى إخوانه ^(٥) : لطيفة : قال بعضهم ^(٦) : « لو وسع الخلائق العدل ما قرن الله تعالى به الإحسان ،

(١) كذا في النسخ الثلاث . ولعل الأولى : السمت .

(٢) ما بين الهلالين من اللباب (١٤٥/١٢) ، وأصله من تفسير الرازي (١٠٧/٢٠) .

(٣) تفسير القرطبي (١٦٦/١٠) . ومن هنا إلى آخر حديث « إن الله كتب الإحسان » أورده المؤلف في كتابه « المسرة والبشارة » ص ٨٨-٨٩ .

(٤) جملة : حتى إن الطائر ... لابن العربي . انظر أحكام القرآن (١٥٤/٣) ولها تمة .

(٥) هكذا جاءت العبارة فيما نقله القرطبي عن النقاش . وفي تفسير أبي المظفر السمعاني (١٩٧/٣) بدون نسبة : « ويقال : إن العدل زكاة الولاية ، والعفو زكاة القدرة ، والإحسان زكاة النعمة ، والكتب إلى الإخوان زكاة الجاه - يعني : كتب الوسيلة - » .

(٦) هو الطرطوشي في كتابه سراج الملوك ، الباب (١١) ص ٩٥ . وذكره بلا عزو الأبيشي في المستطرف ص ١٥٣ .

وليس كلُّ النفوس تصلح على العدل ، بل تطلب الإحسان وهو فوق العدل « ولذلك حكى القرطبي في « تفسيره » ^(١) أن جماعة رفعت عاملها إلى أبي جعفر المنصور ، فحاجها العامل وغلبها لأنهم لم يثبتوا عليه كبير ^(٢) ظلم ولا جور في شيء ، فقام فتى من القوم فقال : يا أمير المؤمنين إن الله أمر بالعدل والإحسان ، وإنه عدلٌ ولم يُحسن . قال : فعجب أبو جعفر من إصابته ، وعزل العامل .

وقد ورد في الإحسان عدة أحاديث :

منها - وهو أجمعها - قوله ﷺ : إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء .. الحديث رواه إمامنا أحمد رحمه الله ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ^(٣) . وفي حديث الحاكم ^(٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من أحسن فيما بينه وبين الله تعالى كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته ^(٥) .

وفضل الإحسان مشهور .

(١) تفسير القرطبي (١٠/١٦٨) ، والخبر في تفسير ابن عطية (٨/٤٩٧) .

(٢) في (ر ، أ) : كثير .

(٣) انظر مسند أحمد (٢٨/٣٧٦) برقم (١٧١١٣) وغيره ، وصحيح مسلم (١٩٥٥) ، وسنن أبي داود (٣/٣٦٨) برقم (٢٨٠٧) ، والترمذي (١٤٠٩) ، والنسائي (٧/٢٢٧) برقم (٤٤٠٥) ، وابن ماجه (٣١٧٠) . وهو الحديث السابع عشر من الأربعين النووية ، وقد تكلم عليه ابن رجب كلاماً حسناً فانظره في جامع العلوم والحكم (١/٣٧٩) .

(٤) في كتابه تاريخ نيسابور ، كما في الجامع الصغير ، وقال المناوي (٦/٣٨) : « هو من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده » . ولذلك زدت الواو لـ : « عمرو » ..

(٥) تنمة الحديث كما قال المناوي : « ومن عمل لآخرته كفاه الله ﷻ دنياه » .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ :

فهو صلة الرحم ، وهو داخل في الشفقة على الخلق ، بل هو أعظمها لما فيه مع الشفقة من صلة الرحم فهو تخصيصٌ إثر تعميم اهتماماً بشأنه ، وحضاً على الإحسان إليه ، (« وإنما خصَّ ذا القربى لأن حقوقهم أكد وصلتهم أوجب ، لتأكيد حق الرحم التي اشتق اسمها من اسمه تعالى ، وجعل صلتها من صلته » فقال سبحانه في الحديث القدسي الصحيح : أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ^(١) ؟) ^(٢) .

وقد ورد في صلة الرحم عدة أحاديث :

منها ما روى البخاري ^(٣) أن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت : « يا نبي الله إنك أمرت اليوم بالصدقة ، وكان عندي حلي [لي] فأردت أن أتصدق به فزعم ابن مسعود أنه هو وولده أحق من تصدقت [به] عليهم ؟ فقال ﷺ : صدق ابن مسعود زوجك وولدك أحق من تصدقت [به] عليهم » .

و[قال رسول الله ﷺ : الصدقة على المسكين صدقة ، وهي] ^(٤) على ذي الرحم

(١) رواه البخاري في مواضع منها كتاب التفسير ، باب تفسير سورة محمد . الفتح (٥٧٩/٨) ،

ومسلم في كتاب البر ، باب صلة الرحم (١٩٨٠/٤) برقم (٢٥٥٤) .

(٢) ما بين القوسين الكبيرين من تفسير القرطبي (١٦٧/١٠) ، وما بين الهلالين الصغيرين أفاده

القرطبي من كلام ابن العربي في أحكام القرآن (١٥٥/٣) .

(٣) كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الأقارب برقم (١٤٦٢) . الفتح (٣٢٥/٣) ، وما بين

المعقوفتين منه . وللحديث طريق آخر عند البخاري (١٤٦٦) ، ومسلم (٦٩٤/٢) برقم

(١٠٠٠) ، وانظر عن فقه الحديث فتح الباري (٣٢٩/٣-٣٣٠) .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة مني لا بد منها سقطت من النسخ الثلاث .

اثنتان : صدقة وصلة . رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم ^(١) .

وقال الشعبي رحمه الله : ما من مال أعظم أجراً من مال يتركه الرجل لولده يغنيهم به عن الناس ^(٢) لا سيما ^(٣) ومع ذلك فقد قال ﷺ : صلة الرحم تزيد في العمر ^(٤) ، وفي طريق آخر : صل رحمك يزد في عمرك ^(٥) .

وفي آخر : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي عَمْرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ^(٦) .

وقد أطلت الكلام على هذا في كتابي « إرشاد ذوي العرفان لما للعمير من الزيادة والنقصان » .

(١) انظر مسند أحمد (١٧/٤ ، ١٨ ، ٢١٤) ، وسنن الترمذي في الزكاة ، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرباة (٦٥٨) ، وسنن النسائي (٩٢/٥) ، وابن ماجه (١٨٤٤) ، والمستدرک (٤٠٧/١) ، ورواه آخرون انظر الإحسان (١٣٣/٨) برقم (٣٣٤٤) . وهو في الترغيب والترهيب (٣٧/٢) .

(٢) ذكره ابن قدامة في المغني (٣٩٣/٨) ، وقد رواه المروزي في كتاب البر والصلة ص ٩٨ ، برقم (١٨٥) ، وابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص ٣٤٤ ، برقم (٤٢٣) .

(٣) كذا في (ح ، ر ، أ) ، وكأن فيه سقطاً .

(٤) رواه أبو الشيخ في الثواب ، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود . انظر كشف الخفاء (٢٩/٢) .

(٥) هذا من حديث لفظه : « يا ابن آدم ، اتق ربك وبر والديك ، وصل رحمك يزد لك في عمرك ، ويسر لك يسرك ، وتجنب عسرك ، ويسط لك في رزقك ، يا ابن آدم ، أطع ربك تسمى عاقلاً ، ولا تعص ربك فتسمى جاهلاً » . وقد ذكره الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، وهو من كتاب العقل لداود بن المحبر ، وأحاديثه موضوعة . انظر المطالب العالية لابن حجر (٢١٥/٣) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم . الفتح (٤١٥/١٠) برقم (٥٩٨٦) وغير هذا الموضع . ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٩٨٢/٤) برقم (٢٥٧٧) وغيرهما . وصلة الرحم كما قال المناوي في الفيض (٣٤/٦) : « تختلف باختلاف حال الواصل ، فتارة تكون بالإحسان ، وتارة بسلام وزيارة ونحو ذلك » .

خاتمة

اعلم - أيدك الله تعالى - أن مُعاشِر الخلق يحتاج إلى أربعة أخلاق تجمع لصاحبها الفضائل كلها وهي : الحلم والبسط والعدل والإحسان :

فبالحلم يحتمل الأذى والجفا ويكظم الغيظ ويداري الناس ويكون متأدباً ، وينفي عنه الطيش والحدة وغير ذلك من أضداد الحلم .

وبالبسط يكون مألوفاً ، مفضياً للسلام ، واسع الصدر ، قليل الغل والحقد ، متواضعاً ، وملاعباً مماًزحاً بالحق للأهل والإخوان ، غير متكبر ولا معجب ، إلى غير ذلك من أضداد البسط المحمود .

وبالعدل يستقيم حاله ويحسن مآله فينصف من نفسه ويكون منصفاً ، والإنصاف من النفس من أعظم الأخلاق الإيمانية ، ويأمر غيره بالإنصاف إذا رأى عنده انحرافاً أو غشاً ، وينفي عنه بذلك صفات الخيل والمداهنة « والخديعة والمكر إلى غير ذلك من أضداد العدل ، فإنّ المداهنة » ^(١) والملق في الدين مضيعة ، والغضب في الله محمود وهو من العدل لأنه توفية لحق الله تعالى ، وكذلك النصيح في الدين .

وبالإحسان يملك الكل فيحسن معاشرة عياله وأهله في الإنفاق وغير ذلك ، ويُحسن إلى ملك اليمين بالرفق ، ومع البهائم والحيوان كذلك ، وبالإحسان يعفو ويصفح ويكرم مَنْ أكرمه ، فإن زاد الإحسان فوصل مَنْ قطعه وأعطى مَنْ حرمه وعفا عمن ظلمه فقد عظم حظه وكان ممن قال الله تعالى فيه : ﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥] .

واعلم أنّ هذه الأخلاق الأربع مجموعة في هذه الآية الشريفة ، بل في قوله تعالى : ﴿ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ، ومجموعة في قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(١) ما بين القوسين سقط من (ر ، أ) .

[الأعراف : ١٩٩] مع قوله تعالى : ﴿ آذَقَ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [المؤمنون : ٩٦ ، وغيرها] ،
فقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ فيه معنى البسط كله الذي هو اللين والتنزل إلى كل أحد في
أخلاقه ، ومعاشرته بما يليق به .

وقوله : ﴿ وَأُْمِرْ بِالْعُرْفِ ﴾ هو العدل وإنصاف كل أحد من حقه ، لأن الأمر
بالمعروف والعرف المعتاد يقتضي توفية الحقوق ديناً ودنياً .

وقوله : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ يقتضي الحلم والعفو والصفح وما في معناه ^(١) ،
وقوله : ﴿ آذَقَ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ يقتضي الإحسان والمدارة ومقابلة المسيء بالإحسان ،
وما في معنى ذلك .

واعلم - أيدك الله - أن الجامع لهذه الأخلاق المحمودة كلها هو ^(٢) حسن الخلق :

روى أبو ذر أن رسول الله ﷺ قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » ^(٣)
فجعل الخلق الحسن أكمل الإيمان .

وروى أبو ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم
خلقاً ^(٤) . فجعل حسن الخلق أفضل الإيمان .

(١) قال السيد الجليل جعفر الصادق رحمه الله ورضي عنه : ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق
من هذه الآية . الباب لابن عادل (٤٣٢/٩) « الأعراف » . وقد خصها بعض العلماء برسالة ،
وهي مخطوطة في مكتبة خدابخش بالهند « المجاميع (٢٦٣٥/٣١) » مؤرخة بـ (١٢٠٠ هـ) في
(١٦) ورقة . انظر الفهرس الشامل (٩٣١/٢) .

(٢) في (ح ، ر) : هي .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٢/٨) : « رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه علي بن سعيد بن
بشير ، قال الدارقطني : ليس بذلك ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . وقد رواه غير أبي ذر ،
وانظر الجامع الصغير بشرح المناوي (٩٧/٩-٩٨) ، ومجمع الزوائد (٢٠/٨-٢٩) .

(٤) حديث : « أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً » جاء عن أكثر من صحابي ، فأما حديث أبي ذر فهو
حديث الأسئلة الطويل ، وقد رواه الحسن بن سفيان ، وابن حبان في الصحيح (٧٦/٢) برقم
(٣٦١) - وانظر تعليق المحقق عليه - ، ورواه أبو نعيم في الحلية (١٦٦/١) ، وابن عساكر كما
في كثر العمال (١٣١/١٦-١٣٤) برقم (٤٤١٥٨) ، ورواه أبو الحسن الخلعي في الجزء الثالث
عشر من فوائده - كما في الفتح القدسي للبقاعي ص ٩٣ - .

وقال ﷺ : إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ،
الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ^(١) .

وقد أكثر الناس الأقاويل في معنى حسن الخلق ^(٢) ، والذي يجمعها و ^(٣) يفسرها
حديث عائشة ؓ في الصحيح حين سئلت عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ
عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] فقالت : « كان خلقه القرآن » ^(٤) يغضب لغضبه ويرضى

(١) ذكر الهيثمي عدة أحاديث في هذا السياق ، أقربها إلى المذكور هنا حديث عن أبي هريرة رواه
الطبراني في الصغير والأوسط قال : « وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف » اهـ مجمع الزوائد
(٢١/٨) وليس فيه : « وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة » . وهذه العبارة وردت في حديث
عبد الله بن عمرو . قال الهيثمي (٢١/٨) : « رواه أحمد وإسناده جيد » .

(٢) قال المناوي في فيض القدير في شرح حديث : « إن أحسن الحسن الخلق الحسن » (٤١٧/٢) :
« قال الغزالي : جمع بعضهم [هو الإمام يحيى بن معاذ كما جاء في تنبيه المغترين للشعراني
ص ١٠٩] علامات حسن الخلق فقال : أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ،
صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، بر وصول ، وقور
صبور ، شكور حلیم ، رفيق عفيف شفيق ، لا لعان ولا سباب ولا نمام ولا مغتاب ولا عجول
ولا حقود ولا بخيل ولا حسود » . وانظر في هذا الموضوع الفيض أيضاً (٤٨٩/٣) ، وتفسير
الخازن (٢٩٤/٤) .

(٣) سقط من (ر ، أ) .

(٤) روى مسلم (٥١٢/١) برقم (٧٤٦) من حديث سعد بن هشام في سؤالاته عائشة ... قال :
فقلت : يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت : ألسنت تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ،
قالت : فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن .

وما بعده فلعله من حديث عائشة أيضاً : « .. ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه ، إلا أن تنتهك
حرمة الله فينتقم لله بها » رواه البخاري (٣٣٦٧) ط البغا ، ومسلم (٢٣٢٧) .

ومن حديث الحسن بن علي في سؤاله هند بن أبي هالة ، وفيه : « ... ولا تغضبه الدنيا ،
ولا ما كان لها ، فإذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا
ينتصر لها ... » . رواه الترمذي في الشمائل ، باب كيف كان كلام رسول الله ﷺ ص ١٣٣ ،
برقم (٢٢٥) .

وروى البيهقي في دلائل النبوة (٣٠٩/١-٣١٠) بسنده إلى أبي الدرداء قال : سألت عائشة
عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : « كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه » .

لرضاه ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمان الله ﷻ فيغضب الله ، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد .

وفي هذا القدر كفاية ، وهو تمام النهاية ، وإلا فالكلام على هذه الآية كلها مما يطول ^(١) ، وفيه أبواب وفصول ، والله المسؤول أن يبلغ القصد والسؤل ، وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

قال مؤلفه - عليه رحمة الله ^(٢) - : تم بالجامع الأزهر سنة ^(٣) وعشرين بعد الألف ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

(١) لتتمة تفسير الآية انظر :

تفسير الطبري (١٦٢/١٤-١٦٣) ، والسمرقندي (٢٤٧/٢) ، وابن أبي زمنين (٤١٦/٢) ،
والثعلبي (٣٧/٦) ، والواحدي « الوسيط » (٧٩/٣) ، وأبي المظفر السمعاني (١٩٧/٣) ،
والبغوي (٣٩-٣٨/٥) ، وابن عطية (٤٩٦-٤٩٧/٨) ، وابن العربي « أحكام القرآن » (١٥٥/٣) ،
وابن الجوزي « الزاد » (٤٨٤-٤٨٣/٤) ، والرازي (١٠٨-١٠٧/٢٠) ، والقرطبي (١٦٧/١٠) -
(١٦٨) ، والنسفي (٢٣٠/٢) ، والبيضاوي ص ٣٦٤ وحاشية الخفاجي عليه (٣٦٣-٣٦٤/٥) ،
وأبي حيان : البحر (٥٢٩-٥٣٠/٥) والنهر (٥١٧/٣) ، والخازن (١٣١/٣) ، والبقاعي (٢٣٨/١١) -
(٢٣٩) ، وابن عادل (١٤٢/١٢) ، والسيوطي : الدر (١٤٣/٤) والجلالين ص ٢٢٣ ، وأبي
السعود (١٣٦/٥) ، وابن عجيبة (١٥٧/٣) ، والشنقيطي (٣٤٧/٣) .

(٢) من (ر) ، وفي (أ) : تغمد الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته . وأثبت هذا لما فيه من الدعاء للمؤلف .

(٣) سهى ناسخ (ح) عن لفظ هنا ، بدلالة قوله : وعشرين . وجاء التاريخ في (ر ، أ) : سنة عشرين بعد الألف ! وهو غير صحيح .

المصادر

- كتب التفسير

- ١- أحكام القرآن ، ابن العربي ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١٦-١٩٩٦) .
- ٢- إرشاد العقل السليم ، أبو السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي - ط ٤ (١٤١٤) .
- ٣- أضواء البيان ، الشنقيطي ، عالم الكتب - بيروت .
- ٤- الانتصاف من الكشاف ، ابن المنير : انظر الكشاف .
- ٥- أنوار التنزيل ، البيضاوي ، مصور عن الطبعة العثمانية (١٣٠٥) .
- ٦- البحر المحيط ، أبو حيان ، مصورة مؤسسة التاريخ العربي - بيروت .
- ٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ابن عجيبة ، تح : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، القاهرة (١٤١٩-١٩٩٩) .
- ٨- التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٩- تفسير أبي الليث السمرقندي ، تح : علي معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية-بيروت ، ط ١ (١٤١٣-١٩٩٣) .
- ١٠- تفسير أبي المظفر السمعاني ، تح : ياسر بن إبراهيم وزميله ، دار الوطن-الرياض ، ط ١ (١٤١٨-١٩٩٧) .
- ١١- تفسير الجلالين ، البابي الحلبي ، القاهرة .
- ١٢- تفسير سفيان بن عيينة ، جمعه : أحمد صالح محاري ، المكتب الإسلامي ، ط ١ (١٤٠٣-١٩٨٣) .
- ١٣- تفسير الشعراوي ، أخبار اليوم-القاهرة (د . ت) .
- ١٤- تفسير القرآن العزيز ، ابن أبي زمنين ، تح : حسين عكاشة ومحمد الكثر ، الفاروق الحديثة - القاهرة ، ط ١ (١٤٢٣-٢٠٠٩) .
- ١٥- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الفكر-بيروت .
- ١٦- تفسير مقاتل بن سليمان ، تح : د. عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٢ (١٤٢٣-٢٠٠٩) .
- ١٧- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، اختصره الصابوني ، دار القلم-دمشق ، ط ١ (١٤٠٨-١٩٨٨) .
- ١٨- جامع البيان ، الطبري ، دار الفكر-بيروت .
- ١٩- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، مصور عن الطبعة المصرية بتصحيح أحمد البردوني .
- ٢٠- حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي ، مصورة دار صادر-بيروت .

- ٢١- حاشية الصاوي على الجلالين ، دار الكتب العلمية-بيروت .
- ٢٢- الدر المنثور ، السيوطي ، الأنوار المحمدية-القاهرة .
- ٢٣- زاد المسير ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي-بيروت ، ط ٤ (١٤٠٧-١٩٨٧) .
- ٢٤- الفتح القدسي في آية الكرسي ، البقاعي ، تح: د . عبد الحكيم الأنيس ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث-دبي ، ط ١ (١٤٢٢-٢٠٠١) .
- ٢٥- الكشف ، الزمخشري ، دار الكتاب العربي-بيروت .
- ٢٦- الكشف والبيان ، الثعلبي ، تح: الإمام أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ (١٤٢٢-٢٠٠٢) .
- ٢٧- الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَرُّوْا بِالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّٰلِحٰتِ ۚ إِنَّهُمْ كَثِيْرٌ ؕ ﴾ ، الكرمي المقدسي ، تح: د . عبد الحكيم الأنيس ، مجلة الأحمديّة ، العدد (٦) ، جمادى الأولى/١٤٢١-آب/٢٠٠٠ .
- ٢٨- لباب التأويل ، الخازن ، دار الفكر-بيروت .
- ٢٩- اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل ، تح: عادل أحمد عبد الموجود وزميله ، دار الكتب العلمية-بيروت ، ط ١ (١٤١٩-١٩٩٨) .
- ٣٠- محاسن التأويل ، القاسمي ، دار إحياء التراث العربي-بيروت .
- ٣١- المحرر الوجيز ، ابن عطية ، تح: الرحالي الفاروق وآخرين ، الدوحة ، ط ١ (١٣٩٨-١٩٧٧) .
- ٣٢- مدارك التنزيل ، النسفي ، تح: يوسف علي بديوي ، دار ابن كثير-دمشق ، ط ١ (١٤١٩-١٩٩٨) .
- ٣٣- معالم التنزيل ، البغوي ، تح: محمد النمر وآخرين ، دار طيبة-الرياض (١٤٠٩) .
- ٣٤- مفاتيح الغيب ، الرازي ، دار الفكر-بيروت ، (١٤١٤-١٩٩٣) .
- ٣٥- نظم الدرر ، البقاعي ، الطبعة الهندية .
- ٣٦- النهر الماد ، أبو حيان ، تح: د . عمر الأسعد ، دار الجليل-بيروت .
- ٣٧- هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان ، عبد الله سراج الدين ، مطبعة الأصيل-حلب ، ط ١ (١٤٠٨-١٩٨٨) .
- ٣٨- الوسيط ، الواحدي ، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية-بيروت ، ط ١ (١٤١٥-١٩٩٤) .

- كتب علوم القرآن

- ٣٩- أسباب النزول ، الواحدي ، تح: أيمن صالح شعبان ، دار الحديث-القاهرة .
- ٤٠- إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس ، تح: زهير غازي زاهد ، عالم الكتب-بيروت ، ط ٢ (١٤٠٥) .
- ٤١- الجدول في إعراب القرآن وصرفه ونحوه ، محمود صافي ، دار الرشيد-دمشق ، ط ٣ (١٤١٦-١٩٩٥) .

- ٤٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي ، تح : د. أحمد الخراط ، دار القلم-دمشق ، ط١ (١٤٠٦-١٩٨٦) .
- ٤٣- فرائد فوائد قلائد المرجان ، الكرمي المقدسي (مخطوط) .
- ٤٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، السمين الحلبي ، تح : عبد السلام التونجي ، ليبيا .
- ٤٥- مفردات القرآن ، الراغب ، تح : صفوان داوودي ، دار القلم-دمشق ، ط١ (١٤١٢-١٩٩٢) .
- ٤٦- المكّي والمدني في القرآن الكريم ، عبد الرزاق حسين أحمد ، دار ابن عفان-القاهرة ، ط١ (١٤٩٠-١٩٩٩) .
- كتب الحديث النبوي وعلومه
- ٤٧- الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان ، ابن بلبان ، تح : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ (١٤١٤-١٩٩٣) .
- ٤٨- الأدب المفرد ، البخاري ، دار البشائر الإسلامية ، ط٤ (١٤١٧-١٩٩٧) .
- ٤٩- الأربعون النووية : انظر جامع العلوم والحكم .
- ٥٠- استدراقات البعث والنشور ، عامر أحمد حيدر ، دار الفكر-بيروت ، (١٩٩٣) .
- ٥١- إصلاح المال ، ابن أبي الدنيا ، تح : مصطفى مفلح القضاة ، دار الوفاء-المنصورة ، ط١ (١٤١٠-١٩٩٠) .
- ٥٢- البر والصلة ، المروزي ، تح : د. محمد سعيد بخاري ، دار الوطن-الرياض ، ط١ (١٤١٩) .
- ٥٣- البعث والنشور ، البيهقي ، تح : عامر أحمد حيدر ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية-بيروت ، ط١ (١٤٠٦-١٩٨٦) .
- ٥٤- تخريج أحاديث العادلين ، السخاوي ، تح : مشهور سلمان ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ (١٩٨٨) .
- ٥٥- الترغيب والترهيب ، المنذري ، تح : مصطفى عمارة ، دار الريان للتراث ، (١٤٠٧-١٩٨٧) .
- ٥٦- الجامع ، الترمذي ، تح : د. بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي-بيروت ، ط١ (١٩٩٦) .
- ٥٧- الجامع الصغير ، السيوطي : انظر فيض القدير .
- ٥٨- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، تح : شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ (١٤١٤-١٩٩٤) .
- ٥٩- دلائل النبوة ، أبو نعيم الأصبهاني ، عالم الكتب-بيروت ، ط١ (١٤٠٩-١٩٨٨) .
- ٦٠- دلائل النبوة ، البيهقي ، تح : عبد المعطي قلنجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤٠٥-١٩٨٥) .
- ٦١- السنن ، أبو داود ، تح : محمد عوامة ، دار القبلة-جدة ، ط١ (١٤١٩-١٩٩٨) .
- ٦٢- السنن ، ابن ماجه ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، مصورة دار إحياء التراث العربي-بيروت .
- ٦٣- السنن ، النسائي ، بعناية عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية-بيروت ، ط٤ (١٤١٤-١٩٩٤) .

- ٦٤- شعب الإيمان ، البيهقي ، الطبعة الهندية .
 - ٦٥- شمائل النبي ﷺ ، الترمذي ، تح: ماهر ياسين فحل ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ (٢٠٠٠) .
 - ٦٦- صحيح البخاري ، (إن لم يذكر فتح الباري معه فالمقصود طبعة الدكتور مصطفى البغا) .
 - ٦٧- صحيح مسلم ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية-بيروت ، (١٤١٣) .
 - ٦٨- فتح الباري ، ابن حجر ، السلفية .
 - ٦٩- الفردوس ، الديلمي ، طبعة فواز زمرلي وزميله ، دار الكتاب العربي ، ط ١ (١٤٠٧-١٩٨٧) .
 - ٧٠- فيض القدير ، المناوي ، مصورة دار الفكر-بيروت .
 - ٧١- كشف الخفاء ، العجلوني ، مؤسسة الرسالة ، ط ٦ (١٤١٦-١٩٩٦) .
 - ٧٢- كنز العمال ، المتقي الهندي ، مؤسسة الرسالة .
 - ٧٣- مجمع الزوائد ، الهيثمي ، دار الكتاب العربي-بيروت .
 - ٧٤- المستدرك ، الحاكم ، مصورة دار الفكر-بيروت .
 - ٧٥- مسند أحمد ، طبعة أحمد شاكر ، دار المعارف-مصر . وطبعة مؤسسة الرسالة .
 - ٧٦- المعجم الأوسط ، الطبراني ، تح: طارق عوض الله وزميله ، القاهرة (١٤١٥-١٩٩٥) .
 - ٧٧- المطالب العالية ، ابن حجر ، تح: حبيب الرحمن الأعظمي ، دار المعرفة-بيروت ، (١٤١٤-١٩٩٣) .
 - ٧٨- المقاصد الحسنة ، السخاوي ، مصورة دار الكتب العلمية-بيروت ، ط ١ (١٤٠٧) .
 - ٧٩- النهاية ، ابن الأثير ، تح: الزاوي والطناجي ، المكتبة العلمية-بيروت .
- كتب التراجم والرجال والفهارس -**
- ٨٠- الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، مصورة مؤسسة التاريخ العربي-بيروت .
 - ٨١- تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، تقديم عبد الله مسعود ، دار القلم العربي-حلب ، (١٤١٣-١٩٩٣) .
 - ٨٢- تقريب التهذيب ، ابن حجر ، تح: محمد عوامة ، دار ابن حزم ، ط ١ (١٤٢٠-١٩٩٩) .
 - ٨٣- حلية الأولياء ، أبو نعيم ، مصورة دار الكتاب العربي-بيروت .
 - ٨٤- خلاصة الأثر ، المحبي ، مصورة مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة .
 - ٨٥- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ، ابن حميد ، تح: بكر أبو زيد وعبد الرحمن العثيمين ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ (١٤١٦-١٩٩٦) .
 - ٨٦- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (قسم التفسير) ، مؤسسة آل البيت-عمان ، (١٩٨٩) .
 - ٨٧- فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ، سالم عبد الرزاق أحمد ، مطابع دار الكتب-الموصل ، ط ٢ (١٤٠٢-١٩٨٢) .
 - ٨٨- مختصر طبقات الحنابلة ، الشطي ، دراسة (!) فواز زمرلي ، دار الكتاب العربي-بيروت .

- ٨٩- معجم المؤلفين ، كحالة ، مؤسسة الرسالة-بيروت ، ط ١ (١٤١٤-١٩٩٣) .
 - ٩٠- النعت الأكمل ، الغزي ، تح : محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة ، دار الفكر-دمشق .
 - ٩١- نفحة الرحمة ، المحبي ، تح : عبد الفتاح الحلو ، البابي الحلبي .
 - ٩٢- نهر الذهب في تاريخ حلب ، بشير الغزي ، دار القلم العربي - حلب ، ط ٢ (١٤١٢-١٩٩١) .
 - ٩٣- هدية العارفين ، البغدادي ، مصورة دار إحياء التراث العربي-بيروت .
 - ٩٤- الوافي بالوفيات ، الصفدي ، تح : مجموعة من المحققين ، النشرات الإسلامية الألمانية .
- كتب في النظام السياسي الإسلامي**
- ٩٥- تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، الماوردي ، تح : محيي هلال السرحان ، دار النهضة العربية-بيروت ، ط ١ (١٤٠١-١٩٨١) . وله طبعة بعنوان « درر السلوك في سياسة الملوك » ، فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الوطن-الرياض ، (١٤١٧-١٩٩٧) .
 - ٩٦- الجوهر النقيس في سياسة الرئيس ، محمد بن منصور بن حبيش (ابن الحداد) ، مكتبة نزار الباز-مكة ، ط ١ (١٤١٧-١٩٩٦) .
 - ٩٧- الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ، محمود بن إسماعيل الخيري ، مكتبة نزار الباز-مكة ، ط ١ (١٤١٧-١٩٩٦) .
 - ٩٨- سراج الملوك ، أبو بكر الطرطوشي ، المكتبة المحمودية - القاهرة ، ط ١ (١٣٥٤-١٩٣٥) .
 - ٩٩- الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، أبو القاسم ابن رضوان المالقي ، تح : د . علي سامي النشار ، دار الثقافة-الدار البيضاء ، ط ١ (١٤٠٤-١٩٨٤) .
 - ١٠٠- قوانين الوزارة ، الماوردي ، تح : د . فؤاد عبد المنعم أحمد و د . محمد سليمان داود ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ط ٣ .
 - ١٠١- المسرة والبشارة في أخبار السلطنة والوزارة ، مرعي الكرمي المقدسي ، تح : د . محمد عبد القادر خريسات ، مركز زايد للتراث والتاريخ - العين ، ط ١ (١٤٢٣-٢٠٠٢) .
 - ١٠٢- المنهج السلوك في سياسة الملوك ، عبد الرحمن بن عبد الله الشيزري ، تح : علي عبد الله الموسى ، مكتبة المنار-الزرقاء ، ط ١ (١٩٨٧) .
 - ١٠٣- النصائح المهمة للملوك والأئمة ، علي (علوان) بن عطية الهيتي الحموي ، تح : نشوة العلواني ، دار المكتبي-دمشق ، ط ١ (١٤٢٠-٢٠٠٠) .
 - ١٠٤- نصيحة الملوك ، الماوردي ، تح : د . فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة-الإسكندرية ، (١٩٨٨) .
 - ١٠٥- النفع الغزير في صلاح السلطان والوزير ، أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري ، تح : د . فؤاد عبد المنعم أحمد ، مركز الإسكندرية للكتاب ، (د . ت) .

- كتب السلوك

- ١٠٦- إحياء علوم الدين ، الغزالي ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٦-١٩٨٦) .
- ١٠٧- الاستقامة ، ابن تيمية ، تح: د. محمد رشاد سالم ، مكتبة السنة ، ط٢ (١٤٠٩) .
- ١٠٨- تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر ، الشعرائي ، ضبطه وعلق عليه : عبد الجليل العطا « البكري » ، دار البشائر - دمشق ، ط٧ (١٤٢١-٢٠٠١) .
- ١٠٩- الجواب الكافي ، ابن القيم ، تح: عصام الدين الصبابي ، دار الحديث-القاهرة .
- ١١٠- قوت القلوب ، أبو طالب المكي ، مطبعة الأنوار المحمدية-القاهرة ، (١٤٠٥-١٩٨٥) .

- كتب اللغة وآدابها

- ١١١- بهجة المجالس ، ابن عبد البر ، تح: محمد مرسي الخولي ، مصورة دار الكتب العلمية-بيروت .
- ١١٢- حاشية الصبان على شرح الألفية للأشموني ، البابي الحلبي .
- ١١٣- ديوان الشريف الرضي ، دار صادر-بيروت .
- ١١٤- ربيع الأبرار ، الزمخشري ، تح: عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمي-بيروت ، ط١ (١٤١٢-١٩٩٢) .
- ١١٥- القاموس ، الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة .
- ١١٦- كشف العمل عن معاني لاسيما ، إبراهيم بن محمد المزجاجي ، تح: د. محمد عادل شوك ، مجلة تهامة الصادرة عن جامعة الحديدة-اليمن ، العدد (٣) ، (٢٠٠١م) .
- ١١٧- مختار الصحاح ، الرازي ، المكتبة العصرية .
- ١١٨- المستطرف في كل فن مستظرف ، الأبيهي ، اعتنى به : محمد خير طعمة حلبي ، دار المعرفة - بيروت ، ط١ (١٤١٩-١٩٩٨) .

- كتب أخرى متنوعة

- ١١٩- إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان ، الكرمي المقدسي ، تح: مشهور سلمان ، دار عمار ، ط١ (١٤٠٥) .
- ١٢٠- الأسماء والصفات ، البيهقي ، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادى-جدة ، ط١ (١٤١٣-١٩٩٣) .
- ١٢١- حياة الحيوان الكبرى ، الدميري ، مصورة دار إحياء التراث العربي .
- ١٢٢- مجموع فتاوى ابن تيمية ، الرياض ، (د . ت) .
- ١٢٣- المغني ، ابن قدامة ، تح: التركي والحلو ، هجر للطباعة-القاهرة ، ط٢ (١٤١٢-١٩٩٢) .

التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل للعامة خالد بن علي الحمادي (ت: ١١٧١ هـ)

تح: د. حازم سعيد يونس البياتي

التعريف بالبحث :

هذا أثر تفسيري ، صغير الحجم ، جُم الفائدة ، كنت أبحث عنه مدة طويلة ، إلى أن هداني الله تعالى إلى العثور على نسختين منه باخرة .

يضم الأثر بين صفحاته خلاصة أقوال العلماء ، وزبدة آراء المفسرين في الفرق بين التفسير والتأويل . ذلك الموضوع المثير الذي وهّأ به المفسرون في الغالب لتفسيراتهم .

نجم المؤلف حامد بن علي الحمادي ، قاضي قضاة دمشق وابن قاضيها ، في القرن الثاني عشر الهجري .

تتبع في رسالة أول من سبق ، وعرض على جمهور الباحثين الذين ملأوا في كل وقت بالمشروعية ، متوخيا التوسط بين الطويل والإيجاز ، ابتداء تقديم المادة بطريقة جيدة .

ثم جاء على المتن في إطار الزمن من الرسالة ، وانضمها إلى الدلائل من رسالة مقدمة على وفق قواعد تحقيق النسخ من المعروفة اليوم .

وعلى الرغم من أن قيمة كل عمل علمي ترتبط بما يقصده من جديد ، فإن قيمة الرسالة تتجلى في تلك القيمة المستقلة في هذا الموضوع ، إذ كونهما يشكلان مادة علمية في رسالة بعد رسالة ابن تيمية : الإكليل ، إضافة إلى احتوائها على مقدمات لها من المخطوطة ، مما يجعلها جديرة بالدراسة .

* أستاذ مساعد في كلية التربية في جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا بعجمان ، ولد عام (١٩٥١م) ، وحصل على درجة الماجستير في النحو والصرف عام (١٩٨٧م) ، وعلى درجة الدكتوراه في النحو واللغة عام (١٩٩٤م) بتقدير ممتاز ، وعنوان رسالته " مروييات شمر بن حمدويه اللغوية " .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :
فهذه رسالة « التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل » ، للعلامة حامد العمادي ،
أقدمها محققة مخدومة ، وأقدم بين ذلك بمقدمة عن المؤلف وعن الرسالة كالاتي :

* المؤلف * :

لم يحظَ العماديّ بدراسة مستقلة موسّعة عن حياته وثقافته ومنهجه ، وما وجدناه في
المصادر التي ترجمت له ، إشارات سلّطت الضوء على جوانب من حياته باختصار .

فهو حامد بن عليّ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عماد الدين الحنفيّ الدمشقيّ ،
المعروف بالعماديّ . وأصل بني العمادي من بلاد بخارى ، وإنّ من أجداده صاحب
الفصول العماديّة ^(١) .

ولد بدمشق في جمادى الآخرة سنة (١١٠٣هـ) ، ونشأ بها وترعرع ، وقرأ القرآن ،
واشتغل بطلب العلم على كبار علماء عصره .

برع في الفقه والفرائض والأدب ، وتولّى منصب الإفتاء في دمشق في أواسط رمضان

* ترجمة حياته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ، ومكانته العلمية وشعره في :

سلك الدرر (١١/٢-١٩) ، وعرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام ص ١٠٨-١٢٠ ،
ومطمح الواحد ، الورقة ١٠٧-١١٠ ، ومنتخبات التواريخ لدمشق (٢/٦٢٣) ، وتاريخ الأدب العربي
ليبروكلمان - القسم الثامن - العصر العثماني ص ١٨١ ، وفهرس الفهارس والأبواب (٢/٨٢٩-
٨٣٠) ، وهديّة العارفين (١/٢٦١) ، وإيضاح المكنون (١/١٣ ، ١٩ ، ٤٨) وصفحات أخرى ،
(٢/٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤) وصفحات أخرى ، والأعلام (٢/١٦٢) ، ومعجم المؤلفين (٣/١٨٠) .

(١) سلك الدرر (٢/١٩) ، والفصول العمادية في فروع الفقه الحنفي ، لجمال الدين بن عماد الدين
الحنفيّ . ينظر : كشف الظنون (٢/١٢٧٠) .

سنة (١١٣٧هـ) ^(١) خلفاً لخليل بن أسعد الصَّدِّيقِيّ (ت : ١١٣٧ هـ) الذي عُزل من هذا المنصب . وكان فقيهاً وقوراً ، استمر في منصبه مدة أربعة وثلاثين عاماً .

درّس في الجامع الأمويّ أولاً ، ثم بالمدرسة السليمانية بدمشق ، وشغل غيرها من الوظائف والنظارات السلطانية والتدريس ، وأقبل عليه طلبه العلم من كل فجٍّ لتنهل من ينابيع علومه ومعارفه .

وتمّه إشارة إلى ولديه حسن وعبد الحميد ، وأنة كان يتخذ لهما الوظائف ، وتوفيا بعده بقليل ^(٢) .

وكانت وفاته بدمشق سنة (١١٧١ هـ) ، ودُفِنَ بمقبرة الباب الصغير .

* شيوخه :

تلمذ العماديّ على نخبة من العلماء الأجلاء المشهورين بالفضل والعلم والتحقيق والتدقيق ، المتنوعي المعارف والاهتمامات ، وتخرّج بهم ، وحصل من بعضهم على إجازات علمية . وسنذكر أشهرهم منسوقين بحسب سنوات وفياتهم :

١- عبد الجليل المواهبيّ الحنبليّ (ت : ١١١٩ هـ) ^(٤) : فقيه ، نحوي ، شاعر ، درس بالجامع الأموي ، له مؤلفات في الصرف والنحو والعروض ، حصل منه العمادي على إجازة .

٢- يونس المصري (ت : ١١٢٠ هـ) ^(٥) : نزيل دمشق ، ومدرس الحديث بها ،

(١) ترجمته في : سلك الدرر (٨٣/٢) .

(٢) سلك الدرر (١٣/٢) .

* ذكر المرادي تلمذة العمادي لهم في عرف البشام ص ١٠٩-١١٢ ، ومطمح الواجد ، الورقة ١٠٧-١٠٨ .

(٤) ترجمته في : سلك الدرر (٢٣٨-٢٣٤/٢) ، وهدية العارفين (٥٠١/١) .

(٥) ترجمته في : سلك الدرر (٢٦٥/٤) .

- ألف ثبناً لشيوخة ومروياته ، وقد حضر العماديّ دروسه .
- ٣- أبو المواهب بن عبد الباقي (ت : ١١٢٦ هـ) ^(١) : مفتي الحنابلة بدمشق ، وجلس للتدريس بها ، وبرع في الحديث والقراءات والنحو والبلاغة ، وله عدة رسائل . حضر العمادي دروسه في الجامع الأموي وأجازه .
- ٤- عثمان بن محمد الشمعة (ت : ١١٢٦ هـ) ^(٢) : له دروس في الجامع الأموي في أكثر من عشرة علوم ، قرأ عليه العمادي وأخذ عنه .
- ٥- أحمد النّحلي المكيّ (ت : ١١٣٠ هـ) ^(٣) : صوفي ، برع في العلوم ، ولازم التدريس بالمسجد الحرام ، وله ثبت . أخذ عنه العمادي وأجازه .
- ٦- علي بن أحمد التدمريّ (ت : ١١٣١ هـ) ^(٤) : فقيه ، نحوي ، صرفي ، أصولي . درّس بالجامع الأمويّ ، وله رسالة في العروض .
- ٧- محمد بن علي الكامليّ (ت : ١١٣١ هـ) ^(٥) : له مؤلفات في الفقه والحديث والتفسير ، حضر العمادي وعظه بالجامع الأمويّ ، وأخذ عنه وأجازه .
- ٨- عبد الكريم بن عبد الله الخليفة المدنيّ (ت : ١١٣٣ هـ) ^(٦) : فقيه ، شاعر ، له رسالة وفتاوى وتحريرات .
- ٩- عبد الله بن سالم البصريّ (ت : ١١٣٤ هـ) ^(٧) : محدّث ، من مؤلفاته : الضياء الساري على صحيح البخاريّ .

-
- (١) ترجمته في : سلك الدرر (١/٦٧) .
- (٢) ترجمته في : سلك الدرر (٣/١٦٦) .
- (٣) ترجمته في : سلك الدرر (١/١٧١) .
- (٤) ترجمته في : سلك الدرر (٣/٢٠٢) . وينظر : مطمح الواجد ، الورقة ١٠٨ .
- (٥) ترجمته في : سلك الدرر (٤/٦٧) ، ومعجم المؤلفين (١١/٩) .
- (٦) ترجمته في : سلك الدرر (٣/٦٦) ، وهدية العارفين (١/٦١٣) .
- (٧) ترجمته في : هدية العارفين (١/٤٨٠) ، ومعجم المؤلفين (٦/٥٦) .

- ١٠- محمد الوليدي المكيّ (ت : ١١٣٤ هـ) ^(١) : فقيه ، مات شهيداً .
- ١١- عبد الرحيم بن محمد الكابليّ (ت : ١١٣٥ هـ) ^(٢) : نزيل دمشق ، قرأ عليه التلويح وأخذ عنه .
- ١٢- محمد بن إبراهيم العمادي (ت : ١١٣٥ هـ) ^(٣) : هو عمّ صاحب الرسالة ، برع في الفقه والنحو والبلاغة ، وتولّى التدريس في السلیمانية وإفتاء الحنفية بدمشق .
- ١٣- عبد القادر بن عمر التغلبيّ (ت : ١١٣٥ هـ) ^(٤) : له مؤلفات في فقه الحنابلة وثبت . وحضر العمادي دروسه في الجامع الأموي وأجازه .
- ١٤- إلياس بن إبراهيم الكرديّ (ت : ١١٣٨ هـ) ^(٥) : صوفي ، فقيه ، له حواشٍ كثيرة ورسائل في التصوف .
- ١٥- عبد الرحمن المجلّد (ت : ١١٤٠ هـ) ^(٦) : نحويّ ، ناسك ، له شعر . درّس في الجامع الأمويّ ، أخذ عنه العمادي وقرأ عليه كثيراً ، وأجازه .
- ١٦- أحمد بن عبد الكريم الغزيّ (ت : ١١٤٣ هـ) ^(٧) : تولى إفتاء الشافعية بدمشق ، وتصدر للإقراء في الجامع الأمويّ ، وله مصنفات .
- ١٧- عبد الغني بن إسماعيل النابلسيّ (ت : ١١٤٣ هـ) ^(٨) : فقيه ، صوفي ، مفسّر ،

(١) ترجمته في : سلك الدرر (١١٠/٤) .

(٢) ترجمته في : سلك الدرر (٩/٣) .

(٣) ترجمته في : سلك الدرر (١٧/٤) ، ومنتخبات التواريخ لدمشق (٦٣٣/٩) .

(٤) ترجمته في : سلك الدرر (٥٨/٣) ، وهدية العارفين (٦٠٣/١) .

(٥) ترجمته في : سلك الدرر (٩٧٩/١) ، وهدية العارفين (٩٩٦/١) .

(٦) ترجمته في : سلك الدرر (٣٩٧/٩) .

(٧) ترجمته في : سلك الدرر (١١٧/١) ، وهدية العارفين (١٧١/١) .

(٨) ترجمته في : سلك الدرر (٣٠/٣) .

نحوي ، صرفي ، صاحب التصانيف الكثيرة . تصدر للتدريس بالجامع الأموي ، وحضر العمادي دروسه بالسليمية بدمشق ، ودرسه في الفتوحات المكيّة .

١٨- محمد بن إبراهيم الكورانيّ (ت : ١١٤٥ هـ) ^(١) : فقيه ، تولّى إفتاء الشافعية مدّة بالمدينة المنورة ، وله مؤلفات .

١٩- تاج الدين ، محمد بن عبد المحسن القلعيّ (كان حياً سنة : ١١٤٧ هـ) ^(٢) : محدّث ، أخذ عنه العمادي حديث الأوليّة ، وله مؤلفات .

٢٠- محمد بن محمد الخليليّ (ت : ١١٤٧ هـ) ^(٣) : محدّث ، صوفيّ ، له مصنفات وثبت .

٢١- محمد بن سلامة الاسكندري (ت : ١١٤٩ هـ) ^(٤) : مفسّر ، شاعر ، له تفسير منظوم للقرآن في عشر مجلدات ، أوهبه العماديّ .

٢٢- محمد بن عقيلة المكيّ (ت : ١١٥٠ هـ) ^(٥) : محدّث ، مؤرّخ ، تولّى التدريس في المدرسة الحقمقجية بدمشق ، وله مؤلفات .

تلاميذه :

قلنا إنه تصدر للتدريس في الجامع الأمويّ والسليمانية ، وجلس حوله كثيرون ليستقوا غير الإفادة من صافي منبعه ، ولينتفعوا من علمه ومعرفته ، ولم تُشر المصادر إلى أسمائهم ، ولا إلى عددهم .

وربما يُعزى السبب - والله أعلم - إلى أنّهم لم يبرزوا في ميادين البحث والتأليف ، ولم يشتهروا بالتدريس ، أو تسلّم المراكز المهمّة والمناصب العليا .

(١) ترجمته في : سلك الدرر (٩٧/٤) ، ومعجم المؤلفين (١٣/٥) ، (١٩٦/٨) .

(٢) ترجمته في : معجم المؤلفين (٢٥٣/١٠) .

(٣) ترجمته في : سلك الدرر (٩٤/٤) ، ومعجم المؤلفين (٢٢/١١) .

(٤) ترجمته في : سلك الدرر (١٢٣/٤) ، وهديّة العارفين (٣٢٣/٢) .

(٥) ترجمته في : سلك الدرر (٣٠/٤) ، وهديّة العارفين (٣٢٣/٢) .

وقد عرفنا واحداً منهم هو : محمد بن أحمد بن سالم السفارينيّ النابلسيّ الحنبليّ ، الذي سمع عليه المسلسل بالأولية ، وثلاثيات البخاريّ ، وبعض ثلاثيات مسند أحمد ، وأجازه . توفيّ بنابلس سنة (١١٨٨ هـ) ^(١) .

مؤلفاته :

تميّز العماديّ بنشاطه الدؤوب في ميدان البحث والتأليف ، فترك عدداً من المؤلفات والرسائل في علوم شتى ، القرآن والفقه والفرائض والحديث والتراجم واللغة ، وصل إلينا قسم منها ، والقسم الآخر جارت عليه عوادي الزمن ، فضاع مع ما ضاع من تراث أمتنا العظيمة .

أولاً : المطبوعة :

- ١- الحوقلة في الزلزلة ^(٢) .
- ٢- الدرّ المستطاب في موافقات عمر بن الخطاب ^(٣) .
- ٣- صلاح العالم بإفتاء العالم ^(٤) .
- ٤- تحقيق الظنون في السؤال عن الأفيون ^(٥) .
- ٥- مغني المستفتي عن سؤال المفتي (الفتاوى الحامدية) ^(٦) : اختصره ابن عابدين المتوفي سنة (١٢٥٨ هـ) ، وسمّاه : العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية .

-
- (١) فهرس الفهارس والأثبت (١٠٠٢/٢-١٠٠٣) .
 - (٢) هي الزلزلة التي أصابت دمشق سنة (١١٧١ هـ) . طبع بدمشق في مجلة الدراسات الشرقية (المعهد الفرنسي) ع (٧٥/٢٧) .
 - (٣) حققه مصطفى عثمان حميدة سنة (١٤١٧ هـ-١٩٩٦ م) .
 - (٤) حققه علي حسن عبد الحميد سنة (١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م) .
 - (٥) حققه عبد الله بن محمد الحجيلي في مجلة الأمن (الرياض) ع (١٤/١٤٩٥ هـ) .
 - (٦) طبع في بولاق سنة (١٣٠٠ هـ) .

ثانياً : المخطوطة :

- ١ - إتحاد القمرين في بيتي الرقمتين ^(١) .
- ٢ - الإتحاف شرح خطبة الكشف ^(٢) .
- ٣ - اختلاف المحققين في رجوع الناظر على المستحقين ^(٣) .
- ٤ - تشنيف الأسماء في إفادة لو للامتناع ^(٤) .
- ٥ - تفسير ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ ^(٥) .
- ٦ - التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل . وهي التي نقدمها اليوم محققة .
- ٧ - جمال الصورة واللحية في ترجمة سيدي دحية ^(٦) .
- ٨ - الحامدية في الفرق بين الخاصة والخاصية ^(٧) .
- ٩ - الرجعة في بيان الضجعة ^(٨) .

-
- (١) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/٤٢٠٩) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
والبيتان هما : رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلنا بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قمرًا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني
 - (٢) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/٣٣٨) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
 - (٣) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/١٢٩٦) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
والظاهرية برقم (٤٢٦٠) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (١١٨٠) .
 - (٤) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/٤٦٠٨) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
 - (٥) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/٤٤٨) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
ودار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٤) مجاميع .
 - (٦) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) ، وجامعة برنستون رقم (٥٠٩/٤٦٠٨) ، ومنها مصورة في
مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
 - (٧) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) ، وجامعة برنستون رقم (٥٠٩/٣٨٠٤) ، ومنها مصورة في
مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
 - (٨) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/١٢٩٧) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
ودار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٤) مجاميع .

- ١٠- زهر الربيع في مساعدة الشفيح^(١) .
- ١١- ضوء الصباح في ترجمة سيّدنا أبي عبيدة بن الجراح^(٢) .
- ١٢- العقد الثمين في ترجمة صاحب الهداية برهان الدين^(٣) .
- ١٣- عقيلة المغاني في تعدد الغواني (ردّ على مصطفى بك الطرزي فيما إذا كان مجازاً الزواج بالمرأة الثالثة)^(٤) .
- ١٤- قرّة عين الحظ الأوفر في ترجمة الشيخ محيي الدين الأكبر^(٥) .
- ١٥- القول الأقوى في تعريف الدعوى^(٦) .
- ١٦- القول المظهر لحكم من حلف على إعطاء امرأته وهي تنكر^(٧) .
- ١٧- اللّمة في تحريم المتعة^(٨) .
- ١٨- مصباح الفلاح في دعاء الاستفتاح^(٩) .
- ١٩- المطالب السنّيه للفتاوى العلّية^(١٠) .
- ٢٠- النفحة الغيبيّة في التسليّة الإلهيّة^(١١) .
- ٢١- نقول القوم في جواز نكاح الأخت بعد موت أختها بيوم^(١٢) .

-
- (١) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/١٢٩٥) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
 - (٢) جامعة استانبول برقم (٥٤٩٣) .
 - (٣) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع .
 - (٤) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع ، وبرلين برقم (١٨٦٧) .
 - (٥) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٤٠٤٩) .
 - (٦) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/١٢٩٤) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
 - (٧) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/١٢٩٣) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) .
 - ودار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٤٠٤٩) .
 - (٨) الظاهرية برقم (٧٠٧٧) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (١٤١٨) .
 - (٩) جامعة برنستون برقم (٥٠٩/١٩٥٧) ، ومنها مصورة في مركز جمعة برقم (٣٥٩٦) .
 - والظاهرية برقم (٦١٦٠) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (١٣٢٨) .
 - (١٠) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٤٠٤٩) .
 - (١١) دار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٥) مجاميع ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٤٠٤٩) .
 - (١٢) جامعة برنستون « يهودا » برقم (٤٦٧٠) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٦٩٠) .

ثالثاً : المفقودة :

- ١- الإظهار ليمين الاستظهار .
- ٢- تقعقع الشن في نكاح الجن .
- ٣- الحواشي على دلائل الخيرات .
- ٤- خطبه .
- ٥- الخلاص من ضمان الأجير المشترك والخاص .
- ٦- ديوان شعره .
- ٧- شرح نور الإيضاح في الفروع .
- ٨- الصلوات ^(١) الفاخرة في الأحاديث المتواترة .
- ٩- في القهوة .
- ١٠- في دفع الطاعون .
- ١١- مسائل منثورة .
- ١٢- مكاتباته .
- ١٣- منحة المَنّاح في شرح بديع مصباح الفلاح .

شعره :

للعُماديّ ديوان شعر مفقود ، ولولا المرادي ^(٢) الذي نقل لنا طائفة من قصائده ، لما عرفنا شيئاً عن شعره .

وهو شعر يدور في أغلبه حول الغزل ومدح بعض العلماء المعاصرين له ، والإخوانيات ، والمناسبات . ويتميّز بالتكلف ، غير أن المرادي بالغ في إطراء شعره بقوله ^(٣) : « وكان ذا أدب حواشيه رقيقة ، صيرَ حُرَّ المعاني بألفاظه رقيقة ، وشعره رقرق ، توشّحت بجواهره الأوراق » .

(١) كذا في سلك الدرر (١٢/٢) . وكتب في حاشيته : « لعله : الصلاة » . قلت : ولعل الصواب : الصلوات .

(٢) سلك الدرر (١٣٢-١٧) . وعرف نسبه (١١٥-١١٩) . ومصحح الوحد . لورقة ١٠٨-١١٠ .

(٣) عرف البشام ص ١١٥ .

فمن شعره مدحه النبي ﷺ [من الكامل] :

أرنو لبدر شفني بغروبه	فيفوق طرقي عند فيض غروبه
كي أجلي الأنظار من مرآته	والقلب من وله بما يغري به
ويزيد حرّ الشوق بين أضالع	إلف غريب قد دنا لغريبه
ويهم قلبي شاكياً ألم الجوى	دمع جرى في جمره وهييه
عمّ العقيق مع اللوى بشروقه	وسنائه وثناؤه يعلو به
من لي بلثم تراب ذياك الحمى	أو أن أفوز بعرفه وهبوه
فامتن بفضلك كي نفوز بنيله	ونسيم طيبة إذ يهب بطيبه

ومنه قوله مشطراً [من الطويل] :

نظرت إليها فاستحلت بنظرة	نجيع فؤادي حين كابدته الكرب
وأجرته دمعاً من جفوني وإنه	دمي ودمي غال فأرخصه الحب
وغاليت في حبي لها ورأت دمي	يسح قلبي بالغرام لها يصبو
فمالت إلى قتلي وقد كان عندها	رخيصاً فمن هاذين داخلها العجب

مكانته وثناء العلماء عليه :

كان العمادي مشهوداً له بالفضل والرياسة ، وقوراً مهيباً . وقد بالغ القدماء في وصفه والثناء عليه بأسلوب يعكس ثقافة العصر الذي فيه العمادي ، وسيكون حكم الدارسين أقرب إلى الحقيقة والواقع والموضوعية حين ترى كتبه جميعاً النور ، وتدرس وتحلل بعمق .

قال عنه المرادي^(١) : « مفتي الحنفية بدمشق وابن مفتيها وصدرها وابن صدرها ، الصدر المهاب المحتشم الأجل المبجل العالم الفقيه الفاضل الفرضي ، كان عالماً محققاً أديباً عارفاً نبهاً كاملاً مهذباً » .

(١) سلك الدرر (١١/٢) .

وقال^(١) : « عَلَّمَ الْفَضْلُ الْمَشْهُورُ ، وَالْفَرِيدَةُ فِي جَيْدِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، وَالرُّوضُ الرَّائِضُ الْفَيْنَانُ ، الَّذِي أَيْنَعَتْ أَفَانِيَّتُهُ بِأَفْنَانٍ » .

وترجمه محمد السَّمَّانُ الدَّمَشَقِيُّ فِي تَارِيخِهِ بِقَوْلِهِ^(٢) : « عَمَادُ الْفَتَوَى ، وَحَامِلُ لَوَائِهَا وَمُخَلِّصُهَا مِنْ رِبْقَةِ لَوَائِهَا ، اهْتَصَرَ مِنَ الْفَضْلِ غُصْنَهُ الْفَيْنَانَ ، وَقَرَّتْ مِنَ الْهُدَايَةِ بِتَقْرِيرِهِ الْعَيْنَانَ » .

وقال عمر رضا كحالة^(٣) : « عالم ، فقيه ، أديب ، شاعر » .

وقال محمد أديب الحصني^(٤) : « برع وعلا فضله ، وازدان به وجهُ الزمان » .

الرسالة :

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنَّ العُمَادِيَّ كَانَ مِنَ الدَّارِسِينَ الْقَلَائِلَ الَّذِينَ صَنَّفُوا فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّأْلِيفِ الْمُسْتَقِلِّ ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَعْدِمُ مُبَاحِثَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ .

إنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ أَثَرُ نَافِعٍ مِنْ آثَارِ الْعُمَادِيِّ تَدُورُ فِي مَسْأَلَةِ مَهْمَةٍ فِي الدَّرْسِ الْقُرْآنِيِّ ، هِيَ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ ، وَتَسْجِيلُ أَهَمِّ مَا قَالَهُ الْأَقْدَمُونَ فِيهِمَا .

وَقَدْ بَسَطَ الْقَوْلَ فِيهَا ، مُسْتَعْرِضاً آرَاءَ الْعُلَمَاءِ ، جَامِعاً أَقْوَاهُمْ وَمَذَاهِبَهُمْ بِطَرِيقَةٍ تَدُلُّ عَلَى إِحَاطَتِهِ بِمَصَادِرِهِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا .

كُلَّ ذَلِكَ بِأَسْلُوبٍ سَهْلٍ مَطْبُوعٍ بِالطَّابَعِ التَّعْلِيمِيِّ الَّذِي شَاعَ فِي مُؤَلَّفَاتِ الْمُتَأَخِّرِينَ بِخَاصَّةٍ ، وَآيَةُ ذَلِكَ تَكَرَّرَ عِبَارَتُهُ : فَإِنْ قُلْتُ .. قُلْتُ .

وَقَدْ اسْتَهْلَ رِسَالَتَهُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، مَبْتَهَلاً إِلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ أَهْلِ التَّوْفِيقِ وَالْعُرْفَانِ ، مُبَيِّناً أَنَّ مَعْرِفَةَ الْفَرْقِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ مِنْ أَهَمِّ الْمَهْمَاتِ الَّتِي يَجْدُرُ أَنْ يَعْرِفَهَا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْتِّلَ الْقُرْآنَ أَحْسَنَ تَرْتِيلٍ .

(١) عرف البشام ص ١٠٨ .

(٢) سلك الدرر (٢ ١٩) .

(٣) معجم مؤلفين (٣ ١٠٠) .

(٤) منتخبات التواريخ لدمشق (٢ ٦٢٣) .

طريقة تعامله مع مصادره :

استقى العماديّ مادة رسالته من مصادر متنوعة ؛ حديثة وتفسيرية ولغوية ، وكان يذكر اسم المؤلف وحده ، أو عنوان المصدر مجرداً من مؤلفه ، أو العنوان مصحوباً بالمؤلف . وقد تنوعت أساليب نقله من المصادر ما بين النقل الحرفي ، أو النقل بتصرف ، أو النقل بالمعنى .

ومما يؤخذ عليه في النقل أنه قد لا يصرّح بأسماء من ينقل عنهم ، فيقول : « قال بعض الفضلاء » ، أو « قال بعضهم » ، أو « قال قوم » ، أو « قال غيره » . أو أنّه قد يقطع النصّ ليضمّنه نصّاً أو أكثر لمؤلفين آخرين ، وقد أشرنا إلى ذلك في هوامش التحقيق .

عنوان الرسالة ونسبتها إلى المؤلف :

عنوان الرسالة واضح لا لبس فيه ، كما ورد في صفحة عنوان نسخة جامعة برنستون ومقدمتها وخاتمتها ، و صفحة عنوان نسخة دار الكتب ومقدمتها فقط .

أمّا نسبة الرسالة إلى العماديّ فلا غبار عليها ، وقد أكدت هذه الحقيقة المصادر التي رجعنا إليها في ترجمته ^(١) .

نسخ الرسالة المخطوطة :

عولنا في تحقيق الرسالة التي حرّرها المؤلف سنة (١١٣٦ هـ) على نسختين اثنتين ، هما ما استطعنا رصده من مخطوطاتها :

١- نسخة برنستون : وهي نسخة محفوظة في جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية برقم (٥٠٩/١٢٣) ، ومنها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم (٣٥٩٦) ، ورمزنا لها بالحرف « س » ، واتخذناها النسخة الأمّ في التحقيق ؛ لأنها منسوخة في حياة المؤلف أولاً ، وتامة ومصحّحة ثانياً ، وأقدم من النسخة الأخرى ثالثاً .

(١) سلك الدرر (١٢/٢) ، وعرف البشام ص ١١٣ ، وهديّة العارفين (١/٢٦١) .

ويمكن تلخيص وضعها الفني بالآتي :

- تقع ضمن مجموع ، عدد أوراقه (٥) ، (١٤٥-١٥٠) ، وفي كل ورقة صفحتان ، ومسطرتها (٢٥) سطراً .
- خطها نسخي ، واضح ، خالٍ من الضبط .
- أتبع الناسخ نظام التعقية للمحافظة على تسلسل صفحاتها .
- على حواشيها تعليق واحد ، وتصحيحان ، وعلى صفة العنوان مطالعتان ، مطالعة لعللي العمادي ، وأخرى لحسين بن عبد الرحمن بن السيد علي العمادي . وهما من الأسرة العمادية .
- ناسخها أحمد بن محمد بن عبد الله الحموي ، بدمشق سنة (١١٤٨ هـ) .

٢- نسخة القاهرة : وهي نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٣٤٤٤) مجاميع ، ورمزنا لها بالحرف « ق » ، وجعلناها نسخة ثانية في التحقيق ، ونشكر سعادة جمعة الماجد لتسهيله حصولنا على هذه النسخة ، فجزاه الله خير الجزاء .

ويمكن إجمال وضعها الفني بما يأتي :

- ضمن مجموع عدد أوراقه (٥) ، (٦٧-٧١) ، وفي كل ورقة صفحتان ، ومسطرتها (٣٧) سطراً .
- تامة ، خالية من العيوب .
- حواشيها خالية من التعليقات والتصحيحات .
- أتبع ناسخها نظام التعقية .
- مكتوبة في حياة المؤلف أيضاً سنة (١١٥٠ هـ) ، كما ذكر فهرس دار الكتب المصرية ، اعتماداً على تاريخ نسخ المجموع الذي تقع فيه .
- يبدو أنها منقولة من النسخة الأولى لتشابههما ووقوعهما في الأوهام نفسها .

عملنا في التحقيق :

اتبعنا في تحقيق النص وإخراجه منهجاً ، أبرز سماته :

١- تحرير النص على وفق قواعد الإملاء المعاصرة ، ولم نجد أي فائدة في إثبات اختلافات الرسم الإملائي .

٢- حرصاً على سلامة النص ، فقد ضبطنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والألفاظ الملبسة ، وما يتعين ضبطه .

٣- حافظنا على جوهر النص كما هو قدر الإمكان ، وعدّلنا المختل اعتماداً على المصادر التي نقل منها المؤلف .

٤- غنينا بتخريج الشواهد التي وردت في المتن ، من آيات قرآنية وشواهد حديثة .

٥- ترجمنا لكل الأعلام المذكورة في المتن ، سواء أكانت معروفة أم مغمورة ، وأكملنا الاسم ، وذكرنا اللقب والكنية وسنة الوفاة .

ويلاحظ أننا أحلنا في تراجم الرجال بالإضافة إلى المصادر القديمة ، إلى كتب حديثة كالأعلام للزركلي ، ومعجم المؤلفين لكحالة . وإن أخذنا علينا هذا الصنيع معتبراً أن ذلك يُجافي أصول منهج البحث الذي من شأنه أن يتّصل بالمصادر القديمة اتصالاً مباشراً ، فلنا في هذه القضية موقفٌ ، لا يتّسع المقام لعرضه وبيانه .

٦- لما كان المؤلف يستقي معلوماته من المصادر التفسيرية والحديثية واللغوية ، فقد رجعنا إلى المطبوع منها والمخطوط ما أمكن ذلك ؛ لضبط النص ومقابلته ، وإحالة القارئ إليه .

٧- أعفينا النفس من إثقال الهوامش بالعناية بروايات متون الأحاديث ؛ لأن ذلك يخرجنا من دائرة عملنا .

والله وليّ التوفيق ، إنّه نعم المولى ونعم النصير .



الورقة الأولى من نسخة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٦/ أ/ حامداً الله العظيم على أنعامه ، وسائلاً منه فهم تفسير كريم كلامه ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف مخلوقاته النبيه النابه ، الذي شرفه بوحى آياته ،
وشرفنا به ، وعلى آله الكرام ، وأصحابه الفخام ، الكاشفين الأستار عن حقائق التنزيل ،
والفائزين بالاطلاع على أسرار دقائق التأويل . أما بعد :

فهذه رسالة جمعتها مبينة للفرق بين التأويل والتفسير ، وما في ذلك من المقال على
حسب الطاقة والتيسير ، وسميتها : « التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل » ، والله
حسبي ونعم الوكيل .

أقول - أشرك الله قلبي وقلبك بنور الإيمان ، وجعلنا من أهل التوفيق والعرفان - :
إن في علم التفسير مهامة تحار فيها القطا وتضل الأحلام ، ومداحض نزل بها الأقدام
والأقلام ، فمعرفة الفرق بين التفسير والتأويل من أهم المهمات لمن أراد أن يرتل القرآن
بأحسن ترتيل ^(١) .

قال الإمام أبو الليث السمرقندي - رحمه الله تعالى - في أوائل تفسيره ^(٢) : « روي
عن سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام أن النبي ﷺ قال في خطبته ^(٣) : « أيها الناس ، قد بين
الله لكم في مُحكم كتابه ما أحل لكم وما حرم عليكم ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ،
وآمنوا بمتشابهه ، واعملوا بمحكمه ، واعتبروا بأمثاله » انتهى .

(١) كذا العبارة في النسختين ، ولم يظهر لي وجه هذا الربط .

(٢) ينظر : (١٧/١) منه . وهو : نصر بن محمد بن أحمد ، الملقب بإمام الهدى ، من أئمة الحنفية
والزهاد المتصوفين (ت : ٣٧٣ هـ) . ينظر : طبقات المفسرين (٢/٣٤٥) ، والأعلام (٨/٢٧) .

(٣) المشهورة بخطبة حجة الوداع . وقريب منها ما ورد في : البحر المحيط (١/١٢) . وينظر : خطبة
الرسول في حجة الوداع ص ١٧٩ .

فمما أمر النبي ﷺ بأن يُحَلَّ حلاله ويُحَرَّمَ حرامه ثم لا يمكن ذلك إلا بعد العلم بتفسيره ، ولأن الله تعالى أنزل القرآن هدى للناس ، وجعله حُجَّةً على جميع الخلق بقوله تعالى ^(١) : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۖ ﴾ ، أي : لأُنذِرْكُمْ بالقرآن . وقد اكتفى بالإنذار عن البشارة ، فلما كان القرآن حُجَّةً على العرب والعجم ثم لا يكون حُجَّةً عليهما إلا بعد ما يُعَلَّمُ تفسيره ، دل ذلك على أن طلب تفسيره وتأويله أوجب ، ثم من الواجب صناعة على من أراد البحث في علم من العلوم على الوجه الأكمل أن يتصوره بحده أو رسمه ، ويعرف معناه لغة وعرفاً ؛ ليكون عالماً به على الوجه الأكمل .

فتعريف التفسير لغة ، هو مأخوذ من الفَسَّرَ ، وهو الكشف .

قال في « الفائق » ^(٢) : « قوله تعالى ^(٣) : ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ » التفسير : كشف الْمُعْطَى ^(٤) .

وقال في « القاموس » ^(٥) : « الفَسَّرَ : الإبانة ، وكشف الْمُعْطَى كالتفسير » .

وقال الراغب في « المفردات » ^(٦) : ١٤٦/ب/ « الفَسَّرَ : إظهار المعنى المعقول ، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول : تفسيرة ، وسُمِّيَ بها قارورة الماء » ، انتهى .

فكما أنه بالنظر فيها يُكشَفُ عن علّة المريض ، فكذلك المفسّر يكشف عن معنى الآية وبنائها ، وقصّتها وسبب نزولها ^(٧) .

(١) سورة الأنعام : ١٩ .

(٢) لم نجده فيه . والنص في : اللسان (٥٥/٥) ، والتاج (٣٤٩/٧) .

(٣) سورة الفرقان : ٣٣ .

(٤) تهذيب اللغة (٤٠٧/١٢) .

(٥) (٦٣٦/١) ، وعزي القول إلى ابن الأعرابي في : التاج (٣٤٩/٧) .

(٦) ص ٣٩٤ . وينظر : مقدمة جامع التفاسير ص ٤٧ ، والرهان (١٤٨/٢) . وهو : أبو القاسم

الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني ، إمام في اللغة ، ميّز في زمانه ، توفي في حدود

سنة (٤٢٥ هـ) . ينظر : بغية الوعاة (٢٩٧/٢) ، والأعلام (٢٥٥/٢) .

(٧) الرهان (١٤٧/٢) .

وعن أحمد بن يحيى ثعلب ^(١) : مأخوذٌ من فَسَّرَتِ الفرسُ : ركضتُ محصورةً لينطلقَ حَصْرُها ^(٢) فكأنَّه أخذَ من الكشف أيضاً .

وقال صاحب « المحمل » ^(٣) : « التفسير : البيان ، و الفسرُ : نظر الطبيب في الماء ، والتفسرة كذلك » .

وقيل : « هو تفعليل من : فسر ، وهي ^(٤) مقلوب من : سفر ، وهو كقولهم : جذب وجذب ، لكن جعلَ الفسرُ لإظهار المعاني للبصائر ، والفسرُ لإبراز الأعيان للأبصار ، ويقال : سفرت امرأة البيت : كنسته ، وأسفر الصبح : أضاء ، ووجوه مسفرة : مضيئة . فالتفسير : التنوير ، وكشف المنغلق من المراد بلفظه » .

وأما تعريفه لقباً ، فهو علم يكشف عما يتعلق بمعرفة كلام الله تعالى الدال على أمهات العلوم والمعارف على وجه الإعجاز لفظاً ومعنى ، المتحدَّى بسورة منه دَهْمَاءُ البلغاء من العرب العرباء ^(٥) مع كثرتهم كثرة حصي البطحاء ورمال الدهناء ، وشهرتهم بفرط العصبية وكمال الحمية الجاهلية ، فأخرس شقاشق مساليقهم ، وأعجز بلغاء مناطيقهم ، ولم يجدوا للطعن عليه مجالاً ، ولم يَقْدِرُوا أن يوردوا في القَدْح فيه مقالاً ، حتى آثروا المقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف ، وأعرضوا عن المفاولة باللسان إلى المقاتلة بالسنان .

فسبحان من أعجزهم بقدرته ، وكبحهم عن الإتيان بمعارضته ^(٦) ، وجعله حُجَّة واضحة المحجة إلى يوم الدين ، ومعجزة ظاهرة لسيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) أبو العباس ، إمام الكوفيين في النحو واللغة (ت : ٢٩١ هـ) . ينظر : إنباء الرواة (١/١٣٨) ، والأعلام (١/٢٦٧) ، وفي البحر المحيط (١/١٣) : « قال ثعلب : فَسَّرَتُ الفرسُ : عرَّيته لينطلقَ في حصره ، وهو راجع لمعنى الكشف ، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريد منه من الجري » ، وينظر : البرهان (٢/١٤٧) .

(٢) « محصوراً ، حصره » في : « س ، ق » . وهو وهم .

(٣) (٣/٧٢١) .

(٤) [وهي] : ساقطة من « ق » .

(٥) [العرباء] ساقطة من « س » .

(٦) قد يستمد من هذا التعبير أن الإعجاز بالقصيدة . وليس بالقرآن . وهو قول ضعيف .

وأما موضوعه ، فكتاب الله تعالى ، لأنه يبحث فيه من جهة معناه . قال ابن نجيم^(١) في « الأشباه »^(٢) : « فائدة : قال بعض المشايخ^(٣) : العلوم ثلاثة ، عِلْمُ نَضِجٍ وما احترق ، وهو علم النحو والأصول ، وعِلْمٌ لا نَضِجَ ولا احترق ، وهو البيان والتفسير ، وعِلْمُ نَضِجٍ واحترق ، وهو علمُ الفقه والحديث » ، انتهى .

قال بعض الفضلاء^(٤) : « لأنَّ علم التفسير لا نهاية له يوقف عليها ، ومن أمعن النظر فيه ظهر له ذلك ، إذ موضوعه فهم مراد الله من حيث المعاني ووجوه الإعجاز ومواقع المناسبات وغير ذلك مما لا يحيطه إلا علام الغيوب ، فكيف يوقف له على نهاية ؟ بل إنما يُعطى الشخصُ من ذلك بحسب الإلهام الإلهي / ١٤٧ أ / وهو لا يوقف له عند غاية بحيث لا يتعدى إلى غيرها ، ومن وقف على كتب التفسير وتأملها ، ظهر له ذلك » ، انتهى .

وأما غايته ، فالاعتصام بالعروة الوثقى والوصولُ إلى السعادة الحقيقية العليا التي لا تُفنى ، والاطلاعُ على عجائب الله تعالى المندرجة في خلال مطاويه ، والامتثالُ لأوامره ونواهيه .
وأما من جهة شدة الحاجة إليه فلأنَّ كلَّ كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقرٌ إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى . ولأجل ذلك أجمع العلماء على أن التفسير والتأويل من الفروض الكفائيات ، وأجل العلوم الثلاثة الشرعية^(٥) .

(١) هو : زين الدين بن إبراهيم بن محمد ، فقيه حنفي ، مصري ، أجازته علماء عصره بالإفتاء والتدريس ، (ت : ٩٧٠ هـ) . ينظر : الكواكب السائرة (٣/١٥٤) ، والأعلام (٣/٦٤) .

(٢) .. والنظائر ص ٤٥٣ .

(٣) ينظر : عقود الجمان شرح أرجوزة علم المعاني والبيان ص ٤ ، ولحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ص ٧٣ .

(٤) لم نهتد إلى معرفته .

(٥) النص في الاتفاق (٤/١٩٩) .

وأما التأويل ، فقال النَّظَرُ بن شُمَيْل ^(١) : « أصله من الإيالة ، و هي السياسة فكأن المؤول ساس الكلام القادر عليه ، ووضعه مواضعه » .
وقال حُسْرُو ^(٢) : « التأويل من الأَوْب ، و هو الرجوع والانصراف ، فهو صَرْف اللفظ إلى محتمله ، فإذا وقع في القرآن والحديث ، فإن وافق الكتاب أو السنة أو القواعد المقررة ، فصحيح ، وإلا ففساد » ، انتهى .

وقد اختلف الناس في الفرق بين التفسير و التأويل :

ففي « الفائق » ^(٣) : « قال أبو العباس : التأويل والتفسير بمعنى واحد ، انتهى . وأنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن ^(٤) حبيب النيسابوري فقال : قد يقع في زماننا مفسرون لم يسئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتموا إليه » .

وقال الراغب ^(٥) : « التفسير أعم من التأويل ، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمال ، وأكثر ما يُستعمل في الكتب الإلهية ، والتفسير يُستعمل فيها وفي غيرها » .

(١) تفسير الثعالبي (٨٧/١) ، والبرهان (١٤٩/٢) . وهو : النظر بن شميل بن خرشة المازني ، من أهل مرو ، عالم بأيام العرب ورواية الحديث واللغة ، أخذ عن الخليل وأقام بالبادية أربعين سنة ، توفي سنة (٢٠٣ هـ) . ينظر : إنباه الرواة (٣/٣٤٨) ، والأعلام (٨/٣٣) .

(٢) هو : محمد بن فرامرز بن علي ، المعروف بملا حُسْرُو . رومي الأصل ، عالم بفقهاء الحنفية والأصول ، له حاشية على : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ت : ٨٨٥ هـ) . ينظر : الضوء اللامع (٨/٢٧٩) ، والأعلام (٦/٣٢٨) .

(٣) أخل به الكتاب المذكور . والنص في اللسان (١١/٣٣) ، وتاج العروس (٧/٣٤٩) . وأبو العباس هو ثعلب كما في المصدرين السابقين .

(٤) البرهان (٢/١٥٢) . وينظر : الإتيان (٤/١٩٢) . وهو : أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ، مفسر ، واعظ ، وعالم بالغازي والقصص والسير ، صاحب كتاب عقلاء الجانين ، وصنف في التفسير والآداب . وتداخلت ترجمته في بعض مصادر مع صاحب : غرائب القرآن و غرائب الفرقان ، توفي سنة (٤٠٦ هـ) . ينظر : طبقات مفسرين (٢/١٤٤) ، وسير علماء السلف (١٧/٢٣٧-٢٣٨) .

(٥) مقدمة جامع التفسير ص ٤٧ . وينظر : مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٤٥ . والنص في : البرهان (٢/١٤٩) . والإتيان (٤/١٩٤) .

وقال أبو طالب الثعلبي^(١) رحمه الله تعالى : « التفسير بيان وضع اللفظ ، إمّا حقيقةً وإمّا مجازاً ؛ كتفسير الصراط بالطريق ، والصيّب بالمطر ، والتأويل تفسير باطن اللفظ ، مأخوذ من الأول ، وهو الرجوع لعاقبة الأمر ، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير إخبار عن دليل المراد ؛ لأنّ اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل ، مثاله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رِزْقَكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾^(٢) ، وتفسيره أنه من الرّصد ، يُقال : رَصَدْتُهُ : رَقَبْتُهُ ، والمرصاد مفعال منه ، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله تعالى ، والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه . وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة » .

وقال ابن الجوزي^(٣) : « التفسير إخراج الشيء من مقام معلوم الخفاء إلى مقام التجلّي ، والتأويل نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل ، لولاه ما ترك ظاهر اللفظ » ، انتهى .

وقال غيره^(٤) : « التفسير كشف المراد عن اللفظ المُشْكِل ، والتأويل ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر » .

وقيل : « التفسير بيان أوّل الكلام ، والتأويل بيان آخره » .

وقيل : « التفسير للمُحْكَمَات ، والتأويل للمتشابهات » .

وقيل : « علم التفسير للخلق ، وعلم التأويل للحقّ ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٥) وهو فيما يرجع إلى الغيب الذي أبهمه الله تعالى ؛ كالساعة

(١) الإنقان (١٩٣/٤) وفيه : الثعلبي في موضع : الثعلبي . ولعله أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ، من أهل نيسابور ، مفسر ، توفي سنة (٤٢٧ هـ) . ينظر : طبقات المفسرين (٦٥/١) ، والأعلام (٢٩٢/١) . ولم نجد النص في : تفسير الثعلبي « الكشف والبيان في تفسير القرآن » .

(٢) سورة الفجر : ١٤ .

(٣) زاد المسير (٤/١) ، ونقله الزبيدي في تاج العروس (٣٢/١٤) . وابن الجوزي هو : عبد الرحمن بن علي الحنبلي ، توفي سنة (٥٩٧ هـ) . ينظر : طبقات المفسرين (٢٧٠/٩) ، والأعلام (٣١٦/٣) .

(٤) تهذيب اللغة (٤٥٧/١٢) ، واللسان (٥٥/٥) ، والبرهان (١٤٩/٢) ، والتاج (٣٤٩/٥) ، (٣٢/١٤) .

(٥) سورة آل عمران : ٧ .

١٤٧/ ب/ متى وقوعها ؟ وأشراطها متى ظهورها ؟

وقيل : « التفسير ما لا يُخْتَلَفُ فيه ، والتأويل ما اُخْتَلَفَ فيه » .

والناس في معنى التأويل والتفسير بين التطويل والتقصير ، ولنا في التوسطِ التعديلُ على حسب ما في التيسير .

فالتفسيرُ هو علمُ نزول الآية ، وقصتها وفضلها وشأنها والأسبابُ التي نزلت لها ، والشهادةُ على الله ، والقطعُ بأنه عَنَى بهذا اللفظ ، وهذا لا يكون إلا بنصِّ النبي ﷺ أو الصحابة الذين شاهدوا التنزيلَ والوحيَ ، فهم يقولون مع العلم به ، ولهذا جزمَ الحاكمُ في « المستدرک » ^(١) بأن تفسير الصحابي مطلقاً في حُكْم المرفوع ، وإن نازعه في ذلك ابنُ الصلاح ^(٢) ، فإنهم كانوا إذا خَفِيَ عليهم شيء يسألون النبي ﷺ عنه ؛ كما ورد أنهم سألوهُ ^(٣) لما نزل : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ^(٤) قالوا : وأيناً لم يظلم نفسه ؟! ففسره النبي ﷺ بالشرك ، واستدلَّ عليه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٥) .

(١) (٥٨/٢ ، ٣٤٥) . وورد في الموضعين على التوالي : « ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند » ، و « إن الصحابي إذا فسر التلاوة فهو مسند عند الشيخين » . ينظر : البرهان (١٥٧/٢) ، والإتقان (٢٠٨/٤) . والحاكم هو : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري ، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه ، وفاته في نيسابور سنة (٤٠٥ هـ) . ينظر : طبقات الشافعية (٦٤/٣) ، والأعلام (٢٢٧/٦) .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠٠ . وفيه : « ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند ، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية ... فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله ﷺ فمعدودة في الموقوفات ، والله أعلم » .

وهو : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان النصري الشهرزوري الكردي ، عالم بالتفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ، توفي سنة (٦٤٣ هـ) . ينظر : وفيات الأعيان (٣١٢/١) ، والأعلام (٢٠٨-٢٠٧/٤) .

(٣) من هنا إلى قوله : « وغير ذلك » في البرهان (١٤-١٥) ، والإتقان (١٩٦/٤) . وينظر : المستدرک على الصحيحين (٣١٦/٢ ، ٤٤٠) .

(٤) سورة الأنعام : ٨٢ .

(٥) سورة لقمان : ١٣ .

وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير ، فقال : « ذلك العَرَضُ » ^(١) ، وكقصه عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والخيط الأسود ^(٢) ، وغير ذلك .
والنبي بين لأصحابه تفسير جميع القرآن أو غالبه ^(٣) ، ويؤيد ذلك ما أخرجه أحمد ^(٤) وابن ماجه ^(٥) عن عمر أنه قال : « مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ آيَةُ الرَّبِّ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبِضَ قَبْلَ أَنْ يُفَسِّرَهَا » ، دلّ فحوى الكلام على أنه كان يفسر لهم كل ما نزل ، ولسرعة موته ﷺ بعد هذه الآية لم يفسرها لهم فدلّ على ذلك تخصيصه بها .

(١) تفسير الحساب اليسير بالعرض ، رواه البخاري في صحيحه (٦٠/١) ، رقم (١٥٣) بأن النبي ﷺ قال : « مِنْ حُسْبٍ عَذَبَ » ، قالت عائشة : فقلت : أو ليس يقول الله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ نَحْصِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٨] ، قالت : فقال : إنما ذلك العَرَضُ ، ولكن من نوقش الحساب يهلك » .

(٢) إشارة إلى ما رواه البخاري في كتاب الصوم من صحيحه (٥٦٩/٢-٥٧٠) ، رقم (١٩١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : « لما نزلت ﴿ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] . عمدتُ إلى عقال أسود وعقال أبيض ، فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلتُ أنظر في الليل فلا يتبين لي ، فغدوتُ على رسول الله ﷺ فذكرتُ له ذلك ، فقال : إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » . وينظر : صحيح مسلم (٧٦٦/٢) ، رقم (١٠٩٠) ، وتفسير السمرقندي (١٨٦/١) . وهو : عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي ، صحابي شهير ، ابن حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الجود والكرم ، توفي سنة (٦٨ هـ) . وينظر : تقريب التهذيب ص ٣٨٨ (ت ٤٥٤٠) ، والأعلام (٢٢٠/٤) .

(٣) في هذا الكلام نظر ، وهو يتعارض مع روايات أخرى ، كما يتعارض مع الآيات الآمرة بالتدبر والتفكر ، كما يتعارض مع اختلاف الصحابة في التفسير - وإن كان معظمه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد - كما يتعارض مع الواقع واختلاف المفسرين في تفاسيرهم الكثيرة .. ولو كان الرسول ﷺ بين لأصحابه كل معاني القرآن ، لما ساع لأحد أن يفسر أو يجتهد في ذلك .

(٤) المسند (٨٥/١) ، رقم (٢٤٦) . وهو : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، ثقة ، حافظ ، فقيه ، صاحب المذهب ، توفي سنة (٢٤١ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب ص ٨٤ (ت ٩٦) ، والأعلام (٢٠٣/١) .

(٥) سنن ابن ماجه (٧٦٤/٢) ، رقم (٢٢٧٦) . وهو : أبو عبد الله محمد بن يزيد الرُّبَعي القزويني ، حافظ ، أحد الأئمة في علم الحديث ، توفي سنة (٢٧٣ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب ص ٥١٤ (ت ٣٢٧١) ، والأعلام (١٤٤/٧) .

قال أبو عبد الرحمن السُّمَيّ^(١) : حدثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله ابن مسعود^(٢) وغيرهما^(٣) : « أنَّهُم كانوا إذا تَعَمَّنوا من النبي ﷺ عشر آيات ، لم يتجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً » .

فإن قلت : يَرُدُّ عليه ما أخرجه البزار^(٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آيات بعد ما علمه إياهن جبريل عليه السلام » .

قلت : هذا الحديث ، أنكره ابن كثير^(٥) مع أنه مؤول بأنها إشارات إلى آيات ، مُشْكَلَات ، أشكلن عليه ﷺ ، فسأل الله تعالى أن ينزل عليه فيهن ، فأُنزل على لسان جبريل عليه السلام ، كما ذكره ابن جرير^(٥) رحمه الله تعالى ، فلا يَرُدُّ ما تقدّم ، والله أعلم .

والتأويل صرف الآية إلى معنى تحتمله من المعاني ، غير مخالف للكتاب والسنة ، وترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٤١٠/٥) ، والمستدرک علی الصحيحین (٥٥٧/١) ، وفضائل القرآن - الرازي ص ١٢٧ . وينظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١) ، وتفسير ابن كثير (٤/١) ، والإتقان (٢٠٢/٤) . وهو : عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي ، المقرئ ، ولأبيه صُحْبَةٌ ، ثقة ، ثبت ، توفي بعد (٧٠ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب ص ٢٩٩ (ت ٣٢٧١) .

(٢) .. بن غافل الهذلي ، من كبار العلماء من الصحابة ، وأمره عمر رضي الله عنه على الكوفة ، توفي في المدينة سنة (٣٢ هـ) أو بعدها . ينظر : تقريب التهذيب ص ٣٢٣ (ت ٣٦١٣) والأعلام (١٣٧/٤) .

(٣) لم نجده في مسنده الموسوم بـ « البحر الزخار » . والنص في تفسير الطبري (٦٢/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٣١/١) ، وتفسير ابن كثير (٧/١) بالفاظ مقاربة ، وفيها : « إلا آيات بعدد » وذكر أبو حيان الأندلسي في البحر المحیط (١٣/١) : أن ذلك محمول على مُغَيَّات القرآن وتفسيره مجمله ، ونحوه مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى .

والبزار هو : أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ، حافظ . من علماء الحديث بالبصرة ، توفي بالرملة سنة (٢٩٢ هـ) . ينظر : شذرات الذهب (٢٠٩/٢) ، والأعلام (١٨٩/١) .

(٤) تفسير ابن كثير (٧/١) . وهو : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، حافظ . مؤرخ ، فقيه . توفي سنة (٧٧٤ هـ) . ينظر : شذرات الذهب (٢٣١/٦) ، والأعلام (٣٢٠/١) .

(٥) الطبري في تفسيره (١٦٢/١) . وهو أبو جعفر محمد بن جرير ، صاحب لتفسير والتاريخ . توفي سنة (٣١٠ هـ) . ينظر : صفات المفسرين (١٠٦/٢) ، والأعلام (٦٩/٦) .

وقال الخازن ^(١) : الفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يتوقف على النقل المسموع .
والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح ، مثال التفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْتَتَلُوا ﴾ ^(٢) فما الأوسُ والخزرجُ ، وقوله تعالى : ﴿ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ^(٣) / ١٤٨ أ/
هم فارسُ وأهل اليمن ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٤)
هو الأخنس بن شريق ^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي ﴾ ^(٦) نفسه أبتغاء مَرْضَاتِ
اللهِ ^(٧) هو صُهَيْب ^(٨) ، فهذا ونحوه من التفسير ، ولا يُتكلَّم فيه إلا بالسمع .

ومثال ^(٩) التأويل قوله تعالى : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ^(١٠) ، قال بعضهم : أي
شباناً ^(١١) وشيوخاً ، وقال آخرون : أي فقراءً وأغنياء ، وقال قوم : أي عُزَاباً ^(١٢)

(١) تفسير الخازن (١٤/١) إلى قوله : « على الفهم الصحيح » . والخازن هو : علي بن محمد بن
إبراهيم الشيعي ، بغداديّ الأصل ، من فقهاء الشافعية ، عالم بالتفسير والتاريخ ، توفي سنة
(٧٤١ هـ) . ينظر : طبقات المفسرين (٤٢٢/١) ، والأعلام (٥/٥) . وفي « س ، ق » : ابن
الخازن ، وهو وهم .

(٢) سورة الحجرات : ٩ .

(٣) سورة الفتح : ١٦ .

(٤) سورة البقرة : ٢٠٤ .

(٥) .. بن عمر الثقفي ، أبو ثعلبة ، واسمه : أبيّ ، شهد حُنيئاً ، ومات في أوّل خلافة عمر رضي الله عنه .
والقصة وسبب نزول الآية ، والترجمة في الإصابة (٢٣/١) ، (ت ٦) .

(٦) « يشري » ساقطة من « س » .

(٧) سورة البقرة : ٢٠٧ .

(٨) .. بن سنان الرومي ، أبو يحيى ، يقال : اسمه عبد الملك ، صحابيٌّ شهير ، كان من المستضعفين
ممن يعذب في الله ، شهد بدرًا والمشاهد بعدها ، ومات بالمدينة سنة (٣٨ أو ٣٩ هـ) . ينظر :
الإصابة (٢٥٤/٣) ، (ت ٤٠٩٩) ، وتقريب التهذيب ص ٢٧٨ (٢٩٥٣) . وذكر السمرقندي
في تفسيره (١٩٦/١) أن هذه الآية نزلت في صهيب ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ .

(٩) النص من هنا إلى قوله : « وكله جائز مقبول » ، مستفاد من البرهان (١٥١/٢) ، والإتقان
(٢١٢/٤) .

(١٠) سورة التوبة : ٤١ .

(١١) « شباباً » في البرهان والإتقان .

(١٢) « عُزَاباً » في البرهان والإتقان .

ومتأهلين ، وقال جماعة : أي أصحاء ومرضى ، وقال طائفة : أي نشاطاً وغير نشاط .
فهذا من التأويل ، وكله جائز مقبول ، ولا بأس بالقول به بما وافق الأصول ولم يخالف المعقول ، واستدلوا على جوازه بقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِّانَ ﴾ ^(١) ، وهو حث على التأمل فيه للوقوف على معانيه ، وقوله تعالى : ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَيْنَا هَذَا الْفَرِّانُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ ^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٦) ، وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٧) ، وقوله تعالى : ﴿ يَتَّبِعْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٨) ، وقول النبي ^(٩) ﷺ : « أول ما يرفع من الأرض العلم ، قالوا : يا رسول الله يرفع القرآن ، قال : لا ، ولكن يموت من يعلم تأويله ، ويبقى قوم يتأولونه على أهوائهم » انتهى .

كتفسير الروافض ... ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ ^(١٠) أنهما علي وفاطمة ^(١١) ، ﴿ تَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ^(١٢) الحسن والحسين ^(١٣) .

(١) سورة النساء : ٨٢ .

(٢) سورة النساء : ٨٣ .

(٣) سورة آل عمران : ١٨٧ .

(٤) سورة النحل : ٤٤ .

(٥) سورة الأنعام : ١٩ .

(٦) سورة يوسف : ٢ .

(٧) سورة البقرة : ٢١٩ .

(٨) سورة النحل : ٨٩ .

(٩) لم نجد الحديث فيما رجعنا إليه من مصادر حديثة وغيرها .

(١٠) سورة الرحمن : ١٩ .

(١١) سورة الرحمن : ٢٢ .

(١٢) البرهان (٢/١٥٢) ، والإتقان (٤/٢١٢) .

وقال الحسن ^(١) رحمه الله تعالى: « ما أنزل الله آية إلا والله تعالى يحب أن يعلم العباد ما عنى بها ». وأخرج البيهقي ^(٢) وغيره من حديث أبي هريرة ^(٣) مرفوعاً: « أغربوا القرآن والتمسوا غرائب ». وعن عبد الله بن بريدة ^(٤) عن رجل من صحابة رسول الله ﷺ قال: « لو أني أعلم إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله تعالى لفعلت ».

وأخرج ابن الأنباري ^(٥) عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: « لئن أعربت آية أحب إلي من أن أحفظ آية ».

وروى الشعبي ^(٦) عن عمر ﷺ أنه قال: « من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد ».

(١) فضائل القرآن ، أبو عبيدة ص ١١ ، والإتقان (١٩٨/٤) . وروايتها: « ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيما أنزلت ، وما أراد بها » .

(٢) شعب الإيمان (٤٢٧/٢) ، رقم (٢٩٩٢) . وينظر: إيضاح الوقف والابتداء (١٥/١) ، والمستدرک علی الصحیحین (٤٣٩/٢) ، وتفسير القرطبي (٢٣/١) ، والبرهان (٤٥٤/١) ، والإتقان (١٩٨/٤) . وهو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ، من أئمة الحديث ، توفي سنة (٤٥٨ هـ) . ينظر: شذرات الذهب (٣٠٤/٣) ، والأعلام (١١٦/١) .

(٣) عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صحابي ، جليل ، حافظ ، اختلف في اسمه واسم أبيه ، توفي سنة (٥٩ هـ) . ينظر: تقريب التهذيب ص ٦٨٠-٦٨١ (ت ٨٤٢٦) .

(٤) إيضاح الوقف والابتداء (٢٦/١) ، والإتقان (١٩٩/٤) . وهو: أبو سهل عبد الله بن بريدة بن الحبيب الأسلمي ، قاضي مرو ، ثقة ، توفي سنة (١٠٥ هـ) ، وقيل: (١١٥ هـ) . ينظر: تقريب التهذيب ص ٢٩٧ (ت ٣٢٢٧) .

(٥) إيضاح الوقف والابتداء (٢٣/١) ، وينظر: فضائل القرآن ، أبو عبيد ص ٩٧ ، والإتقان (١٩٨/٤) . وهو: أبو بكر محمد بن محمد بن محمد الأنباري ، كان أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له ، توفي سنة (٣٢٧ هـ) . ينظر: إنباه الرواة (٢٠١/٣-٢٠٢) ، والأعلام (٣٣٤/٦) .

(٦) إيضاح الوقف والابتداء (٢٠/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٣/١) ، والإتقان (١٩٨/٤) . وهو: أبو عمرو عامر بن شراحيل ، ثقة مشهور ، فقيه فاضل ، توفي بالكوفة سنة (١٠٣ هـ) . ينظر: تقريب التهذيب ص ٢٨٧ (ت ٣٠٩٢) ، والأعلام (٢٥١/٣) .

فإن قلت : ما معنى لإعراب هنا ؟ قلت : معناه البيان والتفسير ، وهو تفسيره لغة ، يقال : أعرب الرجل عما في ضميره : إذا أبانه ، وأعربت الجارية عن وجهها : كشفتها . وأما إطلاقه على الحكم النحوي ، فلا يصح هنا : لأنه اصطلاح حادث ؛ ولأنه كان في سلبقتهم ، فلا يحتاجون إلى تعلمه ^(١) إلا أن يُستدل على صحة إطلاقه على المعنى الاصطلاحي بما أخرجه السلفي في « الطيوريات » ^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « أعربوا القرآن يدلکم على تأويله » إلا أنه بعيد ، انتهى ^(٣) .

وروى ابن عباس رضي الله عنهما ^(٤) عن النبي صلی الله علیه وسلم ١٤٨/ب أنه قال : « القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه » ، أخرجه أبو نعيم وغيره ^(٥) .

(١) « تعليمه » في « س ، ق » . والصواب من الإتيان (١٩٨/٤) .

(٢) الحديث ليس في الكتاب ، وقد استدركه محققاه من الإتيان ، ينظر ص ٧٥٢ . وجمع السلفي في الطيوريات مرويات شيخه ابن الطيوري المتوفى سنة (٥٠٠ هـ) .

والحديث في : مسند أبي يعلى (٤٣٦/١١) ، رقم (٦٥٦٠) ، والإتيان (١٩٩/٤) .
والسلفي هو : أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد ، حافظ ، رحل في طلب الحديث ، وكتب تعاليق وأمالاً كثيرة ، توفي سنة (٥٧٦ هـ) . ينظر : وفيات الأعيان (٣١/١) ، والأعلام (٢١٦/١) .
(٣) هو : أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي . توفي سنة (٧٣ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب ص ٣١٥ (ت ٣٤٩٠) ، والأعلام (١٠٨/٤) .

(٤) الإتيان (١٩٨/٤) .

(٥) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، من فقهاء الأمة ، توفي بالطائف سنة (٦٨ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب ص ٣٠٩ (ت ٣٤٠٩) ، والأعلام (٩٥/٤) .

(٦) لم نجده في : حلية الأولياء . وهو في : سنن الدارقطني (١٤٤/٤-١٤٥) . وتفسير الطبرسي (٢٧/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٣/١) ، والبرهان (١٦٣/٢) ، والإتيان (١٩٨/٤) ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٢٧ ٣) . رقم (١٠٣٦) . وأبو نعيم هو : أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصمعي . محدث . مؤرخ . صوفي ، توفي بأصفيان سنة (٤٣٥ هـ) . ينظر : صقات الشافعية (١١-٢٣) . والأعلام (١٥٧ ١) .

ومنه حديث عبد الله ^(١) : « ما من شيء من كتاب الله إلا وقد جاء على أذلاله » ،
أي : على وجهه وطريقه ، وهو جمع ذل بالكسر ، يقال : ركبت أذل الطريق ، وهو ما
جهد منه : فقوله ^(٢) : ذلول ، له وجهان :

أحدهما : ممكن القراءة ، ينطلق به جميع الألسنة .

والثاني : أنه واضح المعاني حتى لا يقصّر عن أفهام المجتهدين فيه .

وقوله ^(٣) : ذو وجوه ، له وجهان :

أحدهما : أن نظم كلامه يحتمل من التأويل وجوهاً متناسبة لإعجازه .

ومنه حديث أبي الدرداء ^(٤) : « لا تفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً » أي : ترى
له معاني يحتملها فتهاج ^(٥) الإقدام عليه .

ومنه حديث علي ^(٦) : « لا تُناظرهم بالقرآن فإنه حمال ذو وجوه » ، أي : يُحمَل
عليه كل تأويل فيحمله ، وذو وجوه ، أي ذو معانٍ مختلفة .

و الثاني : أنه يجمع وجوهاً من الأمر والنهي والوعد والوعيد والتحريم والتحليل .

وقوله ^(٧) : فاحملوه على أحسن وجوهه ، له وجهان ؛ أحدهما : احمّلوا تأويله على
أحسن معانيه . والثاني : أي : اعملوا بأحسن ما فيه من العزائم دون الرخص ،

(١) ... بن مسعود ، والحديث في الفائق (١٤/٢) ، والنهاية (١٦٦/٢) .

(٢) القول مستفاد من البرهان (١٦٣/٢) ، والإتقان (٢١١/٤) .

(٣) شرح السنة ، البغوي (١/٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٩٢) ، برواية : « لا تفقه كل الفقه » ، وهي الرواية
التي سترد في سياق البحث . وأبو الدرداء هو : عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري ، وقيل : عامر بن
مالك ، صحابي جليل ، من الحكماء القضاة ، مات بالشام في آخر خلافة عثمان بن عفان ^(٤) ،
وقيل عاش بعد ذلك . ينظر : تقريب التهذيب ص ٤٣٤ (ت ٥٢٢٨) ، والأعلام (٩٨/٥) .

(٤) « فتأهب » في « س ، ق » . والصواب من شرح السنة .

(٥) النهاية (١/٤٤٤) . وفي « س ، ق » : « جمال » ، تصحيف .

(٦) تفسير الماوردي (١/٣٥-٣٦) ، والبرهان (١٦٣/٢) ، والإتقان (٢١١/٤) . وفيها : « دون
الانتقام » في موضع : « دون الانتصاف » .

والعفو دون الانتصاف ، وهذا كله دليل جواز الاستنباط .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : « التفسيرُ على أربعة أوجه ؛ وجه تعرفه العرب بكلامها ، ووجه لا يُعذر أحدٌ بجهالته ، ووجه يعلمه العلماء ، ووجه لا يعلمه إلا الله تعالى » .

قالوا : فالأول : هو حقائق اللغة وموضوعُ الكلام . والثاني : هو التوحيد وأصول الشرائع . والثالث : فروع الأحكام وتأويلِ المحتملات . والرابع : الغيوبُ من وقت قيام الساعة ووقت ظهور آياتها .

وما لا يُعذرُ أحدٌ بجهله ، فهو فرضُ عين ، وما يختص به العلماء ، فهو فرضُ كفاية .

فإن قلت : قد منع بعضهم جوازَ تأويل القرآن بشيء إلا أن يردَّ به نقلٌ صحيحٌ .

قلت : الذي يحتاجُ إلى نقل صحيح ، ولا يدخلُ فيه الرأي هو التفسير - كما تقدم - لا التأويل . ويؤيده أن جماعة من السلفِ الصالحِ والصحابَةِ رضي الله عنهم اختلفوا في تأويل آيات ، ولو كان عندهم فيه نصٌّ عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا فيه ، ولو كان حراماً لما تكلموا به ، ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه فقال رضي الله عنه : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ، فكان أكثر ما نُقل عنه التفسير .

وأما استدلالُ البعض بما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ قال

(١) البرهان (١٦٤/٢) ، والإتقان (٢١٦/٤) . وينظر : تفسير الطبري (٥٧/١) ، وتفسير الماوردي (٣٦/١) .

(٢) صحيح البخاري (٧٤٠١) ، رقم (١٤٣) ، وروايته : « السهم فقهه في الدين » ، والبرهان (١٦٢/٢) . والإتقان (٢٠٩/٤) .

في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » ، رواد أبو داود ^(١) والترمذي ^(٢) ، وحسنه وله طرق متعددة ^(٣) . وبحديث جندب ^(٤) عن النبي ﷺ : « مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ » ، أخرجه أبو داود ^(٥) والترمذي ^(٦) ، والنسائي ^(٧) ، زاد رزين ^(٨) زيادةً - ولم توجد هذه الزيادة في الأصول - : « وَمَنْ قَالَ بِرَأْيِهِ فَأَخْطَأَ فَقَدْ كَفَرَ » .

وبقول الصديق ^(٩) عليه السلام ١٤٩/أ/ لما سُئِلَ عن قوله تعالى : ﴿ وَفِيكَهَّ وَأَبَا ﴾ ^(١٠) ، فقال : « مَا أَدْرِي مَا الْأَبُّ ؟ فَقِيلَ لَهُ : قُلْ مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ : أَيُّ سَمَاءٍ تُظَلِّلُنِي ، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّلُنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا عِلْمَ لِي بِهِ ؟ ! » ، وفي روايةٍ قال : « إِذَا قُلْتُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا » ، فمحمولٌ على ما

-
- (١) تفسير ابن كثير (٦/١) . وأبو داود هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ، توفي سنة (٢٧٥ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب ص ٢٥٠ (ت ٢٥٣٣) ، والأعلام (١٢٢/٣) .
- (٢) سنن الترمذي (١٨٣/٥) ، رقم (٢٩٥٠ ، ٢٩٥١) . وينظر : مشكاة المصابيح (٧٩/١) ، رقم (٢٣٤) ، والبرهان (١٦١/٢) . والترمذي هو : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، من أئمة علماء الحديث ، توفي سنة (٢٧٩ هـ) . ينظر : تقريب التهذيب ص ٥٠٠ (ت ٦٢٠٦) ، والأعلام (٣٢٢/٦) .
- (٣) نص الحديث وما يتبعه مكرر في « ق » .
- (٤) .. بن عبد الله بن سفيان البجلي ، أبو عبد الله ، صاحب النبي ﷺ ونزل بالكوفة والبصرة ، ومات بعد الستين . وينظر : تقريب التهذيب ص ١٤٢ (ت ٩٧٥) .
- (٥) سنن أبي داود (٤٣١/٣) ، رقم (٣٦٥٢) ، ومشكاة المصابيح (٧٩/١) ، رقم (٢٣٥) ، وتفسير الخازن (٦/١) .
- (٦) سنن الترمذي (١٨٤/٥) ، رقم (٢٩٥٢) ، وتفسير الخازن (٦/١) .
- (٧) فضائل القرآن ، النسائي ص ١٣٥ ، والبرهان (١٦١/٢) ، والإتقان (٢١٠/٤) .
- (٨) هو : أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدي السرقسطي ، إمام الحرمين ، من تصانيفه : « التجريد للصحاح الستة » ، توفي بمكة سنة (٥٣٥ هـ) . ينظر : شذرات الذهب (١٠٦/٤) ، والأعلام (٢٠/٣) . والنص في الجامع لأحكام القرآن (٣٢/١) . وينظر : البرهان (١٦٤/٢) .
- (٩) فضائل القرآن ، أبو عبيد ص ٣٧٥ ، وتفسير الطبري (٥٨/١) ، وشعب الإيمان (٤٢٨/٢) ، رقم (٢٢٩٦) ، والبرهان (٢٩٥/١) .
- (١٠) سورة عبس : ٣١ .

يتراءى له بخاطره ، ولم يعمل على شواهد ألفاظه بدلائله ، فإن أصاب الحق فقد أخطأ الدليل .

وقيل : الرأي نوعان :

رأي من هاجس نفس ، وهو الظن والحسبان ، وذلك هو المزجور عنه ، المحجور في القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

ورأي^(٣) ينشأ من عقل كامل وعلم ماهر وتأيد من الله ظاهر ، وهو الاستنباط المعهود والرأي المحمود مبنياً على تلك الأصول المحررة والقوانين المقررة ، يجب أن لا يُمنع ، وإلا لبطلت العلوم إذ لا كتاب إلا وهو مملوء بما لا نقل فيه من الصحابة مما استنبط العلماء بحسب القواعد العربية .

قال الطيبي^(٤) : كيف يُمنع الاستنباط والأئمة الأربعة والعلماء الراسخون قد استنبطوا من القرآن علوماً جمّة ، كالفقه والأصول والنحو والمعاني والأخلاق وغير ذلك ، وليس كل ما قالوه سمعوه ، ورُدُّ هذا ينتهي إلى سدّ باب عظيم في الدين .

قال أبو الدرداء^(٥) : « لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة » ، أخرجه في : « شرح السنة » .

وسئل أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه : « هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في

(١) سورة الإسراء : ٣٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٦٩ .

(٣) النص من هنا إلى نهاية الفقرة في حاشية القطب الشيرازي على الكشاف ، الورقة (٤٤) .

(٤) هو : الحسين بن محمد بن عبد الله ، شرف الدين ، إمام مشهور في المعقول والعربية والمعاني والبيان ، صاحب : « التبيان في المعاني والبيان » و « شرح الكشاف » ، توفي سنة (٧٤٣ هـ) .

ينظر : طبقات مفسرين (١ : ١٤٦) . والأعلام (٦ : ١٣٧-١٣٨) .

(٥) تقدم تخرجه .

القرآن ، قال : لا ، والذي خَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِلَّا فَهْمُ يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ ، أخرجه الشيخان ^(١) وغيرهما .

وقال حُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ » ^(٢) : « يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اعْتِمَادُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعُلُومِ عَلَى بَصِيرَتِهِمْ بِصَفَاءِ قُلُوبِهِمْ لَا عَلَى الصَّحَفِ وَالْكِتَابِ ، وَلَا عَلَى تَقْلِيدِ مَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَإِنَّهُ إِذَا اكْتَفَى بِحِفْظِ مَا يُقَالُ كَانَ وَعَاءً لِلْعِلْمِ لَا عَالِمًا » ، انتهى .

قال أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ^(٣) : « مَا اسْتَبَانَ لَكَ - أَي : عَلَى الرَّأْيِ الصَّادِقِ وَالْفِكْرِ الْحَادِقِ - فَاعْمَلْ فِيهِ وَانْتَفِعْ بِهِ ، وَمَا شَبَّهَ عَلَيْكَ فَأَمِنْ بِهِ ، وَكَلِّهُ إِلَى عَالِمِهِ » .

قال الْقُطُبُ الشِّيرَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي « حَاشِيَةِ الْكَشَافِ » ^(٤) : « عِلْمُ التَّفْسِيرِ مَا يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قُرْآنِهِ الْحَمِيدِ ، وَهُوَ مَنْحَصَرٌ فِي قَسْمَيْنِ ؛ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ . لِأَنَّ بَيَانَ مَعَانِي الْقُرْآنِ إِمَّا بِالنَّقْلِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَوْ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَهُوَ التَّفْسِيرُ ، وَإِمَّا بِحَسَبِ قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ التَّأْوِيلُ .

وبالجملة التفسيرُ ما يتعلق بالرواية ، والتأويلُ ما يتعلق بالدراية ^(٥) ، وعلى هذا

(١) الحديث في صحيح البخاري (٩٣٧/٢) ، رقم (٣٠٤٧) ، (٤/١٥٤ ، ٢١٥٦) ، رقم (٦٩٠٣ ، ٦٩١٥) ، ولم نجده في صحيح مسلم . وينظر : سنن الترمذي (٤/٢٤-٢٥) ، رقم (١٤١٢) ، وتفسير ابن كثير (٢/٧٨) .

(٢) (١٤١/١-١٤٢) . وهو : أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ، فيلسوف متصوف ، توفي سنة (٥٠٥ هـ) . ينظر : شذرات الذهب (٤/١٠-١٣) ، والأعلام (٧/٢٢-٢٣) .

(٣) ... بن قيس الأنصاري ، أبو المنذر ، قارئ ، من فضلاء الصحابة ، توفي سنة (١٩ هـ) ، وقيل : (٣٢ هـ) ، وغير ذلك . ينظر : تقريب التهذيب ص ٩٦ (ت ٢٨٣٩) .

(٤) الورقة (٤٤) . وهو : محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي ، قاض ، عالم بالعقليات ، مفسر ، له : « فتح المنان في تفسير القرآن » ، توفي سنة (٧١٠ هـ) . ينظر : الفلاكة والمفلوكون ص ٧٣ ، والأعلام (٧/١٨٧) .

(٥) قاله البجلي ، كما في البرهان (٢/١٥٠) . وهو في الإتيان (٤/١٩٣) بلا عزو .

أمكن أن يُوجَّه قوله عليه السلام : « مَنْ فسرَ القرآنَ برأيه فقد كفرَ » بوجهين :

أحدهما : أن المراد من التفسير لمَّا كان هو النقل ، فمعنى « فسرَ » لا يكون إلا « نَقَلَ » ، فمعنى الحديث أن مَنْ نقل معنى القرآن عن النبي صلى الله عليه وآله أو الصحابة رضي الله عنهم هو رجم ظنٍّ ، فقد كفر ؛ لأنه افترى على النبي صلى الله عليه وآله .

والثاني : أنه يستخرج معاني القرآن لا بحسب القواعد بل بمجرد رأيه « ، انتهى .

وقد جعل بعضهم أقسامَ التأويل بالرأي الفاسد خمسة :

- أحدها : التأويل ١٤٩/ب/ من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير ، وهي خمسة عشر ^(١) : اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبدیع والقراءات وأصول الدين وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المحمل والمنهم وعلم الموهبة ، وهو علم يُورثه الله تعالى لمن عمل بما ^(٢) علم ، وإليه الإشارة بحديث ^(٣) : « مَنْ عملَ بما علمَ ورثه الله ، علمَ ما لم يعلمَ » . فإن قيل : هذا علم ليس في قدرة الإنسان تحصيله ، فيقال : يمكنُ تحصيله باتِّباع الأسباب الموجبة له من العمل والزهد .

قال في « البرهان » ^(٤) : « واعلم أنه لا يحصل للناظر فهمُ معاني الوحي ، ولا يظهر له أسرارُه ، وفي قلبه بدعة أو هوى أو حبُّ الدنيا ، أو وهو مصر على ذنب ، أو غيرُ متحقق بالإيمان ، أو ضعيفُ التحقق ، أو معتمدٌ على قولٍ مفسرٍ ليس عنده علم ، أو راجعٌ إلى معقوله . وهذه الأشياء كلها حُجُبٌ وموانعٌ ، بعضها أكْدُ من بعض » ، انتهى .

نسأله سبحانه أن يمدَّنَا بمدد أهل القرآن والتحقيق ، ويُفهِمنا كلامهم على الوجه المرضي ، إنه بالفضل حقيقٌ ، آمين .

(١) ينظر : البرهان (٤/٢١٣-٢١٥) .

(٢) « ممن » في « س ، ق » . والتصويب من البرهان (٤/٢١٥) .

(٣) حلية الأولياء (١٥/١٠) . وإحياء علوم الدين (١٣٠/١) . وتفسير ابن كثير (١/٥٢٩) .

(٤) (١٨٠/٢) ، ونقله السيوطي في الإقتان (٤/٢١٦) .

- الثاني : تأويل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، قال الشافعي^(١) في « مختصر البويطي » : « لا يحلُّ تفسير المتشابه إلا بسند عن رسول الله ﷺ ، أو خبر عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، أو إجماع العلماء ، رحمهم الله تعالى . »

قال الإمام أبو الليث^(٢) رحمه الله تعالى : النهي إنما انصرف إلى المتشابه منه ، لا إلى جميعه ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾^(٣) ، لأن القرآن إنما نزل حُجَّةً على الخلق ، فلو لم يجز التأويل^(٤) لم تكن الحُجَّة بالغة ، انتهى .

- الثالث : التأويل المقرّر للمذهب الفاسد بأن يُجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً له ، فيردّ إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفاً .

- الرابع : التأويل أن مراد الله كذا على القطع من غير دليل .

- الخامس : التأويل بالاستخفاف والهوى ، انتهى^(٥) .

وهو كما تستعمله الباطنية والخوارج وغيرهما من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ، ليغروا الناس وليصحّحوا بدعتهم ونفوذها ، ويلبسوا على أخصامهم ، وهم^(٦) يعلمون أن المراد من الآية خلاف ما أرادوا - فَبَحُّهم الله - . فالتأويل الحرام هو ما كان كذلك ، وأما ما كان موافقاً لما عليه الأمة فلا بأس به .

(١) هو : محمد بن إدريس ، إمام المذهب الشافعي ، توفي سنة (٢٠٤ هـ) . ينظر : طبقات الشافعية (٢٧٥/١) ، والأعلام (٢٦/٦) . ومختصر البويطي : لا يزال مخطوطاً ، وهو مما اقتبسه يوسف بن يحيى البويطي ، المتوفى سنة (٢٣١ هـ) من فقه الشافعي ، وكان قد صحبه ، وقام مقامه وتولى الإفتاء بعده . ينظر : طبقات الشافعية (٢٧٥/١-٢٧٩) ، ومعجم المؤلفين (٣٤٩/١٣) .

(٢) السمرقندي ، والنص في البرهان (١٦٢/٢) ، والإتقان (٢١١/٤) .

(٣) سورة آل عمران : ٧ .

(٤) « التفسير » في البرهان والإتقان .

(٥) بداية النص : « جعل بعضهم أقسام التأويل بالرأي الفاسد خمسة » . ويلاحظ أن العمادي أقحم نصين في نقله .

(٦) « وهم » مكررة في « ق » . والنص في تفسير الخازن (٦/١) .

قال المولى خُسْرُو رحمه الله تعالى : « قال عَلَمُ الهدى - يعني بذلك : الشيخ أبا منصور المأثريدي ^(١) - : أنكر بعض السلف صحة ذلك الخبر - يعني : حديث عدم العمل بالرأي - لَمَّا وجدوه خارجاً عما عليه عمل الأمة ، وخاصة في الآيات التي تَضَمَّنَت الأحكام التي بالناس إلى معرفة ما فيها حاجة / ١٥٠ / ، مما استنبط منها الفقهاء معاني فرَعَوْا عليها الفروع ، وفي ذلك تفسير بالرأي .

وَمَنْ أَقَرَّ به ، فإنهم تفرقوا في ذلك :

فقال قوم : التفسير بالرأي وهو أن يحمل المراد على ما يراه بعقله بالتأمل فيه دون أن يتفحص عن ذلك بالعرض على ما ظهر تأويله بالمرفوع إلى النبي ﷺ وبالمتواتر من الأحكام التي كادت تظهر ظهور ما يُوصَفُ رادُّها بالمكابرة . وأما من أعرض عن ذلك فهو غير مفسِّرٍ بالرأي ، ولكنه مفسِّرٌ بالدليل الذي أذن له الحكم بمثله في عامه أمور الدين ، وذلك تفسير بالعلم .

وقال قومٌ : من ذمَّ به فرقتان :

فرقة من المجتهدين شهدوا على الله بما يرون أنه كذلك ، ثم ربما يبدو لهم في ذلك ، فيشهدون به على الله تعالى ، يعني المتصوِّبة ^(٢) من المعتزلة . فأما من يعمل على ما يتقرَّر عنده من غير الشهادة به على الله تعالى ، ولكن يعمل على ما بلغه جهده ، وأدرك منتهى طَوْقه على ما جاء من القول بأنه إن كان خطأ فمني ، وإن كان صواباً فمن الله ، فلا بأس به إذ قد جاءت به الآثار وعملت به الأمة .

وفرقة جعلوا الرأي عياراً لما جاء به القرآن ، يَبْنِي عليه أمره ، لا أن يَتَّهَم رأيه لدى القرآن ، ويتبعه المفهوم منه المتوارث فيه كصنيع كثير من المتكلمة .

(١) هو : محمد بن محمد بن محمود ، المنسوب إلى مأثريد ، محلة من محلات سمرقند ، واسع المعرفة الشرعية والعقلية ، وعلى جانب كبير من الأخلاق الحميدة ، لقب بإمام الهدى ، وإمام المتكلمين ، ورئيس أهل السنة ، مات بسمرقند سنة (٣٣٣ هـ) . ينظر : تاج التراجم فيمن صنف من الحنفية ص ٢٠١-٢٠٢ ، وهدية العارفين (٣٦/٢) . ولم نخذ النص في القسم نطووع من كتابه : « تأويلات أهل السنة » .

(٢) كذا .

وأما من اتبع رأيه دلالات القرآن ، وعرف بذلك ما لم يجيء فيه البيان ، فترجو أن يكون غير داخل في ذلك الخير .

وقال قوم : ذلك في التشابه الذي ليس بالناس إلى معرفة ما فيه حاجة ، فيكون تفسيره خارجاً مخرج الغلو فيه . وأما فيما لا بد للناس من معرفة ذلك والعمل به ، فيجب النظر فيه بما تبلغ به العقل ، وبالعرض على ما فيه الإيضاح ، انتهى .

ونرجو منه تعالى التيسير والفلاح والسلوك على جادة الحق والصواب ، ومضاعفة الأجر وإجزال الثواب بمنه وكرمه ، آمين .

ورأيت^(١) في بعض المجاميع نقلاً عن تفسير الهندي^(٢) - رحمه الله تعالى - ما صورته : قال عليه الصلاة والسلام^(٣) : « مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . قال الإمام حجة الإسلام في « الإحياء »^(٤) : « تحريم التكلم بغير المسموع باطل »^(٥) ، إذ لا يُصادفُ السَّماعُ من رسول الله ﷺ ، [إلا]^(٦) في بعض الآيات ، والصحابة ومن بعدهم اختلفوا اختلافاً لا يمكن فيه الجمع ، ويمتنع سماع الجميع من رسول الله ﷺ .

والأخبار والآثار^(٧) تدلّ على اتساع معانيه ، / ١٥٠ ب / قال عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنهما^(٨) : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ » . ولو كان مسموعاً فلا وجه

(١) النص من « رأيت » إلى « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين » منسوخ بخط مخالف لخط الرسالة في نسخة « س » ، وهو مما استدرك مصححها قسماً منه على حاشية الورقة (١٥٠ أ) ، والقسم الآخر على الورقة (١٥٠ ب) ، وأشار إلى ذلك بكلمة « صح » .

(٢) المعروف بـ « تبصير الرحمن وتيسير المنان » (١/٥-٦) . وهو : العلامة علي بن أحمد بن إبراهيم الهائمي الهندي المعروف بالمخدوم ، باحث ومفسر ، مولده ووفاته في مهائم بالهند سنة (٨٣٥ هـ) . ينظر : الأعلام (٤/٢٥٧) ، والإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٣/٨٠-٨١) .

(٣) الحديث بهذه الرواية في الإحياء (١/٧٦ ، ٤٩١) . وتقدمت روايات أخرى له في هذا البحث .

(٤) (١/٤٩١-٤٩٤) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن (١/٣٣-٣٤) .

(٥) « بهما » في « س ، ق » تحريف ، والتصويب من تفسير الهندي .

(٦) الزيادة من تفسير الهندي .

(٧) « الآيات » في « س ، ق » . والتصويب من تفسير الهندي .

(٨) تقدم .

للتخصيص ، وقال عَمَّكَ : ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(١١) ، وقال أبو الدرداء ^(١٢) : « لا يفقه الرجل حتى يجعل القرآن وجوهاً » ، وقال [علي] ^(١٣) : « لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً ^(١٤) من تفسير فاتحة الكتاب » ، وقال ابن مسعود ^(١٥) : « من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن » ، وقال بعض العلماء ^(١٦) : « لكل آية ستون ألف فهم ، وما بقي من فهمها أكثر » .

وفي القرآن إشارة إلى مجامع العلوم ، وكل ما أشكل ففي القرآن رموزٌ إليه . فالنهي إمّا عن التأويل على وفق ما له من الرأي [الذي] ^(١٧) لولاه لم يلح له ، كمن يلبس على خصمه بالتمسك بآية على تصحيح مدّعا ^(١٨) مع علمه بأنه ليس بمراد ، وقد يكون له غرض صحيح يتمسك عليه بآية يعلم بأنه ليس المراد منها كمن يدعو إلى مجاهدة النفس ، فيتمسك بقوله تعالى : ﴿ آذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ ^(١٩) ويشير إلى نفسه . وقد تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما فيه غرضه ، وأما عن ^(٢٠) التسارع إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، فإنه كالبلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب .

قال شارح « التأويلات » ^(٢١) : « اجتمعوا على استخراج معانيه بالرأي ، واختلفوا في التوفيق بينه وبين الحديث .

(١) سورة النساء : ٨٣ .

(٢) الحديث بهذه الرواية في الإحياء (٤٩٢/١) . وقد تقدمت له روايتان أخريان في المتن والهامش من هذا البحث .

(٣) الزيادة من الإحياء وتفسير الهندي .

(٤) « تفسيراً » في « س ، ق » تحريف ، والتصويب من الإحياء وتفسير الهندي .

(٥) فضائل القرآن ، أبو عبيد ص ٩٦ ، والنهاية (٢٢٩/١) ، والبرهان (٨/١) ، (٤٥٤) ، (١٥٤/٢) . وتؤيّر القرآن التنقيح عنه والتفكير فيه وتفسيره وقراءته .

(٦) البرهان (١٥٤/٢) .

(٧) الزيادة من تفسير الهندي .

(٨) « بدعته » في تفسير الهندي .

(٩) سورة طه : ٢٤ .

(١٠) « في » في « س ، ق » . وما أثبتته من تفسير هندي .

(١١) التأويلات لأبي منصور الماتريدي .

ف قيل : التفسير بيان سبب النزول ، والتأويل ما يحتمله اللفظ ، وقد جعل الله القرآن أصلاً لجميع ما يُحتاج [إليه] ^(١) ، وليس كله منصوفاً ، فلا بد من الاستخراج بالرأي بالعرض على الأصول .

وقيل : التفسير بيان حقيقة اللفظ إذا عُلِمَتْ ، والتأويل صرف المتحمل إلى بعض وجوهه لموافقة الأصول ، فلو قُطِعَ منه كان تفسيراً بالرأي .

وقال الشيخ أبو منصور ^(٢) : « التفسير هو القطع ، فإن كان دليل قطع صح ، وإلا حرم لما فيه من ^(٣) الشهادة على الله بما لا ^(٤) يؤمن فيه الكذب ، والتأويل بيان غاية الاحتمال بغالب الرأي بلا قطع .

وقيل باتحاد ^(٥) التفسير [والتأويل] ^(٦) فالذي بالرأي هو الصادر عن العقل دون العرض على الأصول من آية محكمة أو خير متواتر أو إجماع ، فالسلف إنما فسروا القرآن بدليل أذنوا ^(٧) بالعمل بمثله بأبلغ الاجتهاد .

والعرض على الأصول نوعان :

- مذموم يشهد على الله بكونه حقاً .

- ومحمود يُعتقد ^(٨) فيه حقيقته ^(٩) بغالب الرأي مع إضمار الخطأ .

وقيل : المذموم جعل الرأي عياراً لما جاء به القرآن ، فيفسر على وفقه تقريراً له ، وترك ظاهر القرآن . والمحمود جعل الرأي تابعا لدلالة القرآن .

(١) الزيادة من تفسير الهندي .

(٢) الماتريدي . ينظر : الإتيان (١٩٢/٤) .

(٣) « على » في « س ، ق » . والتصويب من تفسير الهندي .

(٤) الزيادة من تفسير الهندي .

(٥) « بإيجاد » في « س ، ق » . والتصويب من تفسير الهندي .

(٦) الزيادة من تفسير الهندي .

(٧) « أذنوي » في « س ، ق » . وما أثبتناه من تفسير الهندي .

(٨) « يعقد » في « س ، ق » . والتصويب من تفسير الهندي .

(٩) « حقيقة » في « س ، ق » . والتصويب من تفسير الهندي .

وقيل : المنهَى تفسيرُ المتشابهِ فيما لا يُحتاجُ إليه ، وأمّا المحتاجُ إليه ، فتفسيره بالرأي مأمورٌ . هذا حاصل كلامه .

وأقول لك : أن تحمل النهيَ على جميع [الوجوه] ^(١) المذمومة سوى تفسير المتشابه بما يوافق المحكم له فوائد لا تحصى ، والممنوعُ حملة على ظاهره أو على ما يهواه .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال المؤلف - حفظه الله تعالى - : حُرِّرَ ذلك في شعبان سنة ست وثلاثين ومئة وألف .

وهذا آخرُ ما وُجِدَ من الرسالة المسماة بالتفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل . لمؤلفها مالك هذا المجموع وما فيه من المجموع المولى حامد أفندي العماديّ شيخ الإسلام بدمشق الشام ، دامت فضائله على الدوام على يد الفقير أحمد بن محمد بن عبد الله الحمويّ .

تمّ النسخ بدمشق يوم الخميس لخمس بقين من ذي الحجة الحرام ختام سنة ألف ومئة وثمان ^(٢) وأربعين ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعده وآله وصحبه أجمعين .

(١) الزيادة من تفسير اهندي .

(٢) « وثمانية » في الأصل ، خطأ نحويّ ، والصواب ما أثبتناه .

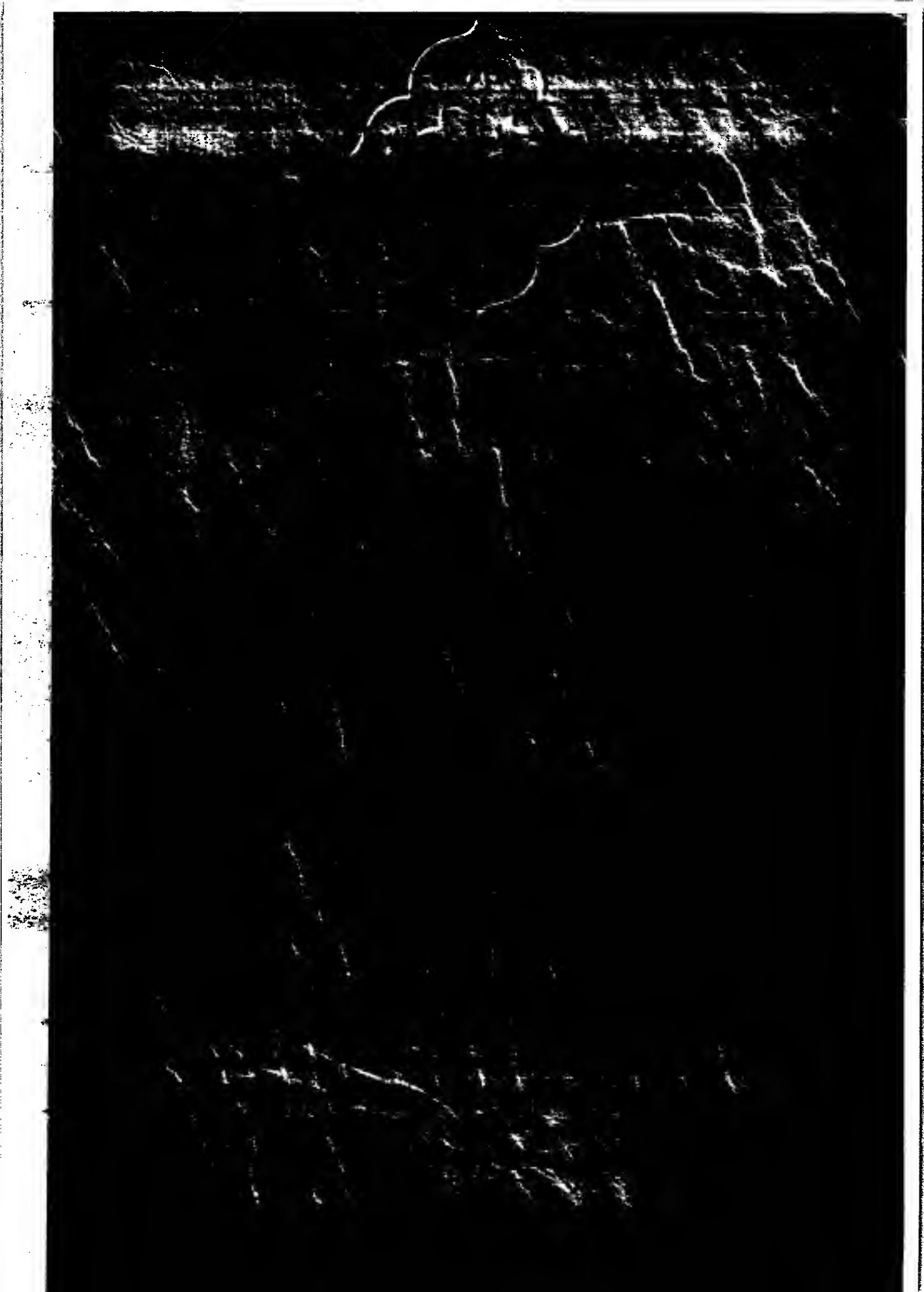
فهرس المصادر والمراجع

- ١- الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات عزيزي .
- ٢- إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي . دار الوعي - حلب ، ط ١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) .
- ٣- الأشباه والنظائر : ابن نجيم . تح : محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر - دمشق ، تصوير سنة (١٩٨٦م) عن ط ١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- ٤- الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٥- الأعلام : الزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .
- ٦- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، مكتبة دار عرفات - الهند ، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .
- ٧- إنباه الرواة على أنباه النحاة : القفطي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي - القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، ط ١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .
- ٨- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : إسماعيل باشا البغدادي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .
- ٩- إيضاح الوقف والابتداء : أبو بكر الأنباري . تح : محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق ، (١٣٩٠هـ-١٩٧١م) .
- ١٠- البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - صيدا ، ط ٢ (١٣٩١هـ-١٩٧٢م) .
- ١١- بغية الوعاة : السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر ط ١ (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) .
- ١٢- تاج التراجم فيمن صنف من الخنفة : قاسم بن قطلوبغا ، تح : إبراهيم صالح ، دار المأمون للتراث - دمشق ، بيروت ، ط ١ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .
- ١٣- تاج العروس من جواهر القاموس : مرتضى الزبيدي ، تح : علي شيري ، دار الفكر - بيروت ، ط ١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .
- ١٤- تاريخ الأدب العربي : بروكلمان . العصر العثماني ، القسم الثامن ، ترجمة : د. عمر صابر عبد الجليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .
- ١٥- تأويلات أهل السنة : أبو منصور الماتريدي السمرقندي ، تح : محمد مستفيض الرحمن ، مطبعة الإرشاد - بغداد ، (١٤٠٤هـ-١٩٨٣م) .
- ١٦- تفسير الثعلبي ، الكشف والبيان في تفسير القرآن : أبو إسحاق الثعلبي ، تح : أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) .

- ١٧- تفسير الخازن « لباب التأويل في معاني التنزيل » : علي بن محمد الخازن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ط ٢ (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م) .
- ١٨- تفسير السمرقندي « بحر العلوم » : أبو الليث السمرقندي ، تح : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود و د. زكريا النوتي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .
- ١٩- تفسير الطبرسي « مجمع البيان في تفسير القرآن » : الطبرسي ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .
- ٢٠- تفسير الطبري « جامع البيان في تأويل القرآن » : أبو جعفر الطبري ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ٣ (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) .
- ٢١- التفسير الكبير « البحر المحيط » : أبو حيان الأندلسي ، مكتبة النصر الحديثة - الرياض .
- ٢٢- تفسير ابن كثير ، دار الفكر - بيروت (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .
- ٢٣- تفسير الهندي « تبصير الرحمن وتيسير المنان » : علي بن أحمد المهندي ، عالم الكتب - بيروت ، ط ٢ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- ٢٤- تهذيب اللغة : الأزهر ، تح : عبد السلام محمد هارون والنجار ، المؤسسة المصرية العامة - القاهرة .
- ٢٥- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، تح : أحمد عبد العليم البردوني ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- ٢٦- الجامع الصحيح « سنن الترمذي » : الترمذي ، تح : كمال يوسف الحوت ، دار الفكر .
- ٢٧- حاشية القطب الشيرازي على الكشف : القطب الشيرازي ، نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة الأحمدية في حلب ، برقم (٩١٩) في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - بدبي .
- ٢٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم الأصفهاني ، دار الفكر - بيروت .
- ٢٩- خطبة الرسول في حجة الوداع : د. هاشم صالح متاع ، دار الفكر العربي - لبنان ، ط ٢ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .
- ٣٠- زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي - بيروت ، دمشق ، ط ٣ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
- ٣١- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر : المرادي ، دار البشائر الإسلامية ، دار ابن حزم .
- ٣٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف - الرياض ، ط ١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) .
- ٣٣- سنن أبي داود : أبو داود ، تح : الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة - بيروت ، ط ١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .
- ٣٤- سنن الدارقطني : علي بن عمر ، عالم الكتب - بيروت ، ط ٤ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .
- ٣٥- سنن ابن ماجه : ابن ماجه ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية - بيروت .
- ٣٦- سير أعلام النبلاء : شمس الدين ذهبی ، تح : شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرفوسسي وآخرين ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

- ٣٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن النعمان الحنبلي . دار المسيرة - بيروت ، ط ٢ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .
- ٣٨- شرح السنة : البغوي ، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ، انكتب الإسلامي - بيروت ، دمشق ، ط ٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
- ٣٩- شعب الإيمان : البيهقي ، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .
- ٤٠- صحيح البخاري ، تح: الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري ، المكتبة العصرية - صيدا ، ط ٢ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) .
- ٤١- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٤٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : السخاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .
- ٤٣- صلاح العالم بإفتاء العالم : حامد العمادي ، تح: علي حسن علي عبد الحميد ، دار عمار - عمان ، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .
- ٤٤- طبقات الشافعية الكبرى : السبكي ، تح: الخلو والطناحي ، مطبعة البابي الحلبي - مصر ، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) .
- ٤٥- طبقات المفسرين : الداودي ، تعليق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط ١ (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) .
- ٤٦- الطُوريات : انتخاب السلفي ، تح: مأمون الصاعرجي ومحمد أديب الجادر ، دار البشائر - دمشق ، ط ١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) .
- ٤٧- عرف الشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام : المرادي ، تح: محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، مطبعة زيد بن ثابت - دمشق ، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .
- ٤٨- عقود الجمان شرح أرجوزة علم المعاني والبيان : السيوطي ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، (١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م) .
- ٤٩- الفائق في غريب الحديث : الرمخشري ، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي ، ط ٢ .
- ٥٠- فضائل القرآن : أبو عبيد الهروي ، تح: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين ، دار ابن كثير - دمشق ، ط ١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) .
- ٥١- فضائل القرآن : النَّسائي ، تح: د. فاروق حمادة ، دار إحياء العلوم - بيروت ، دار الثقافة - الدار البيضاء ، ط ٢ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .
- ٥٢- فضائل القرآن وتلاوته : أبو الفضل الرازي ، تح: عامر حسن صيري ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ، ط ١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) .
- ٥٣- الفلاكة والمفلوكون : الدُّنْجِي ، مطبعة الآداب - النجف ، (١٣٨٥هـ - ١٩٨٥م) .

- ٥٤- القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، مؤسسة العربية - بيروت .
- ٥٥- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة : الغزّي ، تح : جبرائيل سليمان جّور ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ط ٢ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .
- ٥٦- لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر - بيروت .
- ٥٧- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث : عبد الفتاح أبو غدة ، دار عالم الكتب - بيروت ، ط ١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
- ٥٨- مجمل اللغة : ابن فارس ، تح : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
- ٥٩- المسند : الإمام أحمد بن حنبل ، تح : عبد الله محمد درويش ، دار الفكر ، ط ١ (١٤١١هـ-١٩٩١م) .
- ٦٠- مسند البزار « البحر الزخار » : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ، تح : د. محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط ١ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م) .
- ٦١- مسند أبي يعلى الموصلي : أحمد بن علي التميمي ، تح : حسين سليم أسد ، دار المأمون - دمشق ، بيروت ، ط ١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
- ٦٢- مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تح : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط ٣ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .
- ٦٣- مطمح الواجد : المرادي ، نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني برقم (٤٠٥٠) ، في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي برقم (٩٧٤١١) مراجع .
- ٦٤- معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٦٥- معجم مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني ، تح : نديم مرعشلي ، دار الكاتب العربي .
- ٦٦- مقدمة جامع التفسير : الراغب الأصفهاني ، تح : أحمد حسن فرحات ، دار الدعوة - الكويت ، ط ١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) .
- ٦٧- مقدمة ابن الصلاح ، تح : د. عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطي » ، دار المعارف - مصر ، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .
- ٦٨- منتخبات التواريخ لدمشق : محمد أديب تقي الدين الحصني ، المطبعة الحديثة - دمشق ، (١٣٤٦هـ-١٩٢٨م) .
- ٦٩- النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير ، تح : محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الراوي ، (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م) .
- ٧٠- هدية العارفين : إسماعيل باشا البغدادي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .
- ٧١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان ، تح : د. إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت ، (١٩٦٨-١٩٧٢م) .



مقدمة

الحمد لله ذي المنن العلية ، المتفضل على الخلائق بالنعم الخفية والجلية ، الذي يسر القرآن العظيم بلسان خير البرية ، صلى الله عليه وسلم صلاة أبدية سرمدية ، تليق بالصفات الإلهية ، وعلى آله وصحبه ذوي المراتب العلية ، والأنوار البهية . أما بعد :

فإن فضل رسول الله ﷺ لا تحيط به الأفهام ، ولا تناله الأوهام ، وهو أعز وأجل من أن تحطه الأقلام ، وما كتبه أهل العلم في شمائله إنما هي شذرات تشير إلى سمو مقامه ، وعلو مرتبته على الخلق ؛ لأنه لا يعرف مقدار سيدنا رسول الله ﷺ إلا الله ﷻ . ورحم الله القائل :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وكلما نظر الدارس في آيات الله ﷻ وجدها تنظم تاج المجد والشرف ، وتعقد الألوية ، لسنائه وفضائله عليه الصلاة والسلام ، ومن بين تلك الألوية الخفاقة في سماء المجد ، ومن بين تيجان الفخار تيسير القرآن العظيم بلسانه الشريف ﷺ ، وهو بحث يخاض فيه لأول مرة على هذا الوجه من الدراسة ، مع العلم أن موضوع تيسير القرآن الكريم بلسان النبي ﷺ أمر اكتنفه الغموض ، ولا سيما إذا عرفنا أن المفسرين قد حملوا التيسير بلسانه ﷺ على اللغة العربية ، وهو قصر للمعنى على أقل ما يحتمله ، وربما كان من أدنى المعاني المحتملة . ومع هذا الغموض يلاحظ عدم عناية الدارسين من قبل بهذا الجانب ، ومن ثم عدم تجلية معنى هذا التيسير بالمعنى الشمولي العام . لذا توجه الباحث لدراسة هذا الموضوع ؛ خدمة للقرآن المجيد ، وخدمة لجنتاب الحبيب المصطفى ﷺ ، راجياً المولى ﷻ إلهام الصواب والرشاد ، وأن أكون بذلك في عداد خدام كتاب الله ﷻ ، وممن خدم جنابه الشريف ﷺ . ورحم الله القائل :

وما التزمت قوافي الشعر أمدحكم إلا لأدعى لكم من جملة الخدم

وهذا هو البحث بين يدي القارئ الكريم فإن أصبت فمن الله ﷻ وله الفضل والمنة ، وإن جانبت الصواب فمن نفسي ومن الشيطان ، وحسبي أني بذلت الجهد وأفرغت الوسع ، والله حسبي وهو نعم الوكيل .

الدراسة التحليلية

المبحث الأول : آيات التيسير المطلق

قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر : ١٧ و ٢١ و ٣٠ و ٤٠] وردت هذه الآية مكررة في سورة واحدة أربع مرات ، وهي سورة مكية حملت كل صفات وخصائص السور المكية وآياتها .

وكانت الخاتمة لأربع قصص من القصص القرآني :

- ١- قصة نوح ﷺ مع قومه .
- ٢- قصة هود ﷺ مع عاد .
- ٣- قصة صالح ﷺ مع ثمود .
- ٤- قصة لوط ﷺ مع قومه .

المطلب الأول : مناسبات هذه الآيات وأجواؤها

الفرع الأول : افتتاحية سورة القمر : افتتحت السورة بالحديث عن اقتراب الساعة وانشقاق القمر ، ثم فصلت أحوال العرب في مواجهة سيدنا رسول الله ﷺ ، فقد جاءهم من الآيات والأخبار ما فيه ازدجار لهم ، ومنع عما هم فيه من القبائح . وهذه الأنباء إنما هي حكمة بالغة واصلة غاية الدقة والإحكام لا خلل فيها ، ولكن دأب هؤلاء القوم أنهم : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ﴾ [القمر : ٢] عن التأمل فيها ليقفوا على وجه دلالتها وعلو طبقتها . ولم يكتفوا بالإعراض فحسب بل راحوا يكيلون التهم الباطلة ﴿ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ٢] أي : إن ما يروونه من الآيات البينات إنما هو سحر مستمر مطرد دائم يأتي به محمد ﷺ على مر الزمان ، وهو ظاهر في ترادف الآيات وتتابع المعجزات .

والنتيجة :

- ١- أنهم كذبوا الرسول وكذبوا المرسل وكذبوا الآيات البينات .
- ٢- لما تنازع الحق والهوى ، تغلبت الأهواء على الحق ، فاتبعوا أهواءهم .

٣- اتبعوا العادات المستقرة في الآباء ، وتركوا الحق الذي جاءهم به الرسول ﷺ .

ثم أمر النبي ﷺ بالإعراض والتولي عنهم ، ليبصر حالهم وقد دعاهم الداعي إلى أمر فظيع منكر ، فهذه أبصارهم خاشعة ، يخرجون من القبور كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الأقطار ، مع افتقاد جهة الأمان ، حيث يموجون فرعين مذهولين لا يهتدون طريقاً إلا طريق جهنم ، زد إلى ذلك السرعة الفائقة في الاستجابة للدعوة ، مادين أعناقهم ، فاتحين آذانهم إلى الصوت ، ناظرين إليه ، كأنها سميت في جهة الصوت .

حينذاك يقول الكافرون : ﴿ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ صعب شديد ، لما يشاهدون من ألوان الهول ، وما يرقبون من سوء المنقلب ^(١) .

الفرع الثاني : قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه : بعد أن عرضت الآيات السابقة مشهد الكفار يوم القيامة ، لفتت الآيات التالية الأنظار إلى النموذج الأول في التكذيب وهم قوم نوح عليه السلام ؛ أي : ليس هؤلاء هم المكذبون فحسب ؛ بل هناك من سبقهم ، وأول السابقين في هذا الميدان هم قوم نوح عليه السلام ، حيث كذبوا نوحاً عليه السلام ، واتهموه بالجنون ، ومنعوه من تبليغ أمر الله ﷻ ، فلما يئس من إيمانهم ، وعلم أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ، ﴿ فَدَعَا زُرَّهٖ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ ﴾ [القمر : ١٠] ؛ فانتقم لي منهم ، وانتصر لنفسك إذ كذبوا رسولك . فاستجاب الله ﷻ له في إهلاك قومه وإنجائه ومن معه ، فأهلك قومه بالطوفان ، حيث فتحت السماء أبوابها بماء منهمر مدة أربعين يوماً وانفجرت الأرض عيوناً ، فاختلط ماء السماء وماء الأرض لقضاء مراد الله ﷻ في إهلاك قوم نوح عليه السلام . ونجَّاه ﷻ بأن حملة هو والذين آمنوا معه في السفينة ، فكانت تطفو على وجه الماء تحت رعاية الله ﷻ وعنايته .

فكانت هذه العقوبة جزاء كفران قوم نوح عليه السلام ، ولقد أبقى الله ﷻ هذه السفينة آية بينة لإنجاء نوح عليه السلام ومن معه وإغراق من كفر به ، بقيت السفينة بخشبها ودسرها ^(٢)

(١) ينظر روح المعاني (٢٧/٧٦-٨١) ، حاشية الشهاب (١١٧/٨-١٢٢) .

(٢) الدسر : المسامير . مفردات ألفاظ القرآن ص ٣١٤ .

كما اكتشفها علماء الآثار ، وبقيت بحيرها أو بقيت بجنسها بإبقاء السفن ، فهل من معتبر بتلك الآية الحرية بالاعتبار ؟

وختمت هذه القصة بقوله ﷺ : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ [القمر : ١٦] وهو استفهام تعظيم وتعجيب ، والمعنى : أنهما كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف ^(١) .

مناسبة السباق والسياق :

مناسبة السباق : للمفسرين فيها وجوه :

أ - لما كان هذا التفصيل مما أنزل أول القرآن تيسيراً على هذه الأمة نبه على ذلك بقوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ١٧] ^(٢) .

ب - لما أبلغت هذه النذارات بالقرآن الكريم ، والمشركون معرضون عن استماعه ، حارمين أنفسهم من التمتع بفوائده ، ذيل خبرهم بالتنويه بشأن القرآن العظيم ؛ بأنه من عند الله ﷻ ، وأن الله ﷻ يسره وسهله ، ليدكر الخلق بما يحتاجون إليه من ألوان التذكير في طريق الهدى والرشاد ، فقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ^(٣) .

مناسبة السياق : ولما انقضت قصة نوح ﷺ على هذا الهول العظيم ، كان ذلك موجباً لكل سامع أن يظن أنه لن يكذب أحد بعدهم ، ولا يقصر مقصر في حق الله ﷻ ورسله ، حتى وإن لم يرسل الله ﷻ رسولاً ، فكيف إذا أرسل ؟! فكان القلب حينذاك قد تشوق إلى علم ما كان بعده : هل كان الأمر كما ظنه ، أم أن الناس رجعوا إلى طباعهم وأهوائهم ؟ فأجيب بقوله ﷻ : ﴿ كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ [القمر : ١٨] ؛ لأن قصة عاد أعظم قصة جرت بعد قوم نوح ﷺ فيما يعرفه العرب ؛ فيصلح أن يكون واعظاً لهم ، حيث أوقعت عاد التكذيب العام المطلق الذي أوجب تكذيبهم برسول الله ﷺ هود ﷺ ^(٤) .

(١) ينظر روح المعاني (٨١/٢٧-٨٤) ، نظم الدرر (٣٤٥/٧-٣٥٢) ، حاشية الشهاب (١٢٩/٨-١٢٤) .

(٢) نظم الدرر (٣٥٢/٧) .

(٣) التحرير والتنوير (١٨٧/٢٧-١٨٨) .

(٤) نظم الدرر (٣٥٥/٧) .

فكان قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝٢٧ ﴾ في ختام قصة قوم نوح عليه السلام وبداية قصة عاد مع هود عليه السلام ، تذكير لهذه الأمة بالمنة العظمى والنعمة الكبرى التي أسداها الله ﷻ بفضله هذا الرسول الكريم ، الموجبين لدوام العرفان بالجميل ودوام الشكر ، وبذلك يقف المسلم على لمحة وبارقة من كونه ﷺ رحمة للعالمين ، ويفهم من ظلال هذه الآيات :

- ١- أن أمة سيدنا محمد ﷺ لن تكون كأمة نوح جحوداً أو كفرة .
- ٢- أن هذه الأمة لن يهلكها الله ﷻ بالغرق كما أهلك قوم نوح عليه السلام .
- ٣- أن كتاب هذه الأمة مميز عن كتب جميع الأنبياء والمرسلين وصحفهم فهو ميسر للذكر ، ميسر للعظة والاعتبار ، أكثر مما سواه .
- ٤- إذا كانت نهاية قوم نوح تدعو إلى الاعتبار والاتعاظ ، وحياة نوح عليه السلام كذلك ؛ فإن القرآن الكريم أيسر منلاً وأقرب مأخذاً .

الفرع الثالث : قصة هود عليه السلام مع قومه عاد : افتتحت القصة بالإخبار عن تكذيب عاد لرسول الله هود عليه السلام ، ثم انتقلت إلى ذكر العذاب الذي حل بهم ؛ حيث أرسل الله ﷻ عليهم ريحاً شديدة باردة ذات أصوات مدوية ، في يوم مشؤوم عليهم حتى يهلكهم في الدنيا ، ثم لم يزلوا معذبين في البرزخ حتى يدخلوا جهنم يوم القيامة . سخر الله ﷻ هذه الريح عليهم سبع ليال وثمانية أيام (والمراد النهار) ، فكانت تنزع الناس من أماكنهم ، كما تقتلع الأشجار من جذورها ، وتلقيها حيث يشاء الله ﷻ ، وشبههم الله ﷻ بأصول النخل المنقر ، الذي أكلت الآفات لبّ جذعه وبقيت حوافه فلا قوة فيها ولا حياة ، وبالسهوة اقتلاعها من مغارسها .

وقيل : شبهوا بأعجاز النخل ؛ لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى أجساداً بلا رؤوس ، ويزيد هذا التشبيه حسناً : أن قوم عاد ذوو جثث عظيمة وقامات طويلة .

وحتمت القصة بقوله ﷻ : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ [القمر : ٢١] ؟ استفهام تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما ^(١) .

(١) نظم الدرر (٣٥٦-٣٥٧) ، حاشية الشهاب (١٢٤/٨) ، روح المعاني (٨٥/٢٧-٨٧) .

مناسبة السباق والسياق :

مناسبة السباق : لما أتم الله ﷻ تحذيره من مثل حالهم ، أتبع ذلك التنبيه على أنه ينبغي للسامع أن يتوقع الحث على ذلك ، فقال مؤكداً لما لأكثر السامعين من التكذيب بالقال أو بالحال ، معلماً أنه سهل طريق الفرار من مثل هذه الفتن الكبار إليه ، وسوى طريق الاعتماد عليه ، عائداً إلى مظهر العظمة ، إيداناً بأن تيسير القرآن لما ذكر من إعجازه لا يكون إلا لعظمة تفوت قوى البشر ، وتعجز عنها القدر ، فقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر : ٢٢] .

مناسبة السياق : لما كان هذا الموضع موضع الإقبال على تدبر مواعظ القرآن ، وكانت أخبار ثمود أعظم عظة كانت بعد عاد ، وذلك لما في الصيحة التي أرسلت عليهم من الخروج عن المعهود ، وفيها تصوير الساعة ونفخاتها وصعقاتها المميتة للخلق والحياة لهم ، قال الله ﷻ : ﴿ كَذَبَتْ ثُمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾ [القمر : ٢٣] فأثت فعلهم إشارة إلى ضعفهم وسفول همهم ، وتدني مستوى أفعالهم ^(١) . قلت : صحيح أن التأنيث دليل على الضعف على جهة العموم لكن ليس ذلك أمراً لازماً . وإنما المراد أن الإنسان عندما ينحط عن مستوى بشريته إلى حضيض أهوائه وشهواته فإن همته تسفل وفعله يتدنى .

فكان قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ إعادة تذكير لهذه الأمة بالأفضال والمنن ، وما يجب عليها إزاء ذلك من جميل الشكر وحسن الطاعة والاتباع ، ويفهم من ظلال هذه الآيات :

- ١- أن الأمة الإسلامية لن يهلكها الله ﷻ بالريح العقيم ، كما أهلك عاداً .
- ٢- أن الله ﷻ سيمهل هذه الأمة إكراماً لنبيها ، على خلاف قوم عاد فإن الله ﷻ لم يعاملهم ، بل سلط عليهم عذاب الاستئصال ، فلم يبق منهم أحداً ، وهذه الأمة لا تُستأصل وإن خالفت .

(١) نظم الدرر (٣٥٧/٧) .

٣- أن التيسير الحاصل في القرآن الكريم ليس موجوداً في دعوة هود عليه السلام ، وأن هذه النعمة أسبغت على الأمة الإسلامية ، ولم تحظ بها عاد .

٤- أن إهلاك المكذبين بريح صرصر في يوم نجس مستمر ، كانت تنزع الناس من مساكنهم وأكنانهم وتقذفهم خارجها ، فيها عبرة لكل معتر ، وزجر لكل من يخاف عذاب الله ﷻ ونذره .

ولكن في القرآن العظيم عبراً ميسورة أسهل استخلاصاً ، وأقرب منالاً ؛ إذ شتان ما بين عبرة تكون بعد العذاب والمشاق والآلام ، وعبرة تنال بأيسر السبل وأسهل المسالك من غير مأس ولا آلام .

الفرع الرابع : قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود : افتتحت القصة بالإخبار عن تكذيب ثمود للمرسلين ، ثم ذكرت وجه اعتراضهم على صالح عليه السلام ، ويبدو أنهم أول من استعمل هذه الحجة ؛ لأن الله ﷻ لم يذكرها من قبل ، أو أنها كانت إلا أن ثمود بلغت الغاية في الاحتجاج بها ، وهي :

١- أن الرسول بشر منهم . وهذه الحجة تكررت عند جميع الأمم ، لذلك كان وصف الرسول بالبشرية مجرداً عن النبوة والرسالة من شعائر الكفار والمشركين ^(١) .

٢- أنه من جنسهم ، لا فضل له عليهم ، فما وجه اختصاصه بذلك من بينهم ؟

٣- أنه واحد في رسالته ليس معه رسول آخر يعينه ، وليس معه من يؤمن به ويتبعه ، وهو واحد من أحادهم لا من أشرافهم وساداتهم .

٤- أنهم إن اتبعوا صالحاً عليه السلام كانوا في ضلال يقودهم في النهاية إلى السعير .

٥- أن صالحاً عليه السلام كذاب أشر ، حملته شدة بطره على طلب الترفع والتعظيم عليهم على ادعاء النبوة والرسالة .

ولما كان هذا غاية الذم لمن هو بالمدح حقيق ، أجاب الله ﷻ عنه مهدداً لهم ، وواعظاً عباده المؤمنين ، لئلا يقولوا ما يعلمون بطلانه ، أو يقولوا ما لا يعلمون صحته ،

(١) للمزيد ينظر : مقدمة مواضع الاقتران في القرآن الكريم بين اسم الله تعالى والرسول محمد ﷺ في المسائل الاعتقادية ، للباحث . رسالة دكتوراه .

بقوله ﷻ : ﴿ سَيَعْمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرَارِ ﴾ [القمر : ٢٦] ، ثم ذكر الله ﷻ مبادئ ضلالهم ، وأن الله ﷻ أرسل لهم الناقة معجزة لسيدنا صالح ﷺ ، وفتنة لهم ، حيث قسم الماء يوماً للناقة ويوماً لهم ، فلم يرضهم ذلك فتنادوا لعقرها ، ورشحوا لهذا الأمر أجراًهم على ذلك وهو أحمر ثمود ، فعقر الناقة عن رضا قومه ، فكان عقرها إيذاناً بنهاية الإمهال وبداية وقوع العذاب .

فأرسل الله ﷻ عليهم صيحة واحدة ، صاحبها جبريل ﷺ ، كانت بمثابة الصاعقة ، فأحرقت أجسادهم بالشحنة الكهربائية التي في الصعقة ، فصاروا كالعشب اليابس الذي يجمعه من يريد حرقه أو إطعامه لماشيته ^(١) .

مناسبة السباق والسياق :

مناسبة السباق : لما كان التقدير فلقد أبلغنا في الموعظة لكل من يسمع هذه القصة ، عطف عليه قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴾ [القمر : ٣٢] . مؤكداً بذلك لمن يعرض عن هذا القرآن ، معللاً إعراضه عنه بصعوبته ^(٢) .

مناسبة السياق : لما كان النذير كأنه قال : إن المنذرين لم يتعضوا به ، فراد في وعظهم ، وكانت قصة لوط ﷺ أعظم ما كان بعد ثمود ، مما تعرفه العرب بالأخبار ورؤية الآثار ، ومع ما في قصتهم من تقريب صور أحداث الساعة ؛ إذا بدلت الأرض غير الأرض ، قال الله ﷻ : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴾ [القمر : ٣٣] ^(٣) .

وفي ذكر هذه الآية بعد قصة ثمود مع صالح ﷺ ، وبيان عاقبتهم إعادة لإثارة كوامن النفس لحسن الانتعاض والاعتبار ، وإظهار لسوابغ نعم الله ﷻ على هذه الأمة ، ويفهم من ظلال هذه الآيات ، مع ما فيها من الإشارات والتنبيهات :

١- أن الله ﷻ لن يعامل هذه الأمة كما عامل ثمودا .

٢- أن اعتراضات الكافرين على الرسل واحدة ، قديمها وجديدها سواء .

(١) نظم الدرر (٣٥٧/٧-٣٦١) ، جاشية الشهاب (١٢٥/٨-١٢٦) ، روح المعاني (٨٧/٢٧-٩٠) .

(٢) نظم الدرر (٣٦١/٧) .

(٣) نظم الدرر (٣٦١/٧) .

٣- أن البلاء الذي حل بالأمم السابقة ، أشد من البلاء الذي كتبه الله ﷻ على هذه الأمة .
 ٤- أن أعداء الإسلام إذا عجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان فإنهم سيلجأون إلى المكاييد والمؤامرات والدسائس ، وأنهم سيغررون ببعض الجهلة لقتل أهل الحق سرّاً أو علناً ، فهذه سبيل الجباية ، لأنه كلما عجزوا عن البيان استعملوا الافتراء والبهتان ، ثم السيف والسنان .

٥- أنه مهما كان في قصة صالح عليه السلام مع قومه من العبر والآيات والمواعظ ؛ فإن في القرآن ما هو أغنى وأقنى ، وأيسر وأعذب لأنه ميسر للعالمين .

الفرع الخامس : قصة لوط عليه السلام مع قومه : افتتحت القصة كسائر سابقاتها بالإخبار عن تكذيب قوم لوط المرسلين ، ثم ذكرت عقوبتهم ، ثم عللت هذه العقوبة :

- ١- بالتمادي في تكذيب الرسل ، وأنواع الإنذارات .
- ٢- ارتكاب الفواحش ، وأعلاها إتيان الرجال شهوة من دون النساء حتى بلغ بهم المدى أن راودوه عن ضيفه ؛ ليفجروا بهم .

وكانت عقوبتهم :

- ١- طمس الأعين : بإزالة أثرها ، أو بإذهاب نورها .
- ٢- أرسل إليهم ملائكة تحصبهم ؛ أي : ترميهم بالحصباء .
- ٣- أن الله ﷻ أرسل جبريل عليه السلام ليطش بهم ، فحملهم على جناحه حتى سمعت الملائكة في السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ، ثم أكفأهم ، فجعل عاليها سافلها .
- ٤- تسبب عن ذلك من يقول لهم بلسان القال وبلسان الحال : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَتُذِرِ ۝ ﴾ [القمر : ٣٧] .
- ٥- استمرار العذاب عليهم في الدنيا ، وفي حياة البرزخ ، حتى يسلمهم إلى النار ، لا يدفعه عنهم دافع^(١) .

مناسبة السباق والسياق :

مناسبة السباق : لما كرر الله ﷻ قوله : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَتُذِرِ ۝ ﴾ [القمر : ٣٩]

(١) نظم الدرر (٧/٣٦١-٣٦٣) ، حاشية الشهاب (٨/١٢٦) ، روح المعاني (٢٧/٩٠-٩٢) .

هذا التكرير في السورة في كل قصة ، علم أن سبب العذاب التكذيب بالإنذار لأي رسول من الرسل ، وكان استئناف كل قصة منبهاً على أنها أهل على حداثها لأن يتعظ بها ، علم أن التقدير ؛ لقد بلغت هذه المواعظ النهاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فعطف عليه قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر : ٤٠] ، مذكراً بالنعمة التي لا عدل لها ^(١) .

مناسبة السياق : لما كان ينبغي للآخر أن يحذر مما وقع فيه الأول ، وكان قوم فرعون قد جاءوا بعد قوم لوط عليه السلام ، فلربما ظن ظان أنهم لم يندروا اكتفاء بما بلغهم من أخبار المكذبين ومصائر المعاندين ، وأن العادة قد جرت على إهلاك مكذب الرسل ، قال الله ﷻ مقسماً : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ الْتَدْرُؤُ ﴾ [القمر : ٤١] ^(٢) .

المطلب الثاني : تحليل الألفاظ

الفرع الأول : يَسَّرْنَا : في اللغة : من يَسَّرَ مضاعف العين يُيسِّرُ تيسيراً ، وأصله من يَسَرَ ييسر يسراً ويُسَرَّ ويُسَرَّ ، والياء والسين والراء أصل يدل على اللين والسهولة والانتقاد : وهو ضد العسر .

ومنه يَسَّرَ الرجل تيسيراً : سهل الأمر تسهيلاً ، وياسره : ساهله ولاينه ، والميسرة : السهولة والغنى ، وأيسر فلان : صار ذا غنى ^(٣) .

في الاصطلاح : اليسر : ضد العسر ، قال الله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وتيسر الأمر : إذا تسهل وتها ^(٤) . واليسر : سهولة تعاطي الأمر ، وعدم الكلفة في تحصيله ، بمعنى أنه يجري وفق ما هيأه الله ﷻ وسهله ، مع زوال الموانع والمعوقات . والتيسير ، تفعيل وهو إيجاد أثر الفعل في الشيء ،

(١) نظم الدرر (٣٦٤/٧) .

(٢) نظم الدرر (٣٦٤/٧) .

(٣) معجم مقاييس اللغة ص ١٠٧٠-١٠٧١ ، القاموس المحيط ص ٦٤٣-٦٤٤ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن : (٨٩١-٨٩٢) ، بصائر ذوي التمييز (٥٨٣/٥-٣٨٧) .

فيكون التيسير : إيجاد اليسر في الشيء المراد تيسيره من قول أو فعل ^(١) .

الفرع الثاني : الذكر : في اللغة : من ذكر يذكر ذكراً فهو ذاكراً ومذكوراً .
والذكر : ضد النسيان ، وهو حفظ الشيء في الذاكرة ، وجريانه على اللسان ، وسمي
الصيت والثناء والشرف والصلاة والدعاء ذكراً ؛ لحفظ شأن أصحابها في الذاكرة ، وجريان
أسمائهم على الألسنة . والذكر : اسم للتذكر ، والتذكيرة : ما يستذكر بها الحاجة ،
والاستذكار الدراسة للحفظ ^(٢) .

في الاصطلاح : الذكر يطلق على عدة معان :

- ١- الهيئة النفسية التي تمكن الإنسان من حفظ ما يحصل عليه من العلوم والمعارف ، والذكر
بهذا المعنى كالحفظ إلا أن الحفظ يقال باعتبار الإحراز ، والذكر يقال باعتبار الاستحضار .
 - ٢- الحضور في القلب .
 - ٣- الحضور في اللسان .
- ولذلك يقال : الذكر ذكران : ذكر بالقلب ، وهو خلاف الغفلة ، وذكر باللسان ،
وهو خلاف النسيان .

ومن هنا كانت للذكر مرتبتان متباينتان :

الأولى : ذكر عن تذكر ، أي : ذكر مسبوق بغفلة في القلب ، أو نسيان في اللسان .
الثانية : ذكر عن حضور ، أي : ذكر لا عن نسيان ولا عن غفلة ، بل عن إداعة الحضور .
ولما حصل لأصحاب رسول الله ﷺ فضل قوة بمعرفة الله ﷻ أمرهم الله ﷻ أن يذكروه
بغير واسطة ، بقوله : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .
ولما ضعفت قلوب بني إسرائيل ، وهذا شأن غالب أهل الإيمان ، ولم يعرفوا الله ﷻ
إلا بآلائه ، أمرهم الله ﷻ أن يتذكروا نعمه وعجائب خلقه ليتوصلوا بها إلى معرفته ﷻ ،

(١) التحرير والتنوير (١٨٨/٢٧) .

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٦٨ ، القاموس المحيط ص ٥٠٧-٥٠٨ .

بقوله : ﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَآزَهُبُونَ ﴾ [البقرة : ٤٠] ^(١) .

المطلب الثالث : النكات التفسيرية والبلاغية

الفرع الأول : قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ الجملة قسمية : الواو : واو القسم ، واللام موطئة للقسم ، فيكون المعنى : والله لقد يسرنا القرآن لقومك يا محمد ! بأن أنزلناه على لغتهم ، وشحناه بأنواع المواعظ والعبر ، وصرفنا فيه من ألوان الوعد والوعيد ^(٢) . « وتأکید الخبر باللام وحرف التحقيق مراعى فيه حال المشركين الشاكين في أنه من عند الله ﷻ » ^(٣) ؛ ولأن التأكيد لا يكون غالباً إلا للمنكر ، قد ابتدأت الآية بثلاثة تأكيدات : واو القسم ، واللام الموطئة للقسم ، وحرف قد الذي يفيد تحقيق وتأکید وتكثير ما بعده في هذه الآية .

الفرع الثاني : قوله ﷻ : ﴿ لِلذِّكْرِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بـ ﴿ يَسَّرْنَا ﴾ ، واللام ظرف لغو غير مستقر ؛ لكنه يدل على أن الفعل الذي تعلق به فعل لا انتفاع مدخول هذه اللام به ، فمدخولها لا يراد منه مجرد تعليل فعل الفاعل ، كما هو معنى التعليل المجرد ، ومعنى المفعول لأجله ، المنصوب بإضمار لام التعليل البسيطة ، وإنما يراد منه أن مدخول هذه اللام علة خاصة مراعاة في تحصيل فعل الفاعل لفائدته .

ومجرور هذه اللام بمنزلة مجرور بـ الملابسة في نحو قوله ﷻ : ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [المؤمنون : ٢٠] .

وأصل معاني لام الجر هو التعليل ، وتنشأ من استعمال اللام في التعليل المجازي معانٍ شاعت فساوت الحقيقة ؛ فجعلها النحويون معاني مستقلة لقصد الإيضاح ^(٤) .

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٢٨-٣٢٩ ، مفاتيح الغيب (٣/٣٣) ، بصائر ذوي التمييز (٩/٣-١٦) .

(٢) روح المعاني (٢٧/٨٤) .

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/١٨٨) .

(٤) التحرير والتنوير (٢٧/١٨٩-١٩٠) .

وللمفسرين في معنى الذكر أقوال :

- ١- التذكر : وهو التذكر العقلي لا اللساني ، الذي في تذكره جلب نفع ودفع ضرر ، أي ينشأ عنه : الاتعاظ والاعتبار ، لا بمجرد التذكر .
- ٢- الاتعاظ والإدكار : مما تضمنه من الوعظ والوعد والوعيد .
- ٣- التدبر : وذلك أن يُعمل الإنسان قواه في فهم مراد الله ﷻ من آياته في القرآن الكريم ، والآيات المبثوثة في الكون ، ليصل إلى الاعتبار .
- ٤- الفهم : ولو شاء الله ﷻ لأعلاه إلى الحد الذي تعجز القوى عن فهمه ، كما أعلاه إلى رتبة وقفت القوى عن معارضة نظمه .
- ٥- الحفظ : وذلك بالإيجاز ، وعذوبة اللفظ ، وقرب الفهم ، وجلالة المعاني ، وجزالة السبك ، وتنويع الفنون ، وتكثير الشعب ، وإحكام الربط .
- ٦- التشريف لمن يراعيه في الدارين ، وحصول النباهة به في الدارين ، بحسن الذكر ، وجميل الأحداث ، وطيب الأثر ، وروعة الشاء .
- ٧- العلم : ولو شاء الله ﷻ لأعلاه إلى الحد الذي لا يتشبت مطلع بأذيال أدنى علمه ، أو أن يخصه بأفراد من حذاق العباد ^(١) .

الفرع الثالث : قوله ﷻ : ﴿ فَهَلْ ﴾ حرف استفهام يستدعي الأفهام التي ركبها الله ﷻ فيهم وجعلها حجة عليهم ، ولم يستعملوها الاستعمال الحق فتكون حجة لهم . وهو استفهام مستعمل في معنى التحضيض على التذكر بهذه الآية ، واستقصاء خبرها ، وهو تحضيض موجه إلى جميع من تبلغه هذه الآيات ^(٢) .

الفاء للتفريع . والهاء : للاستخراج . واللام : للاستعراض ^(٣) .

قوله ﷻ : ﴿ مِنْ ﴾ : للدلالة على عموم الجنس في الإثبات ^(٤) .

(١) نظم الدرر (٣٥٢/٧ و ٣٥٧ و ٣٦١ و ٣٦٤) ، البحر المحيط (١٧٨/٨) . روح المعاني (٨٤/٢٧) ، التحرير والتنوير (١٩٠/٢٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) ، التحرير والتنوير (١٨٦/٢٧-١٨٧) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) .

(٤) التحرير والتنوير (١٨٧/٢٧) .

الفرع الرابع : قوله ﷺ : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ الاستفهام إنكاري ، يتضمن النفي للمتعظ على أبلغ وجه وأكده ، مما يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم ^(١) . وللمفسرين في معاني الادّكار أقوال :

- ١- الادّكار : الاعتبار والمعنى : فهل من معتبر بتلك الآيات الحرية بالاعتبار ^(٢) ؟
- ٢- الادّكار : الاتعاظ ، والمعنى : فهل من متعظ ؟ قاله ابن زيد ^(٣) .
- ٣- الادّكار : الانزجار ؛ أي : فهل من منزجر عن المعاصي والموبقات ؟ قاله محمد بن كعب القرظي ^(٤) .
- ٤- الادّكار : التذكير : والمعنى فهل من مجتهد في التذكير بسبب هذا الأمر ، نظراً لما يجب على الخلق من شكر الخالق ، بما هدت إليه رسله ^(٥) .
- ٥- هل فيهم من يقبل على حفظ كتاب الله ﷻ ثم تدبره وفهمه ، ويتعظ بما حلّ بالأمم السالفة ويتذكر جميع ما صرف من الأقوال ، وينزلها على نفسه وما لها من الأحوال ، ويجعل كل ذلك لوجه الله ﷻ ، فيتشرف به في أمر دنياه وأخراه ، وتكون زواجه وعلمه حاضرة في النفس ، قائمة في الذهن ^(٦) .
- ٦- فهل من ناظر فيه بعين الإنصاف ، متجرداً عن الهوى ليرى كل ما أخبر الله ﷻ به ، فيعينه الله ﷻ على ذلك ^(٧) .
- ٧- فهل من مفتك لنفسه من مثل هذا الذي أوقع فيه هؤلاء الأقوام أنفسهم ، ظناً منهم أن الأمر لا يصل إلى ما وصل إليه ، جهلاً منهم ، وعدم اكتراث بالعواقب ^(٨) .

الفرع الخامس : الحكمة من تكرار قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ :

(١) روح المعاني (٨٤/٢٧) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٨٣/٤) ، حاشية الشهاب (١٢٤/٨) ، روح المعاني (٨٣/٢٧) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢٨٣/٤) ، البحر المحيط (١٧٨/٨) ، حاشية الشهاب (١٢٤/٨) .

(٤) البحر المحيط (١٧٨/٨) .

(٥) نظم الدرر (٣٥١/٧) .

(٦) نظم الدرر (٣٥٧/٧) ، البحر المحيط (١٧٨/٨) .

(٧) نظم الدرر (٣٦١/٧) .

(٨) نظم الدرر (٣٦٤/٧) .

تساءل الزمخشري عن فائدة تكرير هذه الآية بعد كل قصة من القصص الأربع ، ثم قال : « فائدته : أن يجدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكاراً واتعاضاً . وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه . وأن يقرع لهم العصا مرّات ، ويقعقع لهم الشنّ تارات ؛ لئلا يغلبهم السهو ، ولا تستولي عليهم الغفلة » ^(١) .

وقال البيضاوي : « كرر ذلك في كل قصة :

١- إشعاراً بأن تكذيب كلّ رسول مقتضٍ لنزول العذاب ، واستماع كل قصة مستدعٍ للادّكار والاعتاظ .

٢- واستئناً للتنبيه والإيقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة » ^(٢) .

وقال الألوسي : « جملة قسمية وردت في آخر القصص الأربع : تقريراً لمضمون ما سبق من قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ [القمر : ٤] ... إلخ . وتنبيهاً على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الادكار ، كافية في الازدجار ، ومع ذلك لم يحصل فيها اعتبار » ^(٣) .

وقال القرطبي : « إن الله ﷻ اقتصّ في هذه السورة على هذه الأمة أنباء الأمم وقصص المرسلين وما عاملتهم به الأمم ، وما كان من عقبى أمورهم وأمور المرسلين ، فكان في كل قصة ونبأ ذكر للمستمع أن لو اذكر ، وإنما كرر هذه الآية عند ذكر كل قصة بقوله : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ؛ لأن « هل » كلمة استفهام تستدعي أفهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم » ^(٤) .

وقال سيد قطب : « وهذا هو التعقيب الذي يتكرر بعد كل مشهد يصوّر ، ويقف السياق عنده بالقلب البشري ، يدعوه دعوة هادئة إلى التذكر والتدبر ، بعد أن يعرض عليه حلقة من العذاب الأليم ، الذي حلّ بالمكذّبين » ^(٥) .

(١) الكشف (٤/٤٣٩) .

(٢) أنوار التنزيل (٥/٢٦٩) ، حاشية الشهاب (٨/١٢٦) .

(٣) روح المعاني (٢٧/٨٤) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٣٤) .

(٥) في ظلال القرآن (٦/٣٤٣١) .

المبحث الثاني : آيات التيسير المقيد

الآية الأولى

قال الله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم : ٩٧]

المطلب الأول : تحليل الألفاظ

الفرع الأول : ﴿ فَإِنَّمَا ﴾ : الفاء يجوز فيها وجهان :

الأول : فاء الفصيحة : وهي الفاء المؤذنة بكلام مقدر يدل عليه المذكور . فيكون التقدير : بلغ يا محمد ما أنزل إليك من ربك ، ولو كره الكافرون والمشركون والمنافقون ما فيه من إبطال ما هم عليه ، وأنذرهم بسوء العاقبة إن هم تمادوا في غيهم وضلالهم ، فما أنزل إليك إلا ما هو للبشارة أو النذارة ، ولا تعباً بما يحصل من الغيظ والحقد ، وذلك أن المشركين كانوا يقولون : لو كففت عن شتم آلهتنا وآبائنا ، وتسفيه آرائنا لاتبعناك .

الثاني : فاء التفریع : وهي التي تكون للتفریع على ما تقدم ، فتكون الفاء في الآية للتفریع على وعيد للكافرين ووعد للمؤمنين ، والمفرّع هو مضمون البشارة والنذارة ؛ أي : أن ذلك ثمره الإعراض عما جاء به النبي ﷺ من النذارة ، وأثر الإقبال على ما جاء به من البشارة مما يسره الله ﷻ بلسانه ﷻ ؛ فإنه ما أنزل إلا لذلك ^(١) .

إنما : مكونة من « إن » : التي هي حرف مشبه بالفعل يدخل على الجملة الاسمية ، فينصب المبتدأ ويرفع الخبر مع إفادة التوكيد . و « ما » المصدرية ، التي عندما دخلت عليها كفتها عن العمل ، وهياتها للدخول على الجملة الفعلية ، فصارت تفيد الحصر والقصر : فهي تثبت حكم ما ذكر بعدها وتحصره فيه وتنفيه عما عداه ؛ وتفيد تعيين الحكم وتقصره على شيء ، فقله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ يفيد أن صفة التيسير خلصت للسان

(١) التحرير والتنوير (١٦/١٧٥-١٧٦) ، (٢٥/٣٢٠-٣٢١) ، إعراب القرآن ، السدرويش (١٥٧/٦) ، (١٣٧/٩) .

رسول الله ﷺ وتمحضت له، من غير أية شائبة تشوبه ^(١).

والقصر المستفاد من « إنما » قصر قلب ، وهو ردّ على المشركين ؛ إذ سهل لهم طريق سماعه وعلمه وفهمه والعمل به فقابلوه بالشك والهزء ، وما جعله الله ﷻ ميسراً بلسان نبيه ﷺ إلا ليتذكروا فيعتبروا ، لكنهم لم يتذكروا ولم يعتبروا ^(٢).

الفرع الثاني : ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ : اتفقت أقوال المفسرين فيما اطلعت عليه من أقوال على أن المراد من اللسان اللغة من باب إطلاق اسم الشيء على سببه ؛ لأن اللسان أداة النطق والكلام ، وعليه تدور اللغات ، ولما كانت لغة رسول الله ﷺ عربية ، كان لسانه عربياً . وإطلاق اللسان وهو الجارحة المعروفة في الفم على اللغة مجاز شائع ؛ لأن أهم ما يستعمل فيه الكلام . وليس المقصود من اللسان الجارحة وإنما اللغة ، وعلى هذا فنسبة اللسان إلى النبي ﷺ عناية بجانبه وتعظيم له ؛ وإلا فاللسان لسان العرب .

واختلفوا في الباء على أقوال :

- ١- ذهب بعض المفسرين إلى أن الباء بمعنى على ، وهو في ذلك مجاز مشهور ، والمعنى أنزلناه على لسانك بلا كتابة ؛ لكونك أمياً . فاللسان بمعناه المشهور أنه اللغة ، وليس الجارحة .
- ٢- وذهب آخرون إلى أن الباء تفيد الإلصاق ، لتضمين : « يَسْرُنَا » معنى أنزلنا ؛ أي : يسرناه منزلين له بلغتك ، وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل العذب الرصين .
- ٣- وذهب بعضهم إلى أن الباء للسببية : والمعنى : فإنما يسرناه بسبب لغتك العربية .
- ٤- وذهب غيرهم إلى أن الباء للمصاحبة ، والمعنى : فإن التيسير جاء مصاحباً للغتك ^(٣).

اللسان : في اللغة : من لسن يلسن لساناً ، والاسم اللسان ، وجمع القلة : ألسن ،

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٩٢ ، الكاشف (١/١٣٧-١٣٨) ، لسان العرب « أنن » (١٣/٣٢٣١) ،

معاني النحو ، د. فاضل السامرائي (١/٣٥٤-٣٦٠) ، إعراب القرآن ، الدرويش (٦/١٥٧) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/٣٢١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/١٤٨) ، نظم الدرر (٤/٥٦٠) ، أنوار التنزيل (٥/٢٦٦-٢٦٩) ،

حاشية الشهاب (٨/١٤) ، روح المعاني (١٦/١٤٤) ، التحرير والتنوير (١٦/١٧٦) ، (٢٥/٣٢١) .

والكثرة : ألسنة ، واللسان : الجارحة الموجودة في الفم ، ويطلق مجازاً على اللغة أو الرسالة ، والمتكلم عن القوم ؛ لأن أداة الكل اللسان الجارحة ^(١) .

في الاصطلاح : جاء اللسان في القرآن الكريم على أربعة معان :

الأول : القوة الناطقة في اللسان : قال الله ﷻ على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَأَخْلَلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴾ [طه : ٢٧] ^(٢) ؛ يعني قوة من لسانه ؛ لأن العقدة لم تكن في الجارحة ، وإنما كانت في قوة اللسان ، التي هي النطق .

الثاني : الجارحة : قال الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ ﴾ [البلد : ٨-٩] ^(٣) .

الثالث : اللغة : قال الله ﷻ : ﴿ يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٥] ، وقال ﷻ : ﴿ وَأَخْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَنَكُمُ ﴾ [الروم : ٢٢] ^(٤) ، باختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات ؛ إذ لكل قوم نغمة مخصوصة ولغة مخصوصة يميزها السمع ^(٥) .

الرابع : القول الذي ينطق به اللسان في الذم أو المدح : الذم : قال الله ﷻ : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَافِرُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب : ١٩] ؛ أي : بألسنة سليطة صارمة ماحية ، يؤثر كلامها في الإنسان كما يؤثر الحديد في غيره ^(٦) .

وقال ﷻ : ﴿ لُعِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨] .

(١) الصحاح (٢١٩٥/٦) ، معجم مقاييس اللغة ص ٩١٨ ، القاموس المحيط ص ١٥٨٨ ، لسان العرب (٣٨٧-٣٨٥/١٣) .

(٢) ينظر : الشعراء ص ١٣ .

(٣) ينظر : سورة المائدة : ٧٨ ، مريم : ٩٧ ، الدخان : ٥٨ ، القيامة : ١٦ ، الأحزاب : ١٩ . وغيرها .

(٤) ينظر : سورة إبراهيم : ٤ ، النحل : ١٠٣ ، القصص : ٣٤ ، الأحقاف : ١٢ . وغيرها .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٤٠ ، بصائر ذوي التمييز (٤٢٩/٤) .

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٢٢ .

المدح : قال الله ﷻ على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء : ٨٤] . فهو سؤال الله ﷻ أن يجعله أهلاً للثناء الحسن الجميل على الألسنة .

الفرع الثالث : ﴿ لَتُبَشِّرَ ﴾ : في اللغة : من بشر يُبَشِّرُ تَبَشِيرًا ، والاسم البشارة والبشري ، من بشر يُبَشِّرُ بشرًا ، وأصله ظهور الشيء مع حسن وجمال ، والبشارة : إخبار بالأمر الخَيْر ^(١) .

في الاصطلاح : البشارة : إخبار بما يسر ، يقال : بشرته : أخبرته بما يسره ، والسرور يؤدي إلى بسط بشرة الوجه ؛ وذلك أن النفس إذا سرّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر ، ومن ثم تظهر إشراقة الوجه ، وتظهر آثار الفرح على قسماته ! فالبشارة : إخبار فيه سرور ^(٢) .

وقوله ﷻ : ﴿ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي : تخبرهم بما يسرهم ، وبما يكون لهم من الثواب على تقواهم لله ﷻ ، وحسن طاعته ^(٣) . واللام : لام التعليل ، وهي التي تجعل ما بعدها علة لما قبلها ؛ فالغاية من تيسير القرآن الكريم بلسان النبي ﷺ وعلمته : إنذار الكافرين وتبشير المؤمنين الصادقين المتقين .

الفرع الرابع : ﴿ وَتُنذِرَ ﴾ : في اللغة : من أنذر ينذر إنذاراً ، والإنذار : الإبلاغ بما هو مخيف ، لذلك لا يكون الإنذار غالباً إلا في التخويف أو التخوف ^(٤) .

(١) مقاييس اللغة ص ١١٧-١١٨ ، القاموس المحيط ص ٤٤٧-٤٤٨ ، الصحاح (٢/٥٩٠) ،

تهذيب اللغة (٨/٣٦٠-٣٦٢) ، لسان العرب (٤/٥٩/٦٣) ، تاج العروس (١٠/١٨٣-١٩٦) .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٢٤-١٢٧ و ٧٩٧ ، بصائر ذوي التمييز (٢/٢٠١) ، النهاية في غريب الحديث (١/١٢٩) .

(٣) البحر المحيط (٦/٢٢١) .

(٤) مقاييس اللغة ص ٩٨٤ ، القاموس المحيط ص ٤٤٧ و ٦١٩ ، الصحاح (٢/٨٢٥-٨٢٦) ،

لسان العرب (٥/٢٠٠-٢٠٣) ، تاج العروس (١٤/١٩٧-٢٠٣) .

في الاصطلاح : الإنذار : إخبار فيه تخويف ^(١) . وذلك لأذى أو مكروه يتوقع وقوعه عاجلاً أو آجلاً في النفس أو الأهل أو المال .

الفرع الخامس : ﴿ لُدَّا ﴾ : في اللغة : اللد جمع الألد ، من لدّ يلدّ لداً فهو لادّ وألدّ ، ومعناه الالتفات وإبداء صفحة العنق ؛ لأن اللديدان : هما صفحتا العنق دون الأذنين ، ثم أطلقا على جانبي كل شيء ، ثم أطلق اللدد على الشديد الخصومة ، لانحرافه عن الحق ودخوله في كل طريق ابتعاداً عن الحق ومجانبة للصواب ^(٢) .

في الاصطلاح : أصل الألد : الشديد اللديد ؛ أي : انحراف وميل صفحة العنق ، ويطلق على المعرض عن الحق ، الشديد الخصومة ، الشديد التأبي للحق والعدل ، الذي لا يمكن صرفه عما يريد بالحجة والإقناع ، وألوان البراهين والدلائل ^(٣) .

المطلب الثاني : مناسبة السباق والسياق

الفرع الأول : مناسبة السباق : للمفسرين فيها وجوه :

١- قال الآلوسي : « والفاء لتعليل أمر ينساق إليه النظم الكريم ، كأنه قيل : بعد إجماع هذه السورة الكريمة بلغ هذا المنزل ، وأبشر به ، وأنذر ؛ فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين » ^(٤) .

٢- لما كان إنزال هذا القول الثقيل ، ثم تيسيره حفظاً وعملاً سبباً لما جعل لأهل الطاعة في الدنيا من الود : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مریم : ٩٦] ؛ بما لهم من التحلي والترزين بالصالحات ، والتخلي والتصون من السيئات ،

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩٧-٧٩٨ ، بصائر ذوي التمييز (٣٥/٥) .

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٠١ ، القاموس المحيط ص ٤٠٥ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٣٩ ، بصائر ذوي التمييز (٤٢٥/٤) .

(٤) روح المعاني (١٤٤/١٦) .

الدال على ما لهم عند مولاهم ﷺ من عظيم العزّ والقرب ، وكان التقدير : والذين كفروا ليكسبهم الجبار بغضاً وذلاً ومهانة ، فأخبر كلاً من الفريقين بما له من البشارة والندارة ، مسبباً عن إفصاح ذلك وإفهامه بقوله ﷺ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسْرُنْهُ بِلِسَانِكَ ﴾ ^(١) .

٣- لما ذكرت الآيات السابقة أن المشركين آتون يوم القيامة مفردين وهذا مشعر بأنه مغضوب عليهم ، وأعقب ذلك بذكر حال المؤمنين الصالحين ، وأنهم يكونون في مقام المودة والتبجيل ، حيث يجعل لهم الرحمن ﷺ أوداء من الملائكة والإنس والجن بل وجميع الخلق ، بين أن هذه الفضيلة إنما حصلت بسبب تيسير الله ﷻ القرآن الكريم بلسان رسوله الأمين ﷺ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسْرُنْهُ بِلِسَانِكَ ﴾ .

٤- قوله ﷺ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسْرُنْهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ « إيدان بانتهاء السورة ؛ فإن شأن الإتيان بكلام جامع بعد أفنان الحديث أن يؤذن بأن المتكلم سيطوي بساطه ، وذلك شأن التذييلات والخواتم ، وهي ما يؤذن بانتهاء الكلام . فكما احتوت السورة على عبر وقصص وبشارات ونذر جاء هنا في التنويه بالقرآن وبيان بعض ما في تنزيله من الحكم » ^(٢) .

الفرع الثاني : مناسبة السياق : للمفسرين فيها وجوه :

١- بعد أن بين الله ﷻ تيسير القرآن بلسان رسول الله ﷺ وبين الغاية من ذلك ، وهو بشارة المؤمنين المتقين ، وإنذار الكفرة والمشركين ، والعصاة والمجرمين ، ختمت الآية الإنذار : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ مرشدة بذلك على قدرة الله ﷻ على إهلاكهم ، وعلى جميع ما يريد منهم ، بعد كل ذلك عطف عليها قوله ﷺ : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ نُحِيسُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْوًا ﴾ [مريم : ٩٨] ، أهلك ﷺ أمماً كثيرة ، وأقواماً كثيراً ، كانوا أشد منهم بطشاً ، وأكثر عدداً وعدة ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، فلم تغن عنهم

(١) نظم الدرر (٤/٥٦٠) .

(٢) التحرير والتنوير (٦/١٧٥) .

من بأس الله شيئاً ، فتلك مساكنهم خاوية خالية ، ذهب رسومهم وبقيت أخبارهم^(١) .

٢- لما ذكر الله ﷻ تيسير القرآن للبشارة والندارة ، ونوه بأن المنذرين أهل عناد ومكابرة ، أتبع ذلك بالتعريض بتهديدهم على ذلك ، وذلك بتذكيرهم بالأمم التي استأصلها على ما كانت عليه من قوة وقهر وجبروت وتعنت ، فتكون لهم قياساً ومثلاً ، ومثار عظة وعبرة .

٣- الجملة معطوفة على جملة : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ باعتبار ما تضمنته من بشارة المؤمنين وندارة المعاندين ؛ لأن في التعريض بالوعيد لهم ندارة لهم وبشارة للمؤمنين باقتراب إراحتهم من ضرهم وأذاهم^(٢) .

المطلب الثالث : النكات التفسيرية والبلاغية

الفرع الأول : قوله ﷻ : ﴿ لَتُبَشِّرَنَّهُ أَتْمَقِينَ ﴾ فيه أقوال :

- ١- المستجيبين لله المصدقين لرسوله^(٣) .
- ٢- المؤمنين^(٤) .
- ٣- المتصفين بالتقوى ؛ لامثال ما فيه من الأمر والنهي .
- ٤- الصائرين إلى التقوى^(٥) .
- ٥- الذين يجعلون بينهم وبين ما يسخط الله ﷻ وقاية ، فلا يطلون حقاً ، ولا يقرّون باطلاً ، ومتى بدرت منهم هفوة أو زلة بادروا بالتوبة والرجوع إلى الحق والصواب^(٦) .

(١) نظم الدرر (٥٦١/٤) .

(٢) التحرير والتنوير (١٧٧/٦) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٤٨/٣) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/١١) .

(٥) روح المعاني (١٤٤/١٦) .

(٦) نظم الدرر (٥٦٠/٤) .

الفرع الثاني : قوله ﷻ : ﴿ وَتُنذِرِيهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ اللدّ الألد ، وهو الشديد الخصومة وللمفسرين في معناه أقوال :

- ١- العوج عن الحق المائلين إلى الباطل . أبو صالح .
- ٢- لا يستقيمون . مجاهد .
- ٣- اللد : الفجار . مجاهد .
- ٤- الصم عن الحق . الحسن .
- ٥- الذين لا يقبلون الحق ، ويدعون الباطل . أبو عبيدة .
- ٦- لا يؤمنون به لجأجأً وعناداً .
- ٧- اللدود: ذو الجدل بالباطل ، أي : الآخذون في كل لديد ؛ أي : جانب بالمرء . قتادة .

٨- اللد : الظلمة . ابن عباس رضي الله عنهما .

٩- الألد : هو الذي يتمادى في غيه ، ولا يرجع لدليل ، ويركب كل مركب عناداً للحق ولا يكون هذا إلا ممن يحتقر خصمه ، وهم تصوير الحق بصورة الباطل ، والباطل بلبوس الحق ^(١) .

١٠- شديد الخصومة ، يريدون بذلك العزّ ، نظراً لما لهم عند الله ﷻ من الذل والهوان الناشئ عن المقت ، الذي هو ثمرة سوء أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم ، والإنذار يحمل داخله التهديد بالهلاك ؛ أي : إن لم يرجعوا عن لددهم فإنه سوف يهلكهم ^(٢) .

قال الألوسي : « وكل ذلك تفسير باللازم » ^(٣) ؛ أي : بلازم اللدادة ، وليس ماهيتها .

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/١١) ، البحر المحيط (٢٢١/٦) ، تفسير القرآن العظيم (١٤٨/٣) ، نظم الدرر (٥٦٠/٤) ، روح المعاني (١٤٤/١٦) ، الأساس في التفسير (٣٣٠/٥/٦) .

(٢) نظم الدرر (٥٦٠/٤) .

(٣) روح المعاني (١٤٤/١٦) .

الفرع الثالث : وعبر الله ﷻ عن الكفار بأنهم : قوم لدّ ، ذمّ لهم ، بأنهم أهل إيغال في المرء والمكابرة ؛ لأنهم أهل تصميم وإصرار على باطلهم ، مع الإباية من الاعتراف بالحق . ومما جرّ الإشراف إلى العرب من مذام الأخلاق التي خلطوا بها محاسن الأخلاق : أنهم تمدحوا باللدد في الخصومة ..

لذلك حسنت المقابلة بين المتقين وبين القوم اللدّ ؛ لأنّ التقوى عنوان امتثال أوامر الله ﷻ والتزام طاعته ، والشرك عصيان ولدد . وفي ذلك تعريض بأن كفرهم عن عناد وجحود ؛ لأن إيقاع لفظ القوم عليهم إشارة إلى أن اللدد شأنهم ، وهي صفة تقومت منها قوميتهم^(١) .

الآية الثانية

قال الله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْتَهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان : ٥٨]

المطلب الرابع : مناسبة السباق والسياق

الفرع الأول : مناسبة السباق : للمفسرين فيها وجوه :

١- لما قدم الله ﷻ في السورة ما للقرآن من البركة والخير والنور ، وما اشتمل عليه من البشارة والندارة ، والجمع والتفريق ، وذكر السامعين بما يقرّون به من أنه بديع السموات والأرض ، وهذا يستلزم إقرارهم بتوحيده ، والإقرار بالتوحيد يستلزم الإقرار بأن الله ﷻ يفعل ما يشاء من خلق وإيجاد ، وإرسال وإنزال وتنبية وبعث وغير ذلك . وهددهم بما لا يقدر عليه غيره من الدخان والبطشة ، وفعل بعد ذلك . وذكرهم بما يعرفون من أخبار من مضى من قديم القرون ، وأنهم مع ذلك أنكروا البعث والنشور ، ثم ذكر ما يقتضي التحذير والتبشير ، كل ذلك في أساليب فاتت كل المدى ، فأعجزت جميع القوى ، مع ما لها من المعاني الباهرة ، والبدايع الزاهرة القاهرة ، سبب عن قوله

(١) التحرير والتنوير (١٦/١٧٦-١٧٧) .

فذلـكة^(١) السـورة : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ ؛ أي : جعلنا له يسراً عظيماً بسهولة كبيرة^(٢) .

٢- ذهب الطاهر بن عاشور إلى أن الفاء في قوله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ للتفريع ، وذلك إشارة إلى أن ما بعدها متفرع عما قبلها ؛ لأن المذكور بعد الفاء فذلـكة للسورة ؛ أي : إجمال لأغراضها بعد تفصيلها فيما مضى ، إحضاراً لتلك الأغراض وضبطاً لترتب علتها .

٣- ولما كان جل غرض السورة إثبات إنزال القرآن من الله ﷻ ، كما أشارت إليه افتتاحيتها : ﴿ حَمْدٌ ﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان : ١-٣] ، فكانت هذه الآية تفرعاً مرتبطاً بذلك الافتتاح ، وهو من باب ردّ العجز على الصدر ؛ فهذا التفريع لمعنى الحصر الذي في قوله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ لبيان الحكمة في إنزال القرآن باللسان العربي ؛ فيكون تفرعاً على ما تقدم في السورة وما تحلله وتبعه من المواضع^(٣) .

٤- في هذه الآية الخاتمة رد العجز على الصدر ؛ إذ كان صدر السورة فيه ذكر إنزال الكتاب المبين ، وأنه رحمة من الله ﷻ ، بواسطة رسالة سيدنا ﷺ ، فجاءت هذه الآية : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ تبين أن تيسير الرسالة قد تم بلسان رسول الله ﷺ لا غير .

الفرع الثاني : مناسبة السياق : وللمفسرين فيها وجوه :

١- بعد أن بين الله ﷻ تسهيله لكتابه الكريم وتيسيره ؛ حيث أنزله باللغة العربية ، لعلمهم يفهمونه ، ولما لم يتذكروا ويتعظوا جاء قول الله ﷻ : ﴿ فَآزَتْقَبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ [الدخان : ٥٩] تهديداً لهم ، وإيناساً للنبي ﷺ وتشبيهاً لفؤاده الشريف ، وهو على تقدير شرط قوله ﷻ : ﴿ فَآزَتْقَبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ جواباً له ؛ لأن جواب لما يجوز اقترانه بالفاء ، كما صرح به النحاة .

(١) الفذلـكة : التذكير والشرح لما مضى ، من قول الحساب : فذلـك كذا ؛ فيكون تذكيراً وشرحاً لما مضى ، وفذلـكة السورة : إجمال لما فيها من التفصيل . حاشية الشهاب (١٤/٨) .

(٢) نظم الدرر (٨٦/٧)

(٣) التحرير والتنوير (٣٢٠/٢٥-٣٢١) .

والمعنى : فانتظر ما يحل بهم ، فإنهم منتظرون ما يحل بالنبى ﷺ وما يحل بهم ^(١) .

٢ - لما كان مع وضوح القرآن وبيانه قد وجد في الناس من كفر به وخالف وعاند ، قال الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ مسلماً له ، وواعداً له بالنصر ، ومتوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك : ﴿ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴾ [الدخان : ٥٩] ^(٢) .

٣ - ختمت الآية التي نحن بصدد دراستها بقوله ﷻ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ؛ أي ليكونوا عند من يراهم وهو عارف بلسانهم ممن شأنه كشأنهم ، على رجاء من أن يتذكروا أن هذا القرآن شاهد بإعجازه بصحة ما فيه من التوحيد والرسالة وغيرهما مما سبق إليك ، وإلا لقدروا هم ، وهم أفصح الناس على معارضة شيء منه فيتذكروا ما غفلوا عنه من أنه عزيز بإهلاكه الجبابرة ، وأنه حكيم بنصبه الآيات لأنبيائه وتأيدهم بالمعجزات ، ومن أن الكبير منهم لا يرضى أن يطعن أحد في كبريائه ، ولا أن يترك من له عليه حكم وهو تحت قهره أن يبغى بعضهم على بعض ، ثم لا ينصر المظلوم منهم على ظالمه ، ويأخذ بيده حتى لا يُسَوِّيَ المحسن بالمسيء ، فإذا تذكروا ذلك مع ما يعرفون من قدرة الملك وكبريائه ، وحكمته علموا قطعاً أنه لا بد من البعث للتمييز بين أهل الصلاح والفساد ، والفصل بين جميع العباد ، فتسبب عن ذلك قوله : ﴿ فَأَرْتَقِبْ ﴾ ؛ أي : ما رجيتك به من تذكرهم المستلزم لهدايتهم . ولما كانوا يظهرون تجلداً ولدداً أنهم لا يعبئون بشيء من القرآن ولا غيره مما يأتي به ولا يعدون شيئاً منه آية ، آخر عما يبطنون من خوفهم وانتظارهم لجميع ما يهددهم به مؤكداً لأجل ظن من حمل تجلدهم على أنه جلد فقال : ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ وزاد الأمر بالإخبار بالاسم الدال على الثبات والدوام فقال : ﴿ مُرْتَقِبُونَ ﴾ أي تكليفهم أنفسهم المراقبة وإجهادهم أفكارهم في ذلك دائم لا يزيلهم بل قد قطع قلوبهم وملاً صدورهم ، فقد انطبق آخر السورة على أولها ، بل وعلى المراد من مجملها ومفصلها ، بذكر الكتاب والارتقاب لأنواع العذاب ،

(١) حاشية الشهاب (١٤/٨) .

(٢) الأساس في التفسير (٣٣٠٥/٩) .

والله الهادي إلى الصواب ، إنه الكريم الوهاب » ^(١) .

٤- قال ابن عاشور : « وباعتبار هذه المعاني المتوافرة حسن أن يفرع على هذه الجملة تأييد النبي ﷺ ، وتهديد معانديه بقوله : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴾ أي : فارتقب النصر الذي سألته بأن تعان عليهم بسنين كسني يوسف عليه السلام ؛ فإنهم مرتقبون ذلك وأشد منه ، وهو البطشة الكبرى » ^(٢) .

المطلب الخامس : النكات التفسيرية والبلاغية

قوله ﷻ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ للمفسرين فيه أقوال :

- ١- لعلمهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا ؛ لموافقته لغتهم ^(٣) .
- ٢- لعلمهم يتعظون ^(٤) .
- ٣- لعلمهم يتعظون وينزجرون ^(٥) .
- ٤- ليكونوا عند من يراهم ، وهو عارف بلسانهم على رجاء أن يتذكروا أن هذا القرآن شاهد بإعجازه على صحة ما فيه من التوحيد والرسالة وغيرهما ؛ وإلا لقدروا على معارضة شيء منه ، وهم أفصح الناس ، فيتذكروا ما غفلوا عنه من أن الله ﷻ عزيز بإهلاكه الجبابرة ^(٦) .
- ٥- لأجل أن يتذكروا ، لأن « لَعَلَّ » مستعملة في التعليل ، والصيغة تفيد الأمر بالتذكير بالقرآن ، والتقدير : فذكروهم به ولا تألم لفسادهم فيه ، ودم على ذلك حتى يحصل التذكر ^(٧) .

(١) نظم الدرر (٨٧/٧) .

(٢) التحرير والتنوير (٣٢٢/٢٥) .

(٣) أنوار التنزيل (١٦٦/٥) ، حاشية الشهاب (١٤/٨) .

(٤) الأساس في التفسير (٣٣٠٥/٦) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٥٥/١٦) .

(٦) نظم الدرر (٨٧/٧) .

(٧) التحرير والتنوير (٣٢١/٢٥) .

المبحث الثالث : الدراسة الموضوعية

تمهيد :

مرّ معنا أن أربع آيات في سورة القمر بصيغة واحدة ولفظ واحد نصت : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر : ١٧ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٧] .

وقال ﷺ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ [مريم : ٩٧] .

وقال ﷺ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان : ٥٨] .

ولم أعتثر على دراسة تربط ما بين الآيات ، وتحدد الصلة فيما بينها ، ومن ثم توضح الترابط بينها .

والدارس لهذه الآيات يرى أن الآيات في سورة القمر ورد فيها التيسير مطلقاً^(١) ، إذ لم تحدد سبله ووسائله وآلاته ، بينما ورد التيسير في آية مريم والدخان مقيداً^(٢) بلسان النبي ﷺ وبصيغة الحصر والقصر ، وكأنه لا تيسير لكتاب الله ﷻ إلا بلسان رسول الله ﷺ .

(١) المطلق عندهم : هو اللفظ الدال على فرد أو أفراد على سبيل الشيع ، كأسماء الأجناس : رجل ، كتاب .

(٢) والمقيد : هو اللفظ الدال على فرد أو أفراد على سبيل الشيع ، مقيد بقيد من القيود ؛ وذلك باقتراحه بصفة من الصفات أو بصفات متعددة ؛ لأن الوصف قيد ، وكلما تعددت الأوصاف كثرت القيود . نحو : رجل مؤمن ، رجل مؤمن عالم مجاهد . ونحو ذلك .

وعليه : فإذا ورد اللفظ مطلقاً في نص ، ومقيداً في آخر ، فهل يحمل المطلق على المقيّد أولاً ؟ ^(١)

(١) هنا لا يخلو الأمر إما أن يكون الإطلاق والتقييد في نفس الحكم ، أو في سببه : فإن كان الإطلاق والتقييد في سبب الحكم حمل المطلق على المقيّد عند الجمهور ، وقالت الحنفية : لا يحمل المطلق على المقيّد .

أما إذا كان الإطلاق والتقييد في نفس الحكم فإن له أربع صور :

الأولى : اتحاد الحكم والسبب : وهنا يحمل المطلق على المقيّد بالاتفاق ، كالدّم المحرم تناوله ، فإنه جاء مطلقاً في سورة البقرة : ١٧٣ ، والمائدة : ٣ ، والنحل : ١١٥ ، وجاء مقيداً في سورة الأنعام : ١٤٥ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مُسْفُوحًا ﴾ .

الثانية : اختلاف الحكم والسبب : وهنا لا يحمل المطلق على المقيّد بالاتفاق ، وذلك كاليد : حيث أطلقت في آية السرقة : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة : ٣٨] ، وقيدت في آية الوضوء : ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة : ٦] .

الثالثة : اختلاف الحكم مع اتحاد السبب : وهنا لا يحمل المطلق على المقيّد بالاتفاق ، وإنما يبحث عن الحكم من دليل آخر كـ « اليد » حيث جاءت في آية التيمم مطلقة : ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ [النساء : ٤٣ ، المائدة : ٦] ، ومقيدة في آية الوضوء : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة : ٦] .

الرابعة : اتحاد الحكم مع اختلاف السبب : اختلف الأصوليون في هذه الصورة : فذهب الأكثرون إلى حمل المطلق على المقيّد . وذهب أبو حنيفة والزيدية وأحمد في رواية وبعض الشافعية : إلى أنه لا يحمل المطلق على المقيّد . وذلك في الرقبة في الكفارة : حيث جاءت مطلقة في آية الظهار : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ﴾ [المجادلة : ٣] . وجاءت مقيدة في آية القتل الخطأ : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَبِئْسَ مُسْلِمًا إِلَى أَهْلِيهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ ﴾ [النساء : ٩٢] .

فاشترط الجمهور في رقبة كفارة الظهار الإيمان حملاً للمطلق على المقيّد ، ولم يشترط أبو حنيفة ومن وافقه الإيمان في ذلك ، لعدم حملهم المطلق على المقيّد .

إحكام الأحكام ، الأمدي (١٦٤/٢) ، تيسير التحرير (٣٣٠/١) ، البحر الزخار (١٦٦/١) ، مسائل من الفقه المقارن (١٦٦/١-١٨) ، أصول الفقه ، لزكي شعبان ص ٢٩٠ .

من خلال المباحث الأصولية في حمل المطلق على المقيد يتبين للدارس أن المطلق يحمل على المقيد في تيسير القرآن الكريم ، ولا سيما أن الآيات المقيدة جاءت بصيغة الحصر والقصر ، فيصير المعنى - والله أعلم - : ولقد يسرنا القرآن للذكر بلسانك يا محمد لا بأمر آخر ، لتبشر به المتقين ، وتنذر به قوماً لداً ، لعلهم يتذكرون ، فهل من مذكر يذكر ، وهل من متذكر يتذكر ؟! ومن ثم فحمل اللسان على الحقيقة « الجارحة » أولى من حمله على المجاز « اللغة » ؛ إذ القاعدة الأصولية تقول : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ولا يحمل على المجاز إلا لوجود قرينة صارفة ، ولا وجود للقرينة هنا .

وحمل التيسير على إنزال القرآن باللغة العربية جاء في آيات مصرحاً به ، ولا يحتاج إلى استنباط أولى الأبواب والنهي ، إذاً فما هي مزية التيسير ؟!

إذا كانت اللغة العربية ميسرة على العرب فليست ميسرة على الأعاجم ، والعرب بالنسبة للأعاجم كالشعرة البيضاء في الجلد الأسود ، فأين تيسير القرآن للأمم الأخرى ، وما هو ؟

أما إضافة التيسير إلى لسانه الشريف ﷺ ففيه زيادة مزية مع ما فيه من الخصوصية التي تستدعي الانتباه ، وتستدعي الاهتمام . والتيسير الحاصل بلسان رسول الله ﷺ أعظم بكثير مما لاحظته المفسرون ؛ لأنه شامل لجميع ما قاله المفسرون في تيسير القرآن مطلقاً ، بالإضافة إلى أمور أخرى لم يذكرها المفسرون ولم ينطرقوا لها في تفاسيرهم ودراساتهم .

فالآيات الكريمة ذكرت طرفي التيسير ، التيسر الأول وهو الله ﷻ في البداية ، ثم الوسيلة النهائية في التيسير ، وهي لسان النبي ﷺ ، ولم تتعرض الآيات الكريمة لمراحل التيسير وأطواره من البداية إلى النهاية .

وقد بينت آيات الكتاب الكريم والسنة المطهرة مراحل التيسير من خلال مراحل نزول القرآن الكريم :

المرحلة الأولى : القرآن كلام الله ﷻ ، والكلام صفة المتكلم ، والكلام صفة من صفات الذات ، حيث لم يزل الله ﷻ متكلماً .

المرحلة الثانية : تنزيله إلى أم الكتاب : قال الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٤] .

المرحلة الثالثة : تنزيله إلى اللوح المحفوظ : قال الله ﷻ : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [البروج : ٢١-٢٢] .

المرحلة الرابعة : تنزيله إلى بيت العزة في السماء الدنيا .

المرحلة الخامسة : تنزيله على قلب النبي ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل الطيّب خلال ثلاث وعشرين سنة ^(١) . عن ابن عباس ؓ قال : « أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك » . وفي رواية : « فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل الطيّب ينزل به على النبي ﷺ » ^(٢) .

المرحلة السادسة : انتقاله من قلب النبي ﷺ إلى لسانه الشريف .

المرحلة السابعة : انتقاله من لسانه الشريف ﷺ إلى أسماع الناس . حيث تم تيسيره على الخلق .

ومما يقرب لنا الصورة مثال البث التلفازي - وخير أنيس في العلوم مثال - : حيث يرى المشاهد أمرين : الساحة المنقول عنها ، والجهاز المستقبل للبث وهو التلفاز ، دون أن يرى الفريق التلفازي المنهمك في نقل الحديث : من عاملين في الإنارة ، والتصوير ، والإخراج ، ثم البث ، ثم الاستقبال في مركز الإذاعة والتلفاز ، ثم إعادة البث من جديد ، إلى غير ذلك من الأعمال التي لا شأن للمشاهد بمعرفة كيفية آليات العمل فيها .

وفي الحياة أمور كثيرة هذا شأنها يذكر فيها طرفا المسألة ، مع ترك ما بينهما اعتماداً على فهم السامع أو أن هذا هو الذي يهم عامة الناس ، فالناس عموماً يعرفون الحمل والولادة

(١) مناهل العرفان ، الرزقاني (٣٦-٤٤) ، البرهان (٢٢٨-٢٣١) ، الإتيقان (١١٦/١) ، المرشد الوجيز ص ٢٠-٢٨ .

(٢) تنظر هذه الروايات في : الإتيقان ، السيوطي (١١٦-١١٨) ، مناهل العرفان (٣٧-٤٠) .

في الأحياء ، ويهمهم وقت الحمل والولادة دون إجراءات النمو والتطور في الجنين خلال مراحل الحمل . ولعلي بهذين المثالين قد قربت الصورة للأخ القارئ ، والله ولي التوفيق .
فاللسان إذاً هو الجارحة ، والجارحة وسيلة الكلام ، وعن طريقها يدار الكلام ، حيث اللسان واللغة واسطة البشارة و النذارة ، وتبشير المتقين الذين ليس لهم لغة معينة ولا جنس ولا لون يحتاج إلى التيسير ، وإنذار الكفار والمشركون والمنافقين والعصاة يحتاج إلى التيسير بواسطة اللسان الآخذ عن القلب .

وبهذا يتأكد لكل ذي لب عظيم فضل رسول الله ﷺ على الخلق عامة والمسلمين خاصة، مع التنبيه إلى سعة جاهه ، وعلو منزلته ، وعميم فضله ، وذلك ليعلم الناس كل الناس حقّ هذا الرسول عليهم فيقبلوا على الإيمان به واتباعه ، ثم ليشكروا هذه النعمة ويقدروها قدرها ، إذ تيسرت في القرآن الكريم أمور كثيرة أهمها : الذكر ، والتلاوة ، والحفظ ، والفهم ، والنور ، والتعلم والتعليم ، والهيبة ، والثقل ، بلسان رسول الله ﷺ .
خلاصة أقوال المفسرين في التيسير في قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ .
للمفسرين في بيان معنى التيسير في الآية أقوال :

١- هوّا قراءته ، وسهّلنا تلاوته على أهل كل لسان . فهل من قارئ لهذا القرآن منتفع به ؟ فيقرأه وينتفع به .

٢- سهّلنا علم ما فيه ، واستنباط معانيه ، وفهمها . فهل من متعلم علم ما فيه ومستنبط من لطيف معانيه ، ومستخرج لجواهره ودراريه ؟

٣- هوّا حفظه ، فهو أيسر كتاب يحفظ ، فكل مريد لحفظه فإنه معان مع ما فيه من الاختصار ، وعذوبة اللفظ ، فهل من مقبل على حفظه ليعان ؟

٤- سهّلناه للاتعاظ والادّكار ؛ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر . فهل من متعظ ؟ وهل من معتبر ؟

٥- هيأناه للذكر ، والتهيئة : رفع الموانع ، وإحضار الدواعي . فهل من مغتئم للفرصة ؟ وهل من مقبل عليه ؟

٦- بيناه وفصلناه للذكر . فهل من شاكر لهذه النعمة ، ومن مهتبل لهذه السائخة ؟
 ٧- جعلناه بحيث يعلق بالقلوب ، ويستلذ سماعه ، فلا يسأم سامعه ، وكلما ازداد له سمعاً ازداد لذة وعلماً وفهماً . فهل من قلوب مقبلة على كتاب الله ﷻ آناء الليل وأطراف النهار ؟

٨- جعلناه تذكرة لكل أحد ، وتحذير به العالمين ، فهو باق على مرّ الدهور وتعاقب العصور معجزة خالدة وآية شاهدة وحجة قائمة ، لا يحتاج متبعه إلى المعجزات ، ولا إلى مزيد من الآيات والدلالات . فهل من مستفيد من أسلوبه ومنهاجه ؟ وهل من متبع لهذه الإرشاده .

٩- ظهور أمره حتى لا يتعلق به نكر أو ريب ، فمن تمسك به أغناه عن مراجعة غيره ومعاودة سواه . فهل من مؤمن به ؟ مستيقن بما فيه ؟ مستغن به عن سواه ؟ مقبل عليه معرض عن عداه ؟

١٠- أنزلناه على لغتهم ؛ أي اللغة العربية المجيدة . فهل من مدرك لهذا الجحد ؟ وهل من مدرك لهذا الرشد ؟ وهل من معتبر مبصر لهذه النعمة ؟ فأين الشكر ، والاتباع ؟ وأين الجهاد بالمال والنفس والأهل والأتباع ^(١) ؟

قال ابن برّجان ^(٢) : « أنزلناه باللسان العربي ، ونزلناه للأفهام تنزيلاً ، وخاطبناهم بعوائدهم ، وأعلمناهم من قبل أعمالهم ، وأقبسناهم المعرفة واليقين من قبل ذواتهم ، وضربنا لهم الأمثال ، وأطلناهم في هذه الأعمال : ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم » ^(٣) .

(١) جامع البيان (٩٦/٢٧) ، الدر المنثور (٦٧٦/٧) ، النكت والعيون (٤١٣/٥) ، الكشف (٤٣٥/٤) ، مفاتيح الغيب (٤٣/٢٩-٤٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٨٨/٨٧/١٧) ، مختصر ابن كثير (٤١٠/٣) ، روح البيان (٢٧٤/٩) ، حاشية الشهاب على البيضاوي (١٤/٨ و ١٢٤) ، روح المعاني (٨٤/٢٧) .

(٢) ابن برّجان : هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي المشهور بابن برّجان ؛ له تفسير القرآن الكريم المسمى « الإرشاد » والمشهور بـ « تفسير ابن برّجان » ، وأكثر الكلام فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات . الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى (٧٦-٧٧) ، كشف الظنون (٤٣٤/١ و ٤٣٧) .

(٣) نظم الدرر (٣٥٢/٧) .

وقال القشيري : « يَسِّرُ قراءته على ألسنة قوم ، وعلمه على قلوب قوم ، وفهمه على قلوب قوم ، وحفظه على قلوب قوم ، وكلهم أهل الله وخاصته » ^(١) .

وقال برهان الدين البقاعي : « فالمعنى : أنا لو شئنا بما لنا من العظمة لجئناهم بعبارات لا يشمّون رائحتها ، وبلاغات لا يهتدون إلى وجه معناها أصلاً ، لكننا لم نفعل ذلك ، بل خاطبناهم بأبلغ من بلاغتهم ، مع تيسير فهم ما خاطبناهم به ، فكان في ذلك إعجازان : أحدهما : أنه فوق بلاغتهم .

والثاني : أنه مع علوّه يشترك في أصل فهمه الذكي والغبي » ^(٢) .

وبعد هذه المقدمة آن لنا الشروع في تبين بعض مظاهر التيسير بلسان رسول الله ﷺ :

المطلب الأول : تيسير هية القرآن العظيم وجلاله :

من أجل إثبات ذلك لابدّ من بيان هية القرآن العظيم وجلاله حتّى نتبين بعد ذلك وجه التيسير :

الفرع الأول : هية القرآن العظيم وجلاله في القرآن الكريم :

أ - قال الله ﷻ : «لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » [الحشر : ٢١] . اختلفت أقوال المفسرين في المراد بالخطاب على أقوال :

الأول : أن الخطاب لرسول الله ﷺ : يبين الله ﷻ في هذه الآية منته على رسوله ﷺ بأنه لو أنزل هذا القرآن على جبل شامخ راسخ ، عريض صلب لما ثبت بل انصدع وتشقق من نزوله عليه ، ولكن أنزل هذا القرآن على حبيبه محمد ﷺ فثبت له ، وما انصدع منه شيء .

(١) نظم الدرر (٣٥٢/٧) .

(٢) نظم الدرر (٣٥٢/٧) .

الثاني : أن الخطاب للأمة : فيبين الله ﷻ منتهى الخلق ؛ إذ أن هذا القرآن لو أنذرت به الجبال لتصدعت وتهدمت من خشية الله ، والإنسان أقل قوة وأكثر ثباتاً ، والإنسان مخير بين الطاعة والانقياد ، والرد والعصيان ؛ لأنه موعود بالثواب والعقاب ، ففي ذلك إظهار للمنة ، وحض على الخضوع والخشوع للقرآن الكريم .

الثالث : أن الخطاب للكفار : وهو مثل ضربه الله ﷻ لهم ؛ ليحثهم على تأمل مواظ القرآن وتدبر معانيه ؛ وأن لا عذر في ترك تدبره ، فإنه لو خاطب بهذا القرآن الجبال الرواسي لانقادت له ، ولرأيتها على صلابتها ومتانتها خاشعة متصدعة متشققة منهارة من خشية الله ﷻ ، وأنتم أيها الكفار المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده ، ولا ترهبون من وعيده ^(١) .

والأولى أن يحمل الخطاب على العموم ليتناول المخاطب الأول وهو الرسول ﷺ ، وأصحابه ﷺ ، ثم أمته من بعده ، ثم الكفار والمشركين على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم على تطاول الأيام ومرور الأزمان ؛ لأن كل إنسان أراد أن يتدبر في آي القرآن لا بد أن يرى بعينه وعقله وقلبه عظمة القرآن وسطوة هيئته على القلوب والنفوس ، فلو أن الله ﷻ قدر أن ينزله على الجبال لرأها كل من يريد أن يرى خاشعة خاضعة متذللة مع قساوتها وصلادتها ، ولكن شأن ابن آدم عجيب وأمره غريب فلقد آتاه الله ﷻ قلباً وحكمة فيه ؛ فإن شاء لان وخضع وخشع لله رب العالمين ، وإن شاء عصى الله ﷻ فكان قلبه كالحجارة أو أشد قسوة ، وصدق الله العظيم إذ قال : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٤] .

فأي قلب هذا الذي امتلكه بعض الناس !! تتصدع الصخور والجبال ولا ينصدع ، وتقع الجبال هدأً ولا يثني ، ولا يؤدي حق الله المفترض عليه في تعظيم القرآن !! يستخف

(١) جامع البيان (٥٣/٢٨-٥٤) ، النكت والعيون (٥/٥١٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٠/١٨) ، مختصر ابن كثير (٤١٨/٣-٤٧٩) ، مفاتيح الغيب (٢٩٣/٢٩) .

بأحكام القرآن وعبره وعظاته ، بل هو معرض عنها كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ !
يقول الحسن البصري : « إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت
وتصدعت من خشيته ، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم » ^(١) .

وأخرج ابن المنذر عن مالك بن دينار قال : « أقسم لكم لا يؤمن عبدٌ بهذا القرآن
إلا صدع قلبه » ^(٢) . أي : لا يؤمن عبد إيماناً صادقاً كاملاً بهذا القرآن الكريم إلا أصابه
ما يصدع قلبه من شدة ما يجد من الثقل والهول . ولا بد من القول : إن القلوب التي تحس
بوقوع آيات الله ﷻ هي القلوب اللينة الرقيقة ، ومن ثمار هذا الانصداع الطاعة والانقياد ،
أما القلوب القاسية والغليظة فلا تحس بذلك الوقوع وإنما تجد بعض آثاره ؛ لأنها منصرفة عن
جهة التلقي والتأثير ، ومن ثمار ذلك الإعراض والعصيان .

فانظر أيها الأخ القارئ ! أي قلب كان لرسول الله ﷺ قوة وثباتاً ، حتى تلقى هذا
القرآن الكريم عن جبريل العليّ ؟ ثم أي قلب يستطيع تحمل هذا القرآن العظيم لولا أنه
يُسّر بلسانه ﷻ !؟

ب - إن القلوب والأجسام العادية لا تتحمل الوحي ولا أنواره ولا سماع خطابه :
بل إن هذه القلوب والأجسام لا تتحمل الخطاب الميسر على لسان رسول الله ﷺ ، ولقد
انصدعت قلوب ، وطاشت عقول ، وذهبت ألباب عندما كوشفت بشيء من هيبة القرآن
الكريم الميسر ! ومن أجل معرفة حقيقة هيبة القرآن ننقل إلى الملأ الأعلى ، لتعرف على
أحوالهم عندما يريد الله ﷻ إحياء أمر من الأمور .

يقول الله ﷻ : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ
قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ [سبا : ٢٣] .
اختلف أهل التفسير في زمن التفريع عن القلوب ، وفي الذين فزّع عن قلوبهم :

(١) مختصر ابن كثير (٤٧٩/٣) .

(٢) الدر المنثور (١٢١/٨) .

فذهب جمهور المفسرين إلى أن الزمن البرزخ أو يوم القيامة ، وذلك لأنهم ذهبوا على اختلاف أقوالهم إلى أن المفزَع عن قلوبهم الإنس أو الجن كما سنرى .
 وذهب بعض المفسرين إلى أن الأمر متعلق بالدنيا ؛ لأنهم حملوا التفريع على الملائكة ، ولم ينفوا أن يكون ذلك يوم القيامة .

أما الذين فزع عن قلوبهم فللمفسرين فيهم ستة أقوال :

- ١- أنهم المؤمنون : معناه خلّي عن قلوبهم الفزع ، قال قطرب : « أخرج ما فيها من الخوف » .
- ٢- أنهم سائر الإنس : كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة . وذلك عند الفزع ؛ لأن القبر أول منازل الآخرة .
- ٣- أنهم الشياطين فزَع عن قلوبهم ففارقوا ما كانوا عليه من إضلال أوليائهم .
- ٤- أنهم الكفار والعصاة دُعوا فاستجابوا من قبورهم ، مأخوذ من الفزع الذي هو الدعاء والاستصراخ .
- ٥- أنهم المؤمنون الصادقون فزَع ما في قلوبهم من الشك والشرك .
- ٦- أنهم الملائكة ، فزَعوا عند سماع الوحي من الله ﷻ .
- ٧- أنهم المشركون كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت ، فسألهم الملائكة فأقرّوا حين لا ينفع الإقرار ^(١) .

والسياق القرآني للآية يتعلق فيمن يؤذن لهم بالشفاعة يوم القيامة ، فإذا ورد عليهم الإذن بالشفاعة صعقوا لما يقترون بتلك الحال من الأمر الهائل ، والخوف الشديد ، تهيأً لكلام الله ﷻ ، والخشية من التقصير في تنفيذ ما أذن الله به ^(٢) .

وهذا الحال أليق بالملائكة في الدنيا والآخرة ، وليس من شأن البشر ذلك ، ولا

(١) جامع البيان (٩٣-٨٩/٢٢) ، النكت والعيون (٤٤٨/٤) ، الكشف (٥٨٠/٣) ، مفاتيح الغيب

(٢٥٦/٥-٢٥٧) ، الجامع لأحكام القرآن (١٨٩/١٤) ، معالم التنزيل (٥٥٧/٣-٥٥٨) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨٩/١٤) .

سيما وقد وردت أحاديث كثيرة وآثار تدل على أنه حال الملائكة منذ نزول الوحي .

الفرع الثاني : هيبة القرآن العظيم وجلاله في السنة المشرفة : أخرج ابن مردويه عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « لما نزل جبريل بالوحي على رسول الله ﷺ ، فزع أهل السموات لانخطاطه ، وسمعوا صوت الوحي كأشد ما يكون من صوت الحديد على الصفا ، فكلما مرّ بأهل سماء ﴿ فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ فيقولون : يا جبريل ! بماذا أمرت ؟ فيقول : نور العزة العظيم ، كلام الله بلسان عربي » ^(١) .

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة والكلبي في قوله ﷺ : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ قالوا : لما كانت الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ فنزل الوحي مثل صوت الحديد ، فأفزع الملائكة عليهم السلام ذلك ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ قالوا ، إذا جلّى عن قلوبهم ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ^(٢) .

وأخرج ابن جرير وابن خزيمة وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن النّوّاس بن سميان عن سمعان بن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله أن يوحى بأمر تكلم بالوحي ، فإذا تكلم بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله ﷻ ، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، فيمضي به جبريل عليه السلام على الملائكة عليهم السلام ، كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبرائيل : قال : ﴿ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل عليه السلام ، فينتهي جبريل عليه السلام بالوحي حيث أمره الله من السماء والأرض » ^(٣) .

عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى

(١) الدر المنثور (٦/٦٩٩-٧٠٠) .

(٢) الدر المنثور (٦/٧٠٠) .

(٣) جامع البيان (٩١/٢٢) ، الدر المنثور (٦/٦٩٨) .

يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل فزّع عن قلوبهم ، قال : فيقولون يا جبريل : ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحق ، فيقولون : الحق ، الحق « (١) .

ورواه البخاري معلقاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه قال : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً ، فإذا فزع عن قلوبهم ، وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ، ونادوا ، ماذا قال ربكم ؟ قال : الحق » (٢) .

وعن أبي هريرة ؓ يبلغ به النبي ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ، فإذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العليّ الكبير » (٣) .

فإذا كان هذا حال الملائكة بل حال أعظمهم عند سماع كلام الله ﷻ ، وهم أجسام نورانية اعتادت سماع الخطاب الرباني ، فكيف يمكن للبشر العاديين سماع كلام الله والاستفادة منه ؟

ومن هنا يعلم أن الناس مسلمهم وكافرهم لا يقدرّون على تحمل خطاب القرآن الكريم بصورة مباشرة ؛ لأن الله ﷻ لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله ، والإنسان أقل قوة من الجبال ، ولكنه بفضل رسول الله ﷺ لطفت هذه الهيبة على لسانه ﷺ فأعطي الإنسان الثبات لتلقي هذا القرآن ؛ فإن آمن بالرسول ﷺ كان قادراً على القيام بحقه ، وإن كان كافراً كان قادراً على رده ، وإن أمر الكافر لأعجب من العجب العجائب ؛ إذ كيف يرد هذا القرآن ويكفر به ، مع أنه لو نزل على جبل لخشع لوعده ، ولتصدع لوعيده ، ثم هو بعد ذلك لا يرغب في وعده ، ولا يرهب من وعيده .

(١) سنن أبي داود (٢٣٥/٤) ، برقم (٤٧٣٨) كتاب السنة ، صحيح ابن حبان (٢٢٤/١) برقم (٣٧) .

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري (٤٥٣-٤٥٩/١٣) ، كتاب التوحيد (٣٢) .

(٣) صحيح البخاري بشرح الفتح (٤٥٣/١٣) برقم (٧٤٨١) ، سنن الترمذي (٣٦٩/٥) برقم

(٣٢٢٣) ، سنن ابن ماجه (٦٩/١) برقم (١٩٤) ، فتح الباري (٥٣٧-٣٨٠/٨) ، دلائل

النبوة ، البيهقي (١٩/٢ و ٢٣٥) .

لذلك كان للقرآن وقع شديد على القلوب المؤمنة والكافرة ، فما سمع القرآن كافر إلا وأثر فيه وهز كيانه ، وهذا الأثر واضح في رؤساء قريش وزعمائهم ، ولكن منهم من يستجيب لنداء الحق فيعلن إسلامه ويشهد شهادة الحق ، ومنهم من يتبع هواه فيضله الله جَلَّالَهُ على علم فيعلن عداوته للحق الذي استيقنه .

وما سمعه مؤمن إلا ازداد خشيةً لله عَلِيهِ السَّلَام ، ولقد مرض عمر بن الخطاب شهراً لسماع أوائل آيات سورة الطور ^(١) ، وأغمي على آخرين ، وفارق بعضهم الحياة لسماع آية واحدة من كتاب الله .

ولقد كان تأثير القرآن الكريم شديداً على كفار قريش ، حيث حارت به ألبابهم وطاشت له عقولهم ، وانخلعت له قلوبهم ، ولقد قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيات يوماً ثم سجد فسجد معه كفار قريش لشدة وقعها على قلوبهم ^(٢) ، وقصة الوليد بن المغيرة خير شاهد على عظم الأثر وشدة الوقع .

فهذا أثر القرآن وقد لطفت هيئته بلسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف يكون الحال لو لم

يُسَرَّ ١٩١؟

الفرع الثالث : هبة القرآن العظيم وجلاله في الآثار وأقوال أهل العلم : ذكر

أهل العلم من وجوه إعجاز القرآن الكريم : ما يقع في النفوس منه عند تلاوته من الروعة ، وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة ، وما يلحقها من الخشية ، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير

(١) ينظر الدر المنثور (٦٣٠/٧-٦٣١) ، وفيه : أخرج سعيد بن منصور وابن سعد وأحمد عن جبير بن مطعم قال : « قدمت المدينة في أسارى بدر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فوقفت إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة المغرب ، فسمعتة يقرأ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ ، فكأنما صدع قلبي » . وأخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن أن عمر بن الخطاب قرأ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ ، فربا لها ربوة عيد لها عشرين يوماً . وأخرج أحمد في الزهد عن مالك بن مغول قال : قرأ عمر : ﴿ وَالطُّورِ ﴾ وَكَتَبَ مُنْطَوِرٌ ﴿ فِي رَقٍّ مُنْشُورٍ ﴾ ، قال : قسم إلى قوله : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ ، فبكى ثم بكى حتى عيد من وجعه ذلك .

(٢) ينظر خير سجود قريش : صحيح البخاري (١٠٦٧ و ١٠٧٠ و ٤٨٦٣) ، صحيح مسلم (٥٧٦) ، سنن أبي داود (١٤٠٦) ، سنن النسائي (٩٥٨ و ٩٥٩) ، سنن الترمذي (٥٧٥) .

فاهمة ، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة ^(١) ، ولذلك قال ﷺ : « إن هذا القرآن صعب مستصعب لمن كرهه ، ميسر لمن تبعه ، وإن حديثي صعب مستصعب لمن كرهه ، ميسر لمن تبعه ، من سمع حديثي فحفظه وعمل به جاء يوم القيامة مع القرآن ، ومن تهاون بحديثي فقد تهاون بالقرآن ، ومن تهاون بالقرآن خسر الدنيا والآخرة » ^(٢) .

والفرق بين المؤمن والكافر أن المؤمن يستديم هذه الخشية فيمضي في طاعة الله ﷻ ورضوانه ، والكافر يصرفها عن نفسه ويتغافل عنها فيبقى على ما هو عليه .

وقد علّق على هذا الوجه : بأن هذه الهيبة لم تزل تعترى من سمعه . وقد اعترت جماعة من الصحابة قبل الإسلام وبعده ، فقد صح أن جبير بن مطعم قال : « سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُمْضِطِرُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ [الطور : ٣٥-٣٧] ، كاد قلبي أن يطير » ^(٣) .

ومن شواهد هيبة القرآن على القلوب ما ذكره أصحاب السير : أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً من سادات قريش - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ! ألا أقوم إلى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ؟ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ! قم إليه فكلّمه . فقام إليه عتبة حتى جلس إليه ، فقال : يا ابن أخي ! إنك منا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة ، والكمال في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلتهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل مني

(١) الفوائد المشوق ص ٣٤١ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١٨٩/٢) ، ذكره ضمن الأحاديث المسندة إلى رسول الله ﷺ ، الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٨) .

(٣) الفوائد المشوق ص ٣٤١ ، وانظر : صحيح البخاري : المغازي (٢٠/٥) ، البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (١٠٦/٢) .

بعضها ! فقال رسول الله ﷺ : « قل أبا الوليد أسمع » ! قال : يا ابن أخي ! إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً ^(١) لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا ، حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة من كلامه ، ورسول الله ﷺ يستمع إليه ، قال : « فقد فرغت يا أبا الوليد » ؟ قال : نعم ! قال : « فاسمع مني » ! قال : أفعل . قال الرسول ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم ﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَمِلُونَ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿ ﴾ [فصلت : ١-٦] ، ثم مضى رسول الله ﷺ يقرأ هذه السورة ، وعتبة منصت إليه ، ملق يديه خلف ظهره معتمداً عليهما ، حتى إذا بلغ النبي ﷺ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴾ [فصلت : ١٣] ، فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه .

والذي يبدو من الروايات : أن النبي ﷺ مضى في تلاوة السورة حتى انتهى إلى السجدة [فصلت : ٣٨] ، فسجد النبي ﷺ ، ثم قال ﷺ : « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » . فقام عتبة لا يدري بما يراجعه ، فأتى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم ، قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنني سمعت قولاً والله ! ما سمعت مثله قط ، والله ! ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . يا معشر قريش ! أطيعوني ، واجعلوها بي ، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ! فوالله ! ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

(١) أي ما تراه : من الجن .

قالوا : قد سحرك والله ! يا أبا الوليد بلسانه ! قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم . ثم رجع إلى بيته ، ولم يخرج إلى قومه ، حتى أتوه فاعتذر لهم ، وأنه سمع من سيدنا محمد ﷺ كلاماً ما هو سحر ولا شعر ولا كهانة ، وأنه تلا عليه آيات حتى بلغ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۚ ﴾ [فصلت : ١٣] ، قال : فأمسكت بفيه ، وناشدته الرحم ، ولقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب^(١) .

فهذه صورة حية لمدى تأثير القرآن العظيم على القلوب والنفوس بعد تيسيره بلسان النبي ﷺ ، فكيف سيكون الحال لو أنه لم ييسر بلسانه ﷺ ؟ مع أن السامع كافر لم يؤمن ، وظهرت عليه آثار أنوار القرآن العظيم ، حتى رآها الكفار الذين طمس الله ﷻ بصائرهم !؟ وذكر أن هذه الهيبة قد اعترت عند سماعه جماعة من المسلمين بعد الإسلام فمات منهم خلق كثير من المؤمنين ، وسلبت به عقول كثير من الموقنين ، وتدهلت به ألباب جماعة من المدنفين ، وراجع الأمر من المذنبين العاصين ، وهو كثير لا يمكن حصره ، ولا يسع المرء ذكره ، فكتب الرقائق فيها من ذلك كثير^(٢) .

المطلب الثاني : تيسير ثقل القرآن الكريم :

القرآن الكريم كلام الله ﷻ ، وربما توهم بعضهم وتسائل : من أين يأتي الثقل للقرآن الكريم ؟ والحق أن القرآن الكريم فيه من الثقل على الأبدان والقلوب والنفوس والعقول والأرواح ما لا يعلمه إلا الله ﷻ ؛ لأن الطاقات الروحية والمعنوية تتحول إلى قوى أخرى عند تعلقها بالأجسام :

الفرع الأول : ثقل القرآن الكريم في القرآن الكريم : قال الله ﷻ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُرْسَلُ ۚ فَمِ الْبَلِّ إِلَّا قَلِيلًا ۚ يَنْصَفُهُ أَوْ يَنْقُصُ مِنْهُ قَلِيلًا ۚ أَوْ يَزِيدُ عَلَيْهِ وَرَئِلَ الْقُرْآنُ أَنْ تَزِيدَ ۚ ﴾

(١) الخصائص الكبرى ، السيوطي (٢٨٣/١) ، الفوائد المشوقة ص ٣٤١-٣٤٢ ، البداية والنهاية (٩٠/٤-٩١) .

(٢) انظر : الفوائد المشوقة ص ٣٤٢ .

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥١﴾ [الزمل : ١-٥] ، وهذا الثقل وإن كان في الأصل معنوياً ؛ فإن له آثاراً مادية ، إذ من المعلوم أنّ القول الثقيل هو القرآن العظيم ؛ لأنه عظيم قدره ، جليل خطره ، ولقد أمر الله نبيه ﷺ بقيام الليل وترتيل القرآن استعداداً وتأهيلاً لتلقي هذا القول الثقيل القرآن المجيد ؛ لأن القرآن كلام الله القديم وآتى للمخلوق أن يتحمل أنوار القديم ؟! ولولا لطف الله ﷻ لما استطاع رسول الله ﷺ تلقي هذا القرآن العظيم ، ومع ذلك كان إذا نزل إليه الوحي ثقل عليه وتردد وجهه ، وتفصد وجهه عرقاً في اليوم الشديد البرد ، ولا يقدر على الحركة حتى ينجلي عنه ^(١) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﷻ : ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٢١] قال : « يقول : لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدع وخشع من ثقله ، ومن خشية الله ، فأمر الله ﷻ الناس إذا أنزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع » ^(٢) .

الفرع الثاني : من وجوه ثقل القرآن الكريم : إن القرآن الذي يسره الله بلسان رسوله ثقیل في ميزان الحق ، ثقیل في أثره على القلوب ، فأنزله الله ﷻ على قلب الحبيب المصطفى ، الذي هو أثبت من الشم الرواسي ، لأن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه لثقل ، وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة لثقل ، وإن الاتصال بالملا الأعلى ، وأرواح الخلائق الحية ، والجاحدة على النحو الذي تهيأ لرسول الله ﷺ لثقل ، وإن العمل بما فيه من واجبات ومحرمات و مندوبات و مكروهات ومباحات لثقل ، وإن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب ولا التفات لثقل ، وإن تلاوة القرآن وترتيله ، واستقبال إشعاعاته وإيقاعاته وإيقاعاته لثقل ، وإن حمل هذا القرآن والدعوة إليه ، وما في ذلك من عبء باهظ ، وجهد مرير ، وبلاء عظيم ، ومحن وشدائد لثقل ، وإن كون القرآن الرسالة الخاتمة إلى الناس كافة فمن شأنه البقاء على وجه الدهر ، فالدعوة إليه وحمله ، والمحافظة عليه والجهاد من أجله

(١) النكت والعيون (١٢٦/٦) ، مفاتيح الغيب (١٧٤/٣٠) .

(٢) جامع البيان (٥٣/٢٨) ، الدر المنثور (١٢١/٨) ، مختصر ابن كثير (٤٧٨/٣) .

وبذل الغالي والنفيس في سبيله لأمر ثقيل ، لذا لا يفي بإدراج فوائده ومعانيه بالكلية عمل واحد ، ولا يحقق مقاصده فرد واحد ، وإنما على الأمة أن تكثف جهودها وتوحيدها خدمة لهذا القرآن ، فأهل العقائد غاصوا في بحار توحيده ، والفقهاء أقبلوا على البحث في أحكامه ، وأهل اللغة والمعاني بحثوا في إعجازه ، وأهل القلوب وجدوا بغيتهم فيه ، وهو مرد العلوم الذي لا ينقطع ، فعلمنا أن الإنسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله ، فهو إذن لثقل^(١) .

يقول سيد قطب : « إن لهذا القرآن لثقلًا وسلطانًا وأثرًا مرزلاً لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته .. واللحظات التي يكون فيها الكيان الإنساني متفتحاً لتلقي شيء من حقيقة القرآن يهتز فيها اهتزازاً ويرتجف ارتجافاً ، ويقع فيه من التغيرات والتحوّلات ما يمثله في عالم المادة فعل المغناطيس والكهرباء بالأجسام ، أو أشد . والذين أحسّوا شيئاً من مسّ القرآن في كيانهم يتذوقون هذه الحقيقة تذوقاً لا يعبر عنه إلا هذا النص القرآني المشع الموحى »^(٢) .

الفرع الثالث : أثر ثقل القرآن الكريم : القرآن الكريم يحمل طاقة هائلة قابلة للتمثل بصورة متعددة ، شأنها شأن الطاقة الكهربائية ، إذ إنها تتحول تحولات متعددة ، لذا حدثنا كتب السنن والتاريخ عن أثر ثقل القرآن على النبي ﷺ ، وعلى الصحابة الكرام ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان على مر العصور والأجيال .

١- إحساس النبي ﷺ بثقل القرآن الكريم : كان النبي ﷺ يعاني شدة هائلة عند نزول الوحي ، قال ابن حجر : « وكانت الشدة تحصل له عند نزول الوحي لثقل القول »^(٣) . وقد تحدث النبي ﷺ عما كان يلاقيه من شدة الوحي ، فقال : « أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال »^(٤) .

(١) النكت والعيون (١٢٦/٦-١٢٧) ، مفاتيح الغيب (١٧٤/٣٠-١٧٥) ، الظلال (٣٧٤٥/٦) .

(٢) في ظلال القرآن (٣٥٣٢/٦) .

(٣) فتح الباري (١٣٠/١) .

(٤) صحيح البخاري (٣٠/١) برقم (٢) ، وينظر : رقم (٣٢١٥) ، صحيح مسلم برقم (٢٣٣٣) ،

سنن الترمذي برقم (٣٦٣٤) ، سنن النسائي برقم (٩٣٣ و ٩٣٤) ، الموطأ برقم (٤٧٤) ،

مسند أحمد برقم (٢٤٧٢٤ و ٢٥٦٦٦) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ! هل تحسّ بالوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم ! أسمع صلاصلا ، ثم أسكت عند ذلك ، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تفيض » ^(١) .

٢- ظهور آثار تلك الشدة على بدنه حتى يدركها من حوله : لم يكن الإحساس بشدة الوحي مقصوراً على النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كان كل من حوله يشعر بتلك الشدة : عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « كان إذا نزل عليه الوحي ، ثقل لذلك وتحدّر جبينه عرقاً ؛ كأنه جمان ، وإن كان في البرد » ^(٢) .

وروت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ما كان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشدة والكرب عند نزول الوحي فقالت : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإنّ جبينه ليتفصد عرقاً » ^(٣) .

٣- تأثر الصحابة بثقل القرآن الكريم عند نزوله : إذ كان ينتقل ثقل الوحي من النبي صلى الله عليه وسلم إلى من حوله : عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « كان إذا نزل عليه الوحي نكس رأسه ، ونكس أصحابه رؤوسهم ، فإذا أفلح عنه رفع رأسه » ^(٤) .

ومن المعلوم أن نكس الرأس عند رؤية الأكابر وعلية القوم إنّما هو أثر من آثار الهيبة ، والهيبة أثر لقوة الروح المنبثة ، التي تجعل العيون غير قادرة على النظر في وجه المهاب ، فكيف يمكن إحداد النظر في وجوه تنبثق منها الأنوار ، انعكاساً لأنوار تجليات الحق على القلوب المنورة بأنواره المتحلية بأسراره ؟؟

(١) مسند أحمد (٢٢٢/٢) برقم (٧٠٣١) .

(٢) المعجم الكبير ، للطبراني (١١٥/٥) برقم (٤٧٨٧) ، المعجم الأوسط (٨٨/٦) برقم (٥٨٨٠) ، صحيح الجامع برقم (٤٧٩٣) .

(٣) صحيح البخاري (٣٠/١) برقم (٢) وينظر : رقم (٣٢١٥) ، صحيح مسلم برقم (٢٣٣٣) ، سنن الترمذي برقم (٣٦٣٤) ، سنن النسائي برقم (٩٣٣ و ٩٣٤) ، الموطأ برقم (٤٧٤) ، مسند أحمد برقم (٢٤٧٢٤ و ٢٥٦٦٦) .

(٤) صحيح مسلم (١٨١٧/٤) برقم (٢٣٣٥) .

٤- إحساس من لامس النبي ﷺ بثقل الوحي : عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة ، وعرق عرقاً شديداً ، مثل الجمان ، ثم سرى عنه ، فكنت أدخل إليه بقطعة الكتف أو كسرة ، فأكتب وهو يعلني عليّ ، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن ، وحتى أقول : لا أمشي على رجلي أبداً ، فإذا فرغت ، قال : « اقرأه » ! فأقرأه ، فإن كان فيه سقط أقامه ، ثم أخرج به إلى الناس » ^(١) .

وفي رواية : « وإن كان ليوحى إليه ، وهو على ناقته ، فيضرب حزامها من ثقل ما يوحى إليه » ^(٢) .

وعن أبي أروى الدوسي ، قال : « رأيت الوحي ينزل على النبي ﷺ ، وإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها ، حتى أظن أن ذراعها تنقصم ، فربما بركت ، وربما قامت موتدة يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحي ، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان » ^(٣) .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه ، وهو على ناقته ، وضعت جرانها ، فلم تستطع أن تتحرك ، وتلت قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] ^(٤) . وفي رواية : « أن رسول الله ﷺ كان إذا أوحى إليه ، وهو على ناقته لا يستطيع أن تتحول حتى سري عنه » ^(٥) .

الفرع الرابع : أثر ثقل القرآن الكريم على المتدبرين له المتفكرين فيه : قال أبو

(١) المعجم الأوسط (٥٤٤/٢) برقم (١٩٣٤) .

(٢) دلائل النبوة (٤/٣) ، الطبقات الكبرى ، لابن سعد (١٩٧/١) .

(٣) الطبقات الكبرى (١٩٧/١) .

(٤) المستدرک (٥٤٩/٢) برقم (٣٨٦٥) ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي » .

(٥) مسند إسحاق بن راهويه (٢٥٤/٢) .

سليمان الداراني : « ربّما جاءت الآية خمس ليال ، فلولا أنّي أترك الفكر فيها ما جزتها أبداً ، وربّما جاءت الآية من القرآن فيطير معها العقل ، فسبحان الذي يردّه بعد ذلك » ^(١) .
وقال تلميذه أحمد بن أبي الحواري : « إني لأقرأ القرآن ، فأنظر في آية ، فيحار عقلي » ^(٢) .

وكان يحيى بن سعيد القطان « إذا قرئ عليه القرآن يسقط إلى الأرض ، حتى يكاد يذهب عقله » ، قال الإمام أحمد في رواية المروزي معلقاً : « لو قدر أن يدفع هذا أحد لدفعه يحيى » ^(٣) .

وذكر الحافظ ابن الأخضر فيمن روى عن أحمد ، في ترجمة إبراهيم بن عبد الله القلانسي ، قال : « قيل لأحمد بن حنبل : إنّ الصوفية يجلسون في المساجد بلا علم على سبيل التوكل ؟ قال : أعلم أجلسهم ؟ فقال : ليس مرادهم من الدنيا إلا كسرة خبز وخرقة ، فقال : لا أعلم على وجه الأرض أقواماً أفضل منهم . وقيل : إنهم يستمعون ويتواجدون ؟ قال : دعوهم يفرحون مع الله ﷻ ساعة ! قيل : فمنهم من يغشى عليه ، ومنهم من يموت ؟ فقال : ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧] » ^(٤) .

فهؤلاء الأصفياء يسمعون القرآن الكريم ويتواجدون ، فيحصل لبعضهم ما يحصل من الغشي والموت ، كما يحصل ليحيى بن سعيد القطان ؛ وذلك أن معرفة الله ﷻ إذا استولت على العبد ، وسمع القرآن الكريم ، لم يسمع التلاوة إلا من المتكلم بها ، فصعق السامع خضوعاً للمسموع عنه ، لذلك قال الحسن البصري في وصف أصحاب النبي ﷺ : « لو رأيتموهم لقلتم مجانين » ، والناظر إليهم من خارج أحوالهم خليّ مما يلوح لهم .
والأصل في تفاوت الناس في ذلك صفاء المدارك ، واختلاف المسالك ، فقلوب

(١) اللمع ، السراج ص ١٢٥ ، صفة الصفوة (٤/٢٣٢) .

(٢) صفة الصفوة (٤/٢٣٧) .

(٣) الآداب الشرعية ، ابن مفلح (٢/١١٩ و ٣٣٤) .

(٤) الآداب الشرعية ، ابن مفلح (٢/٣٣٤) .

العامة تسمع الأصوات ، وترجع الألحان فيحركهم طرب الطباع وما عندهم من الوجد في السماع . والخواص : يدركون بصفاء مداركهم أرواح الألفاظ ، وهي المعاني ^(١) .

وذكر ابن تيمية أن بعض الأحوال الإيمانية ترد على العباد والزهاد وأهل المعرفة من سماع القرآن وغيره مما يوجب زوال عقل أحدهم وعلمه ، حتى يجعله كالمجنون والمولّه والسكران والنائم ، أو زوال قدرته حتى يجعله كالعاجز ، أو يجعله كالمضطر الذي يصدر عنه القول والفعل بغير إرادته واختياره .

فمن يستمع القرآن فهاج له وجد نحو الحبيب ، أو رجاء أو مخافة ، فضعف عن حمله حتى مات أو صعق أو صاح صياحاً عظيماً أو اضطرب اضطراباً كثيراً ، فهو معذور ؛ لأنه بمنزلة عقلاء المجانين المولّين ، الذين حصل لهم الجنون ، مع أنهم من الصالحين وأهل المعرفة . وهذا الأمر له أسباب عدة أهمها :

الأول : قوة الوارد : الذي ورد عليهم من قبل الجليل ﷺ .

الثاني : ضعف القلوب عن تحمل هذا الوارد ، سواء كانت هذه القلوب قوية أو ضعيفة .

وقد سئل أبو محمد المقدسي عن هؤلاء القوم ، فقال : « هؤلاء قوم أعطاهم الله ﷻ عقولاً وأحوالاً ، فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم ، وأسقط ما فرض بما سلب » ^(٢) . وكان هذا الصنف موجوداً في التابعين ومن تبعهم بإحسان ^(٣) .

قال الزركشي : « وقد صنف بعضهم كتاباً فيمن مات بسماع آية من القرآن » ^(٤) .

المطلب الثالث : تيسير تلاوة القرآن الكريم :

القرآن الكريم كلام الله ﷻ ، والكلام صفة المتكلم ؛ فأنى لمخلوق أن يقوى على تلاوة كلام الخالق ؟! مع ما عرفنا من هيئة القرآن الكريم وثقله ، وما فيه من أنوار وأسرار .

(١) الآداب الشرعية ، ابن مفلح (٣٣٢/٢) . عن ابن عقيل الحنبلي .

(٢) مجموع الفتاوى (٣٤٩/١٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤٨/١٠-٣٥٠) .

(٤) البرهان (١٠٦/٢) .

وإذا كان كلام أهل البيان والبلاغة تعسر قراءته وتلاوته ، ويثقل على النفس تكراره ، فكيف بكلام الله ربّ العالمين ؟! ومن هنا علينا أن نتعرف على بعض وجوه تلاوته :

الفرع الأول : تيسير تلاوته على كل لسان : وهذا أمر بين واضح فإن الله ﷻ يسّر تلاوته على لسان رسول الله ﷺ وبلسانه ، فمع أن القرآن الكريم عربيّ فإن تلاوته سهلة « على أهل كل لسان ، وهذا أحد معجزاته ؛ لأن الأعجمي قد يقرأه ويتلوّه كالعربي » ^(١) . وبذلك علم أن التيسير هو تسهيل قراءة القرآن ، وفي ذلك ثناء على القرآن أنه ميسر للقراءة ^(٢) .

ويتضح ذلك أكثر إذا علمنا أن العربيّ الصحيح إذا لم يقرأ القرآن أو يسمعه على شيخ متصل الإسناد برسول الله ﷺ ؛ فإن قراءة القرآن تصعب عليه ؛ لأن تيسير تلاوة القرآن لم تتم بلسان رسول الله ﷺ . ويوجد أعاجم يحسنون القراءات القرآنية المتواترة لكونهم أخذوها ميسرة بلسان رسول الله ﷺ ، على أهل العلم والمعرفة ممن صح سندهم إلى رسول الله ﷺ . ولولا تيسير تلاوة القرآن الكريم بلسان رسول الله ﷺ لما استطاع أحد قراءة كلام الله ﷻ .

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضيهما في قوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ قال : « لولا أن الله يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله » . وأخرجه الديلمي عن أنس مرفوعاً مثله ^(٣) .

وأخرج آدم بن إياس وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات عن مجاهد بن جبر ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ قال : « هوّنّا قراءته » ^(٤) .

(١) النكت والعيون (٤١٣/٥) .

(٢) التحرير والتنوير (١٧٦/١٦) .

(٣) الدر المنثور (٦٧٦/٧) ، مختصر تفسير ابن كثير (٤١٠/٣) ، فتح القدير (١٢٤/٥) ، روح المعاني (٨٤/٢٧) .

(٤) جامع البيان (٩٦/٢٧) ، الدر المنثور (٦٧٦/٧) ، مختصر ابن كثير (٤١٠/٣) ، روح المعاني (٨٤/٢٧) .

وأخرج ابن المنذر عن ابن سيرين أنه مرّ برجل يقول : سورة خفيفة ، قال . لا تقل سورة خفيفة ، ولكن قل سورة ميسرة ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ ^(١) .

وقال السدي : « يَسَّرْنَا تِلَاوَتَهُ عَلَى الْأَلْسِنِ » ^(٢) .

الفرع الثاني : تيسير تكراره : ومن تيسير تلاوة القرآن الكريم « أن قارئه لا يملّه ولو أعاده مراراً ، مع أن القلوب جبلت على مُعاداة المُعاداة ، وسامعه لا يعرض عنه ولا يكره تكراره على سمعه ، بل الملازمة لتلاوته تزيد حلاوة ، وترديده يوجب له محبة وحسناً وبهجة وقبولاً ، ولا يزال غصّاً طريّاً لا تتغيّر بهجته ونضارته فكأنه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ، ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يملّ مع الترديد ، ويعادى إذا أعيد ، وكتابنا يستلذ به في الخلوات ، ويؤنس بتلاوته عند نزول الكربات » ^(٣) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه كان يقول : قال رسول الله ﷺ : « ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ يتغنّى بالقرآن » ^(٤) .

المطلب الرابع : تيسير حفظ القرآن واستظهاره :

القرآن الكريم كلام الله القديم إلى الناس كافة ، وليس بمقدور الإنسان العاجز أن يسمع كلام الله فضلاً عن أن يحفظه ، ولولا لطف الله بالناس وتيسير القرآن للذكر بلسان رسول الله ﷺ لما استطاع أحد أن يتحمل حفظ آية واحدة من كتاب الله ﷻ ، وأنى له الإطاقة لأنوارها وإشعاعاتها ؟! ولولا ذلك لما ذكر القرآن الكريم مسألة تيسير القرآن العظيم بلسان النبي الكريم !؟

(١) الدر المنثور (٦٧٦/٧) ، روح المعاني (٨٤/٢٧) .

(٢) مختصر ابن كثير (٤١٠/٣) .

(٣) السيرة النبوية ، أحمد بن زيني دحلان (١١١/٣) .

(٤) صحيح البخاري بشرح الفتح (٤٥٣/١٣) برقم (٧٤٨٢) .

الفرع الأول : قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ قال الفراء : « هوّا حفظه فأيسر كتاب يحفظ هو كتاب الله » ^(١) .

وقيل : « ولقد سهلناه للحفظ ، وأعنا عليه من أراد حفظه ، فهل من طالب حفظ ليعان عليه ؟ » ^(٢) .

وقال سعيد بن جبير : « يسرناه للحفظ والقراءة » ^(٣) .

قال القرطبي : « فيسر الله ﷻ على هذه الأمة حفظ كتابه ليذكروا ما فيه ؛ أي يفتعلوا الذكر ، والافتعال أن تجمع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب فيهم » ^(٤) .

الفرع الثاني : ولما كان النبي ﷺ حريصاً على تلقي الوحي وحفظ ما يلقي إليه من الكتاب طمأنه الله ﷻ بقوله : ﴿ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ [الأعلى : ٦] ، وحثه على عدم الاستعجال في حفظه أثناء الوحي فقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] ، وقال ﷻ : ﴿ لَا تَحْرِكْ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٦-١٩] . ولما تكفل الله لنبيه بحفظ القرآن ، جعله كذلك ميسراً بلسانه لتحفظه أمته ، قال ابن جزي : « وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظاً بالغاً بخلاف غيره من الكتب » ^(٥) .

ومع هذا التيسير فإن القرآن وحفظه من السهل الممتنع ، سهل حفظه ممتنع ثباته في القلب بسهولة ويسر ، بل لا بد من تعاهد القرآن حتى لا يتفلت حفظه من الإنسان ، قال رسول الله ﷺ : « تعاهدوا هذا القرآن ! فوالذي نفس محمد بيده ! هو أشدّ تغلّلاً من الإبل

(١) النكت والعيون (٤١٣/٥) .

(٢) الكشف (٤٣٨/٤) ، مدارك التنزيل (١٧٢٦/٣) .

(٣) معالم التنزيل (٢٦١/٤) ، السيرة النبوية ، دحلان (١١٣/٣) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) .

(٥) التسهيل ص ٦٧١ .

في عَقلها» ^(١) . هذا حال القرآن بعد أن يسّر الله ﷻ حفظه على الناس بلسان رسوله ﷺ ، فكيف لو لم يُيسّر الله ﷻ هذا القرآن بلسان حبيبه المصطفى ، فمن يستطيع حفظ آيات ، أو سورة أو سور فضلاً عن القرآن كله ؟ وكأنني بالمسلم يحفظ الآية والآيات والسورة ثم ما يكاد يتم حفظها حتى ينساها لثقل القرآن على القلوب من جهة ، وعدم أهلية القلوب من حيث الطهارة لتحمله وتقبله من جهة أخرى ، والقرآن أجلّ من أن يكون في قلب امتلاً بالمعاصي ، ولكن الله لطيف بعباده . فنزول القرآن الكريم بأفضل اللغات وأفصحها هو من أسباب فضله على سائر الكتب الإلهية ، وتسهيل حفظه ما لم يسهل مثله لغيره من الكتب ^(٢) .

الفرع الثالث : أن كتاب الله ﷻ ميسر دون سواه من الكتب السابقة ، فقد روي : « أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظراً ، ولا يحفظونها ظاهراً كما القرآن » ^(٣) ، « غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير عليهم السلام ، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أحرقت » ^(٤) . قال سعيد بن جبير : « ليس من كتب الله ﷻ كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن » ^(٥) .

والذي يؤيد هذا التوجه ويؤكد أنه أن الكتب الربانية نزلت كاملة دفعة واحدة ، ولم يؤمر أهلها بحفظها ، ولم يتعهد الله ﷻ بحفظها لهم ، ومقتضيات الحفظ أن يحفظ في الصدور والسطور ، وكلما كان الحفظ في الصدور والسطور كان أوثق وأدعى للحفظ ، بينما القرآن اجتمعت له كل أسباب الحفظ ؛ إذ حفظه النبي ﷺ ، ولقنه أصحابه فحفظوه ،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٧٨/٦) برقم (٧٩١) ، وانظر (٧٥/٦) وما بعدها ، مسند أحمد برقم (١٦٨٦٦ و ١٦٩١٠ و ١٦٩٤٣ و ١٩٠٥٢ و ١٩١٨٦) ، سنن الدارمي برقم (٣٣٤٨) و (٣٣٤٩) ، وانظر : موسوعة أطراف الحديث (٣٨٣/٤-٣٨٤) .

(٢) التحرير والتنوير (١٧٦/١٦) .

(٣) الكشف (٤٣٩/٤) ، معالم التنزيل (٢٦١/٤) ، مدارك التنزيل (١٧٢٦/٣) ، السيرة النبوية ، أحمد زيني دحلان (١١٣/٣) ، الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) ، (١١٧/٨) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/٧) .

وأمر كتاب الوحي بكتابته فحفظ في السطور ؛ لذلك قال الإمام الرازي : « ولم يكن شيء من كتب الله ﷻ يحفظ عن ظهر قلب غير القرآن » ^(١) .

ولا زال حفظ القرآن في صدور هذه الأمة آية من آيات الله ﷻ ، ومعجزة من معجزات خاتم النبيين ﷺ ، حيث تجد عشرات الألوف يحفظون كتاب الله ﷻ عن ظهر قلب على مر العصور وكرّ الدهور ، وتعاقب الأجيال . ولولا أن يسر الله ﷻ حفظه بلسان رسوله ﷺ لما وجد حافظ لكتاب الله ﷻ ، بل ولا سورة من سورته أو آية من آياته !

المطلب الخامس : تيسير فهم القرآن الكريم :

الفرع الأول : إذا كان فهم كلام بعض أرباب البيان من البشر يحتاج إلى جهد خاص وتفهم خاص ، وربما صعب على قسم كبير من الناس فهم ذلك الكلام - والله ولكلامه المثل الأعلى - لذا لم يكن من الميسور فهم القرآن الكريم لولا تيسيره على لسان رسول الله ﷺ ؛ إذ مهمة النبي ﷺ شرح وبيان وتفهم المراد من كتاب الله ﷻ ، قال الله ﷻ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ، ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] .

الفرع الثاني : لقد سهل الله ﷻ القرآن الكريم ، وبينه بلسان رسوله الكريم ، وفصله ليسهل استيعابه وفهمه لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ ، ولولا أن الله ﷻ قد يسّر فهمه على العقول لما استطاع أحد فهمه واستيعابه .

قال ابن عاشور : « وفي هذا الكلام الموجز إخبار بتيسير القرآن للفهم ؛ لأن الغرض منه التذكر ، قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ، وبأن سبب ذلك التيسير : كونه بأفصح اللغات ، وكونه على لسان أفضل الرسل ﷺ ؛ فلذلك كان تسبيبه في حصول تذكرهم تسبباً قريباً لو لم يكونوا في شك يلعبون » ^(٢) .

(١) مفاتيح الغيب (٤٣/٢٩) .

(٢) التحرير والتنوير (٣٢١/٢٥-٣٢٢) .

واليسر : هو السهولة وعدم الكلفة في تحصيل المطلوب ، وإذا كان القرآن الكريم كلاماً فمعنى تيسيره يرجع إلى تيسير ما يراد من الكلام ، وهو فهم السامع للمعاني التي عنها وأرادها المتكلم دون كلفة على السامع ولا إغلاق ، بحيث يدخل الكلام إلى الأذن بلا إذن . وهذا اليسر يحصل من جانب الألفاظ وجانب المعاني : فأما من جانب الألفاظ فذلك لكونها في أعلى درجات الفصاحة في الكلمات والتراكيب ، بحيث يخف حفظها على الألسنة والقلوب . وأما من جانب المعاني فبوضوح انتزاعها من التراكيب ، ووفرة ما تحتوي عليه التراكيب منها ، من مغازي الأغراض المسوقة هي له ، وتولد المعاني من معان أخر كلما كرر المتدبر تدبره في فهمها .

ووسائل ذلك لا يحيط بها الوصف ، ومن أهمها : إيجاز اللفظ ليسر تعلقه بالحفظ ، وإجمال المدلولات لتذهب نفوس السامعين في انتزاع المعاني منها ، كل مذهب يسمح به اللفظ والغرض والمقام .

ويتأتى ذلك بتأليف نظم القرآن بلغة هي أفصح لغات البشر ، وأسمح ألفاظاً وتراكيب بوفرة المعاني ، وبكون تراكيبه أقصى ما تسمح به تلك اللغة ، فهو خيار من خيار من خيار . ثم كان المتلقون له أمة هي أذكى الأمم عقولاً ، وأسرعها أفهاماً ، وأشدّها وعياً لما تسمعه ، وأطولها تذكراً له ، دون نسيان .

وعلى تفاوتهم في الخلال بما هو سنة الله في خلقه لا يناكد حالهم ما أراد الله ﷻ تيسيره للذكر ، لأن الذكر جنس من الأجناس المقول عليها بالتشكيك ، إلا أنه إذا اجتمع أصحاب الأفهام على مدارسته وتدبره بدت لجموعهم معانٍ لا يحصيها الواحد منهم وحده ^(١) .

ويمكن أن يرى الباحث ذلك من خلال أمرين :

الأول : سرعة تعلق معانيه بالذاكرة ؛ لأنها مفاهيم تمس مصالح الناس ؛ لذلك تلهفها النفس تلهف الصادي للماء العذب ، أو تلهف الحائر لضالته ، حتى إذا وجدها

(١) التحرير والتنوير (٢٦/١٨٨-١٨٩) .

مست السكينة شغاف قلبه ، وتغلغلت في حنايا نفسه ، فركنت إليها النفس ، واطمأن القلب ، فتعلق بها الذاكرة كأنما شدَّ إليها بأمراس كتان إلى صم جندل .

الثاني : سرعة تداعي الأفكار واسترسالها عند إرادة صاحبها استذكارها واستحضارها ؛ لأن ارتباطها بحوادثها ومناسبات نزولها تجعلها يسيرة الاسترجاع من الذاكرة ؛ ولذلك قالوا : « أبقى الناس عقولاً قراء القرآن » ^(١) ؛ إذ أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : « من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ، ثم قرأ : ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [النحل : ٧٠] » . وأخرج ابن أبي شيبة عن طاوس قال : « إن العالم لا يخرف » . وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير قال : كان يقال : « إن أبقى الناس عقولاً قراء القرآن » ^(٢) .

بل ذكر أبو شامة المقدسي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جمع القرآن متعه الله بعقله حتى يموت » ^(٣) .

وهذا أمر مشاهد معروف لدى الخاصة والعامة ، فإن أهل القرآن محفوظون في عقولهم وأفهامهم حتى يلقوا الله ﷻ ^(٤) .

المطلب السادس : تيسير تعلم القرآن وتعليمه :

الفرع الأول : مرَّ أن كلام بعض أرباب البيان من البشر يحتاج إلى جهد خاص وتفهم خاص ، وربما صعب على قسم كبير من الناس فهم ذلك الكلام - والله ولكلامه المثل الأعلى - لذا لم يكن من الميسور فهم القرآن الكريم ويسر تعلمه وتعليمه لولا تيسيره على لسان رسول الله ﷺ ولولا أن الله ﷻ قد سهّل وهوّن تعلمه وتعليمه لما وجدنا أحداً يتعلم القرآن

(١) النشر (٤/١) .

(٢) الدر المنثور (١٤٦/٥) .

(٣) إبراز المعاني من حرز الأمانى ص ١٤ .

(٤) المدخل إلى التفسير ص ٣٣ .

ولا من يعلمه ! ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ قال قتادة : « هل من طالب خير يُعان عليه » ، وقال ابن شوذب : « هل من طالب علم فيعان عليه » ^(١) ؛ إذ مهمة النبي ﷺ شرح وبيان وتفهم المراد من كتاب الله ﷻ ، قال الله ﷻ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ، ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] .

الفرع الثاني : يسّر الله ﷻ القرآن الكريم بلسان رسوله الكريم ، ولكن هذا التيسير منوط بأخذ القرآن الكريم وعلومه بالأسانيد المتصلة إلى رسول الله ﷺ ، ومن ثم فكل من أخذ القرآن الكريم وعلومه بالسند المتصل إلى رسول الله ﷻ فقد نال الخطوة من القرآن ويسر تعلمه وحسن أدائه وتعليمه ، لأنه أخذه ميسراً بلسان رسول الله ﷻ ، ومن لم يأخذ القرآن الكريم وعلومه على أهله لم يُيسر له العلم بلسان رسول الله ﷻ ، وهذا الذي وجدناه عند أصحاب الفرق الضالة المارقة من الإسلام ؛ فإنهم يقرؤون القرآن لكن دون فهم وعلم حقيقي ؛ لذلك وجدناهم يتخذون القرآن مطية لأهوائهم الدنيئة ، وأغراضهم الخسيسة ، وسلماءً لكسب سقط المتاع ، فيحملون الآيات على غير ما أنزلت به بالتأويل الباطني الضال ، ويلوون أعناق النصوص ليحملوها معتقداتهم الفاسدة ، ومن هنا كانت أهمية الأخذ والتلقي لعلوم الكتاب والسنة ^(٢) .

(١) جامع البيان (٩٦/٩٧-٩٧) ، وانظر الدر المنثور (٦٧٦/٧) ، الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٧) .
(٢) من المفيد أن ننقل ما قاله الإمام الشاطبي في ذلك في كتابه الموافقات (١/٥٦-٦٢) - والنقل بتصرف يسير - :

« من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام ... وقد قالوا : إن العلم كان في صدور الرجال ، ثم انتقل إلى الكتب وصارت مفاتيح بأيدي الرجال ، وهذا الكلام يقضي بأن لا بد في تحصيله من الرجال .
وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات ، وهي ثلاث :
إحداها : العمل بما علم حتى يكون قوله مطابقاً لفعله ؛ فإن كان مخالفاً له فليس بأهل لأن يؤخذ عنه ، ولا أن يقتدى به في علم .

الثانية : أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم ، وملازمته لهم ، فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك ، وهكذا كان شأن السلف الصالح ؛ فأول ذلك ملازمة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ ، وأخذهم بأقواله وأفعاله ، واعتمادهم على ما يرد منه كائناً ما كان ، وعلى أي وجه صدر فهم فهموا مغزى ما أراد به أولاً ، حتى علموا وتيقنوا أنه الحق =

= الذي لا يعارض ، والحكمة التي لا ينكسر قانونها ، ولا يحوم النقص حول حمى كمالها ، وإنما ذلك بكثرة الملازمة ، وشدة المثابرة ... فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتي فقهوا ، ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية . وحسبك في صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالماً اشتهر في الناس الأخذ عنه إلا وله قدوة اشتهر في قرنه بمثل ذلك .

وما وجدت فرقة زائفة ، ولا أحد مخالف للسنة إلا وهو مفارق لهذا الوصف . وبهذا الوجه وقع التشنيع على من لم يلزم الأخذ عن الشيوخ ، ولا تأدب بأدابهم ، وبضد ذلك كان العلماء الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم . وفي هذا قالوا :

ومن قرأ العلوم بغير شيخ يضلّ عن الصراط المستقيم

الثالثة : الاقتداء بمن أخذ عنه والتأدب بأدبه ، كما علمت من اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ ، واقتداء التابعين بالصحابة ، وهكذا في كل قرن ... فلما ترك هذا الوصف رفعت البدع رؤوسها ؛ لأن ترك الاقتداء دليل على أمر حدث عند التارك أصله اتباع الهوى . وإذا ثبت أنه لا بد من أخذ العلم عن أهله فلذلك طريقتان :

أحدهما : المشافهة : وهي أنفع الطريقتين وأسلمهما ؛ لوجهين :

الأول : خاصية جعلها الله ﷻ بين المعلم والمتعلم ، يشهدا كل من زاول العلم والعلماء ؛ فكم من مسألة يقرأها المتعلم في كتاب ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها ، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتة ، وحصل له العلم بها بالحضرة . وهذا الفهم يحصل إما بأمر عادي من قرائن أحوال ، وإيضاح موضع إشكال لم يخطر للمتعلم ببال ، وقد يحصل بأمر غير معتاد ، ولكن بأمر يهبه الله للمتعليم عند مثوله بين يدي المعلم ظاهر الفقر بايدي الحاجة إلى ما يلقي إليه وهذا ليس ينكر ... وهي من فوائد مجالسة العلماء إذ يفتح للمتعلم بين أيديهم ما لا يفتح له دونهم [كحال الصحابة بين يدي رسول الله ﷺ] ، ويبقى ذلك النور بمقدار ما بقوا في متابعة معلمهم ، وتأدبهم معه ، واقتدائهم به ، فهذا الطريق نافع على كل تقدير . وقد يفتح الله ﷻ على المعلم بركة صدق المتعلم وحسن توجهه .

الطريق الثاني : مطالعة كتب المصنفين ، ومدوني الدواوين ؛ وهو نافع في بابيه بشرطين :

الأول : أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب ، ومعرفة اصطلاحات أهله ما يتم له به النظر في الكتب ، وذلك يحصل بالطريق الأول من مشافهة العلماء ، أو مما هو راجع إليه ... والكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئاً دون فتح العلماء ، وهو مشاهد معتاد .

الثاني : أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد ؛ فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين ... فتحقيق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتتحقيق التابعين ، والتابعون ليسوا كتابع التابعين ، وهكذا إلى الآن فلذلك صارت كتب المتقدمين وكلامهم وسيرهم أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم على أي نوع كان ، وخصوصاً علم الشريعة الذي هو العروة الوثقى ، والوزر الأحمى .

فإنَّه ﷺ سهَّل لنا بلسان رسوله ﷺ ما في القرآن من علوم ، ويسَّر لنا استنباط معانيه وأحكامه ^(١) .

فتأكد لدينا وتحقق من خلال هذه النبذة اليسيرة علو مكانة رسول الله وعظيم قدره وجاهه في تفهيم العلوم الشرعية وتيسيرها ، وتسهيل تعلمها وتعليمها ، فياله من جاه وأي جاه !! والحق أن كل مسلم لا يخلو من فهم ما لكتاب الله حسب علمه ومعرفته ؛ لأن القرآن مائدة الله ﷻ لخلقه فكل من رامها نال منها بقدر إقباله واستعداده .

المطلب السابع : تيسير العمل بالقرآن الكريم :

اشتمل القرآن على الأوامر والنواهي في العقائد والعبادات والمعاملات والعلاقات العامة والأخلاق والسلوك ، وهذه الأوامر والنواهي فيها النظري الذي يحتاج إلى بيان ، وفيها العملي الذي يحتاج إلى قدوة في التطبيق ، وكلا الأمرين يحتاج إلى المعلم القدوة ، ولولا كون احتياج الناس إلى القدوة الصالحة ضرورياً لما أرسل الله ﷻ الرسل ولاكتفى بإنزال الكتب مع الملائكة فحسب .

الفرع الأول : الحث على الاقتداء برسول الله ﷺ في القرآن الكريم : حثَّ الله ﷻ على التأسي برسول الله ﷺ بقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ [الأحزاب : ٢١] فالرسول ﷺ قرآن عملي في عقيدته وعباداته ومعاملاته وأخلاقه وسلوكه ، وقد سأل سعد بن هشام بن عامر السيدة عائشة فقال : « يا أم المؤمنين ! أخبريني بخُلُق رسول الله ﷺ . قالت : كان خُلُقَه القرآن ؛ أما تقرأ القرآن قول الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [القلم : ٤] ؟ » ^(٢) .

(١) النكت والعيون (٥/٤١٣) .

(٢) مسند أحمد (٩١/٦ و ١٦٣ و ٢١٦) برقم (٢٤٠٨٠ و ٢٤٧٧٤ و ٢٥٢٨٥) ، السنن الكبرى (٤٩٦/٢) ، دلائل النبوة للبيهقي (٣١٠/١) ، الأدب المفرد (١١٥/١) برقم (٣٠٨) ، شعب الإيمان (١٥٤/٢) برقم (١٤٢٨) .

فأخذ أصحاب رسول الله ﷺ منه هذه الأخلاق ، وأصبح كل واحد منهم قرآناً يمشي على الأرض ، وأخذ عن الصحابة التابعون ، وهكذا تابع التابعين إلى وقتنا الحاضر .

الفرع الثاني : الحث على اتباع رسول الله ﷺ في القرآن الكريم : حث القرآن الكريم على اتباع النبي ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال ، قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، جعل الحق ﷻ اتباع الرسول ﷺ الميزان الذي يعرف فيه المحب الصادق من المدعي ، فاتباع الرسول ﷺ شرط في صحة ادعاء محبتهم لله ﷻ وشرط لمحبة الله ﷻ لهم ، والشرط كما هو معلوم عند الأصوليين ما يلزم من عدمه عدم وجود الشيء ولا يلزم من وجوده وجود الشيء ؛ فوجود المحبة ممتنع بدون تحقق اتباع النبي ﷺ اتباعاً كلياً ، فعلم انتفاء محبتهم لله ﷻ عند عدم وجود الاتباع ، وانتفاء محبتهم لله ﷻ لازم لانتفاء محبة الله ﷻ لهم . وهذه الآية الكريمة جاءت إيضاحاً لأناس أرادوا معرفة سبيل محبة الله ﷻ ، ورداً على أناس ادعواهم وهم على غير استقامة ، بل هم غارقون في الشرك والعياذ بالله ، فأرشدتهم إلى السبيل الحق لتحصيل رتبة محبة العبد لله ﷻ ، التي هي ثمرة وسبب لمحبة الله ﷻ للعبد ^(١) . ومن هنا وجدنا أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان شديدي التمسك باتباع النبي ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال والأخلاق حتى العادات والأفعال الجبلية . قال ابن عمر ^(٢) : « إن الله بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً وإنما نفعل كما رأيناه يفعل » ^(٣) .

جعل الحق ﷻ اتباع الرسول ﷺ شعاراً على محبته ، لأن الرسول ﷺ يأمر بحب الله ﷻ ، وينهى عما يبغضه الله ﷻ ، ويعمل بما يحبه الله ، ويحذر بما يحب الله التصديق فيه ، فمن كان محباً لله ﷻ لازم أن يتبع الرسول ﷺ فيصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ويتأسى به فيما فعل ، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله فيحبه الله ، فجعل الله ﷻ لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول ﷺ ،

(١) الدر المنثور (١٧٧/٢-١٧٩) ، الوجيز (١/٢٠٧) ، الكشف (١/٣٥٣) ، معالم التنزيل

(٢/٢٩٣) ، مفاتيح الغيب (٨/١٨-١٩) ، مواهب الرحمن (٢/١٧٢-١٧٣) ، السيرة النبوية ،

دحلان (٣/٢٩٦) ، الشفا (٢/٢٩٢) .

(٢) الشفا (٢/٢٩٩) .

والجهاد في سبيله ؛ لأن المحبة الصحيحة تقتضي متابعة المحب للمحجوب ، وموافقته فيما يحب ويكره قولاً وفعلأً واعتقاداً ؛ فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة أورثته حباً لما يحبانه وكرهاً لما يكرهانه ، ومن لوازم ذلك العمل بالجوارح بمقتضى تلك المحبة وذاك البغض ، فيقف عند حدود شرع الله ﷻ على أتم وجه فعلاً وتركاً ، فمن ترك شيئاً مما يحبه الله ﷻ ورسوله ﷺ ، وفعل شيئاً يكرهانه مع القدرة على فعل المحبوب وترك المكروه كان إيمانه مختلاً وناقصاً ، ومحبته دعوى لا حقيقة لها ؛ وكل من يدعي محبة الله ورسوله ولم يوافقهما في الأمر والنهي فدعواه باطلة .

والآن ننظر أثر المحبة الحقة في اتباع الصحابة لرسول الله ﷺ ؛ إذ كانوا الأنموذج المثالي في صدق المحبة لله ورسوله ، وحب ما يرضيهما وبغض ما يسخطهما ، وتقديم محبتهم على سائر المحاب ، حتى بذلوا في سبيل ذلك نفوسهم وأرواحهم وأموالهم ، وقاتلوا عليه آباءهم ، وهجروا أزواجهم وعشائرتهم وأوطانهم ^(١) ؛ لأنهم يطلبون أن يكونوا من أحباب الله ﷻ وأحباب رسوله ﷺ ؛ لأن كون العبد محبوباً لله ﷻ أعلى من كونه محباً لله ﷻ ؛ فليس الشأن أن يحب العبد ربه ﷻ ولكن الشأن أن يحبه الله ﷻ ^(٢) .

عن ابن وهب ، عن مالك ، عن حدثه : « أن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ ، وآثاره وحاله ، ويهتم به ؛ حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك » ^(٣) .
وعن نافع قال : « لو نظرت إلى ابن عمر إذا تبع رسول الله ﷺ لقلت مجنون » ^(٤) .

وفي قول : « أن ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله ﷺ كل مكان صلى فيه ، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة ، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة ؛ فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس » ^(٥) .

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٩١) ، الوافي في شرح الأربعين النووية ص ٣٥٢-٣٥٤ .

(٢) روضة المحبين ص ٢٦٥-٢٦٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٢١٣) .

(٤) حلية الأولياء (١/٣١٠) ، سير أعلام النبلاء (٢/٢١٣) .

(٥) أسد الغابة (٣/٣٤١) ، سير أعلام النبلاء (٢/٢١٣) .

وعن عاصم الأحول ، عمن حدثه قال : « كان ابن عمر إذا رآه أحد ظن به شيئاً مما يتبع آثار النبي ﷺ » ^(١) .

قال أبو الحسين الوراق : « علامة محبة الله ﷻ متابعة حبيبه ﷺ » ^(٢) .

وقال إبراهيم القصار : « علامة محبة الله ﷻ إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ » ^(٣) .

وورد من وجوه أن عبد الله بن مسعود كان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً ودلاً وسمتاً من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه ، وأنه أقربهم وسيلة إلى الله ﷻ يوم القيامة ^(٤) . وكان الحسن بن سهل يقول : « أما أنا فإذا أحببت إنساناً نظرت إلى فعله ففعلت مثله » ^(٥) .

قال ابن حزم : « واعلم ! أن للحب حكماً على النفوس ماضياً ، وسلطاناً قاضياً ، وأمرأ لا يخالف ، وحدأ لا يعصى ، وملكاً لا يتعدى ، وطاعة لا تصرف ، ونفاذاً لا يرد ، وأنه ينقض المرر ، ويحل المبرم ، ويحلل الجامد ، ويحلل الثابت ، ويحلل الشغاف ، ويحلل الممنوع » ^(٦) .

وقال : « ومن عجيب ما يقع في الحب : طاعة المحب لمحبيه ، وصرفه طباعه قسراً إلى طباع من يحبه ، وربما يكون المرء شرس الخلق ، صعب الشكيمة ، جموح القيادة ، ماضي العزيمة ، حمي الأنف ، أبي الخسف ، فما هو إلا أن يتنسم نسيم الحب ، ويتورط غمره ، ويعوم في بحره ؛ فتعود الشراسة ليناً ، والصعوبة سهولة ، والمضاء كلاله ، والحمية استسلاماً » ^(٧) . ولا يزال المحب مواظباً على طاعة محبوه ومتقرباً إليه بما يحبه ويرضاه ، وهذا حال الذين يحبون الله ﷻ ورسوله ﷺ لا يزالون مواظبين على طاعته وطاعة رسوله ،

(١) الطبقات الكبرى (٤/١٤٤) ، الحلية (١/٣١٠) ، سير أعلام النبلاء (٢/٢٣٧) .

(٢) طبقات الصوفية ص ٣٠٠ .

(٣) طبقات الصوفية ص ٣٢١ .

(٤) المعجم الكبير (٩/٨٦-٨٩) برقم (٨٤٨٠-٨٤٩١) ، صحيح البخاري بشرح الفتح برقم

(٥٧٦٢ و ٦٠٩٧) .

(٥) الزهرة (١/١٤٣) .

(٦) طوق الحمامة ص ١٢٩ .

(٧) طوق الحمامة ص ١٥٣ .

ومتقربين إليه بالنوافل ، وطالبين عنده مزايا الدرجات كما يطلب الحب مزيد القرب من قلب محبوبه ، ومن أحب الله ﷻ لا يعصيه ؛ ولهذا قال الشافعي :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع^(١)

فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله ، وقد ذم الله ﷻ المشركين لاتباعهم الهوى ، ومنشأ البدع من تقديم الهوى على الشرع ؛ ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء^(٢) .

وسئل رويم عن المحبة ؟ فقال : « الموافقة في جميع الأحوال ، وأنشد :
ولو قلت لي متٌ متٌ سمعاً وطاعة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً »^(٣) .

قال الماوردي : « نعت الحب طاعة المحبوب ومجانبة مخالفته ، الحب عبد ، والعبد واقف عند أوامر سيده ، مجتنب مخالفته في أوامره ونواهيه ، فلا يراه حيث نهاه ، ولا يفقده حيث أمره »^(٤) . وقال ابن عربي : « نعت الحب بأنه موافق لحباب محبوبه »^(٥) ، معناه : امتثال وطاعة ما أمر ، والكف والانتها عما نهى وزجر^(٦) .

الفرع الثالث : إلماحة لمعرفة حقيقة تيسير العمل : إذا أردنا معرفة حقيقة تيسير القرآن للعمل بلسان رسول الله ﷺ في التطبيق العملي فما علينا إلا أن نتصور أن القرآن أنزل على العرب وطلب منهم تنفيذ أحكامه فما الذي يحصل ؟! بالطبع سنجد اختلافاً كثيراً في فهم المسألة الواحدة مما يتعذر على المسلم تطبيق أوامر الله ونواهيه .

(١) الديوان ص ٧٣ ، توالي التأسيس ص ١٤٥-١٤٦ ، الإحياء (٣٤٩/٤) ، النكت والعيون

(٢) (٣٥٣/٢) ، روضة المحبين ص ٢٦٦ ، اللمع ص ٨٧ .

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٣٦٦ .

(٤) جامع العلوم والحكم ص ٣٦٦ ، وينظر التعرف ص ١٠٩ .

(٥) النكت والعيون (٣٥٣/٢-٣٥٤) .

(٦) الفتوحات المكية (٣٥٣/٢) .

(٦) التعرف ص ١٠٩ .

ورد الأمر بإقامة الصلاة مجملاً في القرآن الكريم ، فتصور لو بقي الإجمال كيف ستكون صلاة الناس؟! ولو فصل الإجمال وترك التنفيذ فكيف ستكون الصلاة؟ ولكن الحبيب المصطفى ﷺ حسم هذه الفوضى التي يمكن أن تكون حين قال : « وصلوا كما رأيتموني أصلي » ^(١) .

ولا عليك إلا أن تتصور فوضى أداء مناسك الحج والعمرة؟! فإنه مع بيان رسول الله ﷺ للمناسك قولاً وعملاً ، إذ قال : « خذوا عني مناسككم » ^(٢) . فإن الجهل بالمناسك شديد ، وقل من يحسن أداءها ، فكيف لو تركت من غير بيان وتطبيق؟!

وهكذا الشأن في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك ، إذ لولا تيسير ذلك بفضل رسول الله ﷺ لما استطاع أحد تطبيق أحكام الله وفق مرضاته ، لتشعب الآراء والأقوال ، وكثرة الخلاف والاختلاف ، ولم يدر العامي ماذا يعمل أمام هذا البحر المتلاطم من الخلاف القولي والعملي ، ولن يستطيع أحد التأكد من أن عمله جاء وفق مرضاة الله ! فإذا اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار بعد البيان القولي والعلمي في فهم ما أثر عن رسول الله ﷺ ، فكيف سيكون الأمر لو لم يؤثر عنه شيء؟

ومن هنا يعلم المسلم عظم جاه رسول الله ﷺ وواسع قدره عند الله ﷻ وعند خلقه ، إذ يسرت بلسانه وجنانه وقلبه التكاليف الشرعية ، حتى غدا فهمها والعمل بها ميسوراً لكل مريد العمل .

المطلب الثامن : تيسير مواظب القرآن الكريم :

الفرع الأول : القرآن الكريم كله مواظب موجهة إلى العقول والقلوب ، ولولا أن الله ﷻ يسر هذه المواظب على لسان رسوله ولسانه لطاشت منها العقول ، ولما احتملها عقل بشر ، إن قلب رسول الله ﷺ أقوى القلوب وأعظمها وأوسعها وأثبتها وأمكنها ومع

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري (٤٣٧/١٠) برقم (٦٠٠٨) ، (٢٣١/١٣) برقم (٧٢٤٦) ، شرح السنة (٢٩٦/٢) .

(٢) السنن الكبرى (١٢٥/٥) ، التمهيد (٩٦/٢) في مواطن متعددة وأجزاء متفرقة .

ذلك رأينا كيف كان أثر مواعظ القرآن عليه أمراً أو نهياً ، مع ما فيه من ذكر الجنة والنار ، وهذا واضح من خلال آثار نزول القرآن الكريم على قلبه الشريف ﷺ التي تبدى على قسّمات وجهه وحركة جسمه ، فأى قلب يحتمل هذه المواعظ لولا تيسير الله ﷻ لها بلسان حبيبه المصطفى ﷺ ، حتى قبلتها القلوب حباً وشوقاً ، لا قهراً وقسراً .

قال الإمام الطبري : « يقول تعالى ذكره : ولقد سهلنا القرآن ، بيناه وفصلناه لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ ، وهوانه . فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر » ^(١) .

وقال الإمام البغوي : « سهل القرآن للذكر ليتعظ ويعتبر به .. فهل من متعظ بمواعظه » ^(٢) .

وقال الإمام الرّمخسري : « أي سهلناه للادّكار والاتعاظ ؛ بأن شحناه بالمواعظ الشافية ، وصرفنا من الوعد والوعيد » ^(٣) ، فهل من معتبر .

وقال ابن جُزَي : « وإنما كرر هذه الآية البليغة ، وقوله : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِ ﴾ [القمر : ٣٧ و ٣٩] لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها إذ كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة ، فختّم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد في قوله : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ [القمر : ١٦] ، ومن الملاحظة في قوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ^(٤) ؛ أي سهلناه للفهم والاتعاظ به ، لما تضمن من البراهين والحكم البليغة ، وقال الإمام الرازي : « سهلناه للاتعاظ ؛ حيث أتينا فيه بكل حكمة » ^(٥) .

الفرع الثاني : أمثلة حية : ويكفي أن نذكر تأثير آية واحدة في قلوب أصحاب رسول الله ﷺ بعد تيسيرها بلسان رسول الله ﷺ . عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لما نزلت هذه

(١) جامع البيان (٩٦/٢٧) .

(٢) معالم التنزيل (٢٦١/٤) .

(٣) الكشف (٤٣٥/٢) ، مدارك التنزيل (١٣٢٦/٣) .

(٤) التسهيل ص ٦٧١ .

(٥) مفاتيح الغيب (٤٣/٢٩) .

الآية ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا مُجْزِئًا ﴾ [النساء : ١٢٣] شَقَّتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَبَلَغَتْ مِنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَبْلُغَ ، فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « قَارِبُوا وَسَدِّدُوا ، فَفِي كُلِّ مَا يَصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ ، حَتَّى النُّكْبَةُ يَنْكِبُهَا ، أَوْ الشُّوْكَةُ يَشَاكِبُهَا » ^(١) .

وَأَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا مُجْزِئًا ﴾ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : « جَاءَتْ قَاضِمَةُ الظَّهْرِ » ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّمَا هِيَ الْمَصِيبَاتُ فِي الدُّنْيَا » ^(٢) .

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا مُجْزِئًا وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ ﴾ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا أَبَا بَكْرٍ ! أَلَا أَقْرَأُكَ آيَةَ نَزَلَتْ عَلَيَّ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَأَقْرَأْنِيهَا فَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ انْقِصَامًا فِي ظَهْرِي حَتَّى تَمَطَّيْتُ لَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَالِكٌ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ قُلْتُ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَإِنَّا لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ ، وَإِنَّا لَمُجْزِئُونَ لِكُلِّ سُوءٍ عَمَلْنَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ - يَا أَبَا بَكْرٍ ! - الْمُؤْمِنُونَ فَتَجْزُونَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ لَيْسَ لَكُمْ ذُنُوبٌ ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَيَجْمَعُ لَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يَجْزُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(٣) .

وَأَخْرَجَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَبِثْنَا حِينَ نَزَلَتْ مَا يَنْفَعُنَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَرَخَّصَ ، وَقَالَ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ ﴾ [النساء : ١١٠] » ^(٤) .

(١) جامع البيان (٢٩٣/٥-٢٩٤) .

(٢) جامع البيان (٢٩٥/٥-٢٩٦) ، الدر المنثور (٢/٦٩٩) .

(٣) الدر المنثور (٢/٦٩٦) ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، الكلاباذي ص ٧٦-٧٧ .

(٤) الدر المنثور (٢/٦٩٨) .

المطلب التاسع : تيسير سماع القرآن الكريم :

القرآن كلام الله القديم ، وسماع كلام الله لا يطيقه أحد من الخلق ، ولا يستطيعه إلا أولو العزم من الرجال ، ممن مكنهم الله ﷻ وهبهم لسماع كلامه ، وسماع كلام الله ﷻ يكون بقوة القلب والروح ، وقوة القلب التي هي إحدى قوى الروح معطلة عند معظم الخلق ؛ لأنهم لم يعملوا على تفجير هذه القوى بطاعة الله ﷻ ، والمداومة على ذكره ، ولكن الله ﷻ يسّر لنا سماع القرآن العظيم بلسان رسوله الكريم ﷺ ، فأصبح يسمع القرآن كل من له سمع . وآيات ذلك :

الفرع الأول : أنه أصبح بهذا التيسير سهلاً على القلوب ، عذباً على الأسماع ، بحيث يعلق بقلوب الخلق ، ويستلذ سماعه من لا يفهمه ، ولا يسأم من سماعه وفهمه ، ولا يقول أحد : قد علمت فلا أسمع ؛ بل كل ساعة يزداد منه لذة وعلماً^(١) . بل لازال غصّاً طريّاً في أسماع السامعين ، وعلى ألسنة القارئ^(٢) .

الفرع الثاني : امتلاكه للقلوب والأسماع : للقرآن سرّ عجيب في امتلاك القلوب والأسماع ، ففي أيامنا هذه يسمعه اليهود والنصارى في بيوتهم وتفتح بعض إذاعاتهم برامجها العربية بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، مع أن هؤلاء يكفرون بالقرآن وبصاحب القرآن . بل إن المرتدين والمارقين والفساق والمجرمين في ديار الإسلام يستمعون إلى هذا القرآن الكريم ، وربما أثر القرآن في سلوكهم وحياتهم من خلال هذا السماع عبر الإذاعة والتلفاز (الرائي) .

الفرع الثالث : لا يُملّ على كثرة التكرار : فهاؤم أهل الإيمان لا يملّون ولا يسأمون من كثرة سماع القرآن الكريم ، وقد هبأ الله ﷻ لأهل الإيمان إذاعات خاصة تعنى بتلاوة القرآن الكريم في البلاد الإسلامية طيلة النهار ، فيزيد المؤمنين إيماناً وهدى ونوراً .

وإذا كانت الملائكة عليهم السلام لا تستطيع سماع الخطاب الإلهي - كما مر -

(١) مفاتيح الغيب (٢٩/٢٣) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١٠٤/٢) وما بعدها .

فأني للبشر أن يستطيعوا ذلك ؟ وقد أهلك الله ﷻ أقواماً بانصيحة ، وتوعد آخرين بالهلاك بها ، وهذه الصيحة كانت بمثابة الصاعقة التي تهلك من تقع عليه ^(١) ، وسواء كانت الصيحة كلام ملك من الملائكة ، أو كلام الجليل ﷺ ^(٢) . فهو أمر مهول ، لا يطيقه البشر ، فكيف يطيقون سماع خطاب الله ﷻ والملائكة لا يطيقون ذلك ؟

قال الإمام الماوردي في الوجه الحادي عشر من وجوه الإعجاز : « أن تلاوته تختص بخمسة بواعث عليه لا توجد في غيره : ١- هشاشة مخرجه ، ٢- بهجة رونقه ، ٣- سلاسة نظمه ، ٤- حسن قبوله ، ٥- قارئه لا يكلّ و سامعه لا يملّ » ^(٣) .

ومن هنا يعلم فضل رسول الله ﷺ وعظيم جاهه في تيسير سماع كلام الله ﷻ على الخلق ، فيسمعه المؤمن الطائع والعاصي ، والعربي والعجمي ، وكلهم يستفيد منه ويستمد منه ! ويسمعه الكافر والفاجر يدعوهم إلى الهدى والرشاد ، فإن آمنوا فقد هدوا إلى صراط مستقيم ، وإن أبوا فقد ضلوا ضلالاً بعيداً ، وهو مصداق قول الحق ﷻ فيهم : ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [المائدة : ٦٤] . ومصداق قول الحق ﷻ فيهم : ﴿ قُلْ يَتَاهَلْ آلِ كَتَبَ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٨] .

ومصداق قول الحق ﷻ في المؤمنين والكافرين : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَلَيْكُمُ زَادٌ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤-١٢٥] .

(١) ينظر : سورة هود : ٦٧ و ٩٤ ، الحجر : ٧٣ و ٨٣ ، المؤمنون : ٤١ ، العنكبوت : ٤٠ ، يس : ٩٩

و ٤٩ و ٥٣ ، وغير ذلك . البقرة : ٥٥ ، النساء : ١٥٣ ، فصلت : ١٣ و ٩١٧ ، الذاريات : ٤٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤٣/١٧) ، روح المعاني (١٦/٢٧) ، حاشية الشهاب (٩٨/٨) .

(٣) أعلام النبوة ص ٧٧-٩٦ .

المطلب العاشر : تيسير أنوار القرآن الكريم وأسراره :

لا يخفى على ذي لب أن القرآن الكريم نور ، وأنه محمل بالأنوار والأسرار ، وأنه ليس في مقدور المخلوق تحمل تلك الأنوار والأسرار .

الفرع الأول : الله نور السموات والأرض : قال الله ﷻ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣٥ ﴾ [النور : ٣٥] ، والقرآن الكريم كلام الله ، والكلام صفة المتكلم ، فهو منور السموات والأرض بأنوار جماله وجلاله وهيبته وعظمته .

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ وَجَلَّ لَنَا نَيَّامٌ وَلَا يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النَّورُ » . وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ : « لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » .
وَفِي رِوَايَةٍ : « قَالَ حِجَابُهُ النَّورُ » ^(١) .

الفرع الثاني : القرآن الكريم نور : قال الله ﷻ : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦] . وقال ﷻ : ﴿ فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٨ ﴾ [التغابن : ٨] .

وهذا النور لو بدا على حقيقته لما أطاقته المخلوقات ، ولذا ابت من سناه الجمادات ، ولذهلت العقول والألباب ، ولطاشت القلوب وطارت ، وأنى لها أن تحتمل وتحمل النور الأزلي ؟! ولكن الله ﷻ لطّف هذا النور ويسره بلسان رسوله ﷺ ، وحجب البصائر

(١) صحيح مسلم (١/١٦١ و ١٦٢) برقم (١٧٩) ، سنن ابن ماجه (١٩٥ و ١٩٦) ، مسند أحمد (٤/٤٠٥) برقم (١٩٠٩٠ و ٩١٣٥) ، صحيح ابن حبان (١/٤٩٩) برقم (٢٦٦) .

والأبصار عن حقيقة نوره إلا من أراد إكرامه بذلك النور .

قال جعفر الصادق عليه السلام : « لقد تجلّى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون » ^(١) .
ومن يطبق هذا التجلي غير العلماء الراسخين في العلم ، والأولياء الكمل ؟

ومما يؤيد ذلك ويؤكدده : أن الناس لا يقدرّون على تحمل أنوار النبوة ، ومهما كان شأن النبي من العلو في المنزلة والرفعة في المكانة فإنه مخلوق من مخلوقات الله جلّ جلاله ، وشتان شتان ما بين الخالق والمخلوق . وذكر بعض ما اختص به النبي صلى الله عليه وآله المراد منه تقريب الحقيقة إلى الفهم ، وليس الأمر مراداً لذاته في هذا السياق ، وإيضاح ذلك :

١- نور رسول الله صلى الله عليه وآله فوق مقدور البشر تحمّله : فإذا كان نور رسول الله صلى الله عليه وآله فوق مقدور البشر تحمّله ، فكيف بنور كلام الله تعالى ، الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار ؟ نقل صاحب المواهب اللدنية عن الإمام القرطبي عن بعضهم أنه قال : « لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وآله ؛ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت عيوننا رؤيته صلى الله عليه وآله لعجزنا عن ذلك » ^(٢) .

وقال أبو يزيد البسطامي : « لو بدا للخلق من النبي ذرّة لم يقم لها ما دون العرش » ^(٣) .

فيتأكد بذلك عظيم قدر النبي صلى الله عليه وآله وواسع جاهه في تيسير نور القرآن وتلطيفه ؟!
بل واضح لأهل العلم بالسير أن النبي صلى الله عليه وآله كان يأذن بالدخول عليه بعد نزول الوحي لخواص أصحابه أمثال أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذي النورين ، وعلي المرتضى عليه السلام أجمعين ، وهذا الذي نلاحظه من خلال شدة ملازمة هؤلاء الأكابر للنبي صلى الله عليه وآله ؛ وذلك لأن أنوار القرآن النازلة مع الوحي لا تطيقها القلوب الضعيفة ، فلقاءه صلى الله عليه وآله بأمثال هؤلاء الكمل يخفف من قوّة الأنوار وحدثها لما لديهم من قوة واستعداد عاليين لاستقبال هذه الأنوار ، بعد ذلك يلتقي بالأصحاب بما يناسب استعداداتهم .

ولقد كانت تتغير أحواله عليه الصلاة والسلام عند نزول الوحي لشدة وقوة الأنوار النازلة مع الوحي ، فيتغير خطابه وأسلوبه مع أصحابه ، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه

(١) عوارف المعارف ، للسهروردي (١/١٦٥) .

(٢) السيرة النبوية ، دحلان (٣/١٩٥) .

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف ، الكلاباذي ص ٧٠ .

قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي أو وعظ ، قلت : نذير قوم أتاهم العذاب ، فإذا ذهب عنه ذلك رأيت أطلق الناس وجهاً ، وأكثرهم ضحكاً ، وأحسنهم بشراً » ^(١) .

وكان لهذا التغير أثره البالغ في نفوس الأصحاب وقلوبهم وعقولهم وأرواحهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه لم يستطع أحد منا أن يرفع إليه طرفه حتى ينقضي الوحي » ^(٢) .

وعن عمرو بن العاص قال : « صحبت رسول الله ﷺ وما ملأت عيني منه قط ، حياءً منه وتعظيماً له ، ولو قيل لي صفه لما قدرت » ^(٣) . أي بجميع أوصافه .

قال السيد أحمد بن زيني دحلان : « وإذا كان هذا قوله وهو من عظماء الصحابة فما بالك بغيره ؟ » ، وبين ذلك ويوضحه ما روي أنه عليه الصلاة والسلام « كان إذا فرغ من صلاة الليل حدث عائشة رضي الله عنها إن كانت مستيقظة وإلا اضطجع بالأرض ، ثم خرج بعد ذلك للصلاة » . وما ذاك إلا لأنه ﷺ كان يتعبد ليلاً ويشغل بما يقربه من الله ، فيظهر عليه حال ، حتى يظن أنه ليس من البشر ، فلو خرج على تلك الحالة التي كان عليها ، وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته ، وسماع كلام ربه ، وغير ذلك من الأحوال التي يكفل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه . فكان عليه الصلاة والسلام يتحدث مع عائشة ، ويضطجع بالأرض حتى يحصل التأنيس بجنسهم ؛ وهو التأنيس بعائشة التي هي من البشر ، أو من جنس أصل الخلقة الذي هو الأرض ، ثم يخرج إليهم ليتمكن الناس من مخالطته والتكلم معه ، وما كان يفعل ذلك إلا رفقا بهم ، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً » ^(٤) .

٢- أثر أنوار النبوة والوحي في القلوب : كان لأنوار النبوة والوحي أثر عظيم في

(١) كشف الأستار (١٦٠/٣) ، مجمع الزوائد (١٧/٩) ، وقال الهيثمي : « إسناده حسن » و(١٨٨/٢) و(٧٣/٣) ، مسند أحمد (١٦٧/٢) ، الخلية (١٦٧/٦) .

(٢) صحيح مسلم (١٤٠٦/٣) برقم (١٧٨٠) ، السنن الكبرى للنسائي (٣٨٢/٦) ، مسند أحمد (٥٣٨/٢) ، المصنف لابن أبي شيبه (٥٣/٧) ، المستدرک (٢٤٢/٢) برقم (٢٨٨٠) ، صحيح ابن حبان (٧٥/١١) برقم (٤٧٦٠) .

(٣) مسند أحمد (١٩٩/٤ و ٢٠٤) ، الزهد لابن المبارك (١٤٨/١) ، المعجم الكبير (٦٠/١٧) .

(٤) السيرة النبوية ، دحلان (٢٥٠/٣) .

القلوب ، حتى إن الفرائص لترتعد خوفاً وتعظيماً ، حتى إن قومه الذين كذبوه بعد البعثة إذا واجهوه عظموه وقضوا حاجته ، وذلك لما ألقى الله عليه من أنوار جلال جمال القرآن العظيم ، والتي فيها ما فيها من الجلال والمهابة التي تدهش القلوب والعقول ، فمن رآه بديهاً هابه .

روت قبيلة بنت مخزومة العنبرية وفادتها على رسول الله ﷺ ومما جاء في حديثها الطويل : « فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق ، فقال له جليسه : يا رسول الله ! أرعدت المسكينة ، فقال رسول الله ﷺ ولم ينظر إليّ وأنا عند ظهره : « يا مسكينة ! عليك السكينة ! » فلما قالها رسول الله ﷺ أذهب الله عني ما كان دخل في قلبي من الرعب .. » ^(١) .

وعن جرير وأبي مسعود البدري رضي الله عنهما قالوا : أتى النبي ﷺ رجل ، فكلمه ، فجعل ترعد فرائصه ، فقال له : « هوّن عليك ! فإنني لست بمملك ؛ إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد » ^(٢) .

المطلب الحادي عشر : تيسير مبنى القرآن الكريم :

وذلك أن أوعية القرآن الكريم اللغوية قد صيغت صياغة خاصة ، حتى لتسترق الكلمة السمع ، وتستلب الفؤاد ، وتخلب اللب ، لما لها من جرس مأنوس ، ودلالة موحية ؛ حتى لغير الناطقين بالعربية ، العارفين بمعانيها وأساليبها وخطابها .

وليس في مفردات القرآن الكلام الوحشي المهجور ، ولا السوقى المتبذل ، ولا الخليع المستهجن ، وليس في عباراته ركافة أو تعقيد ، ولا إسفاف ولا التواء ، بل فيه السلاسة

(١) المعجم الكبير ٩/٢٥ (١) ، مجمع الزوائد ١١/٦ أو ١٥ وقال : رجاله ثقات ، الشفا ١/١٩٩ ، فتح الباري ١١/٦٥ ، ابن سعد ٣/٥٨ . وقد ورد الحديث مختصراً ، سنن الترمذي (٢٨١٤) المعجم الكبير ٣/٣٠٢ (٣٤٦٩) ، الأدب المفرد (١١٧٨) .

(٢) سنن ابن ماجه (١١٠١/١) برقم (٣٣١٢) ، مصباح الزجاجة (١٩/٤) ، وقال : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » ، مجمع الزوائد (٩/٢٠ أو ٩٣) ، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط عن جرير ، وفيه من لم أعرفهم » ، تاريخ بغداد (٦/٢٧٧ ، ٢٧٩) . وروي بلفظ آخر : المستدرك (٢/٤٦٦) ، (٣/٤٨) ، دلائل النبوة البيهقي (٥/٩٦) ، الدر المنثور (٧/٦١٢) ، السيرة النبوية ، دحلان (٣/٢٤٩) .

التي تتخلل مسارب النفس ، وتتداخل في حنايا القلب ، وتتساق مع نغمات الوجدان ، وتتناغم مع نظرات العقول ، وتنسجم مع طبيعة الفطرة الإنسانية ؛ فالقرآن الكريم كالروح تسري في أوصال البدن بغير شعور ، فتبهبه الحياة والأحاسيس ، وجل القائل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

ومن وجوه تيسير مبناه أنه قد احتوى وجوها كثيرة من اللهجات العربية في الأداء الصوتي ، وهذا الذي حدا كثيراً من أهل العلم لأن يقولوا في الأحرف السبعة في القرآن إنها لهجات قبائل عربية ، وذلك لأنهم وجدوا آثار تلك اللهجات في القراءات القرآنية المتواترة ، وهذا الرأي وإن لم يكن راجحاً إلا أنه ينبه على وجود أثر اللهجات في الأداء القرآني ، مما ييسر القراءة والأداء على السلائق العربية مهما تعددت لهجاتها ، مما جعل كل قبيلة ترى توافق وجه من وجوه الأداء أو بعضه أو شيئاً منه مع لهجتها ، مما يزيد في ارتباطها بهذا القرآن الكريم ، حتى يحس السامع أن القرآن يخاطبه بلهجته الخاصة ، ويحفظ عليه سليقته اللغوية الموروثة ، وهذا مما يزيد لها اعتزازاً وتسامياً بهذا القرآن المجيد ، ويجعلها تتفاعل معه حفظاً وسماعاً وعملاً وتحققاً^(١) .

والخلاصة : أن القرآن الكريم مرّ بمراحل من التيسير كان آخرها لسان النبي ﷺ ، وأن الأمور التي يسرت بلسانه الشريف كثيرة تستعصي على الحصر ، وما جاء في البحث إنما هي بعض الوجوه التي يمكن أن تشير إلى ماعداها من وجوه التيسير .

ويمكن الإشارة إلى وجوه التيسير على جهة الإجمال من خلال معرفة ماورثه النبي ﷺ ، ويمكن جمعها تحت ثلاثة أمور أساسية :

١- العلم : ويشمل العلم بالمسائل الاعتقادية والأحكام العملية والمبادئ

الأخلاقية.

(١) المدخل إلى التفسير ، د. عبد الحميد محمد ندا جعراية ص ٣١ - ٣٢ .

٢- العمل : ويشمل الأعمال التي قام بها النبي ﷺ خلال حياته ، سواء تعلق ذلك بالأحكام العملية أم بالمبادئ الأخلاقية أم بالعادات والتقاليد الاجتماعية أم بالأمور الجبلية العامة أو الشخصية .

٣- الأحوال الإيمانية : المصاحبة للأمور العلمية والعملية ؛ من خشية وخوف ورجاء ويقين وإخلاص وانقباض وانبساط ، وغير ذلك من الأحوال الإيمانية .

فمن أراد أن يحصل على ميراث النبي ﷺ كاملاً غير منقوص فعليه أن يأخذ هذه الموارد من أهلها الحاصلين عليها بالإجازات العلمية الصحيحة المتصلة الأسانيد بسيدنا رسول الله ﷺ ، المتحققين بها ، اعتقاداً في الفكر ، وسلوكاً عملياً في واقع الحياة ، المتحلين بحقائق الشرع الشريف قلباً وقالباً ، المتمثلين أحوال رسول الله ﷺ في الحركات والسكنات ، والأفكار والخطرات . فيأخذ الطالب من علومهم ، ويستفيد من أعمالهم ، ويقتبس من أحوالهم وأنوارهم ؛ مما ورثوه عن رسول الله ﷺ .

ثبت المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .
- ١- الآداب الشرعية والمنح المرعية ، لأبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي (ت : ٧٦٣هـ) .
- ٢- الإتقان في علوم القرآن ، للإمام السيوطي (ت : ٩١١هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٧٥م) .
- ٣- الإحكام في أصول الأحكام ، لسيف الدين أبي الحسن علي بن محمد الآمدي (٥٥١-٦٣١هـ) ، مؤسسة الحلبي وشركاه ، (١٣٨٧هـ-١٩٣٧م) .
- ٤- الأدب المفرد ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، دار صادر-بيروت .
- ٥- الأساس في التفسير ، للشيخ سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) .
- ٦- أصول الفقه ، لزكي الدين شعبان ، دار النصر للطباعة - مصر .
- ٧- إعراب القرآن وبيانه ، لمحيي الدين الدرويش ، اليمامة ودار ابن كثير - دمشق وبيروت ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص ، ط ٥ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .
- ٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل « تفسير البيضاوي » ، للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت : ٧٩١هـ) ، تح : عبد القادر عرفات عشا حسونة ، دار الفكر - بيروت ، ط ١ (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) .
- ٩- البحر الزخار ، المهدي لدين الله : أحمد بن يحيى المرتضى ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، (١٩٧٥م) .
- ١٠- بحر العلوم « تفسير السمرقندي » ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت : ٣٧٥هـ) ، دراسة وتح : د. عبد الرحيم أحمد الزقة ، مطبعة الإرشاد - بغداد ، ط ١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) . وتح : الشيخ علي محمد عوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .
- ١١- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر - بيروت .
- ١٢- البداية والنهاية ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) ، مكتبة المعارف - بيروت ، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .
- ١٣- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٤٥-٧٩٤هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، البابي الحلبي ، وعنها دار الجيل - بيروت ، ط ٢ .
- ١٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، بمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٢٩-٨١٧هـ) ، تح : محمد علي النجار ، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية - وعنها المكتبة العلمية ، (١٣٨٣هـ) .
- ١٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١١٤٥-١٢٠٥هـ) ، جماعة من المحققين ، طبع الكويت ، ودار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازي ، تاريخ الأجزاء مختلف .

- ١٦- التحرير والتنوير ، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر - تونس ، (١٩٨٤م) .
- ١٧- الترغيب والترهيب ، الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت : ٦٥٦هـ) ، تح : مصطفى محمد عمارة ، دار إحياء التراث ، ط ٢ (١٣٨٨هـ) . ودار الفكر ، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
- ١٨- التسهيل لعلوم التنزيل ، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلي الغرناطي (٦٩٣-٧٤١هـ) ، الدار العربية - ليبيا .
- ١٩- التعرف لمذهب أهل التصوف ، لتاج الإسلام أبي بكر محمد الكلاباذي (ت : ٣٨٠هـ) ، تح : د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) .
- ٢٠- تفسير القرآن العظيم ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) ، مكتبة الجليل - صنعاء ، ط ١ .
- ٢١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ) ، تح : مصطفى بن أحمد العلي ومحمد بن عبد الكبير البكري ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ، (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) .
- ٢٢- تهذيب اللغة ، للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (٢٨٢-٣٧٠هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) .
- ٢٣- تيسير التحرير ، لأمير باد شاه ، طبعة مصطفى البايي الحلبي ، (١٣٥٠هـ) .
- ٢٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ) ، دار الفكر - بيروت ، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
- ٢٥- الجامع لأحكام القرآن ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار إحياء التراث .
- ٢٦- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي «عناية القاضي وكفاية الرازي» ، شهاب الدين الخفاجي ، دار المعارف العثمانية ، (١٢٨٣هـ) ، وعن دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت .
- ٢٧- الخصائص الكبرى ، للإمام السيوطي ، مكتبة منير - بغداد ، ط ٢ (١٩٨٤م) .
- ٢٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام السيوطي ، دار الفكر ، ط ١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- ٢٩- دلائل النبوة ، البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ .
- ٣٠- روح البيان ، الشيخ إسماعيل حقي البروسوي (ت : ١١٣٧هـ) ، در سعادت مطبعة عثمانية ، (١٣٣١هـ) ، وعن دار الفكر .
- ٣١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للإمام أبي الثناء محمود الألوسي البغدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية ، وعن دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٣٢- سنن ابن ماجه ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ) ، تح : وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، (١٣٧٢هـ-١٩٥٢م) ، وعن دار الفكر .
- ٣٣- سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢-٢٧٥هـ) ، مراجعة وضبط و تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

- ٣٤- سنن الترمذي ، للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٩٧هـ) ، تح : أحمد شاكر وإبراهيم عطوة عوض ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٣٥- السنن الكبرى ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ، حيدر آباد - الهند - دائرة المعارف العثمانية ، ط ١ (١٣٤٤هـ) ، وعنهما دار الفكر .
- ٣٦- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، دار إحياء التراث العربي - مصر ، ط ١ (١٣٤٨هـ-١٩٣٠م) ، وعنهما دار الفكر - بيروت . وطبعة دار الجيل ، ترقيم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة .
- ٣٧- السيرة النبوية ، أحمد بن زيني دحلان (١٢٣٢-١٣٠٤هـ) ، الأهلية للنشر والتوزيع ، (١٩٨٣هـ) .
- ٣٨- شرح السنة ، للإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي (٤٣٦-٥١٦هـ) ، تح : شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ (١٤٠٣هـ-١٩٩٨م) .
- ٣٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي (٤٧٦-٥٤٤هـ) ، تح : أسامة الرفاعي وزملائه ، تقديم الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت والشيخ عبد الكريم الرفاعي ، مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن ، (١٣٩٢هـ) .
- ٤٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٣٢-٣٩٣هـ) ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط ٤ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
- ٤١- صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، للحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية - القاهرة ، (١٣٨٠هـ) .
- ٤٢- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، دار الفكر ، (١٤٠١هـ-١٩٨١م) .
- ٤٣- صفة الصفوة ، للإمام عبد الرحمن بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٤٤- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (١٦٨-٢٣٠هـ) ، دار الفكر .
- ٤٥- عوارف المعارف ، للشيخ عمر السهروردي ، طبع ملحقاً بإحياء علوم الدين ، للإمام الغزالي .
- ٤٦- فتح الباري بشرح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المطبعة السلفية - القاهرة ، (١٣٨٠هـ) ، وعنهما دار الفكر .
- ٤٧- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، لابن قيم الجوزية ، منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت ، (١٩٨٧م) . (والصحيح أنه مقدمة تفسير ابن النقيب . المحلة) .
- ٤٨- في ظلال القرآن ، الشهيد سيد القطب ، دار الشروق ، ط ١٠ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .
- ٤٩- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت : ٨١٧هـ) ، دار الجيل عن طبعة البابي الحلبي . وطبعة مؤسسة الرسالة .

- ٥٠- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه تأويل ، للإمام محمود بن عمر الزمخشري ، وبذيله أربعة كتب ، رتبته وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد ، دار التراث العربي ، ط ٣ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
- ٥١- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ، الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥-٨٠٧هـ) ، تح : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .
- ٥٢- لسان العرب ، للعلامة أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ، دار صادر ، ط ١ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .
- ٥٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، بتحريه الحافظين العراقي وابن حجر ، نشر مكتبة القدس ، (١٣٥٢هـ) ، وعن دار الفكر ، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .
- ٥٤- مجموع الفتاوى الكبرى ، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، مطابع الرياض الحديثة ، ط ١ (١٣٨٣هـ) .
- ٥٥- مختصر تفسير ابن كثير ، محمد علي الصابوني - دار علوم القرآن .
- ٥٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، قدم له الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، راجعه وضبطه الشيخ إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم - بيروت ، ط ١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٩م) .
- ٥٧- الموافقات في أصول الأحكام ، للحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي (ت : ٧٩٠هـ) ، علق عليه محمد الخضر حسين التونسي ، دار الفكر - بيروت ، عن الطبعة المنيرية ، (١٣٤١هـ) .
- ٥٨- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، بيروت ، (١٩٧٥م) .
- ٥٩- مسائل من الفقه المقارن ، للدكتور هاشم جميل عبد الله ، مطابع التعليم العالي في الموصل ، ط ١ (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) .
- ٦٠- المستدرك على الصحيحين ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت : ٤٠٥هـ) ، وبهامشه : تلخيص المستدرك ، للحافظ الذهبي ، دائرة المعارف حيدر آباد ، ط ١ (١٣٣٤هـ) ، وعن دار المعرفة ، ط ١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .
- ٦١- مسند إسحاق بن راهويه الحنظلي ، تح : عبد الغفور عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة ، (١٤١٢هـ-١٩٩١م) .
- ٦٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وبهامشه مختصر كثر العمال ، المكتب الإسلامي ، عن الطبعة الأولى .
- ٦٣- مسند الحميدي ، للحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت : ٢١٩هـ) ، تح : حبيب الرحمن الأعظمي ، عالم الكتب ومكتبة المشي .

- ٦٤- معالم التنزيل ، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٦هـ) ، تح : خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة - بيروت ، ط ٣ (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .
- ٦٥- معاني النحو ، للدكتور فاضل السامرائي ، مطابع التعليم العالي - الموصل .
- ٦٦- المعجم الأوسط للحافظ الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) ، تح : د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض ، ط ١ (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .
- ٦٧- المعجم الكبير ، للحافظ أبي القاسم سليمان أحمد الطبراني ، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي ، مطبعة الزهراء الحديثة - الموصل ، ط ٢ ، تاريخ طبع الأجزاء مختلف .
- ٦٨- مفاتيح الغيب « تفسير الفخر الرازي » ، للإمام فخر الدين محمد بن العلامة ضياء الدين عمر (٥٤٤-٦٠٤هـ) ، دار الفكر - بيروت ، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .
- ٦٩- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت : ٤٢٥هـ) ، تح : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم - دمشق ، الدار الشامية - بيروت ، ط ٢ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .
- ٧٠- مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) ، اعتنى به د. محمد عوض مرعب ، فاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي - لبنان ، ط ١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .
- ٧١- مناهل العرفان في علوم القرآن ، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .
- ٧٢- منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس ، للباحث ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية ، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .
- ٧٣- مواضع الاقتران في القرآن الكريم بين اسم الله تعالى والرسول محمد ﷺ - في المسائل الاعتقادية - : دراسة تحليلية موضوعية ، للباحث ، رسالة دكتوراه . مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية (١٩٩٩م) .
- ٧٤- موسوعة أطراف الحديث النبوي ، إعداد أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، عالم التراث - بيروت ، (١٤١٠هـ-١٩٨٩م) .
- ٧٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت : ٨٨٥هـ) ، تح : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .
- ٧٦- النكت والعيون « تفسير الماوردي » ، للإمام أبي الحسن علي بن محمد حبيب الماوردي البصري (٣٦٤-٤٥٠هـ) ، راجعه وعلق عليه : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .
- ٧٧- النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٥٤٤-٦٠٦هـ) ، تح : طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت .

تحريب القرآن في المصادر والمصاحف

أ. د. غانم قدوري الحمد *

التعريف بالبحث :

يجد قارئ القرآن في المصحف منازل يمكنه أن يتوقف عندها في ورده اليومي ، فإن أراد أن يختم في شهر قرأ كل يوم جزءاً من أجزاء ثلاثين ، وإن أراد أن يزيد أو ينقص أمكنه ذلك ، ووجد في المصحف ما يدل على ذلك ، وإن أراد حفظ القرآن في سنة وجد ما يعينه على ذلك ، سواء في المصادر أو المصاحف .

وقد يتساءل قارئ القرآن عن أصل التجزئة الموجودة في المصاحف ، ومتى ظهرت ، وما الأساس الذي تستند إليه ؟ ويكون التساؤل أكثر إلحاحاً حين يجد القارئ تفاوتاً في حجم أرباع الأحزاب ، فيجد ربعاً يأخذ خمسين سطراً ، ويجد ربعاً آخر لا يأخذ إلا نصف هذه المساحة أو أقل .

وكان ذلك التساؤل يتجدد في نفسي ، وبدأت أتبع المصادر التي تُعنى بالموضوع ، وأنظر في المصاحف التي تيسر لي ، وانكشف لي من خلال ذلك كثير من جوانب الموضوع ، وأردت أن أنقل ما وقفت عليه ، وأكشف ما توصلت إليه إلى المهتمين بأمر المصاحف ، في المعاهد والجامعات ، وفي المؤسسات ودور النشر ، حتى يأخذوا بالحسبان الحقائق التي جمعتها في هذا البحث ، وهي موجودة في المصادر لكنها لم تكن في متناول يد جمهور القراء ، كما أنها لم تؤخذ بالحسبان من الذين تولوا كتابة المصاحف والإشراف على نشرها في الوقت الحاضر .

* أستاذ اللغة العربية وعلوم القرآن في كلية التربية بجامعة تكريت في محافظة صلاح الدين بالعراق . ولد عام (١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) ، وحصل على الماجستير من دار العلوم بجامعة القاهرة عام (١٩٧٦ م) ، وكانت رسالته " رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية " . وعلى الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة بغداد عام (١٩٨٥ م) . وكانت رسالته " الدراسات الصوتية عند علماء التجويد " وله كتب وبحوث كثيرة منشورة .

المقدمة

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد :

فإن قارئ القرآن يجد في المصحف منازل يمكنه أن يتوقف عندها في ورده اليومي ، فإن أراد أن يختم في شهر قرأ كل يوم جزءاً من أجزاء ثلاثين ، وإن أراد أن يزيد أو ينقص أمكنه ذلك ، ووجد في المصحف ما يدل على ذلك ، وإن أراد حفظ القرآن في سنة وجد ما يعينه على ذلك ، سواء في المصادر أو المصاحف .

وقد يتساءل قارئ القرآن عن أصل التجزئة الموجودة في المصاحف ، ومتى ظهرت ، وما الأساس الذي تستند إليه ؟ ويكون التساؤل أكثر إلحاحاً حين يجد القارئ تفاوتاً في حجم أرباع الأحزاب ، فيجد ربعاً يأخذ خمسين سطراً ، ويجد ربعاً آخر لا يأخذ إلا نصف هذه المساحة أو أقل .

وكان ذلك التساؤل يتجدد في نفسي ، وبدأت أتبع المصادر التي تُعنى بالموضوع ، وأنظر في المصاحف التي تيسر لي ، وانكشف لي من خلال ذلك كثير من جوانب الموضوع ، وأردت أن أنقل ما وقفت عليه ، وأكشف ما توصلت إليه إلى المهتمين بأمر المصاحف ، في المعاهد والجامعات ، وفي المؤسسات ودور النشر ، حتى يأخذوا بالحسبان الحقائق التي جمعتها في هذا البحث ، وهي موجودة في المصادر لكنها لم تكن في متناول يد جمهور القراء ، كما أنها لم تؤخذ بالحسبان من الذين تولوا كتابة المصاحف والإشراف على نشرها في الوقت الحاضر .

وسوف أتناول في هذا البحث أوليات تحزيب القرآن ، قبل عصر تدوين العلوم ، ثم ما صار إليه التحزيب بعد عصر التأليف وتدوين العلوم ، وأعرض مذاهب العلماء في أسس التحزيب وجهودهم في ذلك ، ثم أنظر في أشهر المصاحف المطبوعة المتداولة في زماننا للوقوف على طريقة التحزيب المتبعة فيها . وسوف أتناول هذه الموضوعات من خلال المباحث الأربعة الآتية :

المبحث الأول : تمهيد في تعريف المصطلح وأوليته .

المبحث الثاني : تحزيب القرآن في المصادر .

المبحث الثالث : تحزيب القرآن في المصاحف .

المبحث الرابع : تحزيب القرآن بين المصادر والمصاحف .

وأدعو الله تعالى أن يوفقني في هذا البحث ، وفي غيره من أموري ، إلى بلوغ الحقيقة ،
وإلى صدق التعبير عنها ، وأن يجنبني الخطأ والزلل ، وأن يغفر ما وقع مني وما سيقع ، إنه
وليُّ التوفيق .

المبحث الأول : تمهيد في تعريف المصطلح وأوليته

التَّحْزِيبُ مشتق من الحَزَب ، وهو مصدر الفعل حَزَبَ ، والحزب : جماعة الناس ، والجمع أحزاب ، والحزب : الورْد ، وهو ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة القرآن ^(١) .

ومصطلح « تحزيب القرآن » معروف منذ عصر الصحابة ، بل جاءت كلمة « حزب » في حديث رسول الله ﷺ بمعنى الجزء من القرآن ، واستخدم عدد من علماء الحديث مصطلح « تحزيب القرآن » في عناوين بعض الأبواب ^(٢) .

وكره بعض السلف استخدام مصطلح « تحزيب القرآن » ، لكن العلماء بينوا جواز ذلك ، فقد أخرج أبو داود عن ابن الهاد (عبد الله بن شداد) ، قال : سألت نافع بن جبير بن مطعم فقال لي : في كم تقرأ القرآن ؟ فقلت : ما أحزبه . فقال لي نافع : لا تقل : ما أحزبه ، فإن رسول الله ﷺ قال : « قرأت جزءاً من القرآن » ^(٣) .

ولم تشع كلمة « الجزء » في العصور المتقدمة ، وإن كان معناها اللغوي مقارباً لمعنى كلمة « الحزب » ، وغلب استخدام كلمة « الجزء » في العصور المتأخرة ، والوقت الحاضر . وتخصصت كلمة « الجزء » بأجزاء ثلاثين ، وكلمة الحزب بأنصافها .

ويُعبر عن تقارب معنى الكلمتين قول علم الدين السخاوي : « يقال : أجزاء القرآن ، والأحزاب ، والأوراد ، بمعنى واحد » ^(٤) . ووضع ابن كثير الكلمتين في العنوان ، فقال : « التحزيب والتجزئة ، وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين » ^(٥) .

وأشهر حديث في تحزيب القرآن في زمن النبي ﷺ هو حديث أوس بن حذيفة

(١) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (٢٩٩/١) « حزب » ، النهاية ، ابن الأثير (٣٧٦/١) .

(٢) ينظر : موطأ مالك ص ١٤٢ ، وسنن أبي داود (٥٥/٢) .

(٣) سنن أبي داود (٥٥/٢) ، رقم الحديث (١٣٩٢) ، وينظر : المصاحف ، ابن أبي داود ص ١١٨ .

(٤) جمال القراء (١٢٤/١) .

(٥) تفسير ابن كثير (٨/١) .

الثقفي ، الذي كان في وفد ثقيف الذين حضروا إلى المدينة ، وكان رسول الله ﷺ يأتيهم كل ليلة بعد العشاء يحدثهم ، فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتيهم فيه ، فقالوا : لقد أبطأت علينا الليلة ، قال : « إنه طرأ عليّ حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجيء حتى أتمّه » ، وقال أوس : سألت أصحاب رسول الله ﷺ : كيف تحزّبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل من ق حتى نختم^(١) .

فثلاث سور : البقرة وآل عمران والنساء .

وخمس سور : المائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة .

وسبع سور : يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل .

وتسع سور : الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان .

وإحدى عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة

والأحزاب وسبأ وفاطر ويس .

وثلاث عشرة : الصافات وص والزمر وغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان

والجاثية والأحقاف ومحمد والفتح والحجرات .

وحزب المفصل : من سورة ق حتى خاتمة القرآن ، وهو خمس وستون سورة .

ومجموع السور في هذه الأحزاب مئة وثلاث عشرة سورة ، ولم تدخل الفاتحة في

التحزيب ، لأنها فاتحة الكتاب ، وتلى كل يوم مرات كثيرة ، وهذا التحزيب مطابق

لترتيب السور في المصحف ، ومن ثم قال ابن حجر : « فهذا يدل على أن ترتيب السور

على ما هو في المصحف الآن كان على عهد النبي ﷺ »^(٢) .

(١) سنن أبي داود (٥٥/٢) ، رقم الحديث (١٣٩٣) ، ومسند الإمام أحمد (٣٤٣/٤) ، والبيان ،

الداني ص ٣٠٠ ، وجمال القراء ، علم الدين السخاوي (١٢٤/١) ، والبرهان ، الزركشي

(٢٤٧/١) ، وفتح الباري ، ابن حجر (٤٢/٩) ، والإتقان ، السيوطي (١٧٨/١) .

(٢) فتح الباري (٤٣/٩) .

ومن الأحاديث الأخرى التي لها علاقة بتحزيب القرآن حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه وجاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اقرأ القرآن في شهر » ، قال عبد الله : إني أطيق أكثر من ذلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأه في كل سبع ليال مرة » ^(١) . قال البخاري : وقال بعضهم : في ثلاث أو في سبع ، وأكثرهم على سبع ^(٢) .

ويبدو أن قراءة القرآن الكريم في عصر الصحابة رضي الله عنهم كانت تستند إلى تحزيب القرآن ، حتى إذا شغل أحدهم عن قراءة حظه قضاؤه في غير وقته ، فقد أخرج مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نام عن حظه أو عن شيء منه ، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر ، كتب له كأنه قرأه من الليل » ^(٣) .

وبذل علماء التابعين جهداً عظيماً من أجل تحزيب القرآن ؛ لأن كثيراً من الناس لا تتاح لهم قراءته في سبع ليال ، ومن ثم احتاجوا إلى الوقوف على مواضع الأحزاب لمن قرأه في شهر أو أقل من ذلك أو أكثر .

ولعلماء التابعين من أهل العراق دور مهم في تحزيب القرآن ، فقد كان الحجاج قد دعاهم إلى عدد حروف القرآن ، وتعيين مواضع الأجزاء في المصحف . وثقلت هذه الرواية من عدة طرق ، أشهرها طريق ابن مهران ، وطريق ابن أبي داود .

أما رواية ابن مهران فقد ذكرها الزركشي بقوله : « قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ : عدد سور القرآن مئة وأربع عشرة سورة ، وقال : بعث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة ، فجمعهم واختار منهم الحسن البصري ، وأبا العالية ، ونصر بن عاصم ، وعاصماً الجحدري ، ومالك بن دينار ، رحمة الله عليهم ، وقال : عدُّوا حروف القرآن ، فبقُّوا أربعة أشهر يعدُّون بالشعر ، فأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربع مئة وتسع وثلاثون كلمة ، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاث

(١) رواه البخاري : فتح الباري (٩/٩٤) .

(٢) المصدر نفسه (٩/٩٥) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٢٩) ، وينظر : موطأ مالك ص ١٤٢ ، ورواه أصحاب السنن أيضاً .

مئة ألف ، وثلاثة وعشرون ألفاً ، وخمسة عشر حرفاً ، انتهى » ^(١) .

أما رواية ابن أبي داود فقد ذكرها في كتابه « المصاحف » عن سلام أبي محمد الحماني ^(٢) ، قال : « جمع الحجاج بن يوسف الحفاظ والقراء ، قال : فكنتُ فيهم ، فقال : أخبروني عن القرآن كله كم هو من حرف ؟ قال : فجعلنا نَحْسُبُ حتى أجمعوا أن القرآن كله ثلاث مئة ألف حرف ، وأربعين ألف ، وسبع مئة ونيف وأربعين حرفاً ^(٣) . قال : فأخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن ؟ فحسبوا فأجمعوا أنه ينتهي في الكهف ﴿ وَلَيَنْتَلِظَنَّ ﴾ [١٩] في الفاء ... » وذكر الأثلاث والأرباع والأسباع ، وقال أبو محمد الحماني : « عملناه في أربعة أشهر » ^(٤) .

والروايتان تتحدثان عن عمل واحد ، لكن بينهما بعض الاختلاف ، خاصة في تحديد عدد الحروف ، ففي رواية ابن مهران (٣٢٣٠١٥) وفي رواية ابن أبي داود (٣٤٠٧٤٠) .

وهناك روايات عن أعمال أخرى في عدِّ حروف القرآن ، أشهرها ما قام به علماء التابعين في مكة ، فنقل الداني عن ابن جريج ، قال : « حسبوا القرآن ، وفيهم حميد بن قيس ، فعرضوه على مجاهد وسعيد بن جبير ، فلم يُخطئوهم ، فبلغ ما عدوه ثلاث مئة ألف حرف ، وثلاثة وعشرين ألف حرف ، وست مئة حرف ، وأحدًا وسبعين حرفاً » ^(٥) . وجاء روايات أخرى في عدد حروف القرآن ، عن علماء آخرين من الأمصار الإسلامية الأخرى ، سوف أذكرها في المبحث الآتي ، إن شاء الله ، عند الحديث عن التحزيب في المصادر .

(١) البرهان (٢٤٩/١) .

(٢) جاء في بعض الروايات أنه راشد أبو محمد الحماني ، وكلاهما له ترجمة في الجرح والتعديل ، لكن الذي ذُكرت في ترجمته رواية عدد الحروف هو سلام . ينظر : الجرح والتعديل (٤٨٤/٣) و (٢٦٢/٤) .

(٣) في النص خلل من الناحية النحوية ، والصواب ما ذكره الداني في كتابه « البيان » ص ٧٤ و ٣٠٠ ، وهو : « وأربعون ألف حرف ، وسبع مئة حرف ، ونيف وأربعون حرفاً » .

(٤) المصاحف ص ١١٩-١٢٠ ، وينظر البيان ، الداني ص ٣٠٠ ، وجمال القراء ، السخاوي (١٢٦/١) ، والبرهان ، الزركشي (٢٤٩/١-٢٥٠) .

(٥) البيان ص ٧٣ ، وينظر : الإيضاح ، الأندراي ص ٢١٧ .

المبحث الثاني : تحزيب القرآن في المصادر

المقصود بالمصادر هنا المؤلفات التي نقلت جهود العلماء في عدّ حروف القرآن وفي تحزيبه ، وهي تختلط بالمؤلفات الخاصة بعدّ الآي ، والدارس لا يكاد يجد كتاباً يحمل عنوان تحزيب القرآن ، بينما لا يكاد يخلو كتاب من كتب عدّ الآي من إشارة إلى أجزاء القرآن ^(١) .

وأهم مصادر تحزيب القرآن ، التي اطلعت عليها ، ما يأتي :

- ١- كتاب المصاحف ، لابن أبي داود (ت : ٣١٦هـ) .
 - ٢- كتاب البيان في عدّ آي القرآن ، للداني (ت : ٤٤٤هـ) .
 - ٣- كتاب الإيضاح في القراءات ، للأندرابي (ت بعد : ٥٠٠هـ) .
 - ٤- كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، لابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) .
 - ٥- كتاب جمال القراء وكمال الإقراء ، لعلم الدين السخاوي (ت : ٦٤٣هـ) .
- وتتضمن هذه المصادر روايات عدّ حروف القرآن ، ومذاهب العلماء في تحزيبه ، بالاستناد إلى جهود العلماء في القرون الأولى .

ويمكن أن نشير إلى أشهر العلماء الذين نقلت عنهم مصادر التحزيب مادتها ، وكذلك كان هؤلاء العلماء من أشهر من نقل عنهم عدد الآي ^(٢) :

- ١- عطاء بن يسار المدني (ت : ١٠٣هـ) .
- ٢- عاصم الجحدري البصري (ت : ١٢٨هـ) .
- ٣- حميد بن قيس الأعرج المكي (ت : ١٣٠هـ) .
- ٤- يحيى بن الحارث الذماري الدمشقي (ت : ١٤٥هـ) .
- ٥- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت : ١٥٦هـ) .

(١) تنظر مؤلفات عدّ الآي : مقدمة تحقيق كتاب البيان للداني ص ٤-٧ .

(٢) ينظر : البيان ، الداني ص ٧٣-٧٤ ، والإيضاح ، الأندرابي ص ٢١٧-٢١٨ ، وجمال القراء ، السخاوي (١٢٧/١-١٢٩) .

وجاءتنا روايات في تحديد عدد حروف القرآن ، كما جاءت روايات عن الأحزاب والأجزاء ، ونذكر أولاً الروايات الخاصة بعدد الحروف ، ثم نذكر روايات الأحزاب والأجزاء .

عدد حروف القرآن :

- أبو محمد الحماني (عن علماء البصرة من جماعة الحجاج) : (٣٤٠٧٤٠) حرفاً ^(١) .
 عطاء بن يسار المدني : (٣٢٣٠١٥) حرفاً ^(٢) .
 حميد بن قيس المكي : (٣٢٣٦٧١) حرفاً ^(٣) .
 حمزة بن حبيب الزيات الكوفي : (٣٢١٢٥٠) حرفاً ^(٤) .
 يحيى بن الحارث الذمّاري الدمشقي : (٣٢١٥٣٣) ^(٥) .

ولا نجد تطابقاً بين هذه الروايات ، وإن كان التفاوت بين عدد منها أقل من غيره . وللعلماء تعليل معقول لهذا التفاوت في عدد حروف القرآن ، يتلخص في اختلاف العلماء في القاعدة التي ينبنى عليها ، فمنهم من يتخذ النطق أساساً ، وأكثرهم يجعل الرسم هو الأساس في العد ، ومنهم من يعدُّ الحرف المشدد حرفين ، ومنهم من يعدّه حرفاً واحداً .

قال الداني : « وقد تناول بعض علمائنا من المتأخرين عدّ حروف القرآن مجملًا ومُفصَّلًا ، إذ رأى الآثار تضطرب في جملة عددها وعدد ما في السور منها ، ولم يدر السبب الموجب لذلك ، وبنى على حال استقرارها في التلاوة ، دون حال صورتها في الكتابة .. فأتعب نفسه فيما تناوله ، وأجهد خاطره فيما قصده ، إذ كان ذلك خلافاً لما ذهب إليه السلف ... » ^(٦) .

-
- (١) المصاحف ، ابن أبي داود ص ١١٩ ، والبيان ، الداني ص ٧٤ ، علماً أن ما جاء في هذين المصدرين هو « ونيف وأربعون » فقربت العدد إلى أربعين .
 (٢) البيان ، الداني ص ٧٣ ، والإيضاح ، الأندراي ص ٢١٧ .
 (٣) المصدران السابقان .
 (٤) البيان ، الداني ص ٧٣ ، وجمال القراء ، السخاوي (١٢٨/١) .
 (٥) البيان ، الداني ص ٧٣ ، والإيضاح ، والأندراي ص ٢١٨ .
 (٦) البيان ص ٧٥ .

وقال الأندراي : « ولقد عُني صدر هذه الأمة بالقرآن عناية أكيدة ، حتى عدُّوا آيةً وكلماته وحروفه ، وقد وقع لهم في ذلك اختلاف ليس باختلاف على الحقيقة ، وإن كان اختلافاً في اللفظ ... وكذلك في الكلمات والحروف ، فإن بعضهم عدَّ ﴿ في خَلْقٍ ﴾ و ﴿ في السَّمَاءِ ﴾ و ﴿ في الْأَرْضِ ﴾ وما أشبه ذلك كلمتين ، وبعضهم عدّها كلمة واحدة ، فصار عدد من جعلها كلمتين أكثر ، وبعضهم عد كل حرف مشدد حرفين ، وبعضهم عدّه حرفاً واحداً ، فصار عدد من عدّه حرفين أكثر ، فإلى مثل هذا ينصرف اختلافهم في ذلك » ^(١) .

ولخص السيوطي سبب الاختلاف في عدّ الكلمات ، وهو ينطبق على الاختلاف في عد الحروف ، بقوله : « وسبب الاختلاف في عد الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ، ولفظ ورسم ، واعتبار كل منها جائز ، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوانب » ^(٢) .

وينبني على الاختلاف في عدد حروف القرآن الاختلاف في مواضع الأجزاء ، لأن الأجزاء مبنية على عدد الحروف ، على نحو ماسنين بعد قليل ، وليس متيسراً لي الآن التحقق من صحة تلك الأعداد ، وحسبي أنني لفت أنظار الدارسين إلى هذه المسألة ، وأرجو أن يكون ذلك سبباً لتضافر الجهود من أجل تحقيق ذلك الهدف ، وهو التحقق من عدد حروف القرآن .

أما تجزئة القرآن وتحزيبه فقد جاءت فيه روايات مسندة وروايات غير مسندة ، ويتفاوت عدد الأجزاء أو الأحزاب من جزئين إلى ثلاث مئة وستين جزءاً ، كما تتفاوت مواضع الأجزاء أيضاً .

ونقل عن ابن المنادي ^(٣) بيان للأساس الذي تقوم عليه قسمة المصحف على الأجزاء ، فذكر السخاوي في جمال القراء : « قال أبو الحسين بن المنادي رحمه الله : وكان الأصل

(١) الإيضاح ص ٢١٤ .

(٢) الإتقان (١/١٩٧) .

(٣) أبو الحسين أحمد بن جعفر ، المشهور بابن المنادي ، البغدادي المتوفى سنة (٣٣٦هـ) . ينظر : غاية النهاية ، ابن الجزري (١/٤٤) .

وَرَدَ الثلاثين ، لأنه مقسوم على الحروف ، ثم فَرَّعَ الناس ورد الستين على الكلمات ، وكذلك ما فرعوه [في وَرْدٍ] الستين . والوَرْدُ إذا قُسِّمَ على الكلام تباينت قسمته ، لأن الكلمات متباينة ، ألا ترى أن منها ما هو عشرة أحرف ، وذلك ﴿ أَتْلُزِمُكُمُوهَا ﴾ [هود : ٢٨] ، ومنها ما هو حرفان نحو ﴿ إِنَّ ﴾ و ﴿ عَن ﴾ ... ^(١) . وأشار السخاوي إلى هذه القاعدة في موضع آخر من كتابه ^(٢) .

ونقل الداني عن أبي بكر محمد بن عبد الله الأصبهاني ^(٣) أنه قال : « وهذه أجزاء عشرين ومئة على ذلك ، وكل جزء منها على الحقيقة ألفان وثمان مئة وسبعون حرفاً ، لأن عدد جميع القرآن ثلاث مئة ألف حرف ، وأربعة وأربعون ألف حرف ، وأربع مئة ^(٤) . وهذه الأعداد التي ذكرها لكل جزء صحيحة بناء على مجموع حروف القرآن الذي ذكره .

ونقل الداني عن مجاهد بن جبر المكي أنه قال : « هذا ما أحصينا من القرآن ، وهو ثلاث مئة ألف حرف ، وأحد وعشرون ألف حرف ، ومئة وثمانية وثمانون حرفاً . النصف من ذلك : مئة ألف حرف ، وستون ألفاً ، وخمس مئة وأربعة وتسعون حرفاً . وثلاثة : مئة ألف حرف ، وسبعة آلاف ، وثمانية وستون حرفاً . وربعه : ثمانون ألفاً ، ومئتان وسبعة وتسعون حرفاً . وخمسه : أربعة وستون ألفاً ، ومئتان وسبعة وثلاثون حرفاً . وسدسه : ثلاثة وخمسون ألفاً ، وخمس مئة وأحد وثلاثون حرفاً . وسبعه : خمسة وأربعون ألفاً ، وثمان مئة وأربعة وثمانون حرفاً . وثمانه : أربعون ألفاً ، ومئة وتسعة وأربعون حرفاً . وتسعه : خمسة وثلاثون ألفاً ، وست مئة وثمانية وثمانون حرفاً . وعشره : اثنان وثلاثون ألفاً ، ومئة وتسعة عشر حرفاً ^(٥) .

(١) جمال القراء (١/١٦٩) .

(٢) المصدر نفسه (١/١٤٩) .

(٣) المشهور بابن أشته ، المتوفى سنة (٣٦٠هـ) . ينظر : غاية النهاية (٢/١٨٤) .

(٤) البيان ص ٣١٢ .

(٥) البيان ص ٧٥ .

وهذه الأعداد صحيحة في مجملها إلا ما كان فيه كسر فإنه يجبر بالزيادة أو النقص ، وهي لا تتفق مع ما جاء في رواية محمد بن عبد الله الأصبهاني ، لأن مجموع الحروف مختلف في الروايتين .

ولا يخفى على القارئ أن تحزيب الصحابة رضي الله عنهم للقرآن كان على أساس السور ، أما تحزيب التابعين فإنه ينسب على أساس عدد الكلمات والحروف . وقد عدَّ ابن تيمية رحمه الله هذا النوع من التحزيب مُحدثاً ، ودعا إلى التمسك بتحزيب الصحابة ، يقول : « وإذا كانت التجزئة بالحروف مُحدثَةً من عهد الحجاج بالعراق ، فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده كان لهم تحزيب آخر ، فإنهم كانوا يقدِّرون تارة بالآيات فيقولون : خمسون آية ، ستون آية ، وتارة بالسور ، لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد ، فتعين التحزيب بالسور » ^(١) .

وذكر ابن تيمية عدداً من الأمور التي يرى أنها ترجع الأخذ بالتحزيب على أساس السور ، فقال : وهذا الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن لوجوه :
أحدها : أن هذه التحزيبات المُحدثَّة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده ، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه .

الثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت عادته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة كاملة ، وإذا كان كذلك فمعلوم أن هذا التحزيب والتجزئة فيه مخالفة السُّنة أعظم مما في قراءة آخر السورة ووسطها في الصلاة ، وبكل حال فلا ريب أن التجزئة والتحزيب الموافق لما كان هو الغالب على تلاوتهم أحسن ، والمقصود أن التحزيب بالسورة التامة أولى من التحزيب بالتجزئة .

الثالث : أن التجزئة المُحدثَّة لا سبيل فيها إلى التسوية بين حروف الأجزاء ، وذلك لأن الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان ، يزيد كل منهما على الآخر من وجه دون وجه ، ويان ذلك بأمر :

(١) مجموع الفتاوى (٤٠٩/١٣) .

١- إن ألفات الوصل ثابتة في الخط ، وهي في اللفظ تثبت في القطع وتحذف في الوصل ، فالعائد إن حَسَبَها انتقض عليه بحال القارئ إذا وصل ، وهو الغالب فيها ، وإن أسقطها انتقضَ عليه بحال القارئ القاطع ، وبالخط .

٢- إن الحرف المشدد حرفان في اللفظ أولهما ساكن ، وهذا معروف بالحس واتفاق الناس ، وهما متمثلان في اللفظ ، وأما في الخط فقد يكون حرفاً واحداً ، وقد يكونان حرفين مختلفين ، فالعائد إن حَسَبَ اللفظ فالإدغام إنما يكون في حال الوصل دون حال القطع ، وإن حسب الخط كان الأمر أعظم اضطراباً .

٣- إن تقطيع حروف النطق من جنس تقطيع العروضيين ، وأما حروف الخط فيخالف هذا من وجوه كثيرة ، والناس في العادة إنما يتهجون الحروف مكتوبة لا منطوقة ، وبينهما فرق عظيم .

٤- إن النطق بالحروف ينقسم إلى ترتيل وغير ترتيل ، ومقادير المدات والأصوات من القراء غير منضبطة ، وقد يكون في أحد الحزبين من حروف المد أكثر مما في الآخر ، فلا يمكن مراعاة التسوية في النطق ، ومراعاة مجرد الخط لا فائدة فيه ، فإن ذلك لا يوجب تسوية زمان القراءة ^(١) .

ثم قال ابن تيمية : « وإذا كان تحزيبه بالحروف إنما هو تقريب لا تحديد ، كان ذلك من جنس تجزئته بالسور ، هو أيضاً تقريب ، فإن بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض في الحروف ، وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض ، والافتتاح بما فتح الله به السورة ، والاختتام بما ختم به ، وتكميل المقصود من كل سورة ، ما ليس في ذلك التحزيب ، وفيه أيضاً من زوال المفسد الذي في التحزيب ما تقدم التنبيه على بعضها ، فصار راجحاً بهذا الاعتبار » ^(٢) .

(١) مجموع الفتاوى ، بتصرف يسير (١٣٠/٤١٠-٤١٣) .

(٢) المصدر نفسه (١٣/٤١٤) .

وما جاء في كلام ابن تيمية صحيح ، لكن العمل جرى قديماً وحديثاً على اعتماد التحزيب بالتجزئة ، واشتهرت الأجزاء الثلاثون المبنية على عدّ الحروف . وما ذكر ابن تيمية من أن القصد من التحزيب التسوية في زمان النطق لا مساحة الخط قد لا يكون هو المراد دائماً ، فقد يكون المراد من التجزئة هو التسوية بين الأجزاء في الخط ، وهو ما نجده في مصحف المدينة إذ يأخذ كل جزء عشرين صفحة في الغالب ، وهو أمر حسن ، ولا يتفاوت زمان النطق بالجزء عن الجزء الآخر كثيراً .

أما ما ذكره من الوقف على المعطوف عليه دون المعطوف أو ما له تعلق بما قبله ، فهذا لا يوجد دائماً في رؤوس الأجزاء ، كما أن بإمكان القارئ قراءة آية بعد نهاية الجزء ، أو قراءة آية قبل البدء بالجزء ، على نحو من يضطر للوقف على موضع لا يحسن الوقف عليه .

وينقلنا اعتراض ابن تيمية على استناد التحزيب على عدّ الحروف ، وترجيحه التحزيب على أساس السور ، إلى السؤال عن فائدة عدّ الحروف وما يتعلق بذلك من التحزيب ، فقد ذكر السيوطي أن هذا الموضوع لا فائدة منه ، ونقل في ذلك نصاً عن السخاوي ، فقال : « والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته ، وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الألفان ، وعدّ الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار ، وأوسع القول في ذلك ، فراجعهُ منه ، فإن كتابنا موضوع للمهمات ، لا لمثل هذه البطالات ! وقد قال السخاوي : لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة ، لأن ذلك إن أفاد فإنما يُفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان ، والقرآن لا يمكن فيه ذلك » ^(١) .

ولم أقف على كلام السخاوي في كتابه « جمال القراء » ، ووجدت فيه ما يشير إلى أنه لا ينفي الفائدة من تحزيب القرآن ، فقال بعد أن نقل نصاً عن ابن المنادي عن تقسيم القرآن على مئة وخمسين جزءاً : « وذكر هذه الأجزاء جزءاً جزءاً ، ولم أر أن ^(٢) أطول الكتاب بذكره ، لأن جزء المئة والعشرين يغني عنه ، لأن جزء المئة والعشرين جعل لقراء المساجد ، وهذا

(١) الإتيان (١/١٩٧) .

(٢) في الأصل : « أراني » .

قريب منه ، وكذلك ورُدُّ ثمانية وعشرين ، يُغني عنه ورد سبعة وعشرين لأنه قريب منه . وقد قُسِّم القرآن العزيز على ثلاث مئة وستين جزءاً ، لمن يريد حفظ القرآن ، فإذا حفظ كل يوم جزءاً حفظ القرآن في سنة ، وهذه الأجزاء أسداس الأحزاب ، يعني أحزاب ستين ^(١) .

وصرَّح الأندرايبي بفائدة تحزيب القرآن بقوله : « والفائدة للقارئ في معرفة أجزاء القرآن أنه إذا عرف ذلك قدَّر أوراده في التراويح وغيرها تقديراً واحداً ، فإذا أحب أن يختم القرآن في عشر قرأ كل يوم وليلة عُشراً منه ، فإذا أحب أن يختمه في عشرين قرأ كل يوم وليلة جزءاً من أجزاء العشرين ، وكذلك يفعل إذا أحب أن يختمه في ثلاثين أو أقل منها أو أكثر ، إن شاء الله » ^(٢) .

وأحسب أن عدَّ حروف القرآن وتحزيب القرآن على أساس من ذلك تتحقق منه فائدتان ، في الأقل ، الأولى : فائدة عملية ، وهي مساعدة مَنْ يريد حفظ القرآن أو القراءة فيه على تقسيم وقته وتنظيم جهده . والثانية : فائدة معنوية ، وهي ما تدل عليه عملية العدِّ من اعتناء علماء السلف بالقرآن الكريم من جوانبه كافة .

وليس من الصعب إيراد مذاهب العلماء في عدِّ أجزاء القرآن ، من جزئين إلى ثلاث مئة وستين جزءاً ، والموازنة بينها ، وإظهار مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف فيها ، ولكن استيعاب ذلك كله في هذا البحث يخرج به عن حجمه المناسب . ويمكن لمن أراد التوسع الرجوع إلى المصادر المختصة بذلك ^(٣) . على أنني سوف أشير إلى ما تدعو الضرورة إلى إيراده عند الموازنة بين ما جاء في المصاحف وما جاء في المصادر .

(١) جمال القراءة (١/١٦٢-١٦٣) .

(٢) الإيضاح ص ٢٧٤ .

(٣) ينظر : المصاحف ، ابن أبي داود ص ١١٨-١٢٢ ، والبيان في عد آي القرآن ، الداني ص ٣٠٢-٣٢٠ ، والإيضاح ، الأندرايبي ص ٢٦٥-٢٧٢ ، وفنون الأقبان ، ابن الجوزي ص ١٠٧-١٢٩ ، وجمال القراءة ، علم الدين السخاوي (١/١٢٦-١٨٦) .

المبحث الثالث : تحزيب القرآن في المصاحف

لا يخلو مصحف من المصاحف المتداولة المطبوعة من بيان مواضع الأجزاء ، وكذلك كثير من المصاحف المخطوطة ، ولم يتيسر لي الاطلاع إلا على عدد محدود من تلك المصاحف ، لكنها تمثل أشهر المصاحف التي بأيدي الناس ، في بلادنا خاصة . وسوف أعرف أولاً بهذه المصاحف ، ثم أبين مصادر التحزيب فيها ، ثم نقف على أمثلة لذلك .

ويمكن أن نقسم المصاحف التي سنتظر في تحزيبها على ثلاث مجموعات ، الأولى مصحف قديم بخط ابن البواب ، والثانية مصحف الحافظ عثمان ، ومعه مصحف بغداد ، والثالثة مصحف القاهرة ، ومعه مصحف المدينة النبوية .

أما مصحف ابن البواب فقد جاء في خاتمته : « كَتَبَ هَذَا الْجَامِعَ عَلِيُّ بْنُ هَلَالٍ ، بِمَدِينَةِ السَّلَامِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ ، حَامِداً لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ ، وَمُصَلِّياً عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَمُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِهِ » .

وعلي بن هلال هو الخطاط البغدادي المشهور بابن البواب ، الذي هذب طريقة ابن مقلة في الخط ، ويقال : إنه نسخ القرآن بيده (٦٤) مرة ، والراجح أنه توفي سنة (٤١٣هـ) ^(١) . ومصحفه الذي كتبه سنة (٣٩١هـ) محفوظ في مكتبة جستر بتي في مدينة دبلن عاصمة إيرلنده ، وأصدرت المكتبة نسخاً مصورة منه أحفظ بوحدة منها .

وأما مصحف الحافظ عثمان فمكتوب بقلم الخطاط التركي عثمان بن علي القسطنطيني ، المشهور بالحافظ عثمان لحفظه القرآن الكريم ، وكان قد كتب بخطه خمسة وعشرين مصحفاً ، وتوفي سنة (١١١٠هـ) ^(٢) . والمصحف الذي اطلعت عليه منها هو المكتوب سنة (١٠٩٧هـ) على ما جاء في خاتمته من قوله : « كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير ، سَمِيَّ جَامِعِ الْقُرْآنِ ، الشَّهِيرِ بِحَافِظِ عُثْمَانَ ... وَقَدْ وَقَعَ الْفَرَاغُ فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ ، بِعَنَايَةِ

(١) ينظر : ابن البواب ، هلال ناجي ص ٨ ، والأعلام ، الزركلي (٣٠/٥) .

(٢) ينظر : تاريخ الخط العربي وآدابه ، محمد الطاهر الكردي ص ٣٣٩ .

ربه الديان ، في سنة سبع وتسعين وألف ، من هجرة مَنْ له العز والشرف » ^(١) .

ومصحف بغداد هو الذي نشرته وزارة الأوقاف سنة (١٣٧٠هـ) الموافق سنة (١٩٥١م) ، وتابعت منه عدة طبعات ، وهو مخطوط بقلم الخطاط الحاج حافظ محمد أمين الرشدي ، سنة ست وثلاثين ومئتين بعد الألف هجرية ، وقد نصّت اللجنة في صفحة التعريف بالمصحف بقولها : « وأخذ هجاؤه ، وأجزاؤه ، وأحزابه ، وعناوين سُورِهِ من مكية ومدنية ، حسب مصحف الحافظ عثمان المطبوع في الاستانة » ^(٢) .

وأما مصحف القاهرة فهو بخط الأستاذ الشيخ محمد علي خلف الحسيني ، الشهير بالحداد ، شيخ المقارئ المصرية ، المتوفى سنة (١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م) انتهى من خطه سنة (١٣٣٧هـ) . وصدرت منه عدة طبعات راجعها مجموعة من العلماء ، وهذا المصحف هو أكثر المصاحف انتشاراً قبل صدور مصحف المدينة .

ومصحف المدينة النبوية المنورة مكتوب بقلم الخطاط (عثمان طه) وراجعتُه لجنة مكونة من عدد من العلماء سنة (١٤٠٥هـ) ، وصدرت منه طبعات متتالية ، وهو اليوم أشهر المصاحف المتداولة .
ويبدو لي أن التحزيب في هذا المصحف يستند إلى التحزيب المأخوذ به في مصحف القاهرة ، للتطابق الذي بينهما ، والمصادر المتفقة التي أُشير إليها في خاتمة المصحفين .

مصحف ابن البواب :

لم ينص ابن البواب على المصدر الذي اعتمد عليه في تثبيت الأجزاء في مصحفه ، لكنه التزم بالإشارة إلى الأجزاء بالنص عليها في حاشية الصفحات الجانبية ، وهو يذكر مواضع الأجزاء السبعة ، ومواضع الأجزاء من ثلاثين وستين ، وتبلغ صحائف المصحف (٥٤٩) صحيفة ، مع صفحة لخاتمته ، وصفحات أخرى في أوله فيها أعداد السور والآي والحروف ، وصفحتين في آخره فيهما عدد ما ورد من كل حرف في المصحف من حروف المعجم .

(١) نشرته مكتبة المشي في بغداد بدون تأريخ .

(٢) ينظر : الأعلام ، الزركلي (٣٠٤/٦) .

ونص ما جاء في أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم :
عدد سور القرآن مئة وأربع عشرة سورة .
وعدد ما فيه من آية : ستة الاف ومئتان وست وثلاثون آية .
وهو سبع وسبعون ألف كلمة وأربع مئة وستون كلمة .
وعدد ما فيه من حروف المعجم : ثلاث مئة ألف حرف ، وأحد وعشرون ألف
حرف ومئتان وخمسون حرفاً .
وعدد ما فيه من نقط المعجم مئة ألف نقطة وست وخمسون ألف نقطة وأحد
وخمسون نقطة .
في عدد أهل الكوفة ، المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، على محمد نبينا
وعليه السلام » .
وما ذكره ابن البواب من أعداد منسوبة إلى أهل الكوفة يؤيده ما جاء في كتب العدد
حول ذلك ^(١) .

وأثبت ابن البواب في مصحفه مواضع أسباع القرآن وأنصافها ، ومواضع أجزائه
الثلاثين والستين . وجاءت الأسباع وأنصافها موافقه لما ورد في المصادر ، إلا في موضع
واحد من أنصاف الأسباع ، فنصف السبع الثالث في المصادر عند قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ
أَكْثَرْتَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس : ٦٠] ، وفي مصحف ابن البواب عند قوله تعالى :
﴿ وَلَئِنْ أَكْثَرْتَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٥٥] ^(٢) ، وتشابه الآيتين يمكن أن يكون سبباً
في حصول خلط بين الموضعين .

أما مواضع الأجزاء الثلاثين والستين ففيه اختلاف مع بعض المواضع المثبتة في
مصحف القاهرة ، وهذا الاختلاف انعكاس للاختلاف الوارد في المصادر ، وسوف أشير

(١) ينظر : البيان ، الداني ص ٧٣ و ٨٠ .

(٢) ينظر عن أسباع القرآن وأنصافها : المصاحف ، ابن أبي داود ص ١١٨-١١٩ ، والبيان ، الداني
ص ٣٠٣ و ٣٠٥ ، والإيضاح ، الأندراي ص ٢٦٧ ، وفنون الأفنان ، ابن الجوزي ص ١٠٩ ،
وجمال القراء ، السخاوي (١/١٢٧) .

إلى ذلك بعد أن نستوفي التعريف بالمصاحف الأخرى .

مصحف القاهرة ومصحف المدينة النبوية :

جاء في خاتمة مصحف القاهرة : « وأخذ بيان أوائل أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها من كتاب « غيث النفع » للسفاقي « وناظمة الزُّهر » وشرحها ، و« تحقيق البيان » و« إرشاد القراء والكاتبين » لأبي عبيد المخللاتي » .

وجاءت الإشارة في خاتمة مصحف المدينة المنورة إلى المصادر ذاتها المذكورة في خاتمة مصحف القاهرة . وهذه المصادر ، عدا الأول ، هي التي اعتمد عليها في عدّ الآيات في المصحفين بالإضافة إلى مصدر رابع . وهذا تعريف بالمصادر الأربعة التي اعتمد عليها في التحزيب في المصحفين المذكورين .

١ - غيث النفع في القراءات السبع :

تأليف علي بن محمد النوري السفاقي ، المتوفى سنة (١١١٧هـ) ^(١) ، قال المؤلف في مقدمة الكتاب : « وأذكر حكم كل ربع بانفراده ، لأنه أعون للناظر وأقرب للسلامة من الوقوع في الخطأ ، وأشير إلى انتهائه بذكر آخر كلمة منه ... وقد وقع للناس في تعيين أوائل الأحزاب والأنصاف والأرباع خلاف ، ولا أمشي إلا على المتفق عليه أو المشهور ، مع ذكر غيره تكميلاً للفائدة » ^(٢) .

وقد التزم المؤلف بذكر أرباع الأحزاب بعد ذكر أحكام القراءة لكل ربع ، ويذكر اختلاف أهل العدد واتفاقهم في مواضع الأحزاب وأجزائها ، ويفصّل ذلك أحياناً .

٢ - ناظمة الزُّهر :

تأليف القاسم بن فيره الشاطبي المتوفى سنة (٥٩٠هـ) ^(٣) ، وهو مؤلف قصيدة « حرز الأمان » المشهورة بالشاطبية في القراءات السبع ، ومؤلف قصيدة « عقيلة أتراب القصائد » في

(١) ينظر في ترجمته : معجم المؤلفين (٢٠١/٧) .

(٢) غيث النفع (بحاشية سراج القارئ) ص ١٦ .

(٣) ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري (٢٠/٢-٢٣) .

رسم المصحف ، و« ناظمة الزهر » قصيدة رائية في بيان مذاهب العلماء في عدد آي القرآن ، وعدد أبياتها (٢٩٧) بيتاً كما أشار الناظم إلى ذلك في آخرها ، ومطلع القصيدة ^(١) :

بدأت بحمد الله ناظمة الزهر لتجني بعون الله عينا من الزهر

ولم أجد في القصيدة ما يشير إلى مواضع الأجزاء والأحزاب .

٣- تحقيق البيان في عدد آي القرآن :

تأليف محمد بن أحمد الشهير بالمتولي ، شيخ الإقراء في مصر في زمانه ، وتوفي سنة (١٣١٣هـ-١٨٩٥م) ^(٢) .

وكتاب « تحقيق البيان » في بيان مذاهب العلماء في عدد آي القرآن ، منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف ببغداد رقمها (١٢٨٨٦) ناقصة من آخرها ، تنتهي بسورة الفجر . وأشار الدكتور علي شواخ إلى أنه مطبوع ، ونقل ما جاء في آخره : « فهذا آخر ما جمعته من كتاب لطائف الإشارات ، تأليف أبي العباس القسطلاني ، رحمه الله تعالى » ^(٣) .

وبدا لي أن « تحقيق البيان » هو في عدد آي ، وليس في بيان الأجزاء ، قال المؤلف في مقدمة الكتاب : « وما نحن نروم تحقيق البيان لعدد آي القرآن من أوله إلى آخره ، آية آية ... » ^(٤) . ويظهر أنه لخصه من كتاب « لطائف الإشارات » الذي اعتنى مؤلفه بذكر عدد آي ، فقد قال في الجزء الأول منه : « وتأتي فواصل السور بأوائلها ، مع كمية حروفها ، وكلمها ، وآيها ، وما يُشكل بما يُعدُّ وما لا يُعدُّ ، في القسم الثاني من الأصول المسمى بالفرش » ^(٥) .

٤- إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين :

تأليف رضوان بن محمد ، المشهور بأبي عبيد المخللاتي ، توفي سنة (١٣١١هـ-)

(١) مطبوعة ضمن (اتحاف البررة بالمتون العشرة) .

(٢) ينظر: معجم المؤلفين (٢٨١/٨) ، والأعلام (٢١/٦) .

(٣) معجم مصنفات القرآن الكريم ، علي شواخ (٣٨/١) .

(٤) تحقيق البيان ص ١٢-١٣ (والمخطوط غير مرقم في الأصل) .

(٥) لطائف الإشارات (٢٧٨/١) .

١٨٩٣م^(١) . ويبدو أن الكتاب ما يزال مخطوطاً^(٢) . وكنت قد اطلعت عليه قديماً ، وهو في رسم المصحف .

وهذه المصادر التي استند إليها التحزيب في مصحفي القاهرة والمدينة مؤلفة في العصور المتأخرة ، وليس في بعضها مادة عن التحزيب ، ولم أتأكد من وجود كلام عن الموضوع إلا في كتاب « غيث النفع » . ولعل عدم تيسر اطلاع المشرفين على طباعة المصحفين على المصادر القديمة المؤلفة في الموضوع جعلهم يعتمدون على هذه المصادر .

ويُقَسَّم كل جزء من الأجزاء الثلاثين في المصحفين على حزبين ، ويقسّم كل حزب على أربعة أرباع ، فالجزء الواحد فيه ثمانية أرباع ، وبمجموع أرباع المصحف مئتان وأربعون رُبْعاً .

مصحف الحافظ عثمان ومصحف بغداد :

لا توجد في مصحف الحافظ عثمان إشارة إلى الأساس الذي قام عليه تعيين مواضع الأجزاء والأحزاب فيه ، سوى أن الحافظ عثمان قال في خاتمته : « راقماً على ما وافق مصحف الشيخ المعروف بعلي القاري المكي ... » . ولم أطلع على نسخة من مصحف علي القاري .

أما مصحف بغداد ، والمقصود به المصحف الذي طبعته وزارة الأوقاف ، فقد جاء في خاتمته : « وأخذ هجاؤه ، وأجزاؤه ، وأحزابه ، وعناوين سورته من مكية ومدنية حسب مصحف الحافظ عثمان المطبوع في الاستانة » .

ويُقَسَّم كل جزء من الأجزاء الثلاثين في هذين المصحفين على أربعة أحزاب ، ويكون مجموع الأحزاب في المصحف مئة وعشرين حزباً ، وهو نصف ما في مصحفي القاهرة والمدينة من أحزاب ، ولكل مصحف من هذه المصاحف مستند في المصادر القديمة ، على نحو ما سيتبين من خلال الموازنة بين التحزيب في المصادر والمصاحف ، في المبحث الآتي ، إن شاء الله تعالى .

(١) ينظر الأعلام (٢٧/٣) .

(٢) منه نسخة خطية في المكتبة التيمورية (٦٥ تفسير) ، وأخرى في المكتبة الأزهرية [٢٤١] ٢٢٢٤٨ .

المبحث الرابع : تحزيب القرآن بين المصادر والمصاحف

من ينظر في تحزيب القرآن في المصادر يجد فيها اختلافاً محدوداً في تعيين مواضع عدد من الأجزاء والأحزاب ، وقد انعكس ذلك على تعيين مواضعها في المصاحف أيضاً . والاختلاف في مواضع الأجزاء أقل من مواضع الأحزاب وأرباعها .

ويمكن تتبع ذلك الاختلاف من خلال عقد موازنة بين المصاحف والمصادر ، ويمكن اختصار عدد المصاحف إلى ثلاثة ، كل واحد يمثل مذهباً ، وهي مصحف ابن البواب ، ومصحف المدينة ويندرج معه مصحف القاهرة ، ومصحف بغداد ويندرج معه مصحف الحافظ عثمان .

أما المصادر التي وقفت عليها في تعيين الأجزاء والأحزاب فأهمها كتاب البيان للداني ، والإيضاح للأندرابي ، وفنون الأفتان لابن الجوزي ، وغيث النفع للسفاقي ، الذي اعتمد عليه في تحزيب مصحفي القاهرة والمدينة ، وهو شديد العناية ببيان الاختلاف بين العلماء في تعيين المواضع ، لكن ذلك لا يمنع من الرجوع إلى المصادر الأخرى ، لأن تأريخ تأليفها أقدم منه .

وسوف أجعل التتبع والموازنة في ثلاثة جوانب ، الأول الأجزاء ، الثاني الأحزاب ، والثالث النظر في داخل الأجزاء والأحزاب ، واستخلاص بعض النتائج حول المساحة التي يشغلها كل جزء أو حزب .

أما الأجزاء فإن تقسيم القرآن على ثلاثين جزءاً هو الغالب على المصاحف ، لا سيما في العصور المتأخرة ، وهناك أربعة أجزاء اختلفت في تعيين مواضعها في المصاحف التي أشرت إليها ، وأصل هذا الاختلاف موجود في المصادر أيضاً . وذلك على النحو الآتي :

الموضع الأول : آخر الجزء الثالث ، وأول الرابع :

في مصحف المدينة : ﴿ عَلِيمٌ ۝ كُلُّ الطَّعَامِ ﴾ [آل عمران] .
وفي مصحف بغداد : ﴿ تَنْصِرِينَ ۝ لَنْ تَنَالُوا ﴾ وكذا مصحف ابن البواب .
وفي المصادر كلها آخر الثالث ﴿ تَنْصِرِينَ ﴾ ، وأول الرابع ﴿ لَنْ تَنَالُوا ﴾ ، إلا ما

ذكر ابن الجوزي من أن ﴿الضَّالُّونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [آل عمران : ٩٠] هي آخر الثالث ^(١).

الموضع الثاني : آخر الجزء السادس ، وأول السابع :

في مصحف المدينة : ﴿فَسِقُونَ﴾ ﴿٤١﴾ * لَتَجِدَنَّ ﴿[المائدة]

وفي مصحف بغداد : ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا .

والمصادر منقسمة على قسمين في هذا الموضع ، ففي البيان والإيضاح ﴿فَسِقُونَ﴾ ^(٢) ،

وذكر ابن الجوزي والسخاوي ورود الموضعين ﴿فَسِقُونَ﴾ و ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ^(٣) .

وفي مصحف ابن البواب : ﴿فَسِقُونَ﴾ .

الموضوع الثالث : آخر الجزء العاشر وأول الحادي عشر :

في مصحف المدينة : ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ * إِنَّمَا السَّبِيلُ ﴿[التوبة]

وفي مصحف بغداد : ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ يَعْتَذِرُونَ .

وأكثر المصادر على ﴿يُنْفِقُونَ﴾ ، لكن الأندرابي أشار إلى ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ موافقاً

مصحف بغداد ^(٤) .

الموضع الرابع : آخر الجزء الخامس والعشرين ، وأول السادس والعشرين :

مصحف المدينة : آخر الجاثية ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٤٥﴾ ، وأول سورة الأحقاف ﴿حَمَّ

تَنْزِيلُ﴾ .

مصحف بغداد : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَقِيقِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ وَبَدَا هُمْ ﴿[الجاثية] ، وهو كذلك في

مصحف ابن البواب .

(١) البيان ص ٣١٧ ، والإيضاح ص ٢٦٥ ، وفنون الأفنان ص ١٢١ ، وجمال القراء (١/١٤٢) ،

وغيث النفع للسفاقي ص ٨٨ .

(٢) البيان ص ٣١٧ ، والإيضاح ص ٢٦٥ .

(٣) فنون الأفنان ص ١٢١ ، وجمال القراء (١/١٤٣) .

(٤) الإيضاح ص ٢٦٥ .

واختلفت المصادر في تعيين هذا الموضع ، فنص الداني في البيان على آخر الجاثية^(١) . ونقل السخاوي ما ذكره الداني ، ثم قال : « وقال غير أبي عمرو [الداني] : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِيمِينَ ﴾ »^(٢) . وقال ابن الجوزي : « والخامس والعشرون : في الجاثية رأس تسع وعشرين منها : ﴿ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ » ، وقيل : رأس اثنتين وثلاثين منها ﴿ بِمُستَقِيمِينَ ﴾ »^(٣) .

والاختلاف في تعيين مواضع الأجزاء محدود ، كما يبدو ، ولا يتجاوز مقدار الاختلاف الآية الواحدة ، إلا الموضع الرابع فقد بلغ مقدار الاختلاف خمس آيات ، أما الأحزاب وأرباعها فاختلفا أكثر ، لكثرة ورودها ، ولأن هناك من يقول : إن تقسيم الأجزاء مبني على أساس عدد الحروف ، ومن ثم قل فيها الاختلاف ، وإن تقسيم الأحزاب مبني على أساس عدد الكلمات فكثرت فيها الاختلاف^(٤) . واستيعاب جميع ذلك الاختلاف لا يحتمله هذا المختصر ، ولكنني سوف أعقد موازنة بين مصحف المدينة ومصحف بغداد في هذا الجانب ، مع إيراد بعض الأمثلة ، كما أقيم موازنة بين مصحف المدينة وما جاء في كتاب « غيث النفع » الذي يُعدُّ أهم مصدر في تحزيب هذا المصحف .

يُقَسَّم كل جزء في مصحف المدينة على حزبين ، ويقسم كل حزب على أربعة أرباع ، فيكون مجموع أقسام الجزء الواحد ثمانية ، ويكون مجموع أقسام المصحف مئتين وأربعين قسماً . ويقسم الجزء الواحد في مصحف بغداد على أربعة أحزاب ، ويكون مجموع أحزاب هذا المصحف مئة وعشرين حزباً ، وهو نصف ما في مصحف المدينة من أقسام .

وتتطابق أحزاب مصحف بغداد مع أنصاف أحزاب مصحف المدينة ، ومن ثم يمكن عقد موازنة بينهما ، ووجدت اختلافاً في واحد وثلاثين موضعاً ، يتفاوت مقدار

(١) البيان ص ٣١٩ .

(٢) جمال القراء (١/١٤٨) .

(٣) فنون الأفنان ص ١٢٤ .

(٤) ينظر : جمال القراء ، السخاوي (١/١٦٢) .

الاختلاف في الموضع الواحد بين آية واحدة وعدة آيات ، وسوف أنقل هنا أمثلة لمواضع زاد مقدار الاختلاف فيها عن الآية الواحدة :

المثال الأول : آخر الحزب الخامس عشر وأول السادس عشر : في مصحف المدينة يقع آخر الأنعام وأول الأعراف ، ويقابله في مصحف بغداد : ﴿ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الأعراف] .

المثال الثاني : آخر الحزب الحادي والعشرين وأول الثاني والعشرين في مصحف المدينة يقع في : ﴿ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ * ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ [يونس] ويقابله في مصحف بغداد : ﴿ مَا كَانُوا يَفْتَخِرُونَ ﴾ * ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ ﴾ [يونس] .

المثال الثالث : نصف الحزب الرابع والعشرين في مصحف المدينة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ * ﴿ لَقَدْ كَانَ ﴾ [يوسف] ، ويقابله في مصحف بغداد : ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصَحُونَ ﴾ * ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَنَا ﴾ [يوسف] .

أما كتاب « غيث النفع » للسفاسي فإنه ذكر الأحزاب الستين ، وذكر أرباع كل حزب ، فبلغ ما ذكره مئتين وأربعين قسماً ، وهو بذلك يتفق مع مصحف المدينة من حيث العدد ، وذكرنا من قبل أن هذا الكتاب من مصادر التحريب في هذا المصحف ، ولكن مع ذلك وقع اختلاف بين ما جاء في المصحف من تعيين لمواضع الأحزاب وبين ما ذكر في الكتاب ، تتجاوز الأربعين موضعاً ، أورد هنا أمثلة منها :

المثال الأول : آخر نصف الحزب العاشر في مصحف المدينة : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء] ، وقال السفاسي : ﴿ رَحِيمًا ﴾ ... منتهى الربع عند بعض وعليه عملنا ، وقيل : ﴿ حَلِيلًا ﴾ قبله ، وقيل : ﴿ حَمِيدًا ﴾ وقيل : ﴿ بَصِيرًا ﴾ ^(١) .

المثال الثاني : آخر نصف الحزب الثاني عشر في مصحف المدينة : ﴿ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

(١) غيث النفع ص ١٠٢ .

﴿ [المائدة] ﴾ ، وقال السفاقي : « ﴿ تَحْتَلِفُونَ ﴾ ﴾ ... منتهى النصف على المشهور ، وقيل : ﴿ لَفَسِقُونَ ﴾ بعده ، وقيل : ﴿ يُوقُونَ ﴾ » ^(١) .

المثال الثالث : آخر الربع الأول من الحزب الخامس والثلاثين : في مصحف المدينة : ﴿ أَنْكُرُ مُخْرَجُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٥] ، وقال السفاقي : « ﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ » [٣٨] ... منتهى الربع عند جميع أهل المغرب وجمهور المشاركة ، وعند بعضهم ﴿ مُخْرَجُونَ ﴾ قبله ، وعليه عملنا » ^(٢) .

المثال الرابع : آخر نصف الحزب الثاني والأربعين في مصحف المدينة : ﴿ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴾ آخر سورة السجدة . وقال السفاقي : « ﴿ وَكَيْلًا ﴾ » [الأحزاب : ٣] ... منتهى الربع على المختار عندنا ، وللناس فيه اضطراب ، فبعضهم جعله آخر السورة ، وادعى نفي الخلاف ، وبعضهم جعله ﴿ رَحِيمًا ﴾ ، واقتصر عليه ، فظاھره أيضاً نفي الخلاف ، وبعضهم جعله ﴿ أَلِيمًا ﴾ ، والأول أقربها ، وما ذكرناه أقرب ، والله أعلم » ^(٣) .

والتأمل في حجم كل جزء من الأجزاء الثلاثين يجد أنها متساوية ، أو أقرب ما تكون إلى التساوي ، وإذا أخذنا مصحف المدينة مقياساً لذلك وجدنا أن كل جزء يشغل عشرين صحيفة ، ما عدا الجزء الأخير فإنه يزيد ببضع صفحات لكثرة ما فيه من فواتح السور .

وإذا تتبعنا أحجام الأحزاب أو أرباعها وجدنا التفاوت ظاهراً فيها ، وإذا أخذنا المساحة التي يشغلها كل ربع وجدنا بينها من التباين ما يستوقف النظر ، إذ تجد أحياناً من الأرباع ما هو ضعف ربع آخر ، ويمكن أن نذكر مثلاً على ذلك من خلال الموازنة بين حجم الربع الثالث من الحزب الثالث عشر في مصحف المدينة الذي يشغل من الآية التاسعة بعد المئة من سورة المائدة إلى الآية الثانية عشرة من سورة الأنعام ، وحجم الربع الأول من

(١) غيث النفع ص ١١١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٦ .

الحزب السادس والخمسين ، الذي يشغل سورة الجمعة وثلاث آيات من سورة المنافقون ، وعلى النحو الآتي :

الربع الأول : ٥١ سطرًا .

الربع الأخير : ٢٣ سطرًا وثلاث السطر .

ويتضح من هذا أن الربع الأول ضعف الربع الآخر ، وقد حاولت عد حروف كل من الربعين ، على أساس الحروف المرسومة ، وليس حسب النطق ، فالحرف المشدد حرف واحد ، والحرف الزائد في الرسم يُعدُّ ، ولا يُعدُّ ما كان ساقطاً من الرسم ويرسم بحرف صغير ، وكذلك لا يعد من الهمزات إلا ما كان مرسوماً على أحد الحروف الثلاثة : الألف والواو والياء ، فكان حاصل الجمع ما يأتي :

الربع الأول = ١٨٦٩ حرفاً .

الربع الآخر = ٩١٩ حرفاً .

ونتيجة الجمع هذه جاءت مؤكدة ما ظهر من حساب أسطر كل من الربعين ، ولا شك في أن التقارب بين أحجام أرباع الأحزاب أمر مطلوب ، لاحظ ما قاله السفاقي وهو يتحدث عن موضع منتهى نصف الحزب الخمسين وهو ﴿ مُتَقِمُونَ ﴾ [الدخان] : « منتهى النصف على ما اخترناه ، وقيل : ﴿ تَزْجُمُونَ ﴾ ، وقيل : ﴿ مُغْرَقُونَ ﴾ ، وقيل : ﴿ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ، وما ذكرناه أقرب لأنه تام ... وأيضاً على ما ذكرناه في الربع طول كثير ، بخلاف ما ذكرناه » ^(١) .

والمتتبع يجد أمثلة أخرى من هذا النوع ، ولكن هل لهذا التباين من علاج ؟ إن الإجابة على هذا التساؤل يجب أن تنبني على دراسة واقعية لأسس التحزيب وتأريخه ، وسوف أوضح هنا ما ورد من اختلاف في الموضعين المذكورين ، من خلال ما ذكره السفاقي .

(١) غيث النفع ص ٣٠٨-٣٠٩ .

قال عن الأول : ﴿ مُبِينٌ ۝ ﴾ [المائدة] ... منتهى نصف الحزب ، على قول الأكثر ، وعند بعض : ﴿ الْفَاسِقِينَ ۝ ﴾ قبله ^(١) . والفرق بين القولين تسعة أسطر .

وقال عن نهاية هذا الربع : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ [الأنعام] ... منتهى الربع عند بعض ، وعليه اقتصر في « اللطائف » وغيرها ، وعند بعض : ﴿ مُبِينٌ ۝ ﴾ قبله ، وعند بعض : ﴿ يَلْبِسُونَ ۝ ﴾ ، ونسبه في « المسعف » ^(٢) للأكثرين ، وقيل : ﴿ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ ﴾ ^(٣) .

وقال السفاقسي عن الثاني : ﴿ ظَاهِرِينَ ۝ ﴾ [آخر الصف] منتهى الحزب الخامس والخمسين بالإجماع ^(٤) . وقال في الربع الآتي بعده : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [المنافقون] ... منتهى الربع للجمهور ، وقيل : ﴿ لَا يَفْقَهُونَ ۝ ﴾ [المنافقون] قبله ، وقيل : آخر السورة ^(٥) .

ويظهر أن ما أثبت في مصحف المدينة في هذين الموضعين جاء على غير مذهب الجمهور ، ثم اعتمد في الموضع الأول أطول ما جاء في آراء العلماء ، واعتمد في الموضع الثاني أقصر ما جاء في آراء العلماء ، ومن ثم حصل هذا التباين في حجم هذين الربعين . ولو أخذنا بالأقصر في الأول والأطول في الثاني لكانا متقاربين . والله أعلم .

(١) غيث النفع ص ١١٤ .

(٢) اللطائف والمسعف كتابان ينقل عنهما السفاقسي في تحديد الأجزاء والأحزاب ، ونسب « المسعف » للقادري (غيث النفع ص ١٢٩) ، ولم أتمكن من الوقوف على ترجمته ، أما « اللطائف » فإن لأبي العلاء الحسن بن أحمد العطار (ت : ٥٦٩ هـ) ، كتاب « اللطائف في رسم المصاحف » . ينظر : النشر ، ابن الجزري (١٢٨/٢) .

(٣) غيث النفع ص ١١٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٤١ .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٤٢ .

خاتمة

تحزيب القرآن موضوع له مساس بشكل المصحف ، وله أصل في السنة ، ومذاهب الصحابة في القراءة ، لكن الصحابة كانوا يُحزِّبون على أساس السور ، وأخذ العلماء بعدهم بتحزيب القرآن على أساس عدد الحروف في كل حزب .

وتعددت أشكال التحزيب فمن تقسيم القرآن على نصفين ، إلى تقسيمه على ثلاث مائة وستين قسماً ، على عدد أيام السنة ، لكن أشهر تحزيب هو تجزئته ثلاثين جزءاً ، وقُسِّم كل جزء على أربعة أقسام أو ثمانية .

وكان العلماء قد أثبتوا في مؤلفاتهم ما تمخض عن جهود علماء القرآن في عدّ حروفه ، وأشهر المؤلفات في هذا الجانب اليوم : كتاب المصاحف لابن أبي داود ، وكتاب البيان في عدّ آي القرآن للداني ، وكتاب الإيضاح في القراءات للأندراي ، وكتاب فنون الألفان لابن الجوزي ، وكتاب جمال القراء لعلم الدين السخاوي .

وحصل اختلاف بين العلماء في مواضع الأجزاء والأحزاب ، وانعكس ذلك على المصاحف ، على نحو ما بيّنا ذلك في صفحات هذا البحث ، وكان خطّاطو المصاحف في العصر الحديث قد اعتمدوا على عدد من المصادر المتأخرة في التأليف ، ومن ثم فاتهم الاطلاع على المصادر القديمة وما فيها من معلومات حول الموضوع ، مثل كتاب « غيث النفع » للسفاقي الذي جمع مادة يمكن أن تكون أساساً لتحزيب المصحف على نحو أقرب ما يكون إلى الدقة .

وبعد هذه الجولة السريعة في المصادر ، والنظر في عدد من المصاحف ، يمكنني أن أستنتج أن تحزيب القرآن فيه مجال للمراجعة والتدقيق ، وإذا كانت مواضع الأجزاء محل اتفاق في معظمها فإن مواضع الأحزاب وأرباعها كانت مجالاً لتعدد الآراء في تحديد مواضعها .

إن الخروج من ذلك الخلاف في تحديد الأجزاء والأحزاب أمر ممكن ، وهو لا شك مطلوب ، ويمكن أن يتحقق من خلال ثلاثة أمور :

الأول : جمع مصادر الموضوع ، القديمة والمتأخرة ، ودراستها ، وتحقيق مادتها ، والوقوف على الأساس الذي قام عليه التحزيب فيها .

الثاني : تتبع المصاحف القديمة المخطوطة ، ودراسة موضوع التحزيب فيها ، وموازنة ذلك بما جاء في مصادر الموضوع .

الثالث : القيام بعملية عدّ جديدة لحروف القرآن الكريم ، وبناء التحزيب في المصاحف على أساس نتائج هذا العدّ ، بعد تحديد الأسس التي يقوم عليها ، والأسس التي سيقوم عليها التحزيب .

وأدعو الله تعالى أني تمكنت من لفت نظر المهتمين بأمر المصحف إلى قضية كثيراً ما كانت موضع تساؤل من كثير من قراء القرآن ، ألا وهي ما يجدونه من عدم تساوي أحجام الأحزاب .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مصادر البحث

أولاً : المصاحف :

- ١- مصحف ابن البواب (علي بن هلال) ، نسخة مصورة عن المصحف المخطوط المحفوظ في مكتبة جسترستي (رقم ك ١٦ /) .
- ٢- مصحف الحافظ عثمان ، نشرته مكتبة المشي ببغداد .
- ٣- مصحف بغداد ، بخط الحافظ محمد أمين الرشدي ، نشرته وزارة الأوقاف - بغداد ، (١٤٠١هـ-١٩٨١م) .
- ٤- مصحف القاهرة ، بخط الشيخ محمد علي خلف الحسيني الشهير بالحداد ، مطابع الأهرام التجارية - القاهرة ، ط ٤ (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) .
- ٥- مصحف المدينة النبوية المنورة ، بخط عثمان طه ، نشره مجمع الملك فهد في المدينة المنورة ، طبعة ١٤١٨هـ .

ثانياً : الكتب :

- ١- ابن البواب عبقرى الخط العربي عبر العصور ، هلال ناجي ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ط ١ (١٩٩٨م) .
- ٢- الإتيقان في علوم القرآن ، السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني - القاهرة ، ط ١ (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) .
- ٣- الأعلام ، الزركلي (خير الدين) ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٥ (١٩٨٠م) .
- ٤- الإيضاح في القراءات ، الأندراي (أحمد بن أبي عمر) ، تح : منى عدنان علي ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات - جامعة تكريت ، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) .
- ٥- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (محمد بن عبد الله) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي (١٩٧٢م) .
- ٦- البيان في عد آي القرآن ، الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد) ، تح : د. غانم قدوري الحمد ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الكويت ، ط ١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .
- ٧- تاريخ الخط العربي وآدابه ، محمد الطاهر الكردي ، مكتبة الهلال ، ط ١ (١٩٣٩م) .
- ٨- تحقيق البيان في عد آي القرآن ، محمد المتولي ، مخطوط ، مكتبة المتحف - بغداد ، الرقم (١٢٨٨٦) .
- ٩- الجرح والتعديل ، ابن أبي حاتم (عبدالرحمن بن محمد) ، حيدر آباد - الهند ، ط ١ .
- ١٠- جمال القراء وكمال الإقراء ، السخاوي (علم الدين علي بن محمد) ، تح : علي حسين البواب ، مكتبة التراث - مكة المكرمة ، مطبعة المدني - القاهرة ، ط ١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) .

- ١١- السنن ، أبو داود ، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية .
- ١٢- صحيح مسلم بشرح النووي ، مسلم بن الحجاج ، المطبعة المصرية - القاهرة .
- ١٣- غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد) ، تح : برجستراسر ، مكتبة الخانجي - مصر ، (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) .
- ١٤- غيث النفع في القراءات السبع ، بذيل كتاب سراج القارئ المبتدي لابن القاصح ، السفاسي (علي بن محمد النوري) ، المكتبة التجارية الكبرى ، توزيع دار الفكر - بيروت .
- ١٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) ، المكتبة السلفية - القاهرة ، (١٣٨٠هـ) .
- ١٦- فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن ، ابن الجوزي (عبدالرحمن بن علي) ، تح : د . رشيد العبيدي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .
- ١٧- كتاب المصاحف ، ابن أبي داود (عبد الله بن سليمان) ، تح : آرثر جفري ، المطبعة الرحمانية - مصر ، ط ١ (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) .
- ١٨- لسان العرب ، ابن منظور (محمد بن مكرم) ، طبعة بولاق .
- ١٩- لطائف الإرشادات لفنون القراءات ، القسطلاني (أحمد بن محمد) ، تح : الشيخ عامر السيد عثمان ود . عبدالصبور شاهين ، القاهرة ، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) .
- ٢٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ابن تيمية (أحمد بن عبدالحليم) ، الرياض .
- ٢١- المسند ، أحمد بن حنبل ، المطبعة الميمنية - القاهرة .
- ٢٢- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دمشق ، (١٩٥٧م) .
- ٢٣- معجم مصنفات القرآن الكريم ، علي شواخ إسحاق (دكتور) ، دار الرفاعي - الرياض ، ط ١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
- ٢٤- الموطأ ، مالك بن أنس ، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة كتاب الشعب - القاهرة .
- ٢٥- ناظمة الزهر في عد أي السور (ضمن : إتحاف البررة بالمتون العشرة) ، جمع وترتيب الشيخ علي محمد الضباع ، الشاطبي (القاسم بن فيره) ، مصطفى الباني الحلبي - مصر ، (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) .
- ٢٦- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، مطبعة مصطفى محمد - مصر .
- ٢٧- النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (المبارك بن محمد) ، تح : طاهر محمد الزاوي ومحمد محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت .

المصباح في الفرق بين الضاد والطاء
في القرآن العزيز نظمًا ونثرًا
لأبي العباس أحمد بن حماد بن أبي القاسم الحراني
المتوفى بهذا سنة (٦١٨ هـ)

تح: أ. د. حاتم صالح الضامن*

التعريف بالبحث :

تتناول هذه المخطوطة الفرق بين الضاد والطاء في القرآن العزيز نظمًا ونثرًا . وقد ذكر المؤلف في كتابه هذا أنه نظر في أصول طاءات القرآن ، فوجدها اثنين وثلاثين أصلاً ، فنظمها في أربعة أبيات ، وقدم قبل الأربعة عشرة أبيات نبه فيها على مخرج الضاد ومخرج الطاء ، ولما كانت أبياته الأربعة على غير ترتيب ما جاء في القرآن ، أحب أن يأتي بها على ترتيبه الأول فالأول ، وبدا بشرح الأصول الاثنين والثلاثين . ثم نظمها في أربعة وخمسين بيتاً من الشعر ، ثم ختم كتابه بييتين ذكر فيهما ثمانية أصول طائية ، وثمانية أصول ضادية .

وهذا الكتاب الفقيس لأبي العباس أحمد بن حماد بن أبي القاسم الحراني ، ولا يعرف عنه شيئاً ، ولكن الكتاب قرئ عليه سنة (٦١٨ هـ) فهو من أهل القرن السابع ، ولحقه شرح مفرد إلى كشف ترجمة له .

* أستاذ الدراسات العليا في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، ولد عام (١٩٣٨ م) ، وحصل على الدكتوراه في اللغة من كلية الآداب بجامعة بغداد عام (١٩٧٧ م) ، ورفي إلى الأستاذية عام (١٩٨٩ م) ، له مؤلفات ومحققات أريت على الثمانين ، وبحوث نافلت على المئة .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه النبي العربي الأمين .
الفرق بين الضّاد والطاء من المسائل التي شغلت القدماء بسبب صعوبة التّطّيق بهما
على مَنْ دخل الإسلام من الأمم المختلفة .

قال ابن الجَزَرِيّ ^(١) المتوفى سنة (٨٣٣ هـ) : « والضّاد انفراد بالاستطالة ، وليس في
الحروف ما يعسرُ على اللسان مثله ، فإنّ ألسنة الناس فيه مختلفة ، وقلّ مَنْ يحسنه ، فمنهم مَنْ
يخرجه طاءً ، ومنهم مَنْ يمزجه بالذال ، ومنهم مَنْ يجعله لاماً مفخمة ، ومنهم مَنْ يشمه
الزّاي ، وكلّ ذلك لا يجوز » .

والضّاد حرفٌ مجهورٌ ، وهو أحد الحروف المستعلية ، وهو للعرب خاصّة ، ولا
يوجد في كلام العجم إلا في القليل ^(٢) .

أمّا الطّاء فهو حرف مجهور ، وهو عربيّ حصّاً به لسان العرب ، لا يشركهم فيه أحد
من سائر الأمم ^(٣) .

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ ما ورد في القرآن الكريم من الطّاء ثلاثة وخمسون وثمانئة ،
ترجع إلى واحد وعشرين أصلاً .

أمّا الضّاد فقد جاء في القرآن الكريم في أربعة وثمانين وست مئة وألف موضع ،
ترجع إلى واحد وثمانين أصلاً ^(٤) .

وقد كثرت المؤلفات فيهما ، وقد أحصينا قسماً منها في مقدمتي كتابي الصّقليّ ^(٥)
وابن مالك ^(٦) ، فلا موجب لذكرها هنا .

(١) النشر في القراءات العشر (١/٢١٩) .

(٢) ينظر : الكتاب (٤٠٦/٢) ، وسر صناعة الإعراب (١/٢١٣) ، والرعاية ص ١٨٤ .

(٣) ينظر : سر صناعة الإعراب (١/٢٢٧) ، والرعاية ص ٢٢٠ ، واللسان والتاج « حرف الطّاء » .

(٤) منظومات أصول الطّاءات القرآنية ص ٦٣٦ .

(٥) معرفة الضاد والطاء ص ٩-١٠ .

(٦) الاعتماد في نظائر الطّاء والضاد ص ٦-١٢ .

ومن هذه الكتب النفيسة التي تفرّدت بهذا النوع من التأليف ولم تَرَ التور بعدُ : مخطوطة « المصباح في الفرق بين الضّاد والظّاء في القرآن العزيز نظماً ونثراً » : لأبي العباس أحمد بن حمّاد بن أبي القاسم الحرّاني ، المتوفى بعد سنة (٦١٨ هـ) ، ولا نعرف عنه شيئاً^(١) .
وبنى المؤلف كتابه على مقدمة قصيرة ، جاء فيها :

« نظرت في أصول ظاءات القرآن ، فوجدتها في اثنين وثلاثين أصلاً ، وهذا أكثر ما جاء من الأصول ، فنظمتها في أربعة أبيات من الشعر ، وقدمت قبل الأربعة الحاوية للأصول عشرة أبيات نبّهت فيها على مخرج الضّاد ومخرج الظّاء » . وبعد ذكر هذه الأبيات ، قال :

« لما جمعت أصول ظاءات القرآن العظيم في هذه الأربعة أبيات ، جاءت على غير ترتيب ما جاء في كتاب الله ﷻ ، فأحببت أن آتي بها على ترتيب ما جاء في القرآن العزيز ، الأول فالأول » .

ثم بدأ بشرح الأصول الاثنى والثلاثين ، وبعد أن انتهى منها قال : « وقد نظمت ما ذكرته من الأصول في قصيد من الشعر مرتباً على ترتيب الأصول المذكورة ... » ، وذكر أربعة وخمسين بيتاً . ثم ختم كتابه بيتين ذكر فيهما ثمانية أصول ظائية ، وثمانية أصول ضادية ، وكلّ لفظة من هذه الألفاظ تُقال بالظّاء فيكون لها معنى ، فإذا قيلت بالضاد كان لها معنى آخر ، وهو ما يُسمى بالنظائر ، وقد أفرد لها ابن مالك كتابه الموسوم بـ « الاعتماد في نظائر الظّاء والضاد » .

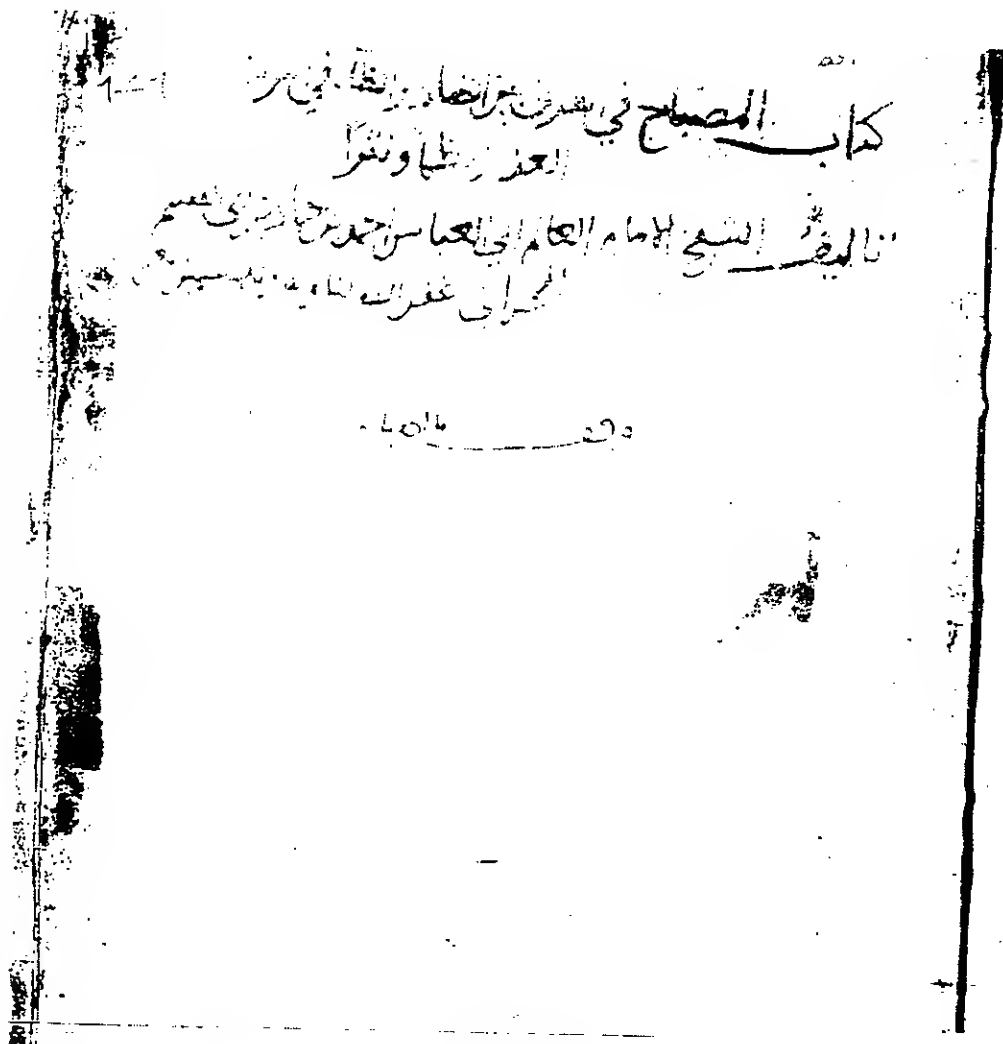
وانفرد المؤلف بهذا المنهج الذي سار عليه ، وجاءت ظاءات القرآن عنده في اثنين وثلاثين أصلاً ، لأنه نظر إلى معنى اللفظ ، لا إلى مادته وجذره ، ولو سار على منهج اللغويين في ردّ مشتقات الكلمة إلى أصل واحد ، لرأى أن ظاءات القرآن ترجع إلى واحد وعشرين أصلاً ، كما سلف ذكره .

(١) وفات محقق « درة القاري للفرق بين الضاد والظاء » للرسعني (ت : ٦٦١ هـ) معرفته ، فلم يذكره فيمن ألف في هذا الموضوع . انظر ص ١٤-٣٠ .

مخطوطة الكتاب :

نسخة نفيسة تقع في عشر ورقات في مكتبة جامعة برنستون « مجموعة يهودا » ، في ضمن مجموع (١٤٠ - ١٤٩) ، في كل صفحة ستة عشر سطرًا ، وفي آخرها سماع لابن المؤلف إبراهيم ، وإجازة للمؤلف بخطه في صفر من سنة ثمان مائة وست مئة . وفي مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث صورة عنها ، تحت رقم (٨ / ١٨٥) .

وقد ألحقت صوراً لصفحة العنوان ، وللصفحة الأولى ، وللصفحتين الأخيرتين .
والحمد لله أولاً وآخراً ، إنه نعم المولى ونعم النصير .



صفحة العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وعلى آله وسلم وعلى محمد النبي وآله وصحبه
 للعالمين وختم به النبيين وأول شافع ومشفع يوم الدين
 وعلى الهوا صحابه اجمعين وعلى أزواجه امهات المؤمنين
 صلاه تدرم بدوام السموات والأرضين والسميع الامار
 ابو العباس احمد بن حماد بن ابي القاسم الخزازي رضي الله عنه نظرت
 في اصول طائفة القرآن فوجدتها اثنتين وثلاثين أصلاً
 وهذا أكثر ما جاء من الأصول فنظمتها في أربعة أبيات
 من الشعر وقدمت قبل الأربعه الجاوية للأصول عشرة
 أبيات انتهت فيها على مخرج الصاد ومخرج الظاء
 وهي لفظة أبيات من الشعر أعجزت أصول الظاء
 في التوزن فاحفظ في التوزن
 فيما تالي القرآن لا تكجاءه لا مخرج حرف الصاد ثم لحفظ
 لعمر ك ان الصاد باين حرفها لمخرج حرف الظاء عند التلقظ
 فكن عازفاً بالمخرجين كما فاتها تخضع من التقصان غير
 التبعيض

الصفحة الأولى

ضئير خيل رعى بالظلمة حزنه العلم الجليل من اجز
 ومنتهى الله جل ثناؤه وانسب منكرا بدوم مع الدهر
 واسئل ربي عفو يوم جمعنا ورضوانه والعفو من جميع الخسر
 وصلى الله الناس ما دام ملكه على احمد المبعوث بالنبي والامر
 وكل رسول او نبي وصحبه واتباعهم من كان في البر والبحر
 وما كان تاليق القريق صناعتي ومن بعثها قد ثبت عز منعه
 الشجر تمت الفضيلة والحمد لله وحده وعلوهم على غيرهم
 قال السمع ابو العباس احمد بن محمد بن ابي القاسم نظرت في اصول طائفة القرآن
 فوجدت منه ثمانية اصول تشابه ثمانية اصول الضاد
 فاخذت من كل اصل من اصول الطاء كلمة فنظمت الثمان كلمات بيتا
 ونظمت الثمان كلمات بيتا من اصول الضاد بيتا وبرات بالطاء
 ثم شئت بالضاد فقلت بحمد الله
 عَطَّتْ لِفِظْ غَاظَهْ حَظْ نَظَرٍ لِفِظْ ظَلْ مَحْظُورٍ كَمِثْلِ طَبِينِ
 تَحْضٌ وَلَا تَقْضُوا ضَيْفٌ كَمَحْضٍ وَغَيْضٌ وَضَلُّوا نَصْرَهُ كَعَضِرِ
 اخبر الجز والحمد لله حق حمده وعلى الله سزا محمد رسوله وعينه

صفحة خاتمة الكتاب

١٤١ ب / بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد الذي أرسله رحمة للعالمين ،
وختم به النبيين ، وأول شافع ومشفع يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وعلى
أزواجه أمهات المؤمنين ، صلاة تدوم بدوام السماوات والأرضين .

قال الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن حماد بن أبي القاسم الحراني رحمه الله :

نظرتُ في أصول طاءات القرآن ، فوجدتها اثنين وثلاثين أصلاً ، وهذا أكثر ما جاء
من الأصول ، فنظمتها في أربعة أبيات من الشعر ، وقدمت قبل الأربعة الحاوية للأصول
عشرة أبيات نبّهتُ فيها على مخرج الضاد ومخرج الطاء ، وهي :

لقد قلتُ أبياتاً من الشعرِ أربعاً	جمعنُ أصولَ الطاءِ في الثورِ فاحفظِ
فيا تالي القرآن لا تكُ جاهلاً	بمخرجِ حرفِ الضادِ ثمَّ تحفظِ
لعمركُ إنَّ الضادَ باينَ حدُّها	لمخرجِ حرفِ الطاءِ عندَ التلفُظِ
فكنُ عارفاً بالمخرجينِ فإنَّما	تغيضُ من النقصانِ غيرَ التغَيُّظِ
/١٤٢/ ولا نُضرةٌ في الوجه تشبه نظرةً	بعينِ تدبُّره بهمك والحظِ
فمشتبهاتُ الضادِ بالطاءِ سبعةٌ	تنبِّه لها يا صاحِ ثمَّ تيقُظِ
وقد جاءَ حرفُ ثامنٍ إنَّ قرأتهُ	بطاءٍ وضادٍ جازٍ للمتلفِظِ
ضنينٌ بخيلٍ فهي بالضادِ لفظُها	ومُتَّهمٌ بالطاءِ فاكتبهُ والفظِ
وإني ذكرتُ الطاءَ حَسْبُ لِنَقصِها	عن الضادِ في القرآنِ فاسمعِ تلفِظي
بابُ ^(١) طاءاتِ الهدى إذُ جمعَتهَا	تحفظُ لما قد قلتُ كلَّ التَّحَفُّظِ

وأما الأبياتُ الأربعةُ الحاويةُ للأصول :

فينظرُ ذو حظٍّ عظيمٍ بظاهرٍ	وأظفركم من ظالمٍ مُتَيَقِّظِ
فلا تحظروا الظمانَ من ظلِّ ظِلَّةٍ	لظنِّ ظهيرِ الواعظِ المُتَلَفِّظِ
شواظٌ تلظى غلظةً ظلٌّ كاظماً	فأنظرُ وظهراً الظاعنِ المُتَحَفِّظِ
بعظمٍ وظفرٍ وانتظرُ بظهِيرةٍ	ظهاراً وفظاً أو ظلامَ التَّغَيُّظِ

(١) كذا ، ولا يستقيم به الوزن .

قال الشيخ أبو العباس أحمد :

لما جمعت أصول ظاءات القرآن العظيم في هذه الأربعة الآيات ، جاءت على غير ترتيب ما جاء في كتاب الله ، عز وجل ، فأحييت أن آتي بها على ترتيب ما جاء في القرآن العزيز ، الأول فالأول :

فأولها : باب العظمة : وأول ذلك في سورة البقرة ، قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

الثاني : باب الظلمة : وهو بالطاء / ١٤٢ ب / كيف جاءت ألفاظه ، وأول ذلك جاء في السورة المذكورة ، قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْتُمْ فِي ظُلُمْتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴾ [البقرة] .

الثالث : باب الظلم : وأول ذلك فيها ، قوله تعالى : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة] .

الرابع : باب الظن : وأول ذلك فيها ، قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة : ٤٦] .

فجميع هذا الباب بالطاء ، ولم يختلف القراء فيه إلا حرفاً واحداً في سورة التكويد ، وهو قوله تعالى : ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ [٢٤] . قرئ بالضاد ، من البخل ، وبالطاء ، من التهمة ^(١) .

الخامس : باب النظر بالعين : وأول ما جاء منه في البقرة أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَأَعْرَفْنَا آلَ قِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ .

(١) قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحزمة بالضاد ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالطاء . السبعة في القراءات ص ٦٧٣ ، والمبسوط في القراءات العشر ص ٤٦٤ ، والوجيز في شرح قراءات القراءة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة ص ٣٧٥ . وينظر : الاعتماد ص ٣٩ .

وجميع هذا الباب بالطاء ، إذا كان من النظر بالعين . ويُشَبَّهُ في اللفظ ثلاثة أحرف يُقْرَأُ وَيُكْتَبُ بالضاد :

الأول : في سورة القيامة ، قوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ ۝٦٦ ﴾ .

والثاني : في سورة ﴿ هَلْ أَتَى ﴾ ، قوله تعالى : ﴿ وَلَقَنَّهُمْ نُضْرَةً وَسُرُورًا ۝٦٦ ﴾ .

والثالث : في سورة المطففين ، قوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نُضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٦٦ ﴾ .

فهذه الأحرف الثلاثة من التضارة^(١) ، وهو الحسن والبشر في الوجه .

السادس : باب الظلل : جمعه ومفرده بالطاء ، وأوّل ما جاء منه في البقرة أيضاً ،

قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ [٥٧] . / ١٤٣ /

السابع : باب الوعظ : وهو بالطاء كيفما تصرف ، وأوّل ما جاء منه في البقرة

أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٦٦ ﴾ .

ويُشَبَّهُ هذا الباب حرف واحد في الحجر ، قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ

عِضِينَ ۝٦٦ ﴾ .

فهذا بالضاد^(٢) ، لأنه من التفرقة في القول ، لا من الوعظ .

الثامن : باب الظهير : وهو بمعنى المعين والتّصير ، وجميعه بالطاء ، وأوّل ما جاء

منه ، في البقرة أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [٨٥] .

التاسع : باب الظّهر من الآدمي وغيره : وجميعه بالطاء ، كيف جاءت ألفاظه ،

وأوّل ما جاء منه في البقرة ، قوله تعالى : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ

ظُهُورِهِمْ ﴾ [١٠١] .

(١) ينظر : معرفة الضاد والطاء ص ٢٤ ، والاعتماد ص ٥٤ ، وشرح أبيات الداني الأربعة ص ٦٨٦ .

(٢) الاقتضاء ص ٨٤ ، وزينة الفضلاء ص ٤٧ . وينظر : معاني القرآن (٩٢/٢) ، وبحار القرآن

(٣٥٥/١) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٣/٣-٤٤) ، والمحرم الوجيز (١٥١/١٠) .

العاشر : باب الإنظار : وهو من المهلة والتأخير ، وجميعه بالطاء ، وأوّل ما جاء منه في البقرة أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ لَا تَخَفْ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ ﴿٢٣٨﴾ .

الحادي عشر : باب الحفظ وأنواعه : وجميعه بالطاء ، وأوّل ما جاء منه في البقرة ، قوله تعالى : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ [٢٣٨] .

الثاني عشر : باب العظام : جمعه ومفردّه بالطاء ، وأوّل ما جاء منه في البقرة / ١٤٣ ب / أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِئُهَا ﴾ [٢٥٩] .

الثالث عشر : باب العيظ : وجميعه بالطاء ، كيفما تصرفَ لفظه ، إذا كان من ثورانِ طبعِ النفسِ والحق ، وأوّل ما جاء منه في القرآن في سورة آل عمران ، قوله تعالى : ﴿ عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَنْبِيَاءَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [١١٩] .

ويُشَبَّه هذا حرفان :

أحدهما : في سورة هود ، قوله تعالى : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾ [٤٤] .

والثاني : في سورة الرعد ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ﴾ [٨] .
ولا ثالثَ لهما .

فهذانِ الحرفانِ بالضاد^(١) ، لأنَّ المعنى فيهما من النقصانِ ، لا من العيظِ .

الرابع عشر : باب الكَظْم : وهو بالطاء ، وأوّل ما جاء منه في القرآن ، في سورة آل عمران ، قوله تعالى : ﴿ وَالْكَظِيمِينَ الْغَيْظِ ﴾ [١٣٤] .

الخامس عشر : باب الفَظْ : وهو بالطاء ، ولم يأتِ في القرآن منه إلا حرفٌ واحدٌ ، وهو في سورة آل عمران أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا ﴾ [١٥٩] .

(١) ينظر : الفرق بين الحروف الخمسة ص ١٦٦ ، والاعتماد ص ٤٨ ، وشرح أبيات الداني الأربعة ص ٦٨٣-٦٨٤ .

ويشبهه هذا الحرف ثلاثة أحرفٍ ، لا رابعَ لهنَّ :

- الأول : في هذه السورة ، وهو قوله تعالى : ﴿ لَا تَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .
- والثاني : في سورة الجمعة ، قوله تعالى : ﴿ أَنْفِضُوا إِلَيْهَا ﴾ [١١] .
- والثالث : في سورة المنافقين ، قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَنْفَضُّوا ﴾ [٧] .

فهذه الأحرفُ الثلاثةُ ، بالضَّادِ ، لأنه من / ١٤٤ أ / التَّفَرُّقِ عن الشخص والذهاب عنه ^(١) . والأوَّلُ بالظَّاءِ ، لأنه من سوء الخُلُقِ .

السادس عشر : باب الغلاظة : وجميعُهُ بالظَّاءِ ، وأوَّلُ ما جاءَ منه في هذه السورة ، قوله تعالى : ﴿ غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

السابع عشر : باب الحَظَّ : وهو بالظَّاءِ ، إذا كانَ اسماً ، وهو من القسم والنَّصيب . ويأتي منه في القرآن بهذا المعنى سبعةُ أَحْرُفٍ ، أولُها في هذه السورة ، قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِظًّا فِي الْآخِرَةِ ﴾ [آل عمران : ١٧٦] .

ويشبههُ في اللفظ ثلاثةُ أحرفٍ ، لا رابعَ لهنَّ ، وهنَّ أَفْعَالٌ :

- الأوَّلُ : في سورة الحاقة ، قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ﴾ .
- والثاني : في سورة الفجر ، قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخْضُوتَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ﴾ .
- والثالث : في سورة الماعون ، قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ﴾ .

فهذه الثلاثةُ بالضَّادِ ^(٢) ، لأنها من التحريض والحث على فعل الشيء .

الثامن عشر : باب الظِّلَّ : وجميعُهُ بالظَّاءِ ، كيفما تصرَّفَ ، وأوَّلُ ما جاءَ منه في القرآن ، في سورة النساء ، قوله تعالى : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۖ ﴾ .

(١) ينظر : معرفة الضاد والطاء ص ٢٤ ، وطاءات القرآن ص ٢٦٩ ، والاعتماد ص ٤٩ .

(٢) ينظر : الفرق بين الحروف الخمسة ص ١٤٠ ، وطاءات القرآن ص ٢٦٤ ، والاعتضاد ص ٦٦ ، والاعتماد ص ٣٢ .

التاسع عشر : باب الظَّاهِر : وهو ضِدُّ الباطِن ، ويأتي بمعنى العلُو ، ومعنى / ١٤٤ ب /
النَّصْر ، وجميعه بالظَّاء ، وأول ما جاء منه ، في سورة الأنعام ، قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا ظَهْرَ
الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ [١٢٠] .

العشرون : باب الظُّفَر : وهو بالظَّاء ، ولم يأت في القرآن منه إلا حرف واحد في
سورة الأنعام ، قوله تعالى : ﴿ كُلُّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ [١٤٦] .

الحادي والعشرون : باب الانتظار : وهو من الارتقاب للشيء ، وهو بالظَّاء
كيفما جاء ، وأول ما جاء منه في القرآن ، في سورة الأنعام أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ قُلِ
أَنْتَظِرُونَ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ .

الثاني والعشرون : باب الظِّمَاءِ : وجميعه بالظَّاء ، ولم يأت في القرآن منه إلا ثلاثة
أحرف :

- أولها : في آخر سورة التوبة ، قوله تعالى : ﴿ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ [١٢٠] .
 - والثاني : في سورة طه ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُونَ فِيهَا ﴾ [١١٩] .
 - والثالث : في سورة النور ، قوله تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً ﴾ [٣٩] .
- ولا رابع لها .

الثالث والعشرون : باب ظَلَّ : إذا كان بمعنى الدَّوام ، ولم يأت في القرآن منه بهذا
المعنى غير تسعة مواضع ، وجميعه بالظَّاء :

وأول ما جاء منه في القرآن : في سورة الحجر ، قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا
مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ .

الثاني : في سورة النحل ، قوله تعالى : ﴿ ظِلٌّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا ﴾ [٥٨] .

والثالث : مثله ، في سورة ﴿ حَمَّ ﴾ الزخرف [١٧] .

الرابع : / ١٤٥ أ / في طه ، قوله تعالى : ﴿ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ [٩٧] .

- الخامس : في سورة الشعراء ، قوله تعالى : ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا ﴾ [٤] .
 السادس : فيها أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ فَظَلُّواْ لَهَا عَيْكِفِينَ ۖ ﴾ .
 السابع : في الروم ، قوله تعالى : ﴿ فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظُلُّواْ مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ۖ ﴾ .
 الثامن : في سورة ﴿ عَسَقَ ﴾ ، قوله تعالى : ﴿ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ ﴾ .
 التاسع : في سورة الواقعة ، قوله تعالى : ﴿ لَجَعَلْنَاهُ حُطْمًا فَظَلَّتْ تَفَكَّهُونَ ۖ ﴾ .

ولم يأت في القرآن في هذا الباب بالظاء سوى هذه التسعة ، لأن معناها الدوام ، وما عداها بالضاد ، لأنه من الضلال ضد الهدى ، كقوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الرعد : ٢٧] .
 أو من الاختلاط والامتزاج ، كقوله تعالى : ﴿ أَوْدَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [السجدة : ١٠] .
 أو بمعنى الهلاك ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۖ ﴾ [القمر] .
 أو بمعنى البطلان ، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ ﴾ [الكهف : ١٠٤] ،
 و ﴿ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ۖ ﴾ [محمد] .

أو بمعنى التحير ، كقوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ ﴾ [الضحى] .
 أو بمعنى التغيب ، كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾ [الأعراف : ٣٧] ، و ﴿ لَا يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۖ ﴾ [طه] .

فهذا جميعه بالضاد ^(١) ، لأنه ليس بمعنى الدوام .

الرابع والعشرون : باب الظعن : وهو بالظاء ، ولم يأت في القرآن منه إلا حرف واحد ، وهو في سورة النحل ، قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ ظَعَنِكُمْ ﴾ [٨٠] . وقد قرئ بتحرك العين وسكونها ^(٢) .

الخامس والعشرون : باب الحظر ، الذي بمعنى المنع والحجر : ولم / ١٩٥ ب /
 يأت في القرآن منه في هذا المعنى إلا حرفان :

(١) ينظر الاقتضاء ص ٥١ ، الفرق بين الحروف الخمسة ص ١٥٢ ، الاعتماد ص ٣٤ .
 (٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح العين . وقرأ عاصم وحزمة والكسائي وابن عامر بسكون العين .
 السبعة في القراءات ص ٣٧٥ ، وشرح الهداية ص ٣٨٢ ، والاختيار في القراءات العشر ص ٤٩٩ .

الأول منهما : في سورة سبحان ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ .

الثاني : في سورة القمر ، قوله تعالى ﴿ كَهَشِيمٍ آلَخِثْطِرِ ﴾ .
فهذان الحرفان بالطاء ، وما عداهما مما يُشبههما في اللفظ ، بالضاد ^(١) ، لأنه من الحضور ضد الغيبة .

السادس والعشرون : باب اليقظة ، ضد النوم : وهو بالطاء ، ولم يأت في القرآن منه إلا حرف واحد ، في سورة الكهف ، قوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [١٨] .
السابع والعشرون : باب الظهيرة : وهو وقت انتصاف النهار ، وهو بالطاء ، ولم يأت في القرآن منه إلا حرفان :

أولهما : في سورة النور ، قوله تعالى : ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ﴾ [٥٨] .
الثاني : في سورة الروم ، قوله تعالى : ﴿ وَحِينَ تَظْهَرُونَ ﴾ .
ولا ثالث لهما .

الثامن والعشرون : باب الظُّهَار ، الذي هو الحلفُ بالظُّهَار ^(٢) : وهو بالطاء ، ولم يأت في القرآن منه إلا ثلاثة أحرف :

الأول : في سورة الأحزاب ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهِنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [٤] .

الثاني : في سورة المجادلة ، قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُظَاهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ [٢] .
والثالث : فيها أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ [٣] .

(١) ينظر : زينة الفضلاء ص ١٠٠ ، وظاءات القرآن ص ٢٦٧ ، والاعتماد ص ٢٩ .

(٢) الظُّهَار في اللغة مأخوذ من الظَّهْر ، لأن الأصل أن يقول الرجل لزوجته : أنت علي كظهر أمي .

قرأ أبو عمرو^(١) وَمَنْ وافَقَهُ : بتشديد الطَّاءِ واهاءٍ ، في المواضع الثلاثة . وقرأ بالتخفيف فيهنَّ عاصم^(٢) وَمَنْ وافَقَهُ^(٣) . / ١٤٦ /

التاسع والعشرون : باب الظَّفَر : وهو بالطاء ، ولم يأت في القرآن منه إلا حرفٌ واحدٌ في سورة الفتح ، قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [٢٤] .

الثلاثون : باب اللفظ : ولم يأت في القرآن منه إلا حرفٌ واحدٌ ، وذلك في سورة ق ، قوله تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ ﴾ [١٨] .

الحادي والثلاثون : باب شَوَاطِ : وهو بالطاء ، ولم يأت في القرآن [منه] إلا حرفٌ واحدٌ في سورة الرحمن ، قوله تعالى : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ ﴾ [٣٥] .

الثاني والثلاثون : باب لَطَى : وهو آخرُ الأصول ، وهو بالطاء ، ولم يأت في القرآن منه إلا حرفان :

- أولهما : في سورة سَأَلَ سَائِلٌ ، قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى ﴿١﴾ ﴾ .
- والثاني : في سورة الليل ، قوله تعالى : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿٢﴾ ﴾ .

تَمَّتِ الْأَصُولُ

(١) أبو عمرو بن العلاء ، من السبعة (ت : ١٥٤هـ) . أخبار النحويين البصريين ص ٤٦ ، ونور القبس ص ٢٥ .

(٢) عاصم بن أبي النجود ، من السبعة (ت : ١٢٨هـ) . طبقات القراء (٧٥/١) ، وغاية النهاية (٣٤٦/١) .

(٣) ينظر : السبعة ص ٥١٩ ، وشرح الهداية ص ٤٧٣-٤٧٤ ، والموضح في وجوه القراءات وعللها ص ١٠٢٥ .

وفي تقريب النشر ص ٤١٨ : « قرأ عاصم ﴿ تُظَاهِرُونَ ﴾ بضم التاء وتخفيف الطاء ، وألف بعدها ، وكسر الهاء مخففة . وكذلك قرأ حمزة والكسائي وخلف ، ولكنهم بفتح التاء واهاء ، وابن عامر كذلك ، إلا أنه بتشديد الطاء ، والباقيون كذلك لكنهم بتشديد الهاء من غير ألف » .

قال الشيخ أبو العباس أحمد رحمته :

وقد نظمت ما ذكرته من الأصول في قصيد من الشعر مُرتباً على ترتيب الأصول المذكورة ، وذكرت من ذلك :

ما جاء مرة واحدة : وهو سبعة أصول .

وما جاء مرتين : وهو ثلاثة أصول .

وما جاء ثلاث مرات : وهو أصلان .

ولم أذكر ما زاد على ثلاثة أصول إلا باب ظل ، الذي جاء بمعنى الدوام لغموضه واشتباه لفظه . وما زاد على ثلاثة أصول غير هذا الباب لم أذكر إلا الأول من ذلك الباب فحسب . وذكرت / ١٤٦ ب / سبعة أبواب من الضاد شابهت سبعة أبواب من الظاء . وذكرت ما يُقرأ بالضاد والظاء ، وهو حرف واحد ، في سورة التكويد ، قوله تعالى : ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ .

وستقف على جميع ذلك في نظم القصيد ، إن شاء الله تعالى ، وهي :

تعانيتُ جمعَ الظاء في مُحكمِ الذكرِ	على تَبَعِ تأتيك في النظمِ والتَّشْرِ
وتابعتُ في جمعي لها مُحضَ لفظهِ	سوى ما أتى للْعُذْرِ فلتقبلوا عُذْرِي
وسَمَّيْتُهَا « المصباح » فهي لمن تلا	بعلمِ نُضاهي الشمسِ في ساعة الظُّهْرِ
وجئتُ بها تُشْرِ يتابعُ لفظُها	لألفاظِهِ باباً فباباً على الإثْرِ
وأبوابُها عندي ثلاثونَ عدُّها	مع اثنين في حصري لأبوابِها العُرِّ
ويجمعُها لبٌّ وذو اللبِّ كاشفٌ	لألغازِ ما في اللامِ والباءِ مِن سِرِّ
وأبياتها عشرونَ بيتاً وتسعة	وخمسة أبياتٍ وعَشْرَ إلى عَشْرِ
فيا ذا التُّهَى في رَمَزٍ ندُّ جمعُها	وذاك بأنَّ النَّدَّ مِن أَطْيَبِ العِطْرِ
فخذُ بعدَ هذا البيتِ فيما جمعُته	فقدُ بانَ فيه القولُ للعبدِ والحرِّ
عظيمَ عذابِ الكافرينَ برَبِّهم	وفي ظلماتٍ يُتركونَ مَدَى الدَّهْرِ

مِنَ الظَّالِمِينَ اَعَدَدَ ثَلَاثًا وَبَعْدَهُ
عَدَدُنَا لِحَمْسٍ تَنْظُرُونَ وَبَابُهُ
وَمَوْعِظَةٌ تَظَاهِرُونَ فَثَامِنٌ
وَعَشْرٌ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ وَنَوْعُهُ
/١٤٧/ وَثَانٍ لِّعَشْرٍ فَالْعِظَامُ وَقَدْ أَتَى
فَلَا الْمُقَرَّنُونَ الْكَاطِمِينَ بِأَسْرِهِمْ
وَحِظًّا وَظِلًّا ظَاهِرَ الْإِثْمِ أَوْ أَتَى
وَأَلْحَقَ بِمَا قَدَّمَ لَهُ لِكَ أَنْفَاءً
وَقُلْ ظَمًا قَدْ جَاءَ تَظْمًا مِثْلَهُ
وَجَاءَتْ ثَلَاثٌ فِي ثَلَاثٍ وَأَصْلُهَا الـ
وَيَتَّبِعُ هَذَا ظِلٌّ فِي النَّحْلِ وَجَهُّهُ
وَطَهُ لَنَا فِيهَا الَّذِي ظَلَّتْ عَاكِفًا
فَفِي الشُّعْرَاءِ اثْنَانِ هَذَا وَقَدْ بَقِيَ
لِظَّلُّوا أَتَى فِي الرُّومِ تَمَمَ سَبْعَةٌ
إِذَا وَقَعَتْ فِيهَا فَظَلَّتُمْ تَكَمَّلَتْ
وَمَهْمَا أَتَى فِي الْبَابِ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ
وَفِي النَّحْلِ فَاقْرَأْ إِنْ تَشَاءُ يَوْمَ ظَعْنِكُمْ
وَحُرْفَانِ فِي الْقُرْآنِ لَا غَيْرَ فَاعْتَبِرْ
وَفِي اقْتَرَبَتْ بَعْدَ الْهَشِيمِ كَمِثْلِهِ
وَفِي الْكَهْفِ أَيْقَاطًا وَجَدْنَاهُ وَحْدَهُ
وَفِي الرُّومِ تَأْتِي تُظْهِرُونَ نَظِيرَهَا
/١٤٧ب/ وَتُظْهِرُونَ الظَّاءُ مِنْهَا شَدِيدَةٌ
وَشَدَّهْمَا فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِقَدْ سَمِعَ

يَظُنُونَ هَذَا رَابِعٌ فَاخْتَرْتُ ذِكْرِي
وَوَظَّلَ رَبِّي بِالْغَمَامِ فَمَا يَسْرِي
وَرَاءَ ظُهُورِ الْقَوْمِ تَسْعُ مِنَ الْوِثْرِ
كَذَا حَافِظُوا مَهْمَا تَصَرَّفَ لِلْمُقَرِّي
مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا فَثَلَاثَةُ الْعَشْرِ
وَفَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ فَالْحِظَّةُ بِالْفِكَرِ
بِمَعْنَى عَلَا أَوْ ظَاهَرِينَ مِنَ النَّصْرِ
لِذِي ظَفَرٍ أَيْضًا قُلْ انْتَظَرُوا أَمْرِي
وَوَظْمَانُ خَتَمُ الْبَابِ مِنْهُ لَدَى فِكْرِي
سَدَوا فُظِّلُوا أَوَّلَ التَّسْعِ فِي الْحَجَرِ
وَأَخْرُ فِي حِمِّ وَاسِطَةِ الزَّهْرِ
فَظَلَّتْ لَهَا أَعْنَاقُهُمْ خُضَّعَ النَّحْرِ
بِهَا فَنَظَّلَ اذْكُرْهُ لَا زَلَّتْ فِي يُسْرِ
فَيُظَلِّلْنَ فِي الشُّورَى رَوَاكِدَ لَا تَجْرِي
بِهَا التَّسْعُ لَا أَبْلَاكَ رَبُّكَ بِالْعُسْرِ
فَمَا ذَاكَ إِلَّا الضَّادُ هُنَيْتَ بِالْبِشْرِ
بِتَحْرِيكِ عَيْنِ الطَّعْنِ أَوْ جَزَمِهَا فَاسْرِ
بِسَبْحَانَ مَحْظُورًا مِنَ الْمَنَعِ وَالْحَجَرِ
وَلَيْسَ سِوَى الْحَرْفَيْنِ فِي الْبَابِ فَاسْتَبِرْ
وَفِي النُّورِ ذِكْرٌ لِلظَّهِيرَةِ قَدْ يَجْرِي
وَلَا ثَالِثٌ فِي الْبَابِ يَأْتِيكَ فَاسْتَقِرْ
مَعَ الْهَاءِ فِي الْأَحْزَابِ حَرْفُ أَبِي عَمْرٍو
وَيَقْرَأُ بِالتَّخْفِيفِ كَلًّا أَبُو بَكْرٍ

ووافق في التخفيف قوم لعاصم
وكل صواب وافق الحق قوله
وأظفركم في الفتح يلفظ واحد
شواظ أتى فرداً لظى فهي بعده
وجاءت أصول سبعة كل واحد
يعد على الترتيب فظاً وبعده
وبعدهما فاذهب إلى يوم ظعنكم
وأظفركم ما يلفظ القول سادس
وسبعة أبواب من الضاد شابهت
ضللنا وضلوا أو أضل ونضرة
كذا حاضري والمحضرون وشبهه
وغيض من التقصان فهي تمامها
وأشباهها بالظاء ظل فظلمت
وناظرة أو نظرة ثم واعظ
وما اختلف القراء فيما ذكرته
/١١٤٨/ ضنين بخيل وهي بالظاء تهممة
وتمت بحمد الله جل ثناؤه
وأسأل ربي عفو يوم جمعنا
وصلّى إله الناس ما دام ملكه
وكل رسول أو نبي وصحبهم
وما كان تأليف القريض صناعتي

وشدد قوم تابعوا مذهب البصري
لقد يسر القرآن ربك للذكر
بسورة ق فاستمع قول ذي الخبر
تلظى لها أخت وخاتمة الدر
ولا غيره في باب قل لمن يدري
لذي ظفر فاحفظه أيذت بالنصر
وبالكهف أيقاظ تدبره إذ تقري
شواظ تمام السبع جملت بالستر
لسبعة أبواب من الظاء في سبري
عضين ولا نفضوا بضاد ألا فادر
يحض من التحريض أعني على البر
فذي سبعة بالضاد قد صح في حصري
لظلوا فظلت ظلت في الخير واليسر
وغيط وفظ ثم حظ مع الحظر
سوى لفظة في كورت يا ذوي الحجر
جزى الله ذا العلم الجزيل من الأجر
وأشكره شكراً يدوم مع الدهر
ورضوانه والفوز في مجمع الحشر
على أحمد المبعوث بالنهي والأمر
وأباعهم من كان في البر والبحر
ومن بعدها قد تبت عن صنعة الشعر

تمت القصيدة والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلّم .

قال الشيخ أبو العباس أحمد بن حماد بن أبي القاسم :

نظرتُ في أصول ظاءات القرآن ، فوجدتُ منهنَّ ثمانية أصول تشابه لثمانية أصول من أصول الضاد ، فأخذتُ من كلِّ أصلٍ من أصول الظاءات كلمة ، فنظمتُ الثمان كلمات بيتاً ، ونظمتُ الثمان كلمات من أصول الضاد بيتاً ، وبدأتُ بالظاء ثم ثنيتُ بالضاد ، فقلتُ بحمد الله :

وَعَظْتُ لَفْظٌ غَاظُهُ حَظٌّ نَاطِرٍ	لَقَدْ ظَلَّ مَحْظُوراً كَمِثْلِ ظَنِينِ
يَحْضُ وَلَا نَفْضُوا ضَنِينٌ كَمُحْضَرٍ	وَغِيضَ وَضَلُّوا نَضْرَةً لِعِضِينِ

آخر الجزء

والحمد لله حقَّ حمده ، وصلى الله [على] سيدنا محمد رسوله وعبداه .

فهرس المصادر والمراجع

- المصحف الشريف .
- ١- أخبار النحويين البصريين : السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت : ٣٦٨هـ) ، تح : د. محمد إبراهيم البنا ، القاهرة ، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .
 - ٢- الاختيار في القراءات العشر : سبط الخياط البغدادي ، عبد الله بن علي (ت : ٥٤١هـ) ، تح : عبد العزيز السير ، الرياض ، (١٤١٧هـ) .
 - ٣- الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد : ابن مالك الطائي ، محمد (ت : ٦٧٢هـ) ، تح : حسين تورال وطه محسن ، النجف ، (١٩٧٢م) .
 - ٤- الاعتماد في نظائر الظاء والضاد : ابن مالك الطائي ، تح : د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ، (١٩٨٤م) .
 - ٥- الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء : أبو عبد الله الداني ، محمد بن أحمد بن سعود (ت : بعد سنة ٤٧٠هـ) ، تح : د. علي حسين البواب ، الرياض ، (١٩٨٧م) .
 - ٦- تاج العروس : الزبيدي ، محمد مرتضى (ت : ١٢٠٥هـ) ، المطبعة الخيرية - مصر ، (١٣٠٦هـ) .
 - ٧- تقريب النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ) ، تح : أنس مهرة ، مطابع البيان - دبي .
 - ٨- درة القاري للفرق بين الضاد والظاء : الرسعني ، عبد الرزاق بن رزق الله (ت : ٦٦١هـ) ، تح : د. محمد بن صالح البراك ، دار ابن عفان - الخير ، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) .
 - ٧- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : القيسي ، مكّي بن أبي طالب (ت : ٤٣٧هـ) ، تح : د. أحمد حسن فرحات ، عمّان ، (١٩٨٤م) .
 - ٨- زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء : الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت : ٥٧٧هـ) ، تح : د. رمضان عبد التواب ، بيروت ، (١٩٧١م) .
 - ٩- السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى (ت : ٣٢٤هـ) ، تح : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، (١٩٨٠م) .
 - ١٠- سر صناعة الإعراب : ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت : ٣٩٢هـ) ، تح : د. حسن هندراوي ، دمشق ، (١٩٨٥م) .
 - ١١- شرح أبيات الداني الأربعة في أصول ظاءات القرآن : مؤلف مجهول ، تح : د. حاتم صالح الضامن ، دمشق ، (١٩٩٤م) . فصله من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ٦٩م ، ج ٤ .
 - ١٢- شرح الهداية : المهدي ، أحمد بن عمّار (ت : نحو ٤٤٠هـ) ، تح : د. حازم سعيد حيدر ، الرياض ، (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .
 - ١٣- طبقات القراء : الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت : ٧٤٨هـ) ، تح : د. أحمد خان ، الرياض ، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

- ١٤- ظاءات القرآن : السرقوسي ، سليمان بن أبي القاسم (ت : نحو ٥٩١هـ) ، تح : د. حاتم صالح الضامن ، بغداد ، (١٩٨٩م) . فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ٤٠ ، ج ١ .
- ١٥- غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجزري ، محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ) ، نشر برتزل وبرجستراسر - القاهرة ، (١٩٣٢-١٩٣٥م) .
- ١٦- الفرق بين الحروف الخمسة : ابن السيد البطليوسي ، عبد الله بن محمد (ت : ٥٢١هـ) ، تح : عبد الله الناصر ، دمشق ، (١٩٨٤م) .
- ١٧- الكتاب : سيويه ، عمرو بن عثمان (ت : ١٨٠هـ) ، بولاق ، (١٣١٦-١٣١٧هـ) .
- ١٨- لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت : ١١١٠هـ) ، دار صادر - بيروت ، (١٩٦٨م) .
- ١٩- المبسوط في القراءات العشر : ابن مهران ، أحمد بن الحسين (ت : ٣٨١هـ) ، تح : سبيع حمزة حاكمي ، دمشق ، (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .
- ٢٠- مجاز القرآن : أبو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت : ٢١٠هـ) ، تح : محمد فؤاد سزكين ، القاهرة ، (١٩٥٤-١٩٦٢م) .
- ٢١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية ، عبد الحق (ت : ٥٤١هـ) ، المغرب ، (١٩٧٥-١٩٩١م) .
- ٢٢- معاني القرآن : الفراء ، يحيى بن زياد (ت : ٢٠٧هـ) ، ج ١ تح : نجاتي والنجار ، ج ٢ تح : النجار ، ج ٣ تح : شلبي ، القاهرة ، (١٩٧٢-١٩٥٥م) .
- ٢٣- معاني القرآن الكريم : النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت : ٣٣٨هـ) ، تح : الشيخ محمد علي الصابوني ، مكة المكرمة ، (١٤٠٨-١٤١٠هـ) .
- ٢٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار مطابع الشعب - القاهرة .
- ٢٥- معرفة الضاد والظاء : الصقلي ، أبو الحسن علي بن أبي الفرج القيسي (ق ٥هـ) ، تح : د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ، (١٩٨٥م) .
- ٢٦- منظومات أصول الظاءات القرآنية : د. طه محسن ، الكويت ، (١٩٨٦م) . مجلة معهد المخطوطات ، م ٣٠ ، ج ٢ .
- ٢٧- الموضح في وجوه القراءات وعللها : ابن أبي مريم ، نصر بن علي الشيرازي (ت : بعد ٥٦٥هـ) ، تح : د. عمر الكبيسي ، جدة ، (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) .
- ٢٨- النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، تصحيح الضباع ، مصر .
- ٢٩- نور القبس من المقتبس : اليعموري ، يوسف بن أحمد (ت : ٦٧٣هـ) ، تح : زلهام ، مط الكاثوليكية ، بيروت ، (١٩٦٤م) .
- ٣٠- الوجيز في شرح قراءات القرآنة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة : أبو علي الأهوازي ، الحسن بن علي (ت : ٤٤٦هـ) ، تح : د. دريد حسن أحمد ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، (٢٠٠٢م) .

جزء فيه الخلاف بين يحيى بن آدم والعلمي الأنصاري
لابي محمد هبة الله بن أحمد ابن طاووس البغدادي (ت: ٥٣٦ هـ)

تح: د. عمار أمين الددور*

التعريف بالبحث :

على مدى أربعة عشر قرناً ، والقرآن الكريم ما زال يُتلى غصاً طرياً كما أنزل ، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر : ٩] .

وما هذا الأثر ، الذي نقدمه اليوم لأول مرة لحملة كتاب الله وطلاب القراءات ، إلا ثمرة من ثمار هذا الحفظ الإلهي . وهو لهبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاووس البغدادي (ت : ٥٣٦ هـ) ، مضمونه الخلاف بين أصحاب يحيى بن آدم والعلمي الأنصاري في علم القراءات ، وقد أفرده مادته لرواية ما كان قد قرأه على والده من وجوه الخلاف في حروف من القرآن ، بين عشرة رواة من أصحاب يحيى بن آدم ، ويحيى بن محمد العلمي ، في قراءتهما عن أبي بكر شعبة ، عن عاصم .

وهذا الأثر من الآثار النادرة والنفيسة ، لتفرد مادته ، وندرة نسخته ، وهو المطبوع من ذكره ، وعدم تطرق أقلام المحدثين لذكره ، لذا ارتأيت أن ينال مني كل هذا الاهتمام ، ليكون بين أيدي القراء ، أهل الله وخاصته من الأنام ، ومن الله نستمد العون .

* نائب رئيس قسم المخطوطات في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ، ولد عام (١٩٦٣م) ، وحصل على درجة الماجستير عام (١٩٩٦م) ، ودرجة الدكتوراه عام (١٩٩٩م) في اللغة العربية وآدابها ، وكانت رسالته " المستنير في القراءات العشر لابن سوار البغدادي المتوفى عام (٤٩٦ هـ) : دراسة وتحقيق " .

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنزَلَ على عَبْدِهِ الْكِتَابَ ، هِدَايَةً وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، وَعَلَى آلِهِ وَالْأَصْحَابِ ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَهُ بِفِكْرٍ صَائِبٍ ، وَقَلْبٍ سَلِيمٍ أَوْابٍ .

وبعد فهذا أوَّلُ أثرٍ يَصِلُ إلينا من آثارِ أَبِي مُحَمَّدٍ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ طَاوُوسَ ، الْمُحَدِّثِ ابْنِ الْمُحَدِّثِ ، وَالْمُقَرَّرِ ابْنِ الْمُقَرَّرِ ، عَلَى حَدِّ وَصْفِ تَلْمِيذِهِ أَبِي طَاهِرِ السَّلْفِيِّ لَهُ ، وَهُوَ أَثَرُ نَادِرٍ وَفَرِيدٍ ، حَقَّقَ عَلَى نُسخَةٍ نَادِرَةٍ وَتَفِيصَةٍ ، هِيَ النُّسخَةُ الْأُمُّ ، الَّتِي كَتَبَهَا الْمُؤَلِّفُ بِقَلَمِهِ ، وَقَرَأَهَا عَلَى عَدَدٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ ، وَهُوَ مِنْ كُتُبِ الْقِرَاءَاتِ ، الَّتِي تَمْتَّازُ بِالرِّوَايَةِ لَا الدَّرَايَةِ ، رَوَى فِيهِ مُؤَلَّفُهُ مَا كَانَ قَدْ قَرَأَهُ عَلَى وَالِدِهِ مِنْ خِلَافٍ بَيْنَ عَشْرَةِ أَصْحَابِ لِرَاوِيَيْنِ مِنْ أَشْهَرِ الرِّوَاةِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ شُعْبَةَ عَنْ عَاصِمٍ ، وَهُمَا : يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، وَيَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِالْعُلَيْمِيِّ .

وَالْكِتَابُ نَادِرٌ وَمُهِمٌّ ، حَرِيٌّ بِالتَّحْقِيقِ ، وَإِجْهَادِ النَّفْسِ فِي الْقِيَامِ عَلَى خِدْمَتِهِ ، وَتَفْضِ غُبَارِ الْقُرُونِ عَنْهُ ، لِيَعُودَ إِلَى عَالَمِ النُّورِ مِنْ جَدِيدٍ ؛ وَفَاءً لِمُؤَلَّفِهِ الَّذِي لَمْ يَنْلِ حَقَّهُ مِنَ الْإِهْتِمَامِ عِنْدَ الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ ، عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ ، وَسُمُوِّ مَنْزِلَتِهِ ، فَهُوَ شَيْخُ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ عَسَاكِرَ ، وَأَبِي سَعْدِ السَّمْعَانِيِّ ، وَأَبِي طَاهِرِ السَّلْفِيِّ ، فَضْلًا عَمَّا تَفَرَّدَ بِهِ الْكِتَابُ عَنْ غَيْرِهِ فِيمَا حَوَاهُ . وَإِحْيَاءٌ لِأَثَرٍ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا عَنْ مُؤَلَّفِهِ سِوَاهُ .

اقتضت طبيعة تحقيق هذا الكتاب أن تكون على قسمين ، أُفِرِدَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْهَا لِدَرَاةِ الْمُؤَلِّفِ وَالْكِتَابِ ، وَأُفِرِدَ الْقِسْمُ الثَّانِي لِلنَّصِّ الْحَقِّقِ .

أما من حيث المصادر التي اعتمدتها في تحقيق نصِّه ، وبيان فضل مؤلفه ، فهي كتب التراجم والطبقات ، وكتب التفسير والقراءات .

ولعل أهمَّ هذه المصادر أثرًا فيه ، كتاب المستنير في القراءات العشر ، لابن سِوَارٍ

البغدادى (ت : ٤٩٦ هـ) ، الذى نلّ ، بفضل الله ، شرف تحقيقه ، فى رسائلى للدكتوراه لأنّ جلّ ما جاء فى هذا الكتاب منشور فى كتاب المستنير .

وسبب ذلك أنّ هبة الله بن طاووس روى مادة كتابه ، عن والده الذى رواها بدوره عن أبي علي الحسن بن علي بن عبد الله العطار ، وأبي علي الحسن بن أبي الفضل الشرمقاني ، وأبي الحسن علي بن محمد الحياط ، وهؤلاء الشيوخ ، هم أنفسهم الذين قرأ عليهم ابن سوار ، وروى عنهم الكثير مما جاء فى كتابه ، لذا فقد تطابقت مادة الكتابين فى كثير من المواضع ، وكان لكل واحد منهما فى الآخر أثر نافع .

وختاماً فالله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم .

المؤلف (١)

أولاً : اسمه وكنيته ونسبته :

هو أبو مُحَمَّد هَبَةُ اللَّهِ بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طاووس المقرئ البغدادي
الدمشقي الجيروني^(٢) .

ثانياً : ولادته ونشأته :

وُلِدَ هَبَةُ اللَّهِ بن طاووس ، في شهر صَفَر ، سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِئَةِ لِلْهَجْرَةِ^(٣) ،

(١) ينظر ترجمته في المصادر الآتية مرتبة ترتيباً زمنياً :

تاريخ حلب ص ٣٩٦ ، والأنساب (١٤٣/٢) ، ومعجم الشيوخ ، لابن عساكر
(١٢٠٦/٢) ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢٤/١٧) ، والتقيد لمعرفة رواة السنن والمسانيد
ص ٤٧٦ ، ومعجم البلدان (١٩٩/٢) ، مادة « جيرون » ، والكامل في التاريخ (٣٢٥/٩) ،
واللباب في تهذيب الأنساب (٣٢٢/١) ، ذكره في مادة « الجيروني » ، وطبقات الفقهاء الشافعية
لابن الصلاح (ذكره في ترجمة والده) (٣٤٧/١) ، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان (١٨١/٨) ،
ومختصر تاريخ دمشق (٦٥/٢٧) ، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠) ، وتهذيب سير أعلام النبلاء
(١٩٥/٣) ، والعبر في خير من غير (١٠١/٤) ، والإعلام بوفيات الأعلام (٣٥٨/١) ، وتاريخ
الإسلام ، حوادث سنة (٥٥٠-٥٥١) ص ١٢٧ ، وطبقات القراء (٧٥١/٢) ، وذيل تذكرة
الحفاظ ص ٧٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٢٤/٧) ، وطبقات الشافعية للأسنوي
(٦٣/٢) ، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير (٤٩٧/٢) ، ذكره في ترجمة والده ، والنجوم
الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٢٧٠/٥) ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (١١٤/٤) ،
وغاية النهاية (٣٤٩/٢) ، وتاج العروس في جواهر القاموس (٢٢٨/٦) .

(٢) نسبة إلى باب جيرون وهي محلة كانت تقع عند باب مدينة دمشق آنذاك ، وهي موطن سكناه .
ينظر : الأنساب (١٤٣/٢) ، ومعجم البلدان (١٩٩/٢) مادة « جيرون » ، وقرّة العيون في
أخبار باب جيرون ص ٤ وما بعدها ، وتاج العروس (٢٢٨/٦) .

(٣) ينظر : تاريخ الإسلام ، أحداث سنة (٥٤١) ص ٤٣٣ ، وطبقات القراء (٧٥٣/٢) ، وطبقات
الشافعية للسبكي (٣٢٤/٧) ، وغاية النهاية (٣٤٩/٢) .

وقيل سنة اثنتين وستين^(١) ، وذلك في مدينة دمشق ، بعد أن قدمها والده أحمد بن عبد الله البغدادي ، سنة إحدى وخمسين وأربع مئة للهجرة ، ليتخذ منها موطناً له^(٢) .

وتشأ في كنف والده الفقيه ، المقرئ ، المحدث ، وعنه أخذ القراءات السبع^(٣) ، ثم العشر^(٤) ، وسمع منه الحديث الشريف ، ثم التفت إلى علماء عصره ، ينهل منهم أصول علوم القرآن الكريم ، والحديث الشريف .

عمل هبة الله مؤذنًا في مسجد سوق الأحد^(٥) بدمشق ، وقيل مؤذناً للصبيان فيه^(٦) ، إلا أنه ترك ذلك بعد أن أوكلت إليه إمامة الجامع الأموي في مدينة دمشق ، وتصدر فيه لإقراء القرآن ، ورواية الحديث الشريف ، فانتفع به خلق كثير^(٧) .

ثالثاً : رحلته في طلب العلم :

شاء الله لهبة الله بن طاووس أن يرحل في طلب العلم إلى العراق وأصبهان ، بصحبة والده ، والفقيه نصر الله المصيصي ، (ت : ٥٤٢ هـ)^(٨) حين أرسلهما حاكم دمشق آنذاك السلطان تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، (ت : ٤٨٨ هـ)^(٩) برسالة إلى

-
- (١) ينظر : الأنساب (١٤٣/٢) . والمنتظم (٢٤/٧) ، ومرآة الزمان (١٨٢/٨/١) .
 (٢) ينظر : المنتظم (٥٣٦/١٧) ، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (٣٤٧/١) ، ومرآة الزمان (١٨٢/٨/١) .
 (٣) ينظر : تاريخ الإسلام ، حوادث (٥٤١) ص ٤٣٣ ، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠) .
 (٤) ينظر : غاية النهاية (٣٤٩/٢) .
 (٥) ويعرف بالمسجد العباسي . ينظر : ثمار المقاصد ص ٨٣ .
 (٦) ينظر : طبقات القراء (٧٥١/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٢٩) ، وغاية النهاية (٣٤٩/٢) .
 (٧) ينظر : الأنساب (١٤٣/٢) ، ومختصر تاريخ دمشق (٦٥/٢٧) ، وتاريخ الإسلام ، حوادث (٥٤١) ص ٤٣٢ .
 (٨) ينظر ترجمته في مسرد شيوخه .
 (٩) ينظر ترجمته في : تاريخ دمشق (٣٥/١١) ، وسير أعلام النبلاء (٨٣/١٩) ، وتاريخ الإسلام .

السُّلْطَانُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ مَلِكُ شَاهِ بْنِ السُّلْطَانِ أَلْبُ أَرْسَلَانَ ، (ت : ٤٨٥ هـ) ^(١) ، فَسَمِعَ خِلَالَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ بِالْأَنْبَارِ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبِ ، (ت : ٤٨٦ هـ) ^(٢) ، وَبِغَدَادٍ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ عَاصِمِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَاصِمِيِّ ، (ت : ٤٨٣ هـ) ^(٣) ، وَبِأَصْبَهَانَ مِنْ أَبِي مَنْصُورٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ شُكْرَوِيهِ الْقَاضِي ، (ت : ٤٧٦ هـ) ^(٤) ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَرُدُّ ذِكْرَهُمْ فِي مَسْرَدِ شُيُوخِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رَابِعاً : شُيُوخُهُ :

تَلَقَّى هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ طَاوُوسٍ عُلُومَهُ عَلَى جَمَهْرَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ شُيُوخِ عَصْرِهِ ، جُلُّهُمْ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ . اسْتَطَعْنَا ، بِفَضْلِ اللَّهِ ، أَنْ نَقِفَ عَلَى أَسْمَاءِ أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ ، نَذْكُرُهَا مَنْسُوقَةً عَلَى وَفْقِ حُرُوفِ الْهَجَاءِ :

- إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ ^(٥) .
- أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدِ الْأَصْفَهَانِيِّ ، الذَّكَّوَانِي ، أَبُو الْحَسَنِ (ت : ٤٨٤ هـ) ^(٦) .
- أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ طَاوُوسِ الْبَغْدَادِيِّ ، أَبُو الْبَرَكَاتِ ، وَالِدُ الْمُؤَلِّفِ ، (ت : ٤٩٢ هـ) ^(٧) .

-
- (١) يَنْظُرُ تَرْجُمَتَهُ فِي : الْمُنْتَظَمِ (٦٩/٩) ، وَ سِيرِ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ (٤٥/١٩) ، وَأَخْبَارِ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ ص ٥٥ ، وَمَعْجَمِ الْأَنْسَابِ وَالْأَسْرَاتِ الْحَاكِمَةِ ص ٥٢ .
- (٢) يَنْظُرُ تَرْجُمَتَهُ فِي مَسْرَدِ شُيُوخِهِ .
- (٣) يَنْظُرُ تَرْجُمَتَهُ فِي مَسْرَدِ شُيُوخِهِ .
- (٤) يَنْظُرُ تَرْجُمَتَهُ فِي مَسْرَدِ شُيُوخِهِ .
- (٥) تَارِيخُ دِمَشْقَ (١١٧/٤٤) .
- (٦) تَارِيخُ دِمَشْقَ (٢٥٢/٦) ، (٣٢٤/٢٦) ، (٤١٧/٥٦) ، (١٠٩/٥٨) ، (٣٧٠/٦٧) ، وَيَنْظُرُ : سِيرِ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ (١٠٣/٩) .
- (٧) تَارِيخُ دِمَشْقَ (٢٢٢/١) . وَطَبَقَاتُ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ لِابْنِ الصَّلَاحِ (٣٤٦/١) ، وَطَبَقَاتُ الْقُرَاءِ (٦٨٩/٢) ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِلْسَّبْكِ (٣٢٤/٧) .

- أحمد بن منصور بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد ، أبو العباس الغُسانی ، الفقيه المالكي ، المعروف بابن قبيس ، (ت : ٤٦٨ هـ) ^(١) .
- برکات بن إبراهيم بن طاهر ، أبو طاهر الخشوعي الدمشقي ^(٢) .
- جعفر بن أحمد بن الحسن بن أحمد السَّرَّاج البَغْدَادِي ، (ت : ٥٠٠ هـ) ^(٣) .
- الحسن بن أحمد بن الحسن بن مُحَمَّد بن عليّ بن مِهْرَة ، الأصبهاني ، أبو عليّ الحَدَّاد ، (ت : ٥١٥ هـ) ^(٤) .
- الحسن بن أحمد بن عبد الواحد بن مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد ، أبو عبد الله ، (ت : ٤٨٢ هـ) ^(٥) .
- الحسن بن مُحَمَّد بن الحسن السَّائِي ، أبو عليّ ، (ت : ٤٨٨ هـ) ^(٦) .
- حمد بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن مُحَمَّد بن مِهْران الحَدَّاد الأصبهاني ، أبو الفضل ، أخو أبو عليّ الحَدَّاد ، (ت : ٤٨٨ هـ) ^(٧) .

-
- (١) تاريخ الإسلام ح (٥٤١) ، ص ٤٣٢ ، وسير أعلام النبلاء (١٨/٢٠) ، والعبير (١٠١/٤) ، وشذرات الذهب (١١٤/٤) . وينظر : تاريخ دمشق (٣٢/٦) .
 - (٢) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ص ٢٢٠ .
 - (٣) تاريخ دمشق (٢٤٢/٧) ، (٦١/١٢) ، (١٢٩/٢٤) ، (٧٣/٣٦) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (٢٢٨/١٩) .
 - (٤) تاريخ دمشق (٢٢/٩) ، (٣٣٣/١٨) ، (٣٧١/٢٢) ، ومعجم الشيوخ (٢٢٧/١) ، (١٠١٧/٢) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (٣٠٣/١٩) .
 - (٥) تاريخ دمشق (٥٠/٥٥) ، (٤٥٧/٦٦) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (٢٢٨/١٩) .
 - (٦) تاريخ دمشق (٣٦٤/١٣) .
 - (٧) تاريخ دمشق (٢٠٩/٤٤) . وترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٠/١٩) .

- رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث التميمي ، البغدادي ، أبو مُحَمَّد ، (ت : ٤٨٨ هـ) ^(١) .

- سُبَيْعُ بْنُ الْمُسْلِمِ الدَّمَشْقِيُّ الْقُرَيْي ، أَبُو الْوَحْشِ ، (ت : ٥٠٨ هـ) ، قرأ عليه رواية ابن عامر ^(٢) .

- سليمان بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن سليمان الحافظ ، أبو مسعود ، (ت : ٤٨٦ هـ) ^(٣) .

- سهل بن بشر بن أحمد بن سعيد الإسفراييني الدمشقي ، أبو الفرج (ت : ٤٩١ هـ) ^(٤) .

- صَدَقَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّيِّفِ ، أَبُو الْقَاسِمِ ^(٥) .

- طِرَادُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيِّ النَّقِيبِ ، أَبُو الْفَوَارِسِ ، (ت : ٤٩١ هـ) ^(٦) .

(١) تاريخ دمشق (٤/٤٧) ، (٦/٢٤١) ، وسير أعلام النبلاء (١٨/٦٠٩) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٧/٣٢٤) .

(٢) طبقات القراء (٢/٧٥١) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/٣٦٠) ، وغاية النهاية (٢/٣٤٩) .

(٣) تاريخ دمشق (١/١٣١ ، ٢٦٥) ، (٤/٤٦) ، (٥/٤٢٧) ، وطبقات القراء (٢/٧٥١) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/٢٣) ، (٢٨/٩٨) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٤٣٢ ، وغاية النهاية (٢/٣٤٩) .

(٤) تاريخ دمشق (١٢/٣٩٣) ، (١٣/٣٦٠) ، (١٤/٦٣) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (١٩/١٦٢) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٢/٢٢٤) .

(٦) تاريخ دمشق (٣/٣٦٥) ، (٤/٦٨ ، ٣٥٥) ، (٦/٢١١) ، (٢٥/١٢٥) ، ومعجم الشيوخ (٢/٦٦٨ ، ١١٠٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/٣٧ ، ٣٨) .

- عاصم بن الحسن بن مُحَمَّد بن عليّ بن عاصم بن مِهْرَان العاصميّ البغداديّ الكرخي ، أبو الحسين ، (ت : ٤٨٣ هـ) ^(١) .
- عبد الباقي بن أحمد بن هبة الله البزار ، أبو الحسن ^(٢) .
- عبد الجليل بن عبد الجبار المروزي ، أبو المظفر ^(٣) .
- عبد الرزاق بن عبد الكريم بن عبد الواحد الحسنابادي ، أبو الفتح ^(٤) .
- عبد السّلام بن مُحَمَّد بن يوسف بن بندار القزويني ، البغداديّ ، أبو يوسف ، (ت : ٤٨٨ هـ) ^(٥) .
- عبد المحسن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عليّ بن أحمد ^(٦) .
- عبيد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري ، أبو القاسم ^(٧) .
- عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عثمان بن قريش البغداديّ النّصريّ البّناء ، أبو الحسن ، (ت : ٤٨٤ هـ) ^(٨) .

-
- (١) الأنساب (١٤٣/٢) ، وتاريخ دمشق (١٤٣/١ ، ٣١١) ، (٢٩٢/٣ ، ٣٦٦) ، وسير أعلام النبلاء (٥٩٨/١٨) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٤٣٢ ، وطبقات القراء (٧٥١/٢) .
- (٢) تاريخ دمشق (٦٨/٦ ، ٣٧٩) .
- (٣) تاريخ دمشق (٤٠/٢٤) .
- (٤) تاريخ دمشق (٢١٦/١) ، (١١٩/٣) ، وتاريخ الإسلام ، ح (٥٤١) ص ٤٣٢ .
- (٥) تاريخ دمشق (٢١٨/٣٦) ، وسير أعلام النبلاء (٦١٦/١٨) .
- (٦) تاريخ دمشق (٤٨٦/٣٦) .
- (٧) تاريخ دمشق (٣٤٠/٥) .
- (٨) تاريخ دمشق (١٧٣/٢٣) ، (٤١٣/١٨) ، (٣٢١/٤٠) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (٥١٨/١٨) .

- عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمِصِّيصِيِّ ، أَبُو الْقَاسِمِ (ت : ٤٨٧ هـ) ^(١) .

- عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى بْنِ شُعَيْبِ الشَّيْبَانِيِّ ، الْأَنْبَارِيِّ الْخَطِيبِ ، أَبُو الْحَسَنِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَخْضَرِ ، (ت : ٤٨٦ هـ) ^(٢) .

- فَضْلُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَيْهَنِيِّ ، أَبُو سَعِيدٍ ^(٣) .

- الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيِّ الْأَصْبَهَانِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، (ت : ٤٨٩ هـ) ^(٤) .

- مَالِكُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَلْبَاسِيِّ الْبَغْدَادِيِّ ، (ت : ٤٨٥ هـ) ^(٥) .

- مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجُرْجَانِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ^(٦) .

- مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَبَّانَ الْعَطَّارَ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ النَّحَّاسِ ^(٧) .

(١) الْأَنْسَابُ (١٤٣/٢) ، وَتَارِيخُ دِمَشْقَ (١٢٢/١ ، ١٣٤ ، ١٧٤) ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ ح (٥٤١) ص ٤٣٢ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٩٨/٢٨) .

(٢) الْأَنْسَابُ (١٤٣/٢) ، وَتَارِيخُ دِمَشْقَ (٣٥/٣) ، (١٨/٢٦) ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٦٠٥/١٨) ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ ح (٥٤١) ص ٤٣٢ .

(٣) تَارِيخُ دِمَشْقَ (١٩٧/٢٠) .

(٤) تَارِيخُ دِمَشْقَ (١٣٦/١٤) ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ ح (٥٤١) ص ٤٣٣ ، وَيَنْظُرُ : سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٨/١٩) .

(٥) تَارِيخُ دِمَشْقَ (٢٤٥/٣٠) ، (٣٢٨/٢٦) ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٩٨/٢٨) ، وَطَبَقَاتُ الْقُرَاءِ (٧٥١/٢) ، وَالْعَبَرُ (١٠١/٤) ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِلْسَّبْكِ (٣٢٤/٧) ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ (١١٤/٤) .

(٦) تَارِيخُ دِمَشْقَ (١١٣/٤) .

(٧) تَارِيخُ دِمَشْقَ (٢٨٩/١٢) .

- مُحَمَّد بن أحمد بن عليّ بن شكرويه الأصبهاني ، أبو منصور ، (ت : ٤٧٦ هـ) ^(١) .
- مُحَمَّد بن عليّ بن الحَسَن بن مُحَمَّد بن أحمد بن أبي عثمان البَغْدَادِي الدِّقَاق ، أبو الغنائم ، (ت : ٤٨٨ هـ) ^(٢) .
- مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد بن أبي عقيل الكَرَجِي الواعظ ، أبوبكر ، (ت : ٤٧٨ هـ) ^(٣) .
- مُحَمَّد بن المظفر بن بكران الشامي الحموي الشافعي ، قاضي القضاة ، أبو بكر ، (ت : ٤٨٨ هـ) ^(٤) .
- مسعود بن عليّ بن عليّ بن الحسين ، أبو عمرو ، المعروف بابن الملحي الأرْدُبِيلِي ^(٥) .
- نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي ، الفقيه ، الشافعي ، أبو الفتح ، (ت : ٤٩٠ هـ) ^(٦) .
- نصر بن أحمد بن عبد الله بن مقاتل البَطَر ، البَغْدَادِي البَزَّار القاري ، (ت : ٤٩٤ هـ) ^(٧) .

-
- (١) الأنساب (١٤٣/٢) ، وتاريخ دمشق (١٨٠/١) ، (٢٤٠/٤) ، وطبقات القراء ص ٧٥١ ، والعر (١٠١/٤) ، وغاية النهاية (٣٤٩/٢) ، وشذرات الذهب (١١٤/٤) .
 - (٢) تاريخ دمشق (٩٤/١) ، ٢٤٨ ، ٣٠١ ، (٢٣٣/٢) ، (٤٦٢/٣) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٤٣٢ .
 - (٣) تاريخ دمشق (٢٤٠/٥) ، (٤٣١/٥٤) .
 - (٤) تاريخ دمشق (١٠٧/١) ، وسير أعلام النبلاء (٨٥/١٩) .
 - (٥) تاريخ دمشق (١٢/٥٨) .
 - (٦) تاريخ دمشق (٢٤٠/٥٤) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٤٣٢ ، وينظر : سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩) ، وطبقات الشافعية للنسبكي (٣٢٤/٧) .
 - (٧) تاريخ دمشق (٢٩/٤) ، (٦٦/٥) . وسير أعلام النبلاء (٤٦/١٩) .

- نصر الله بن مُحَمَّد بن عبد القوي المصيصي ، أبو الفتح ، (ت : ٥٤٢ هـ) ^(١) .
- هبة الله بن عبد الرزاق بن مُحَمَّد بن عبد الله بن الليث الأنصاري ، الأوسي ، الأشلهي ، ثم السعدي البغدادي ، أبو الحسن ، (ت : ٤٩١ هـ) ^(٢) .
- هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن أحمد الشيرازي ، أبو القاسم ، (ت : ٤٨٦ هـ) ^(٣) .

خامساً : تلاميذه :

انتفع بهبة الله بن طاووس ، خَلَقَ كثيرٌ ، وكان من بين هؤلاء الخلق ؛ رجالٌ من أكابر أهل العلم ؛ كأبي طاهر السلفي ، وابن عساكر ، وأبي سعد السمعاني ، وغيرهم ، وقد وقفنا ، بفضل الله ، على أسماء عددٍ منهم ، نذكرها منسوقةً على وفقِ حروف الهجاء .

- أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الأصبهاني الجرواني ، أبو طاهر السلفي (ت : ٥٧٦ هـ) ^(٤) .
- أحمد بن هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاووس ، أبو المعالي ، نجل المؤلف ^(٥) .
- بيان بن أحمد بن إبراهيم المصري العطار ^(٦) .

(١) سير أعلام النبلاء (١١٨/٢٠) ، وطبقات السبكي (٣٢٠/٧) .
 (٢) تاريخ دمشق (٣٢٢/١٠) ، (٩٠/٢١) ، (٥/٤٤) ، وينظر : سير أعلام النبلاء (٤٤/١٩) .
 (٣) تاريخ دمشق (١١٨/٣٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٨/١٩) .
 (٤) ينظر : سير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠) ، (٥/٢١) ، وتاريخ الإسلام ج (٤٥١) ص ٤٣٣ ، وطبقات السبكي (٣٢٤/٧) .
 (٥) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب . فقد أثبت المؤلف بخطه أن ابنه أحمد قرأ عليه هذا الجزء .
 (٦) ينظر : صورة الورقة الأخيرة من المخطوط .

- خياط بن حسن بن حسين القزاز، أبو الوفا^(١).
- الخضر بن هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاووس، ابن المؤلف، (ت : ٥٧٨ هـ)^(٢).
- الخضر بن أحمد بن إبراهيم المصري العطار، أبو طالب^(٣).
- عبد الباقي بن محمد بن عبد الباقي^(٤).
- عبد الرحمن بن الحسن بن علي الشيباني الضرير، أبو القاسم^(٥).
- عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، أبو القاسم، المعروف بابن الحرستاني، (ت : ٦١٤ هـ)^(٦).
- عبد الكريم بن الحسن بن طاهر بن الحصني الحموي^(٧).
- عبد الكريم بن محمد بن منصور بن عبد الجبار التميمي السمعاني، أبو سعد، (ت : ٥٦٢ هـ)، مؤلف كتاب الأنساب^(٨).
- عبد الله بن عبد الباقي بن حبش، أبو منصور^(٩).

-
- (١) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .
 - (٢) ينظر : تاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٤٣٣ .
 - (٣) ينظر : صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا الكتاب .
 - (٤) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .
 - (٥) ينظر : صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا الكتاب .
 - (٦) ينظر : سير أعلام النبلاء (٨٠/٢٢)، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٥٣٣ .
 - (٧) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .
 - (٨) ينظر : الأنساب (١٤٣/٢)، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠، ٤٥٦)، وطبقات السبكي (٣٢٤/٧) .
 - (٩) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .

- عبد الوهاب بن علي بن منصور العلّيمي^(١) .
- عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، أبو القاسم ، (ت : ٥٧١ هـ) ، صاحب كتاب « تاريخ دمشق »^(٢) .
- مُحَمَّد بن حمزة بن علي السلمي ، أبو المعالي^(٣) .
- مُحَمَّد بن السيد بن فارس بن سعد بن حمزة بن أبي لقمة الأنصاري الدمشقي الصفّار ، أبو المحاسن ، (ت : ٦٢٣ هـ) ، وهو آخر أصحابه^(٤) .
- محفوظ بن أبي عبد الله الوزّان ، أبو القاسم^(٥) .
- القاسم بن عليّ بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، أبو مُحَمَّد ، (ت : ٦٠٠ هـ)^(٦) .
- وهب بن سليمان بن أحمد السُلَميّ^(٧) .
- أبو الفَرَج بن الحرّة الحموي^(٨) .

-
- (١) ينظر : صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا الكتاب .
- (٢) ينظر : سير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠ ، ٥٥٤) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٤٣٣ .
- (٣) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .
- (٤) ينظر : سير أعلام النبلاء ٩٨/٢٢ ، وتاريخ الإسلام ، حوادث ٥٤١ ، ص ٥٣٣ ، والعبر (١٠١/٤) ، وشذرات الذهب (١١٤/٤) .
- (٥) ينظر : صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا الكتاب .
- (٦) ينظر : سير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠) ، (٤٠٦/٢١) ، وتاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٥٣٣ .
- (٧) ينظر : صورة صفحة العنوان من مخطوطة هذا الكتاب .
- (٨) ينظر : تاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٥٣٣ . ولم أقف على ترجمة له .

سادساً: وفاته :

تُوفِيَ هَبَةُ اللَّهِ بن طاووس ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، ضَحْوَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الْحَرَمِ ، من سنة ست وثلاثين وخمس مئة ، للهجرة النبوية الشريفة ، ودُفِنَ في مَقْبَرَةِ الْفَرَادِيسِ بدمشق ، وحضر جنازته خلق كثير ، كان من بينهم تلميذه أبو سعد السَّمْعَانِي الَّذِي أَرَّخَ ذَلِكَ ، فقال : « ... ووفاته سنة ست وثلاثين وخمس مئة ، وشيعت جنازته إلى مَقْبَرَةِ باب الْفَرَادِيسِ ، ودُفِنَ بِهَا » ^(١) .

وقال أيضاً : « تُوفِيَ ضَحْوَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، سَابِعَ عَشَرَ الْحَرَمِ ، وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَشَيَّعْتُهُ إِلَى أَنْ دُفِنَ فِي مَقْبَرَةٍ لَهُ ، بِبَابِ الْفَرَادِيسِ ، وَكَانَ الْخَلْقُ كَثِيراً » ^(٢) .

سابعاً : ثناء العلماء عليه :

قال تلميذه أبو سعد السَّمْعَانِي : « كَانَ مُقْرَئاً ، فَاضِلاً ، ثِقَةً ، صَدُوقاً ، مُكْتَبَرًا مِنَ الْحَدِيثِ » ^(٣) .

وقال تلميذه الحافظ أبو القاسم بن عسّاكِر « وَكَانَ ثِقَةً ، حَسَنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ، صَحِيحَ الْإِعْتِقَادِ » ^(٤) .

وقال تلميذه الحافظ أبو طاهر السَّلْفِي : « هُوَ مُحَدِّثُ ابْنِ مُحَدِّثٍ ، وَمُقَرَّرُ ابْنِ

(١) الأنساب (١٤٣/٢) . وينظر : المنتظم (٢٤/٧) ، والكامل في التاريخ (٣٢٥/٩) ، ومختصر تاريخ دمشق (٦٥/٢٧) .

(٢) تاريخ الإسلام ج (٥٤١) ص ٤٣٣ ، وينظر : طبقات القراء (٧٥٢/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٢٠) .

(٣) الأنساب (١٤٣/٢) .

(٤) مرآة الزمان ق (١) ج (٨) ص ١٨٢ .

مُقرئ ، وكان ثقةً ، مُتصاوِنًا ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ «^(١)» .
وقال ابن الجوزي : « وكان مُقرئاً فاضلاً ، حَسَنَ التِّلَاوَةِ ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ ، وَأَمْلَى الْحَدِيثَ »^(٢) .

وقال ابن الأثير : « وكان رجلاً صالحاً ، فاضلاً »^(٣) .
وقال الحافظ الذهبي : « كَانَ مُقرئاً مُجَوِّداً ، حَسَنَ الْأَخْذِ ، ضَابِطاً ، مُتَصَدِّراً بِالْجَامِعِ مِنْ دَهْرٍ ، خَتَمَ عَلَيْهِ خَلْقٌ ، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ بِنَفْسِهِ ، وَنَسَخَ ، وَرَحَلَ ، وَأَمْلَى ، وَكَانَ صَدُوقاً ، صَحِيحَ السَّمَاعِ ، وَثَقَّةً ابْنُ عَسَاكِرَ ، وَوَصَفَهُ بِكَثْرَةِ السَّمَاعِ »^(٤) .
وقال أيضاً : « وَكَانَ ثَقَّةً مُحَقِّقاً ، حَسَنَ السِّيَرَةِ ، يَفْهَمُ الْحَدِيثَ وَالْقِرَاءَاتِ »^(٥) .
وقال ابن الجزري : « أُسْتَاذٌ ، عَالِمٌ ، مُحَقِّقٌ ، مُقرئٌ ، مُتَقِنٌ ، ثَقَّةٌ »^(٦) .

ثامناً : مؤلفاته :

يبدو أَنَّ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ طَاوُوسَ ، عَلَى عُلُوِّ كَعْبِهِ فِي عِلْمِيَّ الْحَدِيثِ ، وَالْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَةِ ، وَتَمَكَّنَهُ مِنْهُمَا ، لَمْ يُكْثِرْ مِنَ التَّأْلِيفِ فِيهِمَا ، إِذْ لَمْ تَقِفْ لَهُ إِلَّا عَلَى كِتَابَيْنِ فِي الْقِرَاءَاتِ ، هُمَا :

— جُزْءٌ فِيهِ الْخِلَافُ بَيْنَ قِرَاءَةِ يَحْيَى بْنِ آدَمَ ، وَالْعُلَمِيِّ : وَهُوَ هَذَا الْكِتَابُ وَسَيَأْتِي الْحَدِيثُ عَنْهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) تاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٤٣٣ .

(٢) المنتظم (٢٤/٧) .

(٣) الكامل في التاريخ (٣٢/٩) .

(٤) تاريخ الإسلام ح (٥٤١) ص ٤٣٢ .

(٥) طبقات القراء (٧٥٢/٢) .

(٦) غاية النهاية (٣٤٩/٢) .

- الهداية : وهو في القراءات العشر .

ذكره الذهبي في طبقات القراء (٧٥٢/٢) ، وقال : « وله كتاب الهداية في العشرة ، عامتها عن أبيه » .

وذكره ابن الجزري في غاية النهاية (٣٤٩/٢) ، وقال : « وقرأ على والده أبي البركات بالعشر ، وألف فيها كتاب الهداية » ولا زال هذا الكتاب مفقوداً .

الكتاب

أولاً : توثيق نسبة الكتاب للمؤلف :

لم يذكر أحد من أصحاب الطبقات والتراجم التي اطلعت عليها ، أن لهبة الله بن طاووس كتاباً في القراءات غير كتاب « الهداية » ، وقد سبق الحديث عنه ، إلا أن ذلك لا ينفي نسبة هذا الجزء إليه ، لما يأتي :

جاء على صفحة العنوان ما نصّه « جزء فيه الخلاف بين يحيى بن آدم والعلمي ، تأليف هبة بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طاووس البغدادي » .

وجاء عليها أيضاً ، بخط هبة الله « قرأ عليّ القرآن من أوله إلى آخره ، بجميع ما في هذا الجزء ، ابني أبو المعالي أحمد ، وسمعه ومن سمح له معه . وكتب هبة الله بن أحمد بن طاووس ، بخطه ، في ذي القعدة ... » .

وجاء في الصفحة الأخيرة « سمع جميع هذا الجزء من لفظ الشيخ الإمام الثقة أبي محمد هبة بن أحمد بن عبد الله بن طاووس رحمته الله أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن علي الشيباني الضرير ، وقرأ جميع القرآن بجميع ما فيه عن أبي بكر ، علي مصتفه .

وقرأ جميع القرآن بجميع ما فيه أيضاً على مصنفه ، كاتب السماع عبد الوهاب بن علي بن منصور العلّيمي .

وسمع معهما أبو طالب الخضر ، وبيان : ابنا أحمد بن إبراهيم المصري العطار ، وأبو القاسم محفوظ بن أبي عبد الله الوزان السلمي . وذلك في شوال سنة ثلاث عشرة وخمس مئة » .

- صرّح المؤلف باسم والده في أوّل المخطوط ، فقال : « فأما أبو حمدون فقرأت بها جميع القرآن على والدي الشيخ الإمام أبي البركات أحمد بن عبد الله بن علي بن طاووس رحمته الله ... » .

فهذا يدلُّ على أن الكتاب هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاووس البغدادي ، وإن لم تُشر إلى ذلك المصادر .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكتاب نسب في بعض المصادر الحديثة ، إلى هبة الله بن سلامة بن نصر البغدادي (ت : ٤١٠ هـ) ، وهو خطأ يبيّن تدفعه الأدلة المتقدمة ^(١) .

ثانياً: قيمة الكتاب العلميّة :

- للكتاب قيمة علمية كبيرة اكتسبها من عدّة جوانب ، يمكن تلخيصها فيما يأتي :
- مكانة مؤلفه المشهود له بالثقة والأمانة ، والتمكّن العلمي ولاسيما في الحديث والقراءات ، فضلاً عن تقدّمه ، إذ قضى حياته بين القرنين الرابع والخامس الهجريين .
- كونه أوّل أثرٍ من آثار المؤلف التي وصلت إلينا .
- تفرّد الكتاب بمادة علمية ، لم تكن مجتمعة في غيره كما هي فيه ، إذ جمع بين

(١) ينظر : استدراكات على تاريخ التراث العربي (١/١٥٣) .

دُفّتيه ، ما وقع من خلاف بين عشرة أصحاب ، لراويين من أشهر الرواة عن أبي بكر
شعبة عن عاصم ، وهما : يحيى بن آدم ، ويحيى بن محمد العليمي الأنصاري .

- كون مادته مروية بالتواتر ، فهي لم تجمع من بطون الكتب ، وإنما وصلت إلى
المؤلف عن طريق التلقين والمشافهة من والده ، الذي تلقّاها عن شيوخه بسند متصل إلى
أبي بكر شعبة ، ومنه إلى رسول الله ﷺ .

- كون المخطوطة التي وصلت إلينا ، هي نسخة المؤلف التي كتبها بخطه ، وقرأها
على عدد كبير من تلاميذه ، ولا يخفى ما لذلك من أهمية عند أهل التحقيق .

ثالثاً : منهجُ المؤلفِ في الكتاب :

إنّ أوّل ما تجب الإشارة إليه هنا ، هو أنّ الكتاب خلا من المقدمة التي من شأنها أن
تحمّل الإشارة إلى معالم منهج المؤلف ، لذا فليس من سبيل لذلك ، سوى مادة الكتاب
نفسه ، التي توحى للناظر فيها ابتداءً ، أنّها جعلت على قسمين :

ضمّ القسم الأوّل منها أسماء الرجال الذين وصلت القراءة إلى المؤلف من خلاهم ،
وهو ما يعرف عند أصحاب هذا الفنّ بالأسانيد .

وضمّ القسم الثاني أوجه الخلاف بين الرواة ، من غير فصل بين الأصول وفرش
الحروف .

أما القسم الأوّل :

فقد افتتحه المؤلف بالبسملة ، ثم الحمدلة ، ثم الصلاة على النبي ﷺ ثم ابتدأ كلامه
بعبارة تدلّ على مادة الكتاب ومحتواه ، جعلها فيما بعد عنواناً له ، وهي قوله : « ذكر
الخلاف بين أصحاب يحيى بن آدم و العليمي الأنصاري » ثم عدّد أسماء الرواة العشرة ،
الذين ورد ذكرهم في الكتاب ، بشكل مختصر ، ثم بعد ذلك أخذ في ذكر الأسانيد ،
مفصّلاً القول في أسماء رجال كل رواية على حدة ، ومرتباً إياها على وفق ما ورد ذكره

أَوَّلًا حِينَ عَدَدَ الرِّوَاةِ ، وَبَادِئًا كُلَّ رِوَايَةٍ بِاسْمِ وَالِدِهِ ، مَقْرُونًا بِالِدَعَاءِ لَهُ ، وَمُنْتَهِيًا بِأَبِي بَكْرٍ شُعْبَةً ، ثُمَّ أَوْصَلَ إِسْنَادَ أَبِي بَكْرٍ شُعْبَةً ، فِي الرِّوَايَةِ الْآخِرَةِ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمِصْطَلَحَاتُ الَّتِي دَأَبَ أَكْثَرُ مُؤَلِّفِي كُتُبِ الْقِرَاءَاتِ عَلَى اسْتِعْمَالِهَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَسْمَاءِ الْقُرَّاءِ وَالرِّوَاةِ عَنْهُمْ ، فَإِنَّ الْمُؤَلِّفَ لَمْ يَجْنَحْ لِهَذَا الْأَمْرِ ، وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ فِي ذَلِكَ عَلَى ذِكْرِ مَا اشْتَهَرَ بِهِ كُلُّ رَاوٍ ، سِوَاءِ أَكَانَ ذَلِكَ اسْمًا ، كَقَوْلِهِ : « يَحْيَى » لِيَحْيَى بْنِ آدَمَ ، أَوْ كُنْيَةً ، كَقَوْلِهِ : « أَبُو حَمْدُون » لِلطَّيِّبِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، أَوْ نِسْبَةً ، كَقَوْلِهِ : « الْعَلِيمِيُّ » لِيَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي :

فَقَدْ أَفْرَدَهُ الْمُؤَلِّفُ لَذِكْرِ مَا وَقَعَ بَيْنَ الرِّوَاةِ مِنْ خِلَافٍ فِي الْأَصُولِ وَفَرْشِ الْحُرُوفِ ، عَلَى تَرْتِيبِ الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ الْحُرُوفُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْخِلَافُ مَتَمَاثِلَةً ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُهَا مُجْتَمِعَةً عِنْدَ وَرُودِ أَوَّلِ حَرْفٍ مِنْهَا ، إِنْ كَانَتْ نَزْرَةً يَسِيرَةً ^(١) ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ قَالَ : حَيْثُ وَقَعَ ، أَوْ حَيْثُ كَانَ ^(٢) .

وَرَبَّمَا كَرَّرَ الْمُؤَلِّفُ ذِكْرَ مَا وَقَعَ مِنْ خِلَافٍ فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ ، عَلَى سَبِيلِ الْمَذَاكِرَةِ ، مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « ذُكِرَ » ^(٣) . وَقَدْ يَكْتَفِي بِقَوْلِهِ : « ذُكِرَ » ، مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ الْخِلَافِ ^(٤) ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ قَلِيلٌ .

كَمَا عَمَدَ الْمُؤَلِّفُ إِلَى ذِكْرِ قِرَاءَةِ الْأَقْلَرِ رَجَالًا ، مُشِيرًا إِلَى الْبَاقِينَ ، بِعِبَارَةٍ : « الْبَاقُونَ » ^(٥) ، وَرَبَّمَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ قَلِيلَةٍ ^(٦) .

(١) ينظر : سورة البقرة : ٥١ ، ٩٧ ، ١٨٩ ، والأنعام : ٧٦ ، والإسراء : ٨٣ .

(٢) ينظر : سورة البقرة : ٨١ ، ١٨٥ ، والنساء : ٣ ، والأنعام : ٥٠ .

(٣) ينظر : سورة يونس : ١٩ ، والنور : ٣١ ، والسجدة : ٥١ ، والتحفة : ٤ ، والحاقة : ٣ .

(٤) ينظر : سورة النمل : ٦ ، ١٠ .

(٥) ينظر : سورة البقرة : ٥١ ، ٨١ ، ١٤٢ ، ١٨٩ ، ٢٤٥ ...

(٦) ينظر : سورة آل عمران : ٨١ ، والأنعام : ١٠٩ ، والأعراف : ١٨ ، ويونس : ٧٨ ...

ثم اختتم المؤلف كتابه بعبارة تشير إلى بلوغه النهاية فيه ، فقال : « تمّ الخلاف » ثم حمد الله ، وصلى على نبيّه ، ﷺ .

رابعاً : مخطوطة الكتاب :

نسخة نفيسة و نادرة ، من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ، تقع ضمن مجموع ، يشتمل على (٢٥) رسالة ، رقمه (٣٧٦٣) ، تشغل (٨) ورقات من (٢٦٥-٢٧٢) ، في كلّ ورقة نحو (١٦) سطراً ، رقت بمداد أسود ، وقلم نسخي معتاد . عنوانات الموضوعات فيها بارزة والإعجام فيها قليل .

كتب عليها وقف باسم أبي عبد الله بن هامل الحرّاني ، على المدرسة الضيائية ، القائمة آنذاك بسفح جبل قاسيون ^(١) .

وكتب عليها أيضاً سماعات مؤرّخة ، بعضها بخط المؤلف ، هذا نصّها :

« سمع جميع هذا الجزء من لفظ الشيخ الإمام الثقة أبي محمد هبة بن أحمد بن عبد الله ابن طاووس رحمته ، أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن علي الشيباني الضريّر ، قرأ جميع القرآن بجميع ما فيه عن أبي بكر ، على مصنّفه .

وقرأ جميع القرآن بجميع ما فيه أيضاً على مصنّفه ، كاتب السّماع عبد الوهاب بن علي بن منصور العليمي .

وسمع معهما أبو طالب الخضر ، وبيان : ابنا أحمد بن إبراهيم المصري العطار ، وأبو القاسم محفوظ بن أبي عبد الله الوزان السلمي . وذلك في شوال سنة ثلاث عشرة وخمس مئة » . كتب هذا السماع في نهاية المخطوطة .

وكتب في أولها : « سمع جميع هذا الجزء من لفظ الشيخ الثقة الإمام أبي محمد هبة الله بن

(١) للوقوف على أخبار هذه المدرسة ، ولعرفة العلماء الذين وقفوا كتبهم عليها ؛ ينظر : الدارس في تاريخ المدارس (٩١/٢) وما بعدها ، والقلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية (١٣٤/١) وما بعدها ، ومناداة الأطلال ومسامرة الخيال ص ٢٤٢ .

أحمد بن عبد الله بن علي بن طاووس المقرئ رحمته :

- ولده أبو المعالي أحمد .

والشيوخ :

- أبو المعالي محمد بن حمزة بن علي السلمي ،

- وأبو محمد عبد الكريم بن الحسن بن طاهر بن الحصني الحموي ، وقرأ بجميع ما فيه .

- وأبو منصور عبد الله بن عبد الباقي بن حبش ، وقرأ بجميع ما فيه من الروايات .

- وكاتب السماع عبد الباقي بن محمد بن عبد الباقي بن ... ^(١) وقرأ القرآن بجميع

ما فيه من الروايات .

وَسَمِعَ مع الجماعة : أبو الوفا حناط بن حسن بن الحسين ... ^(٢) ، ووهب بن

سليمان بن أحمد السلمي . وذلك في شوال سنة إحدى وعشرين وخمس مئة » .

« قرأ عليّ القرآن من أوله إلى آخره ، بجميع ما في هذا الجزء ، ابني أبو المعالي أحمد ،

وَسَمِعَهُ ومن سُمِحَ له مَعَهُ . وكتب هبة الله بن أحمد بن طاووس ، بخطه ، في ذي القعدة ،

[سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة] ... » ^(٣) .

وقد تبين لنا من خلال هذه السّماعات ، أنّ هذه النّسخة هي نسخة المؤلف التي

كان يقرأها على تلاميذه ، بل ترجح لدي أنها النسخة الأم ، لتطابق خطّ السّماع المدوّن

بخطّ المؤلف ، مع خط المخطوطة من حيث الرسم ^(٤) .

ولا تفوتني الإشارة هنا إلى أنّ مركز السيد جمعة الماجد للثقافة والتراث ، يقتني

(١) أهملت ذكر ثلاث كلمات ، تركت الخيار في قراءتها للقارئ . ينظر : صورة صفحة العنوان .

(٢) أهملت ذكر كلمة واحدة ، رسمت من غير إعجام . ينظر : صورة صفحة العنوان .

(٣) أسقط المصوّر ، غفر الله له ، السطر الأخير الذي فيه التاريخ ، وأبقى أجزاءً من حروفه .

واستدركت ذلك من فهرس مجاميع المدرسة العمرية ص ١٣٤ .

(٤) ينظر : فهرس مجاميع المدرسة العمرية ص ١٣٤ .

صورة فلمية عن هذه المخطوطة ، برقم (٢٣٩٠) ، وهي التي اعتمدتها في التحقيق ، فله يعود الفضل في إخراجها .

مَنْهَجُ التَّحْقِيقِ

- حرَّرتُ النَّصَّ على وَفْقِ قواعد الإملاء المعروفة اليوم ، في قسم من الكلمات من غير إشارة إلى ذلك .
- ربما اقتضى سياق الكلام أن أضيف بعض الكلمات في المتن بين معقوفتين من كتاب المستنير لتطابق نصّه مع نصّ المخطوط .
- راعيت في كتابة الآيات القرآنية رَسْمَ المصحف الشريف ، وضبطتها على وَفْقِ ما قرأ به القارئ .
- أثبتُّ أرقام الآيات القرآنية الواردة في موضعها من كل سورة ، في الحاشية لِيَقْرُبَ الوقوفُ عليها . أما الآيات التي ذُكِرَتْ في غير موضعها فقد خرَّجتها في الهامش مع الإشارة إلى عدد مرات ورودها في القرآن .
- ترجمت للأعلام الذين ذكروا في الكتاب ترجمة مختصرة ، اقتصرت فيها على ذكر اسم العَلَمِ تاماً ، وسنة وفاته ، و بعض المصادر التي ترجمت له .
- بذلت جهدي في توثيق قراءة كلِّ راوٍ وردت في الكتاب من مصادرها الأصلية .
- عرّفت بالمصطلحات التي تحتاج إلى بيان وإيضاح .
- استعملت بعض المصطلحات والرموز في المتن ، دلالتها كالاتي :

[] لخصر الزيادات .

/ ١٠/ للدلالة على بداية وجه الورقة الأولى ، وهكذا

/ ١١ظ/ للدلالة على بداية ظهر الورقة الأولى ، وهكذا

﴿ ﴾ لخصر الآيات الكريمة .

الحمد لله رب العالمين و صلي الله على سيدنا محمد الذي ادرى الله من تسليما
 د خيرة الخلافة بين اصحاب الحسين ادرى العلم
 و هم ابو جندون و ابو هسان الرفاعي و شعيب
 الصريفي و الوضعي و حلف هسان
 و العلي بن طربن و الطبري و الحامي و المصاحفي
 و السوسنجري و القطان و فاما ابو جندون
 معات و صاحب العران علي و الذي السج الامام
 الى البرطات احمد عبد الله بن علي بن طاروس رضي الله عنه
 و افرى به قزاقا علي بن الحسن عبد الله العطار و الى
 علي الحسين بن ابي الفضا الشيرازي و الى الحسن بن محمد الحامط
 قال و احبزو في افرى و ابا علي بن الحسن بن افرى
 الحامي و افرى الذي رضي الله عنه قال و افرى ابو علي العطار
 افرى و افرى علي بن القزح عبد الملك القطان الهنزي و قزاقا
 الحامي القطان علي بن ابي الحسن بن افرى و قزاقا

صورة ظهر الورقة الأولى

٥٧٢

طرفي الختاني وابو هشام والعلم زالا دغادر
 نسوزة الخاق ٥ روى ابو هشام والوضعي طريق
 الحمامي وجليف بن طربوا بر فارس وما ادنا ان مالا ماله حش
 كان وولد حش ٥ نسوزة التطوير ٥ روى يحيى
 شعرت بالحنين ٥ نسوزة العباسية ٥
 ابقوا على قولنا تصبطين بالصاد ٥

في الخلاف

والله حمد ملوانه على سبوا محمد بن محمد
 كما دعي ما الدعي الولد
 ٩ سمع جميع هذا الخبر لفظ الشيخ الامام القمي
 محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن فارس بن يحيى
 ابو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن علي بن النسيان القمي
 ٩ وفرا جميع الفزار جميع ما دعي ابني علي بن محمد
 وفرا جميع الفزار جميع ما دعي ابني علي بن محمد
 السماع عبد الرهاب بن علي بن منصور العلوي سمع
 معهما ابو طالب الخف وبيان ابنا احمد بن محمد بن محمد
 العطار و ابو القاسم محفوظ بن ابي عبد الله الزراني
 السامعي ذلك سأل عنه ثلاث عشرة ومائة

صورة وجه الورقة الأخيرة

جزء فيه الخلاف بين يحيى بن آدم والعلمي الأنصاري

/٢٦٥ ظ/ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي ، وآله وسلّم تسليماً .

ذكر الخلاف بين أصحاب يحيى بن آدم ^(١) ، والعلمي ^(٢) .

وهم :

أبو حمّادون ^(٣) ، وأبو هشام الرفاعي ^(٤) ، وشعيب الصّريفي ^(٥) ، والوكيعي ^(٦) ،
وخلف بن هشام ^(٧) .

(١) ابن سليمان بن خالد (ت : ٢٠٣ هـ) : المستنير ص ٩٩ ، وغاية النهاية (٢/٣٦٤) ، وشذرات الذهب (٢/٢٨) .

(٢) يحيى بن محمد الأنصاري العلمي ، أبو محمد ، مقرئ الكوفة في عصره (ت : ٢٤٣ هـ) : تاريخ بغداد (١٢/٢٠٥) ، والمستنير ص ٩٥ ، وطبقات القراء (١/٢٣٧) .

(٣) الطيب بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي التراب الذهلي البغدادي (ت نحو : ٢٤٠ هـ) : تاريخ بغداد (٩/٣٦٢) ، وطبقات القراء (١/٢٥١) ، وغاية النهاية (١/٣٤٣) وسيأتي نسبه كاملاً .

(٤) محمد بن يزيد بن محمد بن رفاعه الرفاعي (ت : ٢٤٨ هـ) : الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ٩١٣ ، وتاريخ بغداد (٣/٣٧٣) ، وتهذيب التهذيب (٣/٧٣٥) ، وينظر : المستنير ص ٩٨ . وسوف يأتي نسبه كاملاً في نهاية سند روايته .

(٥) شعيب بن أيوب بن زريق الصّريفي ، الواسطي (ت : ٢٦١ هـ) : الجرح والتعديل (٤/٣٤٢) ، والكمال ق (٦٧) ، وميزان الاعتدال (٢/٢٧٥) .

(٦) إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حفص بن الجهم ، الوكيعي (ت : ٢٨٩ هـ) : تاريخ بغداد (٦/٥) ، والمستنير ص ٩٧ ، وغاية النهاية (١/٧) .

(٧) ابن طالب بن غراب بن ثعلب الصّلحي ، أحد القراء العشرة (ت : ٢٢٩ هـ) : المستنير ص ١٥٤ ، وطبقات القراء (١/٢٤٥) ، وغاية النهاية (١/٢٧٢) .

والْعُلَيْمِيُّ ^(١) : من طريق : الطُّبْرِي ^(٢) ، وَالْحَمَّامِيُّ ^(٣) ، وَالْمَصَاحِفِيُّ ^(٤) ،
وَالسُّوسَنجَرْدِيُّ ^(٥) ، وَالْقَطَّانُ ^(٦) .

فَأَمَّا أَبُو حَمْدُون :

فقرأت بها ^(٧) جميع القرآن ، علي والدي الشَّيْخ الإمام أبي البركات أحمد بن عبد الله
ابن طاووس رحمته ، وأخبرني أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا عَلِيُّ أَبِي عَلِيِّ الْحَسَنِ [بن علي] بن عبد الله
العَطَّار ، وأبي علي الحسن بن أبي الفضل الشَّرْمَقَانِي ، و أبي الحسن علي بن مُحَمَّد
الْحَيَّاط ^(٨) .

قال : وأخبروني ^(٩) أَنَّهُمْ قَرَأُوا بِهَا عَلِيُّ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو الْحَمَّامِيِّ .

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) إبراهيم بن أحمد الطُّبْرِي ، أبو إسحاق (ت : ٣٩٣ هـ) : تاريخ بغداد (١٩/٦) ، وطبقات
القرء (٤٥٣/١) ، وغاية النِّهَاية (٥/١) .

(٣) علي بن أحمد بن عمر المقرئ (ت : ٤٠٥ هـ) : طبقات القرء (٤٧٦/١) ، وغاية النِّهَاية
(٥٢١/١) .

(٤) عُبَيْدُ اللَّهِ بن عمر بن مُحَمَّد بن عيسى ، أبو الفرج البغدادي (ت : ٤٠١ هـ) : تاريخ بغداد
(٣٨٠/١٠) ، وطبقات القرء (٤٧٥/١) ، وغاية النِّهَاية (٤٩٠/١) .

(٥) أحمد بن عبد الله بن الخضر بن مسرور السُّوسَنجَرْدِي (ت : ٤٠٢ هـ) : طبقات القرء
(٤٦٠/١) ، وغاية النِّهَاية (٧٣/١) .

(٦) عبد الملك بن بكران بن عبد الله بن العلاء النَّهْرَوَائِي الْقَطَّانُ (ت : ٤٠٤ هـ) : تاريخ بغداد
(٤٣١/١٠) ، والمستنير ص ٣١ ، وطبقات القرء (٤٦٩/١) ، وغاية النِّهَاية (٤٦٧/١) .

(٧) الضمير عائد على محذوف مقدر ، طلباً للاختصار ، وتقدير الكلام : فأما رواية أبي حمدون
فقرأت بها ...

(٨) ابن علي بن فارس البغدادي ، (ت بعد : ٤٥٠ هـ) : المستنير ص ٣٠ ، وغاية النِّهَاية (٥٧٣/١) .

(٩) الخير في المستنير ص ٩٩ .

وأخبرني والدي رحمه الله ، قال: وأخبرني ^(١) أبو عليّ العطار ، أنّه قرأ بها على أبي الفرج عبد الملك القطان التّهرواني ، وقرأ الحمّامي والقطان على أبي عيسى بكار بن بكار ^(٢) ، وقرأ ٢٦٦/و/ بكار على أبي عليّ الحسن بن الحسن الصّوّاف ^(٣) ، وقرأ الصّوّاف على أبي حمّدون الطّيب بن إسماعيل الذهلي القصّاص ، وقرأ أبو حمّدون على يحيى بن آدم ، وقرأ يحيى على أبي بكر بن عيّاش ^(٤) .

رواية أبي هشام الرّفاعي :

قرأت بها مع غيرها على والدي رحمه الله ، وأخبرني أنّه قرأ بها على أبي عليّ العطار . قال : وأخبرني ^(٥) أنّه قرأ بها على أبي حفص الكتّاني ، مع رواية الجُرّبي ^(٦) . قال : وأخبرني أنّه قرأ بها على أبي القاسم زيد بن أبي بلال ^(٧) ، وأنّ زيدا قرأ على أبي

(١) الخبر في المستنير ص ٩٩ .

(٢) ابن بيان البغدادي (ت : ٣٥٣ هـ) : تاريخ بغداد (١٣٤/٧) ، وطبقات القرّاء (٣٨٩/١) .

(٣) البغدادي المقرئ (ت : ٣١٠ هـ) : تاريخ بغداد (٢٩٧/٧) ، وتذكرة الحفاظ (٧٥٩/٢) ، وغاية النّهاية (٢١٠/١) .

(٤) ابن سالم الحنّاط ، أسديّ ، كوفيّ : طبقات ابن سعد (٢٦٩/٦) ، وطبقات القرّاء (١٣٥/١) ، وغاية النّهاية (٣٢٥/١) .

(٥) الخبر في المستنير ص ٩٦-٩٧ .

(٦) مُحمّد بن جعفر بن مُحمّد بن عبد الله ، أبو عبد الله الجُرّبي (ت بعد : ٣٢٠ هـ) : طبقات القرّاء (٣٧٦/١) ، ونسبته فيه الحربي ، وغاية النّهاية (١١١/٢) ، وينظر : المستنير ص ٩٧ . وسيأتي نسبه تاماً بعد قليل .

(٧) زيد بن علي بن أحمد بن مُحمّد بن أبي بلال الكوفي (ت : ٣٥٨ هـ) : تاريخ بغداد (٤٤٩/٨) ، وطبقات القرّاء (٣٩١/١) .

القاسم عبد الله بن عبد الجبار^(١) ، وأن أبا القاسم قرأ على أبي جعفر أحمد بن منصور المرادي^(٢) ، وقرأ أبو جعفر على القاضي أبي هشام محمد بن يزيد بن رفاعة الرِّفَاعِيِّ .

قال أبو هشام : وقرأت على يحيى بن آدم ، عن أبي بكر بن عيَّاش .

رواية شُعَيْب الصَّرِّيفِيِّ :

قرأت بها مع غيرها على والدي ، نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، في سنة سِتٍّ وثمانين وأربع مئة ، وأخبرني أَنَّهُ قرأ بها ، جميع القرآن ، على أبي عليّ العطار ، وأبي عليّ الشَّرْمَقَانِيِّ .

قال : وأخبراني^(٣) أَنَّهُمَا قرأ بها على أبي حفص عمر بن إبراهيم بن أحمد / ٢٦٦ ظ / ابن كثير المقرئ ، المعروف بالكُتَّانِيِّ^(٤) .

قالا : وأخبرنا أَنَّهُ قرأ بها القرآن على أبي عبد الله مُحَمَّد بن جعفر المقرئ ، المعروف بالجرِّي ، وأن أبا عبد الله ، قرأ على أبي جعفر أحمد بن عليّ البزاز^(٥) ، وأن أبا جعفر قرأ على أبي عون مُحَمَّد بن عمر بن عون الوَاسِطِيِّ^(٦) .

قال^(٧) : قرأت على شُعَيْب بن أيوب الصَّرِّيفِيِّ ، وقرأ الصَّرِّيفِيُّ على يحيى بن آدم بن سُلَيْمَانَ ، وقرأ يحيى على أبي بكر بن عيَّاش .

(١) لم أقف عليه إلَّا في : المستنير ص ٩٨ ، وغاية النِّهاية (٤٢٦/١) ، وليس فيهما تاريخ وفاته .

(٢) ينظر : المستنير ص ٩٨ ، وغاية النِّهاية (١٣٩/١) .

(٣) ينظر : المستنير ص ٩٦ .

(٤) توفي سنة (٣٩٠ هـ) : تاريخ بغداد (٢٦٩/١١) ، وطبقات القراء (٤٥١/١) .

(٥) كذا ذكر اسمه في المستنير ص ٩٧ ، وطبقات القراء (٣٧٦/١) ذكره في ترجمة شيخه الجري ، وغاية النِّهاية (٨٨/١) .

(٦) توفي قبل (٢٧٠ هـ) : تاريخ بغداد (١٣٠/٣) ، وطبقات القراء (٢٨٤/١) ، وغاية النِّهاية (٢٢١/٢) .

(٧) أي : الواسطي .

[رواية] شُعَيْب الصَّرِيفِي من طريق الوَاسِطِي :

قرأت بها مع غيرها على والدي ﷺ ، وأخبرني أَنَّهُ قرأَ بها على أبي الحسن عليّ بن مُحَمَّد الخياط المقرئ .

وأخبرني أَنَّهُ قرأَ بها على أبي بكر أحمد بن المزكى الوَاسِطِي ^(١) ، نحو : عشر ختم .

وأخبرني أَنَّهُ قرأَ بها على أصحاب يوسف بن يعقوب الوَاسِطِي ^(٢) . منهم : أبو حَمْدُون وأحمد بن معدّ الوَاسِطِي ^(٣) .

وقرؤوا هؤلاء على يوسف بن يعقوب ، وقرأَ يوسف على شُعَيْب بن أيوب الصَّرِيفِي وقرأَ شُعَيْب على يحيى بن آدم .

كأني قرأت بها على أبي عليّ العطار ، وأبي عليّ الشَّرمقاني ؛ لأنَّهما في طبقة والدي ﷺ ، في هذه الرواية .

رواية الوَكَيْعِي :

قرأت بها مع غيرها على والدي / ٢٦٧ و / ﷺ ، وأخبرني أَنَّهُ قرأَ بها على أبي عليّ العطار ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَع مئة ، وعلى أبي عليّ الشَّرمقاني ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَع مئة .

قال ^(٤) : وأخبراني ^(٥) أَنَّهُما قرأَ بها على أبي حفص الكَتَّانِي .

(١) لم أقف عليه .

(٢) يوسف بن يعقوب بن الحسين بن يعقوب بن خالد بن مهران الواسطي (ت : ٣١٣ هـ) : تاريخ بغداد (٣١٩/١٤) ، وطبقات القراء (٣٠٤/١) ، وغاية النِّهاية (٤٠٤/٢) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) أي والد المؤلف .

(٥) وأخيرا بذلك ابن سوار أيضاً . ينظر : المستنير ص ٩٦ .

قالا ^(١) : وأخبرنا ^(٢) أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُجَاهِدٍ الْمَقْرِيُّ ^(٣) ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو الْوَكَيْعِيِّ عَنْ أَبِيهِ ^(٤) ، عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ .

قال ابنُ مُجَاهِدٍ ^(٥) : وَأَخْبَرَنِي أَيْضاً ابْنُ شَاكِرٍ ^(٦) ، عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ بِالْكِتَابِ إِلَى آخِرِ سُورَةِ الْكَهْفِ .

رواية الْوَكَيْعِيِّ مِنْ طَرِيقِ الْحَمَّامِيِّ :

قَرَأْتُ بِهَا عَلَى وَالِدِي ﷺ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْخِطَّاطِ .

قال : وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْحَمَّامِيِّ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي طَاهِرِ عَبْدِ الْوَاحِدِ ^(٧) ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا عَلَى ابْنِ مُجَاهِدٍ .

ورواها ابنُ مُجَاهِدٍ عَنْ الْوَكَيْعِيِّ ^(٨) ، عَنْ [أَبِيهِ عَنْ] ^(٩) يَحْيَى بْنِ آدَمَ .

(١) أي الشرمقاني والعتار .

(٢) الخير في : السبعة في القراءات ص ٩٤ .

(٣) مؤلف كتاب السبعة في القراءات (ت : ٣٢٤ هـ) : طبقات القراء (١/٣٣٣) ، وغاية النهاية (١/١٣٩) .

(٤) أحمد بن عمر بن حفص ، أبو إبراهيم الْوَكَيْعِيُّ ، البغدادي ، الضَّرِير (ت : ٢٣٥ هـ) : غاية النهاية (١/٩٢) .

(٥) السبعة في القراءات (٩٤) .

(٦) عبد الله بن مُحَمَّد بن شَاكِر الْعَبْدِي الْبَغْدَادِي ، أبو الْبَخْتَرِي : السبعة ص ٦٩ ، وغاية النهاية (١/٤٤٩) .

(٧) عبد الواحد بن عمر بن مُحَمَّد بن أَبِي هَاشِم (ت : ٣٤٩ هـ) : طبقات القراء (١/٣٩١) ، وغاية النهاية ... ووقع اسمه في المخطوط : أحمد بن عبد الواحد .

(٨) ينظر : السبعة في القراءات ص ٩٤ .

(٩) سقطت من المخطوط في هذا الموضع ، وذكرت قبل قليل في رواية الْوَكَيْعِيِّ ، وهي في : السبعة في القراءات ص ٩٤ .

وكانّ والدي ﷺ ، قرأ بها على أبي الحسن الحمّامي ، لأنّ شيخ والدي في هذه الرواية مثل الحمّامي .

رواية خلف بن هشام البزار :

قرأت بها مع غيرها على ٢٦٧/ظ والدي ﷺ ، وأخبرني أنّه قرأ بها على أبي عليّ العطار ، وأبي عليّ الشّرمقاني ، وأبي الحسن الحياط .

قال : وأخبروني أنّهم قرؤوا بها على أبي بكر محمّد بن عبد الله بن أحمد بن المرزبان الأصبهاني ^(١) .

وأخبرهم أنّه قرأ بها على أبي بكر عبد الله بن محمّد بن محمّد بن فورك بن عطاء ^(٢) .

وقرأ ابن فورك على أبي الحسن محمّد بن أحمد بن أيوب بن الصّلت بن شنبوذ ^(٣) ،

وقرأ ابن شنبوذ على إدريس الحدّاد ^(٤) ،

وقرأ إدريس على خلف البزار ،

وقرأ خلف على يحيى .

رواية العلّيمي من طريق الحمّامي :

قرأت بها مع غيرها على والدي ﷺ ، وأخبرني أنّه قرأ بها ، جميع القرآن ، على

(١) ويعرف أيضاً بأبي شيخ (ت : ٤٣١ هـ) : طبقات القراء (٥٩٢/٢) ، وغاية النّهاية (١٧٥/٢) .

(٢) القباب (ت : ٣٧٠ هـ) : الأنساب (٤٣٨/٤) ، وغاية النّهاية (٤٥٤/١) .

(٣) شيخ الإقراء في العراق (ت : ٣٢٨ هـ) : معجم الأدباء (١٦٧/١٧) ، وطبقات القراء

(٣٤٣/١) ، وسير أعلام النبلاء (٢٦٤/١٥) .

(٤) إدريس بن عبد الكريم الحدّاد ، أبو الحسن (ت : ٢٩٢ هـ) : تاريخ بغداد (١٤/٧) ، وتذكرة

الحفاظ (١٦٥٤/٢) ، وغاية النّهاية (١٥٤/١) .

أبي عليّ العطار ، وأبي عليّ الشَّرمَقاني ، وأبي الحسن الخياط .
 قال : وأخبروني أنَّهم قرؤوا بها على أبي الحسن الحَمَّامي .
 قالوا : وأخبرنا أنَّه قرأ بها على أبي الحسن عليّ بن مُحَمَّد بن جعفر بن خُلَيع الخياط ،
 المعروف بالقلانسي ^(١) ،

وقرأ القلانسيُّ على أبي بكر يوسف بن يعقوب بن الحسن الواسطي ^(٢) ،
 وقرأ أبو بكر على أبي مُحَمَّد يحيى بن مُحَمَّد العلَّيمي الأنصاري الكوفي ،
 وقرأ العلَّيمي على حماد بن أبي زياد ،
 وقرأ حماد على عاصم ،

وقرأ حماد بعد وفاة ٢٦٨ هـ / عاصم ، على أبي بكر بن عياش .
 وأخبرني والدي ﷺ ، قال : أخبرني أبو عليّ الشَّرمَقاني ، وأبو الحسن بن فارس
 الخياط ، جميعاً عن الحَمَّامي ، أنَّ العلَّيمي قرأ على أبي بكر بعد وفاة حماد .

رِوَايَةُ الْعُلَيْمِيِّ مِنْ طَرِيقِ الطَّبْرِيِّ :

قَرَأْتُ بِهَا مَعَ غَيْرِهَا عَلَى وَالِدِي ﷺ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي عَلِيٍّ
 الشَّرمَقاني .

قال : وأخبرني أنَّه قرأ بها القرآن ، من أوَّله إلى آخره ، على أبي إسحاق الطَّبْرِيِّ ،
 قال : وأخبرني أنَّه قرأ بها على أبي الحسن القلانسي ،

(١) (ت : ٣٥٦ هـ) : طبقات القراء (١/٣٩٠) ، وغاية النِّهاية (١/٥٦٦) .

(٢) المعروف بأبي بكر الأصم (ت : ٢٠٠ هـ) : تاريخ بغداد (١٤/٣١٩) ، والمستتير ص ٩٤ ،
 وطبقات القراء (١/٣٠٤) .

وَقَرَأَ الْقَلَانِسِي ، عَلَى أَبِي بَكْرٍ يَوْسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ الْوَاسِطِي ،
وَقَرَأَ يَوْسُفَ عَلَى الْعُلَيْمِي .

رواية العُلَيْمِي من طريق المصاحفي :

قَرَأْتُ بِهَا مَعَ غَيْرِهَا عَلَى وَالِدِي ﷺ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا ، جَمِيعَ الْقُرْآنِ ، عَلَى
أَبِي عَلِيٍّ الْعَطَّارِ ، وَأَبِي الْحَسَنِ الْخِطَّاطِ .

قال : وأخبراني أَنَّهُمَا قَرَأَا بِهَا عَلَى أَبِي الْفَرَجِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ الْمَصَاحِفِي ،
وَقَرَأَ الْمَصَاحِفِيُّ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْقَلَانِسِي .

رواية العُلَيْمِي من طريق السُّوسَنجَرْدِي والقَطَّان :

قَرَأْتُ بِهَا مَعَ غَيْرِهَا عَلَى وَالِدِي ﷺ ، / ٢٦٨ ظ / ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي
عَلِيٍّ الْعَطَّارِ .

قال : وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَضِرِ السُّوسَنجَرْدِي ،
وعلى أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ^(١) الْمَلِكِ بْنِ بَكْرَانَ الْقَطَّانِ النَّهْرَوَانِي ،

قال : وأخبراني أَنَّهُمَا قَرَأَا بِهَا عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْقَلَانِسِي ،

وَقَرَأَ الْقَلَانِسِي عَلَى يَوْسُفَ ،

وَقَرَأَ يَوْسُفَ عَلَى الْعُلَيْمِي ،

وَقَرَأَ الْعُلَيْمِي عَلَى حَمَّادِ ،

وَقَرَأَ حَمَّادٌ بَعْدَ وَفَاةِ عَاصِمٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ شُعْبَةَ بْنِ عِيَّاشِ ،

وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَاصِمٍ ،

وَقَرَأَ عَاصِمٌ عَلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ^(٢) ،

(١) في الاصل : عبيد . والصواب ما أثبتناه ، ينظر : ق ٢٦٥ ظ من هذا الكتاب ، وتاريخ بغداد
(٤٣٠/١٠) ، وطبقات القراء (٤٩٦/١) ، وغاية النهاية (٤٦٧/١) .

(٢) عبد الله بن حبيب السُّلَمِيُّ الضَّرِير (ت : ٧٤ هـ) : المعارف ص ٥٢٨ ، ونكت اُهميان ص ١٧٨ .

وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلِيُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ^(١) ، ^(٢) ،
وَقَرَأَ عَاصِمٌ عَلِيُّ زَيْدُ بْنُ حُبَيْشٍ ^(٣) ،
وَقَرَأَ زَيْدٌ عَلِيُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ^(٤) ،
وَقَرَأَ عَلِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ، عَلِيُّ النَّبِيِّ ﷺ .

[٢] سورة البقرة

٥١- قَرَأَ يَحْيَى فِي رِوَايَةِ شُعَيْبِ الصَّرِفِينِيِّ ^(٥) ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ ، ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ ^(٦) بالإظهار ^(٧) إلا في أربعة مواضع منها ، ثلاثة منها في هذه السورة (٥١ ، ٨٠ ، ٩٢) ، وموضع في الكهف (٧٧) . الباقي بالإدغام ^(٨) ، حيث وقع ^(٩) .

-
- (١) توفي ﷺ سنة (٤٠ هـ) : حلية الأولياء (٦١/١) ، والإصابة (٥٠٧/٢) .
(٢) زر بن حُبَيْش بن حَبَاشَةَ ، الأَسَدِي ، الكُوفِي (ت : ٨٢ هـ) : طبقات خليفة ص ١٤٠ ، وغاية النهاية (٢٩٤/١) .
(٣) الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ ، توفي ﷺ سنة (٣٢ هـ) : طبقات ابن سعد (١٥٠/٣) ، وأسد الغابة (٣٨٤/٣) .
(٤) ينظر : المستنير ص ١٨١ .
(٥) سورة آل عمران : ٨١ .
(٦) الإظهار : هو « أن يؤتى بالحرفين المُصَيِّرَيْنِ جُسمًا واحدًا ، منطوقًا بكل واحد منهما على صورته ، موفًى جميع صفته ، مخلصًا إلى كمال بنيته » . مرشد القارئ ص ٧٧ ، والتمهيد ص ٦٩ .
(٧) ينظر في قراءة الباقي : المستنير ص ١٨١ ، والنشر (١٦/٢) . والإدغام هو « أن ترفع اللسان عن حرفين مثلين ، أو متقاربين ، إذا كان الأول منهما ساكنًا ، والثاني متحركًا ، رفعة واحدة ، لا فصل بينهما بحركة ، وذلك طلبًا للتخفيف ؛ إذا كان اللفظ بالحرفين مستثقلًا » . المستنير ص ١٥٧ ، وينظر : التحديد ص ١٠١ ، ومرشد القارئ ص ٧٧ ، والتمهيد ص ٦٩ .
(٨) أي حيث وقع الفعلان المذكوران مسندين إلى تاء الفاعل المتحركة ، وجملة ورود الأول منهما في كتاب الله ، أحد عشر موضعًا ، أولها المذكور . وجملة الثاني ثمانية مواضع ، أولها في آل عمران : ٨١ . ينظر : المعجم المفهرس ص ١٦-١٨ ، مادة (أخذ) .

١٠٢- أمال^(١) أبو هشام الرّفاعي^(٢) ﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾ هنا خاصة .

٥٥ ، ١٦٥- وروى خلف عن يحيى^(٣) ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ﴾ ﴿وَلَوْ يَرَى﴾^(٤) الَّذِينَ ﴿

وما أشبه ذلك بالإمالة^(٥) .

٨١- وروى أبو حمّادون عن يحيى^(٦) ﴿بَلَى﴾ بالإمالة حيث وقع^(٧) . الباقون

بالتفخيم^(٨) .

(١) الإمالة : « عبارة عن ضدّ الفتح ، وهي نوعان : إمالة صغرى ، وإمالة كبرى ، فالإمالة الصغرى : حدّها أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر قليلاً . والإمالة الكبرى : حدّها أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر كثيراً ، ونهاية ذلك الصرف ألاّ يبالغ فيه ، حتى تنقلب الألف ياءً » . مرشد القارئ ص ٢٨٢ ، وينظر : جمال القراء ص ٤٩٨ ، وشرح شعلة على الشاطبية ص ١٧٤ .

(٢) المستنير ص ٢٧٩ .

(٣) المستنير ص ٢٧٠ .

(٤) من المصحف الشريف ، و في الأصل (تَرَى) بالناء ، وبها قرأ نافع ، وأبو جعفر من طريق النهرواني ، وابن عامر ، ويعقوب . ينظر : المستنير ص ٢٧٤ ، والإرشاد ص ٢٣٧ ، والكنز ص ٣٥٦ .

(٥) أي أنّه أمال الألف الواقعة بعد راء مفتوحة ، وجاء بعدها ساكن . ينظر : المستنير ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٦) المستنير ص ٢٣٤ ، والنشر (٤٢/٢) .

(٧) جملة في كتاب الله اثنتان وعشرون مرّة ، أولها المذكور ، ينظر : معجم الأدوات والضمائر ص ٢١٦ « بلى » .

(٨) هذا المصطلح يستعمله القراء في الدلالة على أمرين ، الأول : بمعنى الفتح الذي هو عكس الإمالة ، وهو المراد هنا ، والثاني : بمعنى التغليب الذي هو عكس الترفيق . ينظر : التوضيح في التجويد ص ١١٠ ، والتمهيد في علم التجويد ص ٧٢ ، والنشر (٣١/١) .

١٨٥ ، ١٩٨ - وأمال خلف^(١) ﴿ هَذَنُكُمْ ﴾ و ﴿ يَهْدَنُهُمْ ﴾ حيث كان .
وأخبرني والدي ٢٦٩/و/ رحمه الله ، عن ابن فارس^(٢) بالإمالة في الأنعام (٩٠) ،
والحجرات (١٧) فقط .

٩٧ ، ٩٨ - روى يحيى^(٣) ﴿ لَجَبْرَيْلَ ﴾ ﴿ وَجَبْرَيْلَ ﴾ بغير ياء بعد الهمزة على
وزن (جبرعل)^(٤) .

واختلف عنه في التَّحْلَةِ^(٥) :

فقرأت لشُعَيْبٍ وَالْوَكَيْعِيِّ^(٦) من طريق الكَتَّانِي ، مثل حمزة^(٧) على وزن
(جبرعل) .

وقرأت لأبي هِشَامٍ بِالْوَجْهِينِ . ولمن بقي من أصحاب يحيى بغير ياء .

الْعُلَيْمِيِّ^(٨) : مثل حمزة^(٩) ، هنا ، وفي التَّحْلَةِ .

(١) ينظر المستنير ص ٢٨٧ ، وفيه أن خلفاً عن يحيى أمال ﴿ كَمَا هَذَنُكُمْ ﴾ البقرة : ١٩٨ ، وفي أن
هَذَنُكُمْ ﴿ الحجرات : ١٧ . حسب .

(٢) أبو الحسن الخياط . مرّ .

(٣) السبعة ص ١٦٧ ، والمستنير ص ٢٧٨ ، والتجريد ص ١٩١ .

(٤) وضبطها كما في المستنير ص ٢٧٨ « بفتح الجيم والراء ، وبعدها همزة مكسورة ... » .

(٥) هي سورة التحريم .

(٦) المستنير ص ٢٨٧ ، وينظر : النشر (٢١٩/٢) .

(٧) أي بفتح الجيم والراء ، وبعد الراء همزة مكسورة ، بعدها ياء ساكنة ، السبعة ص ٦٤ ،
والتجريد ص ١٩١ ، والبدور الزاهرة (١٥٩/١) .

(٨) التجريد ص ١٩١ .

(٩) ينظر : انصدر السابق وما قبله .

١٤٢- وروى شُعَيْبٌ مِنْ طَرِيقِ الْكُتَّانِيِّ ، وَأَبُو هِشَامٍ وَالْوَكِيعِيُّ وَخَلَفٌ مِنْ طَرِيقِ الْعَطَّارِ ﴿ مَا وَلَّهُمْ ﴾ بِالْإِمَالَةِ . الْبَاقُونَ بِالتَّفْخِيمِ ^(١) .

١٨٩- روى أَبُو حَمْدُونُ ، وَالصَّرَّيفِيُّ ، وَالْوَكِيعِيُّ إِلَّا الْكُتَّانِي : بِكَسْرِ الْبَاءِ مِنْ ﴿ آلِیُوتَ ﴾ ^(٢) ، وَ[الْعَيْنُ مِنْ] ^(٣) الـ ﴿ عِیُونَ ﴾ ^(٤) ، وَ[الْغَيْنُ مِنْ] ^(٥) ﴿ آلِغُیُوبَ ﴾ ^(٦) .

و[الْجِيمُ مِنْ] ^(٧) ﴿ جِیُوبِیْنَ ﴾ ^(٨) ، وَ[الشَّيْنُ مِنْ] ^(٩) ﴿ شِیُوحَا ﴾ ^(١٠) .
الْبَاقُونَ وَهُمْ : الصَّرَّيفِيُّ ، وَالْوَكِيعِيُّ جَمِيعاً مِنْ طَرِيقِ الْكُتَّانِيِّ ، وَأَبُو هِشَامٍ ، وَخَلَفٌ ، وَالْعُلَيْمِيُّ : بِكَسْرِ الْبَابِ ^(١١) إِلَّا ﴿ جِیُوبِیْنَ ﴾ فَإِنَّهُ بِالضَّمِّ ^(١٢) .
٢٤٥- وروى الصَّرَّيفِيُّ وَالْوَكِيعِيُّ جَمِيعاً مِنْ طَرِيقِ الْكُتَّانِيِّ ﴿ وَيَسْطُ ﴾ بِالسَّيْنِ .
الْبَاقُونَ : بِالصَّادِ ^(١٣) .

(١) ينظر : السبعة ص ١٦٧ ، والروضة ص ٤٤٣ ، والمستنير ص ٢٧٨ .

(٢) وردت في ست وثلاثين موضعاً ، أولها المذكور . ينظر : المعجم المفهرس ص ١٤٠ ، « بيت » .

(٣) زيادة من السبعة ص ١٧٩ ، والمستنير ص ٢٨٦ يقتضيها السياق .

(٤) وردت في تسعة مواضع ، أولها في الحجر : ٤٥ . ينظر : المعجم المفهرس ص ٤٩٥ « عين » .

(٥) زيادة من السبعة ص ١٧٩ ، والمستنير ص ٢٨٦ يقتضيها السياق .

(٦) وردت في أربعة مواضع ، في سورة المائدة : ١٠٩ ، ١١٦ ، والتوبة : ٩٨ ، وسبأ : ٤٨ .

(٧) زيادة من السبعة ص ١٧٩ ، والمستنير ص ٢٨٦ ، يقتضيها السياق .

(٨) سورة النور : ٣١ . ليس غير .

(٩) زيادة من السبعة ص ١٧٩ ، والمستنير ص ٢٨٦ ، يقتضيها السياق .

(١٠) سورة غافر : ٦٧ . ليس غير .

(١١) أي بكسر حروف أوائل كلمات هذا الباب .

(١٢) ينظر : المستنير ص ٢٨٦ ، والكامل ق (١٦٧) ، والمبهم ق (٧١) .

(١٣) ينظر : المستنير ص ٢٩١ ، والكامل ق (١٧٠) .

٢٨٣- روى أبو هِشَام^(١) ﴿الَّذِي أَوْثَمَنَ﴾ بالإشارة^(٢) إلى ضمِّ الهمزة ، وبه قرأت .

سورة آل عمران [٣]

٨١- روى حَلَفٌ عن يحيى^(٣) ﴿عَلَى ذَالِكُمْ إِصْرِي﴾ بضمِّ الهمزة .

سورة النساء [٤]

٣- روى حَلَفٌ^(٤) : ﴿مَثْنَى﴾ بالإمالة ، حَيْثُ وقع^(٥) .

سورة المائدة [٥]

١٦- اتَّفَقُوا عَلَى كَسْرِ الرَّاءِ ، من قوله تعالى : ﴿مَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾^(٦) . /٢٦٩ظ/

(١) ينظر : السبعة ص ١٩٤ ، والمستنير ص ٢٩٩ .

(٢) اختلفت مذاهب القراء في معنى الإشارة على ثلاثة أقوال :

الأول : أنها تعني الروم ، وإليه ذهب ابن مجاهد .

والثاني : أنها تعني الإثمام ، وإليه ذهب أبو الفرج بن شَبُود .

والثالث : أنها تعني الروم والإثمام كليهما ، وهو رأي الجمهور ، منهم أبو عمرو الداني ، إذ

يقول : والإشارة عندنا تكون روماً وإثماماً ، وذهب ابن الجزري إلى أن دلالتها على الروم أقوى .

النشر ص ٢٩٦-٢٩٨ ، وينظر : التيسير ص ٢٦ .

(٣) المستنير ص ٣٠٨ ، ورواها ابن مجاهد وغيره عن أبي بكر شعبة عن عاصم ، من طريق معلى بن

منصور . ينظر : السبعة ص ٢١٤ ، والمختصر ص ١٩ .

(٤) المستنير ص ٣١٧ .

(٥) جملته ثلاثة مواضع : المذكور ، وسبأ : ٤٦ ، وفاطر : ١ .

(٦) الروضة ص ١٥٣ ، والمستنير ص ٣٠٣ ، وزاد المسير (١/٣٦٠) . والكسر لغة قريش . ينظر :

معاني القرآن وإعرابه (١/٣٨٤) .

سورة الأنعام [٦]

٢٣- روى العُلَيْمِيُّ^(١) ، والصَّرِيفِيُّ من طريقِ الوَاسِطِيِّ ﴿ثُمَّ لَمَّا تَكُنْ بِالْبَاءِ .
الْباقون^(٢) : بالتاء .

٥٠- وروى أبو هِشَامٍ ، وَخَلَفُ^(٣) ، وَالْوَكِيعِيُّ من طريقِ الحَمَّامِيِّ ﴿الْأَعْمَى .
بالإمالة ، حيث وقع^(٤) . وَأَتَّفَقُوا عَلَى الْإِمَالَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ^(٥) (٧٢) .

٧٦- وروى يحيى^(٦) ﴿رَأَى كَوْكَبًا .

وفي هود (٧٠) ﴿رَأَى أَيْدِيَهُمْ .

وفي يوسف (٢٤ ، ٢٨) ﴿رَأَى بُرْهَنَ . ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ .

وفي طه (١٠) ﴿رَأَى نَارًا .

وفي والنجم (١١ ، ١٨) ﴿مَا رَأَى . ﴿لَقَدْ رَأَى .

فذلك سَبْعَةُ مَوَاضِعَ : بكسرِ الرَّاءِ ، وإمالةِ الهمزة ، في جميع ذلك .

تَابَعَهُ الْعُلَيْمِيُّ^(٧) فِي ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾ خَاصَّةً .

(١) الروضة ص ٥١٨ ، والمستنير ص ٣٣٤ ، والتجريد ص ٢١٦ .

(٢) ينظر : بحر العلوم (٤٧٨/١) ، والكامل ق (١٨٦) ، والمستنير ص ٣٣٤ .

(٣) المستنير ص ٣٣٦ ، وينظر : الكامل ق (٩١) .

(٤) وقع في أربعة عشر موضعاً : أولها المذكور . وفي هود : ٢٤ ، والرعد : ١٦ ، ١٩ ، والإسراء :

٧٢ موضعان ، وطه : ١٢٤ ، ١٢٥ ، والنور : ٦١ ، وفاطر : ١٩ ، وغافر : ٥٨ ، ومحمد :

٢٣ ، والفتح : ١٧ ، وعبس : ٢ . ينظر : المعجم المفهرس ص ٤٨٨ « عمي » .

(٥) هي سورة الإسراء .

(٦) المستنير ص ٣٣٧ ، والتجريد ص ١٦٦ ، والنشر (٤٤/٢) .

(٧) الروضة ص ٣٣٧ ، والمستنير ص ٣٣٧ ، والتجريد ص ١٦٦ ، وغاية الاختصار (٢٧٩/١) .

فَإِنْ اتَّصَلَ بِمَكْنِيِّ ، مِثْلُ : ﴿ رَأَيْكَ ﴾ ^(١) ، وَ﴿ رَأَاهَا ﴾ ^(٢) ، وَ﴿ رَأَاهُ ﴾ ^(٣) ؛ فَكَسَرَ الرَّاءَ ، وَأَمَّا الهمزة : يَحْيَى غَيْرُ الصَّرِيْفِيِّ ، وَالْوَكَيْعِيُّ ، جَمِيعاً مِنْ طَرِيقِ الْكُتَّانِيِّ . الْبَاقُونَ : بَفَتْحِ الرَّاءِ وَالْهَمْزَةِ ^(٤) .

٩٢- وَرَوَى حَلَفٌ ^(٥) ﴿ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ ﴾ عَلَى الْجَمْعِ .

١٠٩- وَرَوَى الْعُلَيْمِيُّ ، وَالْوَكَيْعِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْكُتَّانِيِّ ، أَحَدَ الْوَجْهَيْنِ عَنْ حَلَفٍ ﴿ إِنَّهَا إِذَا ﴾ بِكَسْرِ الهمزة ^(٦) .

سورة الأعراف [٧]

١٨- رَوَى حَلَفٌ ^(٧) ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ ﴾ بِكَسْرِ اللَّامِ .

٦٩- وَاتَّفَقُوا عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ﴾ بِالضَّادِ ^(٨) .

١١١- أَبُو حَمْدُونٌ ^(٩) ﴿ أَرْجَيْتُهُ ﴾ بِالْهَمْزِ ، وَالضَّمُّ ^(١٠) ، مِنْ غَيْرِ إِشْبَاعٍ ، مِثْلُ

(١) سورة الأنبياء : ٣٦ .

(٢) سورة النمل : ١٠ ، وَالْقَصَصُ : ٣١ .

(٣) وَقَعَ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ ، هِيَ : النمل : ٤٠ ، وَالنجم : ١٢ ، وَالتكوير : ٢٣ ، وَالْعَلَقُ : ٧ .

(٤) يَنْظُرُ : الْمُسْتَنِيرُ ص ٣٣٨ ، وَالنَّشْرُ (٤٦/٢) .

(٥) الرُّوضَةُ ص ٢٨ ، وَالْمُسْتَنِيرُ ص ٣٣٩ .

(٦) يَنْظُرُ : الْمُسْتَنِيرُ ص ٣٤٠ .

(٧) الْمُسْتَنِيرُ ص ٣٤٧ .

(٨) يَنْظُرُ : الْمُسْتَنِيرُ ص ٣٥٠ .

(٩) الْمُسْتَنِيرُ ص ٣٥١ ، وَغَايَةُ الْإِخْتِصَارِ (٣٨٥/١) . وَيَنْظُرُ : السَّبْعَةُ فِي الْقُرْآنِ ص ٢٨٨ ، فَقَدْ

رَوَاهَا ابْنُ مَجَاهِدٍ كَذَلِكَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ مِنْ طَرِيقِ هَارُونَ بْنِ حَاتِمٍ عَنْ حُسَيْنِ الْجَعْفِيِّ ، وَجَاءَ فِي الْحِجَّةِ

لِلْقُرْآنِ السَّبْعَةُ (٥٨/٤) : « وَقَالَ خَلَفٌ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ هَمْزُهَا وَرَفَعَ الْهَاءَ » .

(١٠) أَيْ بَضَمِ الْهَاءِ . يَنْظُرُ : الرُّوضَةُ ص ٥٤٥ . وَالْمُبْهَجُ ق (٨٦) .

أبي عمرو^(١). الباقون^(٢): بإسكانِ اخاءٍ من غيرِ همزٍ ، وفي الشُّعراء (٣٦) مثله .

١٦٥- وروى يحيى^(٣) إلا الكتاني ، وأخذ /٢٧٠ و/ الوجهين عن خلف^(٤)

﴿ بِعَذَابٍ بَيِّنٍ ﴾ بفتح الباءِ ، بعدها ياءٌ ساكنةٌ ، وبعدها همزةٌ مفتوحةٌ ، على وزنِ (فَعِيل) .

الباقون^(٥): بفتح الباءِ ، بعدها همزةٌ مكسورةٌ ، وبعدها همزةٌ ياءٌ ساكنةٌ ، على وزنِ

(فَعِيل) ، مثل أبي عمرو .

سورة الأنفال [٨]

٤٢- روى خلف^(٦) ﴿ لِيَهْلِكَ ﴾ بضمّ الياءِ ، وفتح اللامِ ، تفرّد بذلك .

(١) زبّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحُصَيْن بن الحارث ... بن الياس بن مُضَر ، (ت: ١٥٤ هـ) ، أحد القراء السبعة : السبعة ص ٧٩ ، وطبقات النحويين واللغويين ص ٣٥ ، وطبقات القراء (٩١/١) . وينظر في قراءته : السبعة ص ٢٨٧ ، والحجة للقراء السبعة (٥٨/٤) ، والتذكرة (٣٤٣/٢) .

(٢) روى ابن مجاهد أن أصحاب يحيى اختلفوا في رواية هذا الحرف عنه ، فذكر أن الوكيعي رواه عنه بالهمز والجزم ، وأن أبا هشام رواه بالجزم من غير همز ، وأن خلفاً رواه بجزم الهاء : السبعة ص ٢٨٨ ، وينظر : الحجة للقراء السبعة (٥٨/٤) ، والمستنير ص ٣٥١ ، وغاية الاختصار (٣٨٥/١) .

(٣) رواها ابن سوار عنه من طريق أبي حَمْدُون حسب : المستنير ص ٣٥٥ ، وينظر : التجريد ص ٢٢٩ .

(٤) السبعة ص ٢٩٦ ، والمستنير ص ٣٥٥ .

(٥) الروضة ص ٥٥١ ، والمستنير ص ٣٥٥ .

(٦) المستنير ص ٣٦ ، وينظر : الكامل ق (١٩٦) .

سورة يونس ~~الطحا~~ [١٠]

١٦- روى يحيى غير الصَّرِّيفِيِّ من طريق الكَتَّانِيِّ ، وَالْعُلَيْمِيُّ ^(١) ﴿ وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ ﴾ بِالْإِمَالَةِ هُنَا خَاصَّةً .

زَادَ الْوَكَيْعِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْحَمَّامِيِّ ، وَأَبُو هِشَامٍ ، وَخَلَفٌ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ فَارِسٍ ، حَيْثُ وَقَعَ ^(٢) .

٣٥- روى أَبُو هِشَامٍ الرَّفَاعِيُّ ﴿ يَهْدِي ﴾ بَفَتْحِ الْيَاءِ ، وَكَسْرِ الْهَاءِ . الْبَاقُونَ : بِكَسْرِهَا ^(٣) .

٧٨- روى الْعُلَيْمِيُّ ، وَالصَّرِّيفِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْوَاسِطِيِّ ^(٤) ﴿ وَيَكُونُ لَكُمْ ﴾ بِالْيَاءِ .

سورة هود ~~الطحا~~ [١١]

١- روى خَلَفٌ ^(٥) ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ ﴾ بِإِشْمَامٍ ^(٦) الدَّالَّ الضَّمِّ ، وَالْإِشَارَةَ ^(٧)

(١) المستنير ص ٣٧٣ ، والنشر (٤١/٢) .

(٢) وقع في أربعة عشر موضعاً : أولها المذكور ، وفي سورة الحاقة : ٣ ، والمدثر : ٢٧ ، والمرسلات : ١٤ ، والانفطار : ١٧ ، والمطففين : ٨ ، ١٩ ، والطارق : ٢ ، والبلد : ١٢ ، والقدر : ٢ ، والقارعة : ٣ ، ١٠ ، والهمزة : ٥ .

(٣) المستنير ص ٣٧٥ .

(٤) المستنير ص ٣٧٦ ، والكامل ق (٢٠٢) ، وينظر : زاد المسير (٥٠/٤) .

(٥) المستنير ص ٣٧٩ ، وعبارته « روى الكسائي عن أبي بكر ، وخلف عن يحيى ، إسكان الدال وإشمامها شيئاً من الضم ، وكسر النون ، من قوله تعالى : ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ ﴾ هُنَا ، وفي سورة النمل » .

(٦) الإشمام « هو عبارة عن ضم الشفتين بعد سكون الحرف من غير صوت ، ويدرك ذلك الأصم دون الأعمى ، ويعبر عنه ويراد به خلط حركة بحركة ، ويطلق أيضاً ويراد به خلط حرف بحرف » . التمهيد ص ٧٣ ، وينظر التحديد ص ٩٦ ، والكشف (١٢٢/١) ، والموضح ص ٢٠٨ ، وجمال القراء (٥٣٢/٢) .

(٧) سبق بيان المراد من هذا المصطلح في البقرة : ٢٨٣ .

إلى كسر النون ، وفي النمل (٦) مثله .

٤٢- ﴿ أَزْكَبُ مَعَنَا ﴾ أَذْغَمَ الْبَاءَ فِي الْمِيمِ الصَّرْفِيَّةِ ، وَالْوَكَيْعِي ، جَمِيعاً مِنْ طَرِيقِ الْكُتَّانِي ، وَأَبُو حَمْدُون ، وَأَبُو هِشَامٍ ، وَخَلَفٌ إِلَّا ابْنَ فَارِسَ ، وَالْقَطَّانُ عَنِ الْعُلَيْمِيِّ ^(١) .

سورة يوسف الطويلة [١٢]

١٩- رَوَى الْعُلَيْمِيُّ ^(٢) ﴿ يَنْبُشْرَى ﴾ بِالْإِمَالَةِ .

٢٤ ، ٢٨- ﴿ رَأَى بُرْهَنَ ﴾ ، ﴿ رَأَى قَمِيصَهُ ﴾ قَدْ ذُكِرَا ^(٣) .

سورة الإسراء [١٧]

٥٣- /٢٧٠ظ/ رَوَى أَبُو هِشَامٍ ^(٤) ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي ﴾ بَفَتْحِ الْيَاءِ ، تَفَرَّدَ بِذَلِكَ .

٨٠- وَرَوَى أَيْضاً : ﴿ مَذْخَلَ صِدْقٍ وَ... مَخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ بَفَتْحِ الْمِيمِ فِيهِمَا .

٨٣- رَوَى خَلَفٌ : ﴿ وَنَا ﴾ بِكسْرِ التَّوْنِ ، وَإِمَالَةِ الْهَمْزَةِ ، هُنَا وَفِي السَّجْدَةِ (٥) .

تَابَعَهُ هُنَا يَحْيَى إِلَّا الْكُتَّانِي وَالْقَطَّانُ . وَفَتْحَ النُّونَ ، وَأَمَالَ الْهَمْزَةَ : الْعُلَيْمِيُّ ، وَيَحْيَى مِنْ طَرِيقِ الْكُتَّانِيِّ ، وَالْقَطَّانُ ^(٥) . وَقَرَأَتْ لِيَخْلَفَ ، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ فَارِسَ ، بِكسْرِ النُّونِ ، وَإِمَالَةِ الْهَمْزَةِ هُنَا .

(١) ينظر : المستنير ص ٣٨٩ ، وغاية الاختصار (٢٨٠/١) ، والإتحاف (١٤٣/٢) .

(٢) المستنير ص ٣٨٩ ، والتجريد ص ٢٤٢ ، وغاية الاختصار (٢٨٠/١) ، والنشر (٤١/٢) ،

والإتحاف (١٤٣/٢) .

(٣) سورة الأنعام : ٧٦ .

(٤) المستنير ص ٤١٩ ، وينظر : الكامل ق (١٤٨) .

(٥) ينظر : السبعة ص ٣٨٤ ، والمبسوط ص ٢٧١ ، والمستنير ص ٤١٨ .

سورة الكهف [١٨]

- ٢- قوله تعالى : ﴿ مِنْ لَدُنْهُ ^(١) ﴾ اتفقوا على إشمام الدال الضمة ، وتخفيف النون ^(٢) .
 ٩٥ ، ٩٦- ﴿ رَدْمًا ^(٣) ءَاتُونِي ﴾ روى الصَّرَّافِيُّ من طريق الكَتَّانِيِّ ، وَخَلَفَ من طريق ابن فَارِسَ ، بقطع الهمزة والمد ، وكذلك ﴿ قَالَ ءَاتُونِي ﴾ . الباقون بوصل الهمزة من غير مدّ فيهما ^(٣) .

سورة مريم عليها السلام [١٩]

- ١، ٢- روى أبو حَمْدُون من طريق القَطَّان ^(٤) إدغام الدال من هجاء ﴿ صَاد ﴾ عند ﴿ ذِكْرٌ ﴾ ^(٥) .
 ٢٥- وروى العُلَيْمِيُّ ، والصَّرَّافِيُّ من طريق الوَاسِطِيِّ ^(٦) ﴿ تُسْقِطُ ﴾ بياءٍ مفتوحة ، وتشديد السين .

سورة طه [٢٠]

- ٧٥- روى خَلَفٌ : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ ﴾ بإسكان الهاء ^(٧) .

(١) من المصحف الشريف ، مراعاةً للرسم ، وفي الأصل ﴿ مِنْ لَدُنِي ﴾ بالياء . قال في التذكرة (٤١٢/٢) : « قَرَأَ يَحْيَى ﴿ مِنْ لَدُنْهُ ﴾ بإسكان الدال ، وإشمامها الضم ، وكسر النون ، ووصل الهاء بياء في وصله » . وينظر : السبعة ص ٣٨٨ ، والمستنير ص ٤٢٠ .

(٢) ينظر : المصادر السابقة .

(٣) ينظر : السبعة ص ٤٠٠ ، والمستنير ص ٤٢٦ ، والكامل ق (١٢١) ، والنشر (٣١٥/٢) .

(٤) المستنير ص ٤٣٠ .

(٥) المراد بذلك قوله تعالى : ﴿ كَتَمْتُمْ ^(١) ذِكْرَ ﴾ .

(٦) ينظر : الروضة ص ٦٣٥ ، والمستنير ص ٤٣٢ ، والنشر (٣١٨/٢) .

(٧) ينظر : المستنير ص ٤٣٩ ، رواها عن أبي بكر شعبة ، من طريق الكسائي ، وينظر : معجم القراءات (٤٦٥/٥) .

سورة التور [٢٤]

٣١- روى الصَّرِّيفِينِيُّ من طريقِ الوَاسِطِيِّ ، والوَكَيعِيُّ من طريقِ الحَمَّامِيِّ ، وأبو حَمْدُون^(١) ﴿ جِيوبَهْن ﴾ بكسر الجيم ، وقد ذُكِرَ^(٢) .

سورة التمل [٢٧]

٦- ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ ﴾ ذكر في هود (١) .

١٠ ، ٤٠- وروى يحيى غير الصَّرِّيفِينِيِّ ، والوَكَيعِيُّ / ٢٧١ و/ ، جميعاً من طريق الكَتَّانِي : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ ﴾ ، بِإِمَالَةِ الرَّاءِ وَالْهَمْزَةِ . الباقر : بالتفخيم^(٣) ، وقد ذكر^(٤) .

٨٨- يحيى^(٥) ﴿ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ بالتاء .

سورة العنكبوت [٢٩]

١٩- روى يحيى^(٦) : ﴿ أَوَلَمْ تَرَوْا ﴾ بالتاء .

٤٢- قرأت للصَّرِّيفِينِيِّ من طريقِ الكَتَّانِي : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ ﴾ بالوجهين . الباقر بالياء^(٧) .

(١) ينظر : المستنير ص ٨٧ ، والنشر (٢٩٦/٢) ، ومعجم القراءات (٢٥٧/٦) .

(٢) سورة البقرة : ١٨٩ .

(٣) ينظر : المستنير ص ٣٣٨ ، والنشر (٤٦/٢) .

(٤) سورة الأنعام : ٧٦ .

(٥) المستنير ص ٤٨١ .

(٦) المستنير ص ٤٨١ ، والتجريد ص ٢٨٤ .

(٧) ينظر : المستنير ص ٤٨٢ . وينظر : معجم القراءات (١١٥/٧) .

٥٧- خَلَفَ ^(١) ثُمَّ إِلَيْنَا ^(٢) تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾ بِالتَّاءِ .

سورة يس [٣٦]

١- روى يحيى من طريق الصَّرِّيفِيِّ والوَكَيْعِيِّ جميعاً من طريق الكُتَّانِيِّ وأبي هِشَامٍ :
﴿ يَسْ ﴾ بِإِدْغَامِ النُّونِ ^(٣) .

٤٩- [روى] ^(٤) يحيى غير أبي هِشَامٍ ^(٥) : ﴿ مَخْضُمُونَ ﴾ بِكَسْرِ الياء والخاء .
الْعُلَيْمِيُّ وَأَبُو هِشَامٍ ^(٦) بفتح الياء ، وكسر الخاء .

سورة ص [٣٨]

٢٣- روى خَلَفَ ^(٧) : ﴿ وَعَزَى ﴾ بِتَخْفِيفِ الرَّايِ .
٢٩- وروى أيضاً ^(٨) : ﴿ تَدَبَّرُوا ﴾ بِالتَّاءِ ، وتخفيف الدَّالِ .

سورة الزمر [٣٩]

٧- روى أبو هِشَامٍ ، وأبو حَمْدُون ^(٩) : ﴿ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ بِالْإِسْكَانِ . الْبَاقُونَ ^(١٠)
بِالِاخْتِلَاسِ .

(١) ينظر : المستنير ص ٤٨٣ ، ومعجم القراءات (١٢٤/٧) .

(٢) من المصحف الشريف ، وفي الأصل ﴿ إِلَيْهِ ﴾ .

(٣) أي بإدغام النون من هجاء ﴿ يَسْ ﴾ في الواو من قوله : ﴿ وَالْقُرْآنِ .. ﴾ . المستنير ص ٥٠٢ .

(٤) يتطلبها السياق .

(٥) المستنير ص ٥٠٤ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) المستنير ص ٥١٠ .

(٨) المستنير ص ٥١١ .

(٩) المستنير ص ٥١٤ ، غاية الاختصار (٣٨٠/١) . والنشر (٣٠٨/١) .

(١٠) ينظر : المستنير ص ٥١٤ ، والمبسوط ص ٢٨٣ ، والإرشاد ص ٥٣٠ .

سورة المؤمن [٤٠]

- ٤٠- قرأت لأبي حمّادون من طريق القطّان^(١) : ﴿ يَدْخُلُونَ ﴾ بفتح الياء ، وضم الخاء . الباقون بضم الياء ، وفتح الخاء .
- ٦٠- يحيى^(٢) : ﴿ سَيَدْخُلُونَ ﴾ بضم الياء ، وفتح الخاء .

سورة السّجدة [٤١]

- ٥١- روى خلف^(٣) : ﴿ وَنَا ﴾ بكسر النون والهمزة . الباقون : بفتحهما . وقد ذكر^(٤) .

سورة الزّخرف [٤٣]

- ٣٦- ٢٧١/ظ/ روى العلّيمي والصّريّفيّ من طريق الواسطيّ : ﴿ يُقَيِّضُ ﴾ بالياء . الباقون : بالتّون^(٥) .

سورة مُحَمَّد ﷺ [٤٧]

- ٢٨- قرأت لأبي حمّادون من طريق القطّان : ﴿ وَكَرِهُوا ﴾^(٦) رَضَوْنَهُ بِكسر الرّاء . الباقون : بالضمّ^(٧) .

(١) المستنير ص ٣٢٤ ، ذكر ابن الجزري ، في النشر (٩٥٩/٩) : أن النهرواني ، وهو « القطّان » انفرد بهذه الرواية .

(٢) المستنير ص ٥٢٠ .

(٣) المستنير ص ٤١٨ .

(٤) سورة الإسراء : ٨٣ .

(٥) المستنير ص ٥٢٨ ، وينظر : المبسوط ص ٣٩٩ .

(٦) من المصحف الشريف ، وفي المخطوط : « واتبعوا » .

(٧) المستنير ص ٣٠٣ ، ٥٤٠ .

سورة الطُّور [٤٧]

٣٧- ﴿الْمُصِطَرُونَ﴾ بِالصَّادِ اتِّفَاقًا ^(١) .

سورة النَّجْم [٥٣]

٥١- قرأت للصَّرِيفِيِّ من طريقِ الكَتَّانِيِّ : ﴿وَتُمُودًا فَمَا أَتَقَى﴾ بالوجهين .
الباقون ^(٢) : بغير تنوين مثل حَفْصٍ ^(٣) .

سورة القمر [٥٤]

٥٣- قرأت لَخَلْفٍ ^(٤) : ﴿مُسْتَطِرٌّ﴾ بكسرِ الطَّاءِ ، وتشديدِ الرَّاءِ .

سورة الرَّحْمَنِ ۞ [٥٥]

٥٤- قرأت لَخَلْفٍ ^(٥) : ﴿الْمُنْشَقَاتُ﴾ بالوجهين ^(٦) . الباقون ^(٧) : بكسرِ الشَّينِ .

سورة المجادلة [٥٨]

١١- قرأت للصَّرِيفِيِّ والوَكِيعِيِّ ، كلاهما من طريقِ الكَتَّانِيِّ ، وأحد الوجهين عن

(١) ينظر : المستنير ص ٥٥٠ ، والنشر (٣٧٨/٢) ، وفي الأصل : اتفاق .

(٢) ينظر : الروضة ص ٥٨٠ ، والمستنير ص ٣٨٢ ، وقوله : بالوجهين : أي بتنوين ﴿تُمُودًا﴾ وعدمه .

(٣) هو حفص بن سُلَيْمَانَ بن المغيرة البزَّار الأسدي (ت : ١٣١ هـ) ، راوية عاصم بن أبي النجود : طبقات القراء (١٤١/١) ، وغاية النُّهاية (٢٥٤/١) .

(٤) المستنير ص ٥٥٣ . وينظر : المختصر ص ١٤٨ ، والكامل ق (٢٤٠) .

(٥) السبعة ص ٦٢٠ ، والمبسوط ص ٤٢٥ ، والمستنير ص ٥٥٥ .

(٦) أي بفتح الشين وكسرها .

(٧) ينظر : المستنير ص ٥٥٥ ، والبحر المحيط (١٩٢/٨) ، ومعجم القراءات (٢٥٩/٩) .

خَلَفَ : ﴿ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا ﴾ بضمّ الشَّينِ فيهما ^(١) .

٢٢- قرأت لخلف ^(٢) إلا ابن فارس : ﴿ أَوْ عَشِيرَاتِهِمْ ﴾ بألفٍ على الجمع ، وكسرِ التاء .

سورة التَّحَلَّةِ ^(٣) [٦٦]

١- قرأتُ للصَّرِيفِيِّ والوَكَيْعِيِّ ، جميعاً من طريق الكَتَّانِي ، والعُلَيْمِيِّ : ﴿ جَبْرَيْلُ ﴾ في وزن (جَبْرَعِيل) . وبالوجهين لأبي هِشَام . ولمن بقي من أصحاب يحيى ، مثل (جبرعل) . وقد ذكر ^(٤) .

سورة (ن) ^(٥) [٦٨]

١- روى الصَّرِيفِيُّ والوَكَيْعِيُّ ، كلاهما من /٢٧٢و/ طريق الكَتَّانِي ، وأبو هِشَام ، والعُلَيْمِيُّ ^(٦) : ﴿ نَ ﴾ بالإدغام ^(٧) .

(١) السبعة ص ٦٢٩ ، والمبسوط ص ٤٣٢ . وينظر : معجم القراءات (٣٧٤/٩) .

(٢) المستنير ص ٥٦٣ .

(٣) هي سورة التحريم ، وتسمى أيضاً سورة المتحرّم ، ولم تحرم . ينظر : الإتيان (١٥٨/١) .

(٤) سورة البقرة : ٩٧ . قال ابن سوار في سورة البقرة : « وَقَرَأَهُنْ حمزة والكسائي وخلف ، وعاصم إلا حفصاً ، ويحيى عن أبي بكر عنه ، بفتح الجيم والراء ، وبعدها حمزة مكسورة ، وبعدها ياء ، على وزن (جَبْرَعِيل) . وروى يحيى كذلك إلا أنّه حذف الياء هاهنا ، فتصير مثل (جَبْرَعِيل) . وأما الذي في سورة التَّحَلَّةِ ؛ فرواه شعيب الصَّرِيفِيُّ والوَكَيْعِيُّ عن يحيى ، وخلف أيضاً ، مثل الكسائي وحمزة وموافقيهما . ورواه أبان ، وأبو هِشَام الرَّفَاعِي ، وأبو حَمْدُون ، مثل (جَبْرَعِيل) . الباقون بكسر الجيم والراء ، وبعدها ياء ساكنة من غير همز ، مثل (فَعْلِيل) » . المستنير ص ٢٧٨ ، وينظر : السبعة ص ١٦٧ ، والنشر (٢١٩/٢) .

(٥) هي سورة القلم .

(٦) التجريد ص ١٦١ .

(٧) أي بإدغام النون التي في هجاء « نون » في « واو » ﴿ وَالْقَلَمِ ﴾ . المستنير ص ٥٧٤ . وفي قراءتهم ينظر : السبعة ص ٦٤٦ ، والمبسوط ص ٣٦٩ ، والنشر (١٨/٢) .

سورة الحاقة [٦٩]

٣- روى أبو هِشَام والوَكَيْعِيُّ من طريقِ الْحَمَّامِيِّ ، وَخَلَفٌ من طريقِ ابنِ فَارِسٍ : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ بِالْإِمَالَةِ ، حَيْثُ كَانَ ، وَقَدْ ذُكِرَ ^(١) .

سورة التكوير [٨١]

١٢- روى يَحْيَى ^(٢) : ﴿ سُعْرَتْ ﴾ بِالتَّخْفِيفِ .

سورة الغاشية [٨٨]

٢٢- اتفقوا على قوله : ﴿ بِمُضْطَرٍ ﴾ بِالصَّادِ ^(٣) .

تَمَّ الْخِلَافُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا ،
وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) سورة يونس : ١٦ . وينظر : السبعة ص ٣٢٤ ، ومعجم القراءات (٤٩/١٠) .

(٢) المستنير ص ٥٩٢ ، ومعجم القراءات (٣٢٧/١٠) .

(٣) وهي قراءة الجمهور . ينظر : السبعة ص ٦١٣ ، والروضة ص ٨٣٨ ، المستنير ص ٥٩٧ ، ومعجم القراءات (٤٠٦/١٠) .

مصادر البحث ومراجعته

- أ -

- ١- إتخاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر : البنا الدّميّاطي ، أحمد بن محمد (ت : ١١١٧هـ) ، تح : د. شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب - بيروت ، ط ١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
- ٢- الإنقان في علوم القرآن : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت : ٩١١هـ) ، تح : عبد المهيم طحّان ، مكة المكرمة ، ط ١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
- ٣- أخبار الدولة السّلاجقية : الحسيني ، علي بن ناصر الدين ، تح : محمد إقبال ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ط ١ (١٩٨٤م) .
- ٤- إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر : أبو العزّ القلانسي ، محمد بن حسين بن بNDAR (ت : ٥٢١هـ) ، تح : د. عمر حمدان الكبيسي ، مكة المكرمة ، ط ١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
- ٥- استدراكات على تاريخ التراث العربي : قسم القراءات ، إعداد أ.د. حكمت بشير ياسين ، دار ابن الجوزي - الدمام وغيرها ، ط ١ (١٤٢٢هـ) .
- ٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد (ت : ٦٣٠هـ) ، القاهرة ، (١٩٧٠م) .
- ٧- الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ) ، تح : محمد الزيني ، القاهرة ، ط ١ (١٩٧٦م) .
- ٨- الأنساب : السّمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت : ٥٦٢هـ) ، دار الجنان ، ط ١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

- ب -

- ٩- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتوترة : النشار ، عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري (ت : ٩٣٨هـ) ، تح : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، عالم الكتب - بيروت ، ط ١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) .
- ١٠- بحر العلوم : السّمرفندي ، نصر بن محمد بن أحمد (ت : ٣٧٥هـ) ، علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، ود. زكريا عبد المجيد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٤١٣هـ) .
- ١١- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت : ٧٤٥هـ) ، مطابع النصر الحديثة - الرياض ، د.ت. .

- ت -

- ١٢- تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت : ١٢٠٥هـ) ، تح : علي شيري ، دار الفكر ، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .
- ١٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : حوادث ووفيات (٥٤١-٥٥٠هـ) : الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، تح : د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط ١ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .

- ١٤- تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي (ت : ٤٦٣هـ) ، دار الفكر - بيروت ، د.ت .
- ١٥- تاريخ حلب : محمد بن علي العظمي الحلبي (ت : ٥٥٦هـ) ، تح : إبراهيم زعرور ، دمشق (١٩٨٤م) .
- ١٦- تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت : ٥٧١هـ) ، تح : سكيئة الشهابي ، مجمع اللغة العربية - دمشق ، (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .
- ١٧- التجريد لبغية المريد في القراءات السبع : ابن الفحام ، عبد الرحمن بن عتيق الصقلي (ت : ٥١٦هـ) ، تح : د. ضاري إبراهيم العاصي ، دار عمّار - الأردن ، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) .
- ١٨- التحديد في الإنقان والتجويد : أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت : ٤٤٤هـ) ، تح : د. غانم قدوري الحمد ، بغداد ، ط١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٨م) .
- ١٩- تذكرة الحفاظ : الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، دار إحياء التراث - مصورة عن حيدر آباد ، ط٣ (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) .
- ٢٠- التذكرة في القراءات الثمان : ابن غلبون ، طاهر بن عبد المؤمن الحلبي (ت : ٣٩٩هـ) ، تح : أيمن رشدي سويد ، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩١م) .
- ٢١- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد : ابن نقطة ، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر البغدادي الحسيني (ت : ٦٢٩هـ) ، تح : كمال يوسف الخوت ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٩٨٨م) .
- ٢٢- التمهيد في علم التجويد : ابن الجزري ، محمد بن محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ) ، تح : د. غانم قدوري حمد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .
- ٢٣- تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ) ، إعتناء : إبراهيم الزبيق ، وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) .
- ٢٤- تهذيب سير أعلام النبلاء : هذيه أحمد فايز الحمصي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩١م) .
- ٢٥- التيسير في القراءات : أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد الداني الأندلسي ، (ت : ٤٤٤هـ) ، عني بطبعه أبو الفلاح غلام غوث الحسيني ، وأبو الفتح محمد علي الحسيني ، وأبو الوفاء محمد عمر الحنبلي ، حيد آباد الدكن ، (١٣١٦هـ) .

- ث -

- ٢٦- ثمار المقاصد في ذكر المساجد : ابن الميرد ، يوسف بن حسن بن أحمد الصالح ، (ت : ٩٥٩هـ) ، المعهد الفرنسي بدمشق .

- ج -

- ٢٧- الجرح والتعديل : ابن أبي حاتم الرازي ، عبد الرحمن بن محمد (ت : ٣٢٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د.ت .
- ٢٨- جمال القراء وكمال الإقراء : علم الدين السخاوي ، علي بن محمد (ت : ٦٤٣هـ) ، تح : د. علي حسين البواب ، مكة المكرمة ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) .

- ح -

- ٢٩- الحجّة للقراء السبعة : أبو علي الفارسي ، الحسن بن عبد الغفار (ت : ٣٧٧هـ) ، تح : بدر الدين قهوجي ، وبشير جوينجاتي ، دار المأمون للتراث - دمشق ، ط ٢ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .
- ٣٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : الأصفهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت : ٤٣٠هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م) .

- د -

- ٣١- الدّارس في تاريخ المدارس : عبد القادر بن محمد النعمي الدمشقي (ت : ٩٢٧هـ) ، تح : جعفر الحسني ، مكتبة الثقافة الدينية ، (١٩٨٨م) .

- ذ -

- ٣٢- ذيل تذكرة الحفاظ : ابن حمزة الحسيني ، محمد بن علي أبو المحاسن الدمشقي (ت : ٧٦٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

- ر -

- ٣٣- الروضة في القراءات الإحدى عشرة : أبو علي المالكي ، الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت : ٤٣٨هـ) ، تح : مصطفى عدنان محمد سلمان ، رسالة دكتوراه الجامعة المستنصرية ، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م) .

- ز -

- ٣٤- زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت : ٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي دمشق ، ط ١ (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م) .

- س -

- ٣٥- السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أحمد بن موسى (ت : ٣٢٤هـ) ، تح : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ط ٣ .
- ٣٦- سير أعلام النبلاء : الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، تح : شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي وآخرين ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٤ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .

- ش -

- ٣٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلي ، عبد الحيّ (ت : ١٠٨٩) ، دار المسيرة - بيروت .
- ٣٨- شرح شعلة على الشاطبية ، المسمى « كنز المعاني شرح حرز الأمانى » : محمد بن أحمد بن محمد الموصلّي (ت : ٦٥٦هـ) ، دار التأليف مصر ، د.ت .

- ض -

- ٣٩- الضعفاء والمتروكون : النسائي ، أحمد بن شعيب (ت : ٣٠٣هـ) ، ضمن مجموع (الضعفاء والمتروكون) ، تح : عبد العزيز عز الدين السيرواني ، دار القلم - بيروت ، ط ١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

- ط -

- ٤٠- الطبقات : خليفة بن خياط (ت : ٢٤٠هـ) ، تح : أكرم ضياء العمري ، مطبعة العاني - بغداد ، ط ١ (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) .
- ٤١- طبقات الشافعية : الإسنوي ، عبد الرحيم بن الحسن الأموي (ت : ٧٧٢هـ) ، تح : كمال الحوت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
- ٤٢- طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين السبكي ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت : ٧٧١هـ) ، تح : د. محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو ، هَجَرَ للطباعة - مصر ، ط ٢ (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) ، مصورة عن طبعة عيسى البابي الحلبي .
- ٤٣- الطبقات الكبرى : ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت : ٢٣٠هـ) ، دار صادر - بيروت ، (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) .
- ٤٤- طبقات الفقهاء الشافعية : ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت : ٦٤٣هـ) ، تح : محيي الدين علي نجيب ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ، ط ١ (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .
- ٤٥- طبقات الفقهاء الشافعيين : ابن كثير الدمشقي ، إسماعيل بن كثير (ت : ٧٧٤هـ) ، تح : د. أحمد عمر هاشم ، ود. محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .
- ٤٦- طبقات القراء : الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، تح : د. أحمد خان ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .
- ٤٧- طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدي ، محمد بن الحسن (ت : ٣٧٩هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - مصر ، (١٩٧٣م) .

- ع -

- ٤٨- العبر في خير من غير : الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، تح : د. صلاح الدين المنجد ، وزارة الإعلام - الكويت ، ط ٢ مصورة (١٩٨٤م) .

- غ -

- ٤٩- غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجزري ، محمد بن محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ) ، نشره : برجستراسر ، مكتبة الخانجي - مصر ، ط ١ (١٣٥٢هـ-١٩٣٣م) .
- ٥٠- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار : أبو العلاء العطار ، الحسن بن أحمد (ت : ٥٦٩هـ) ، تح : د. أشرف محمد فؤاد طلعت ، جدة ، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .

- ف -

- ٥١- فهرس مجاميع المدرسة العُمرية ، في المكتبة الظاهرية بدمشق ، وضعه : ياسين محمد السَّوَّاس ، معهد المخطوطات العربية - الكويت ، ط ١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) .

- ق -

- ٥٢- قرة العيون في أخبار باب جيرون : محمد بن طولون الصالحي (ت : ٩٥٣هـ) ، نح : د. صلاح الدين المنجد ، المجمع العلمي العربي - دمشق ، (١٣٨٣هـ-١٩٦٤م) .
- ٥٣- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية : محمد بن طولون الصالحي ، (ت : ٩٥٣هـ) ، نح : محمد أحمد دهمان ، مجمع اللغة العربية - دمشق ، (١٤٠١هـ-١٩٨٠م) .

- ك -

- ٥٤- الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت : ٦٣٠هـ) ، نح : د. محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
- ٥٥- الكامل في القراءات الخمسين : الهذلي ، يوسف بن جبارة (ت : ٤٦٥هـ) ، مصورة ورقية عن نسخة رواق المغاربة بالأزهر ، رقم (٣٦٩ مغاربة) .
- ٥٦- الكشف عن وجوه القراءات السبع : مكّي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) ، نح : د. محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .
- ٥٧- الكنز في قراءات العشرة : الواسطي ، عبد الله بن عبد المؤمن (ت : ٧٤١هـ) ، نح : خالد أحمد عبد القادر ، رسالة دكتوراه - جامعة بغداد ، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

- ل -

- ٥٨- اللباب في تهذيب الأنساب : ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت : ٦٣٠هـ) ، دار صادر - بيروت .

- م -

- ٥٩- المبسوط في القراءات العشر : ابن مهران ، أحمد بن الحسين (ت : ٣٨١هـ) ، نح : سبيع حمزة حاكمي ، مجمع اللغة العربية - دمشق ، (١٤٠١هـ-١٩٨٠م) .
- ٦٠- المبهج في القراءات : سبط الخياط ، عبد الله بن علي البغدادي (ت : ٥٤١هـ) ، مصورة الدكتور حاتم صالح الضامن ، عن نسخة أحمد خيرى - مصر .
- ٦١- مختصر تاريخ دمشق : ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت : ٧١١هـ) ، نح : روحية النحاس ، ومحمد مطيع الحافظ ، دار الفكر - دمشق ، ط ١ (١٤١١هـ-١٩٩٠م) .
- ٦٢- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع ، المسمى خطأ بـ « مختصر في شواذ القرآن » : ابن خالويه ، الحسين بن أحمد (ت : ٣٧٠هـ) ، نشره : برجستراسر ، دار الهجره ، د.ت. .
- ٦٣- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزواغلي التركي (ت : ٦٥٤هـ) ، حيدر آباد الدكن - الهند ، ط ١ (١٣٧٠هـ-١٩٥١م) .
- ٦٤- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ : ابن الطحان السّماني ، عبد العزيز بن علي (ت : ٥٦١هـ) ، نح : د. حاتم صالح الضامن ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عدد (٤٨) . السنة (١٩) . (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .

- ٦٥- المستنير في القراءات العشر : ابن سوار البغدادي ، أحمد بن علي بن عبيد الله (ت : ٤٩٦هـ) ، تح :
عمار أمين الددو ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) .
- ٦٦- المعارف : ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦هـ) ، تح : د. ثروة عكاشة ، دار المعارف - مصر ،
ط٢ (١٩٦٩م) .
- ٦٧- معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم : وضعه د. إسماعيل أحمد عمايرة ، ود. عبد الحميد
مصطفى السيد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م) .
- ٦٨- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي : إدوارد فون زامبور ، ترجمة سيدة إسماعيل
كاشف ، دار الرائد العربي - بيروت ، (١٩٨٠م) .
- ٦٩- معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت : ٦٢٦هـ) ، دار صادر - بيروت ،
ط٢ (١٩٩٥م) .
- ٧٠- معجم الشيوخ : ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت : ٥٧١هـ) ، تح :
د. وفاء تقي الدين ، دار البشائر - دمشق ، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) .
- ٧١- معجم القراءات ، د. عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين - دمشق ، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) .
- ٧٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث - القاهرة ، ط١
(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .
- ٧٣- منادمة الأطلال : عبد القادر بدران ، المكتب الإسلامي ، ط٢ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .
- ٧٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت : ٥٩٧هـ) ، تح :
محمد عبد القادر عطا ، و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٧٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ) ، تح : علي محمد
البجّاوي ، دار المعرفة - بيروت ، (١٣٨٢هـ-١٩٦٣م) .

- ن -

- ٧٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف الأنابكي (ت : ٨٧٤هـ) ،
مصورة عن طبعة دار الكتب - مصر .
- ٧٧- النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، محمد بن محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ) ، تصحيح علي محمد
الضّباع ، دار الفكر ، د.ت. .
- ٧٨- نكت اغميان : الصفدي ، خليل بن أبيك (ت : ٧٦٤هـ) ، مصر ، (١٩١١هـ) .

موقف النحويين من الآيات المعضلة إعراباً مظاهرو أسبابه

د . عبد الله بن عويقل السلمي *

التعريف بالبحث :

يتناول هذا البحث محاولات النحاة الجادة لتوجيه الآيات المعضلة إعراباً ، ويظهر موقفهم منها ، ويشخص حقيقة مهمة وهي أن ما يدعيه بعض النحويين من صرامة اللغة في بعض القواعد تنقضه هذه الآيات التي تظهر اضطرابهم وتدفعهم إلى التكلف والتمحل ، بل التشكيك في القراءة أو القارئ .

كما يحاول البحث استجلاء الأسباب التي أدت إلى ذلك الموقف . وهو في النهاية يصل إلى نتيجة مؤداها أن القرآن ينبغي أن يجعل أصلاً لصياغة القاعدة لا أن تصاغ بمعزل عنه . كما يدعو البحث إلى إعادة دراسة عدد من قضايا النحو القرآني وتراكيبه دراسة تبعده عن منطقية العرض وفلسفة الصناعة ، لتدرك خصائصه ، ولجعل أساساً للتقعيد ومحوراً تدور حوله الدراسة النحوية وتصدر عنه ، مقدماً على كل مصدر من مصادرها الأخرى .

والله الموفق لكل خير .

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة الملك عبد العزيز بجدة . ولد بمكة المكرمة - محافظة الكامل سنة (١٩٦٣ م) ، وحصل على درجة الدكتوراه من القسم المذكور سنة (١٩٩٦ م) بمرتبة الشرف الأولى ، وكانت رسالته " العقود الجوهريّة في حل مشكل الأزهرية : دراسة وتحقيقاً " .

المقدمة

اللغة العربية أكثر اللغات بلاغة و فصاحة ، وأجملها لفظاً وأغزرها بالمعاني الأخاذة الدقيقة والصور الجميلة الرقيقة ، وهي في ذات الوقت مليئة بالمباني القوية المحكمة ، ولهذا اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون لساناً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وجماعاً للقرآن الكريم المعجز الخالد على مر الزمان ، وفي ذلك أمانة واضحة على ما لها من منزلة وما فيها من قابليات لا توجد في سواها من اللغات .

وفي اللغة من اتساع فروع النحو وأصوله ومن وفرة مسائله وكثرة مباحثه ما يدهش العقل المستنير ، ويدق إدراكه على أصحاب البصر الحاد والبصيرة النيرة .

ولقد كان القرآن ولا يزال محط أنظار الدارسين ، ومناط بحثهم في كل زمان ومكان ، فهو معين ثر لكل العلوم والمعارف لا ينضب ، يتناول المعاني الدقيقة ، ويطاوع في شكل مدهش على قلب الأساليب ، ويساعد في تنويع الأعراب وتلوين التراكيب ، قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٨﴾ بِلِسَانٍ عَرَبٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ ﴾ ^(١) . فقد وصفه بالإبانة ومن مستلزماتها أن كل حرف أو كلمة أو حركة فيه تناسب موقعها وتوافق القصد منها ، سواء أدركه المشتغلون بتفسيره وإعرابه أم لم يدركوه . والنحاة من العلماء الذين كانت لهم إسهامات تعد - وبحق - مظهراً من مظاهر الجهد النحوي بالقرآن الكريم تستحق الشكر ، إلا أنهم وقفوا أمام بعض آياته حيارى ، وقصرت صنتهم النحوية عن أن تلم بما في تلك الآيات من إعرابات ، فطفقوا يوجهونها بتوجيهات لا تقف أمام النظر الدقيق ، بل تصل أحياناً إلى حد التشكيك في ضبط الآية التي أجمع القراء عليها ، وما ذلك إلا لأنها لم تطاوع في الاستجابة لقواعدهم ، ولم تنسق مع مقاييسهم .

وبالبحث المتأمل في صنيع النحاة أمام بعض الآيات يقف مبهوراً لما يرى من وجوه

(١) سورة الشعراء : ١٩٣-١٩٥ .

عديدة للتأويلات والتخریجات النحوية التي تقتضيها الصناعة ولكنها لا تصل إلى نتيجة قاطعة ، مما دفعهم أحياناً إلى الشعور بالحاجة إلى رد القراءة ، أو تخطئة الرواية ، أو تشديد الآية ، أو إخراجها عن المراد منها ، بل والاستعانة أحياناً أخرى بشعر العرب لدعم تلك التخریجات والاحتجاج به لتقويتها .

وهذا البحث الوجيز يوضح - بقدر - مظاهر محاولات النحاة الجادة في توجيه الآيات المعضلة إعراباً لمخالفتها ظاهر الصنعة النحوية ، ويحاول استجلاء الأسباب التي أدت إلى تلك المظاهر ، رغباً في الوصول إلى حقيقة مهمة أرى أنه لا بد من الاعتراف بها ، وهي أن ما يدعيه بعض النحويين من صرامة اللغة في بعض القواعد تنقضه هذه الآيات والقراءات التي أظهرت اضطرابهم أمام توجيهها « ودفعتهم إلى التكلف الذي تشتمل منها رائحة جور الصناعة الإعرابية على المعاني القرآنية ، حتى أضحي يرد بعضهم قول بعض ، وينكر كل منهم على صاحبه ما في قوله من ضعف وما يلزم منه من إشكال » ^(١) .

ومن هنا فقد تناول البحث أمرين اثنين :

أولهما : إبراز مظاهر موقف النحويين في التعامل مع الآيات المخالفة لقواعدهم ، وقد جاء على النحو الآتي :

- ١- الحكم على القراءة باللحن أو الشذوذ أو عدم الجواز .
- ٢- التشكيك في القارئ أو القراءة .
- ٣- التكلف في توجيه الآية بعيداً عن المعنى المراد منها .
- ٤- رد بعضهم قول بعض وإنكارهم على بعض .
- ٥- توجيهها توجيهاً طريفاً فيه دعاية بعيداً عن القواعد النحوية .
- ٦- توجيهها بما يعارض القياس أو يخالفه .
- ٧- توجيهها بتوجيه لا ينطبق على نظائرها من الكلام الآخر .

(١) تأويل ثلاث آيات متشابهات ص ٥٢ ، ٥٣ .

ثانيهما : الأسباب التي أدت إلى موقف النحويين هذا :

وقد اكتفيت بنماذج قرآنية مما جاء بقراءات سبعية لأدلل على ما أقول ، متجنباً التطرق للقراءات الشاذة أو المتواترة لغير السبعة ، متوخياً اختيار بعض الآيات التي تشكل الأعراب فيها صورة للأنماط النحوية الدقيقة ، وتظهر بجلاء ما وصلت إليه قضايا النحو من قدرة مدهشة ، وما بلغه علماؤه من شأو تفكيري رفيع ، كما تبين مقدرتهم الفائقة على التوجيه والتحليل والإحاطة بالاحتمالات . سائلاً الله أن يؤدي هذا العمل الغرض المراد منه ويحقق الهدف وينفع به كاتبه وقارئه .

أولاً : مظاهر موقف النحويين من الآيات المعضلة إعراباً

عندما قامت القواعد النحوية على ساقها واجهت عدداً من النصوص القرآنية وغيرها ، مضادة لها خيناً ومخالفة لما حوته أحياناً مما ولد لدى بعض النحاة موقفاً مضطرباً في التعامل معها ما بين مَنْ يحكم بشذوذ ذلك أو يرده أو يقلل منه أو يتمحل في توجيهه بغية عدم المساس بتلك القواعد .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة مخالفة لأصل القاعدة ، وليس من المستساغ أن يحكم عليها بالشذوذ ، أو يلجأ في توجيهها إلى التكلف الذي يحججه الذوق وتأباه طبيعة اللغة ، وسنجليه فيما يأتي :

١- رد القراءة المخالفة للقاعدة بالحكم عليها باللحن أو عدم الجواز أو الشذوذ :

وهي أحكام جائرة - دون شك - في حق قراءة سبعية ثبتت بالتواتر ، ولها من كلام العرب نظائر ، مثال ذلك : قال تعالى : ﴿ فَكَيْتِلُوا أَهْمَةً الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْا ﴾ ^(١) .

قرأ ﴿ أَهْمَةً ﴾ بهمزين ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي ^(٢) . ويقرر النحاة قاعدة صرفية وهي : إذا التقى همزتان في كلمة واحدة الثانية محركة بالكسر وجب إبدال الثانية ياء ^(٣) .

والآية تخالف القاعدة ، فما كان من النحاة إلا ردها أو الإعراض عنها ، فسيبويه لم يذكر الآية ، بل عزى تحقيق الهمزتين لبعض العرب ثم حكم عليه ، قال : « وزعموا أن ابن أبي إسحاق كان يحقق الهمزتين وأناسٌ معه ، وقد تكلم ببعضه العرب وهو رديء » ^(٤) ، أما من ولي وجهه شطر الآية فمنهم الزجاج الذي قال عنها : « فأما ﴿ أَهْمَةً ﴾ باجتماع الهمزتين

(١) سورة التوبة : ١٢ .

(٢) انظر السبعة في القراءات ص ٣١٢ ، حجة القراءات ص ٣١٥ ، الكشف عن وجوه القراءات

(١/٤٩٨) ، النشر (١/٣٧٨) .

(٣) الممتع ص ٢٥١ .

(٤) الكتاب (٤/٤٤٣) .

فليس من مذاهب أصحابنا .. وليس ذلك عندي جائزاً^(١) ، وقال النحاس : « فأكثر النحويين يذهب إلى أن هذا لحن لا يجوز ؛ لأنه جمع بين همزتين في كلمة واحدة »^(٢) ، ويقول ابن جني : « ومن شاذ الهمز عندنا قراءة الكسائي ﴿ أُيْمَةُ ﴾ بالتحقيق فيهما »^(٣) ، وقال عنها مكّي ابن أبي طالب : « فهو خارج عن الأصول محمول على شبه لفظه بلفظ (أ إذا) ، فالقراءة بالتحقيق في ﴿ أُيْمَةُ ﴾ فيها من الضعف ما ذكرت لك »^(٤) ، وقال القرطبي : « وقرأ حمزة ﴿ أُيْمَةُ ﴾ وأكثر النحويين يذهب إلى أن هذا لحن »^(٥) ، فهذه القراءة السبعية التي قرأ بها أفصح القراء كابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي جاءت على الرديء من كلام العرب كما هو عند سيويه ، وغير الجائز - كما يرى الزجاج - ، وهي لحن - كما يقول النحاس - ، وشاذ كما يصرح ابن جني ، وخارج عن الأصول وضعيفة عند مكّي القيسي .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء من امتهان لقول الفقهاء في توجيه قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾^(٦) .

في قراءة ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ بالنصب عند أكثر القراء السبعة^(٧) . فقد وجهها العلماء على أن ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ معطوف على الوجوه والأيدي ، وذلك لأن الفقهاء مجمعون على وجوب غسل الأرجل^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤٣٥/٢) .

(٢) إعراب القرآن (٢٠٥/٢) .

(٣) انظر الخصائص (١٤٣/٣) ، سر صناعة الإعراب (١٧٢/١) .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٤٩٨/١ ، ٤٩٩) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٥٥/٨) .

(٦) سورة المائدة : ٦ .

(٧) هي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص ، انظر السبعة في القراءات ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، حجة القراءات ص ٢٢١ .

(٨) انظر المغني لابن قدامة (١٢٥/١) ، فتاوى ابن تيمية (١٢٩/٢١ ، ١٢٧) .

وهذا التوجيه رده النحاة بأنه لا يجوز إلا في الكلام المهجين المعقد ، والمزيج المختلط دون العربي المبين ^(١) . وعللوا ذلك بوجود الفصل بين المتعاطفين بجملة منشئة حكماً جديداً ^(٢) . ثم وجهوها على أنها معطوفة على محل الجار والمحرور ، أي على محل ﴿ يَرْؤُوسُكُمْ ﴾ ؛ لأن محله النصب على أنه مفعول به لـ ﴿ أَمْسَحُوا ﴾ . وجلي أن هذا يجعل الأرجل أقرب للمسح ، وهذا ما دفع الكسائي إلى جعل ﴿ أَرْجُلَكُمْ ﴾ منصوبة بفعل مقدر مكرر أي « واغسلوا أرجلكم » ^(٣) . وهذا يؤدي إلى اضطراب في الأسلوب وتكرار للفعل بلا داع .

٢- التشكيك في القارئ وفي صحة القراءة على الرغم من ثبوتها :

من مظاهر موقفهم لجوءهم أحياناً إلى تخطئة القارئ أو اتهامه بالغفلة أو الحكم على القراءة بأنها واهية ، ويتجلى هذا المظهر من خلال توجيههم لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ ﴾ ^(٤) .

وهذه قراءة جمهور السبعة ، وهي المرسومة في المصحف ^(٥) . وتوجه في الإعراب على أن ﴿ زَيْنَ ﴾ فعل مبني للمعلوم ، و﴿ قَتَلَ ﴾ مفعول به له ، و﴿ أَوْلَادَهُمْ ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله ، و﴿ شُرَكَائُهُمْ ﴾ فاعل له ^(٦) .

وقرأ ابن عامر ^(٧) : « وكذلك زَيْنَ لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم »

(١) انظر باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٤١٣/١) ، الدر المصون (٢١٠/٤) .

(٢) انظر الدر المصون (٢١٠/٤) .

(٣) انظر باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٤١٤/١) .

(٤) سورة الأنعام : ١٣٧ .

(٥) انظر السبعة ص ٢٧٠ ، الكشف عن وجوه القراءات (٤٥٤/١) ، حجة القراءات (٢٧٣) ،

إعراب القرآن وعلل القراءات (٤٥٤/١) ، البحر المحيط (٢٢٩/٤) .

(٦) انظر حجة القراءات ص ٢٧٣ ، التبيان في إعراب القرآن (٥٤١/١) ، البحر المحيط (٢٢٩/٤) .

(٧) انظر السبعة ص ٢٧٠ ، معاني القرآن للفراء (٣٥٧/١) ، حجة القراءات ص ٢٧٣ ، البحر

المحيط (٢٢٩/٤) .

والفعل فيها مبني للمجهول ، و (قتلُ) نائب فاعل ، و (أولادهم) مفعول به للمصدر (قتلُ) و (شركائهم) مضاف إليه من إضافة المصدر إلى فاعله ^(١) .

والنحويون يسوقون هذه القراءة السبعية [قراءة ابن عامر] عند حديثهم عن الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وقد أوقعت النحاة في حيص بيص مما اضطرهم إلى ردها ، قال مكي بن أبي طالب : « وهذه القراءة فيها ضعف ، للتفريق بين المضاف والمضاف إليه » ^(٢) .

وقال النحاس : « فأما ما حكاه أبو عبيد عن ابن عامر وأهل الشام فلا يجوز في كلام ولا شعر ، وإنما أجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف إليه في الشعر بالظرف لأنه لا يفصل ، فأما بالأسماء غير الظروف فلحن » ^(٣) .

وقال أبو البركات الأنباري : « والبصريون يذهبون إلى وَهْي هذه القراءة ، ووهم القارئ ، إذ لو كانت صحيحة لكان ذلك من أفصح الكلام ، وفي وقوع الإجماع على خلافه دليل على وَهْي القراءة ، وإنما دعا ابن عامر إلى هذه القراءة أنه رأى في مصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوباً بالياء » ^(٤) .

وقال صدر الأفاضل : « وقراءة ابن عامر مردودة » ^(٥) .

إذن هذه القراءة واهية والقارئ بها واهم أو هي لحن أو مردودة . وهي في حقيقتها قراءة سبعية متواترة السند ، والقارئ بها عربي فصيح صريح هو ابن عامر الذي أخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب - كما قال أبو حيان - ^(٦) .

والذي يمكن قوله إن النحاة حكموا على هذه القراءة بأنها واهية أو أن قارئها واهم

(١) وهذا ما منعه النحويون كما سيأتي ، وانظر الإنصاف (٤٣٦/٢) .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات (٤٥٤/١) .

(٣) إعراب القرآن (٥٨٣/١) .

(٤) الإنصاف (٤٣٦/٢) .

(٥) ترشيح العلل ص ٢٤٠ .

(٦) البحر المحيط (٢٢٩/٤) .

استجابة لأقيستهم التي تمنع الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وحجتهم أنها ضعيفة في الشعر فكيف بها في كلام الله سبحانه !!

ولي أن أسأل : من الذي ضعفها في الشعر ؟ ولماذا يحمل القرآن على الشعر ؟ أليس من الإنصاف أن كل شعر جاء على هذه القراءة يعد فصيحاً صحيحاً ؟

ومما يذكره المعربون من آثار حول التشكيك في رواية القراءة ورسم المصحف ما يتداولونه في كتبهم عند حديثهم عن الآيات المعضلة من أثر يروى عن عائشة وآخر يروى عن أبان بن عثمان .

أما الأول فقد سئلت عائشة عن قوله : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ ^(١) ، وعن قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ ﴾ ^(٢) ، وعن قوله : ﴿ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَجْرَانِ ﴾ ^(٣) .

قالت : يا ابن أخي : هذا عمل الكاتب . أخطأوا في الكتاب .

أما الثاني فروى عن أبان بن عثمان بن عفان أنه سئل ما شأن : ﴿ لَكِنَّ الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ ^(٤) . قال : إن الكاتب لما كتب ﴿ لَكِنَّ الرَّاْسُخُونَ ... ﴾ حتى إذا بلغ ﴿ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ قال : ما أكتب ؟ قيل : اكتب ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ ؛ فكتب ما قيل له ^(٥) .

وقد اعتد ابن قتيبة بهذين الأثرين وجعلهما وجهاً من وجوه توجيه الآيات المعضلة فقال : « وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب النحويين فليس هاهنا

(١) سورة النساء : ١٦٢ .

(٢) سورة المائدة : ٦٩ .

(٣) سورة طه : ٦٣ .

(٤) سورة النساء : ١٦٢ .

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤٨/١٥ ، ٢٤٩) ، جامع البيان (٣٩٧/٩ ، ٣٩٨) .

لحن بحمد الله ، وإن كان خطأ في الكتابة فليس على رسوله جناية الكاتب في الخط ^(١) .
وهذا الخبر المروي عن عائشة وأبان أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه « فضائل القرآن » ^(٢) . وحكم عليه محقق الكتاب بأن إسناده ضعيف ، وهو مردود سنداً ومتناً ^(٣) .

واستبعد هذا القول الرازي فقال : « يبعد هذا القول ؛ لأن المصحف منقول بالتواتر فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه ؟ » ^(٤) . وقال الطبري : « لو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف » ^(٥) . وأجمل ما قيل في هذين الأثرين ما ورد عن الشيخ ابن تيمية حيث قال : « وهذا خير باطل لا يصح من وجوه : أحدها : أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسارعون إلى إنكار المنكرات فكيف يقرون اللحن في القرآن ؟ الثاني : أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف ؟ الثالث : أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه غير مستقيم ؛ لوقوف العربي والعجمي عليه ، الرابع : أنه قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب « الثَّابُوتُ » بالهاء على لغة الأنصار فمنعوه من ذلك ورفعوا أمره إلى عثمان ، وأمرهم أن يكتبوه بالتاء ... » ^(٦) . ولم يتمسك العربون به إلا لأن فيه مخرجاً لعدم مطابقة بعض الآيات لمقتضى القواعد .

٣- التكلف في توجيه الآيات والتمحل في تخرجها مما يخرجها عن المعنى المراد منها :

من ذلك ما جاء في توجيههم لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٧) .

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٥٧ .

(٢) في ص ٢٢٩ كما في هامش كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (١/٤٠٠) .

(٣) انظر باهر البرهان (١/٤٠٠) هامش (١) .

(٤) التفسير الكبير (٨/١١) .

(٥) جامع البيان (٩/٣٩٧ ، ٣٩٨) .

(٦) انظر الفتاوى الكبرى (١٥/٢٤٨ ، ٢٤٩) .

(٧) سورة يوسف : ٩١ .

قرأ ابن كثير من السبعة بثبوت الياء في ﴿ يتقي ﴾ ^(١) ، وأشكلت هذه القراءة ؛ لأن القاعدة تقتضي حذف حرف العلة من ﴿ يتقي ﴾ ؛ فوجه النحويون عدم حذف الياء بأن ﴿ مَنْ ﴾ ليست شرطية وإنما اسم موصول بمعنى الذي ، و﴿ يتقي ﴾ فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ؛ ونظراً لمشابهة الاسم الموصول لاسم الشرط في العموم والإبهام دخلت الفاء ^(٢) ، وهناك توجيهات أخرى حكموا عليها في النهاية بأنها لا تأتي إلا في الشعر كما صرح بذلك مكِّي بن أبي طالب ^(٣) .

أما ﴿ يَصِير ﴾ فعلى التوجيه السابق في ﴿ يتقي ﴾ مع قراءة ابن كثير أصبح مشكلاً ، فسكونه لا يتناسب مع توجيه ثبوت الياء ؛ لأنه معطوف على مرفوع فلماذا يسكن ؟ لهذا وجهت بأن الضمة حذفت من آخر الفعل لثلاثاً تتوالى أربع حركات هي الكسرة والضمة وحركتا الفاء والهمزة في ﴿ قَاتِلْ ﴾ لما في ذلك من الثقل الذي لا يتخلص منه إلا بالسكون ^(٤) .

والتوجيه بأن (يصير) سكن لأجل التوالي يخالف ما في القرآن حيث توالى ثمان حركات في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ^(٥) .

وإذا كان التوالي يوجب السكون فلم لا يسكن هنا ؟ إن الذي يمكن أن أقوله إن النحاة لم يجدوا علة وجيهة إلا ما ذكروا ، والذي يظهر أن التوالي ليس مدعاة للنقل ، وعدم معرفتهم تخريج القراءة عائد لكون اللغة من حيث هي لغة لا تخضع لتعليل النحويين دوماً لما فيه من تكلف وإصرار على تطويعها لقواعد غير معيارية قد تكون مبنية على استقرار غير تام .

ومما يجلي التوجيهات المتكلفة عند النحاة ما أداروا من توجيهات في قوله تعالى :

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات (١٨/٢) ، التبيان في إعراب القرآن (٧٤٤/٢) ، النشر (٢٨٥/٢) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات (١٨/٢) ، التبيان في إعراب القرآن (٧٤٤/٢) .

(٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات (١٨/٢) .

(٤) انظر التبيان في إعراب القرآن (٧٤٤/٢) .

(٥) سورة الشورى : ٤٣ .

﴿ إِنِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَرَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

فقد تعددت وجوه التأويل والتخريج دون الوصول إلى رأي واحد قاطع لأن لفظ ﴿ الصَّابِقُونَ ﴾ جاء مخالفاً لظاهر الصنعة النحوية وبه قرأ السبعة (٢) ، مع أن القياس يقتضي النصب بالياء ، لأنه معطوف على اسم ﴿ إِنِّ ﴾ ، وبما أن القول بأن السبعة أجمعوا على القراءة خطأ - غير مقبول - فمخالفة القياس حيرت النحاة ، وجعلت توجيهاتهم تبدو متكلفة متمحولة ، ومن أبرزها :

(أ) رأى بعض النحاة ومنهم سيبويه أن ﴿ الصَّابِقُونَ ﴾ محمول على التقديم والتأخير ، فهو مقدم في نية التأخير ، ويكون التقدير : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك ، ويكون حينئذ مبتدأ محذوف الخبر (٣) . واستشهدوا لهذا التوجيه بقول بشر بن أبي خازم :

و إلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق (٤)

والتقدير : فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك (٥) .

(ب) أن ﴿ الصَّابِقُونَ ﴾ معطوف على موضع ﴿ إِنِّ ﴾ وما دخلت عليه وهو الرفع (٦) .

(١) سورة المائدة : ٦٩ .

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن ص ٥٢ ، الكشف (٦٣١/١ ، ٦٣٢) ، التبيان في إعراب القرآن (٤٥٠/١) ، البحر المحيط (٥٣١/٣) ، الدر المصون (٣٦٢/٤) .

(٣) انظر الكتاب (١٥٥/٢ ، ١٥٦) ، معاني القرآن للزجاج (١٩٣/٢) وعزاه للخليل وسيبويه ، إعراب القرآن للنحاس (٣١/٢) .

(٤) انظر الديوان ص ١٦٥ ، الكتاب (١٥٦/٢) ، معاني القرآن للفراء (٣١١/١) .

(٥) انظر الكتاب (١٥٦/٢) ، معاني القرآن للفراء (٣١١/١) ، الكشف (٦٣١/١) .

(٦) ذكر هذا ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٥٢ ، والعكيري في التبيان (٤٥١/١ ، ٤٥٢) ، وقال الباقر عن هذا : « ولا يجوز أن يدعى فيه أن الرفع محمول على الموضع » إعراب القرآن وعلل القراءات (٤١٢/١) .

ورُدَّ هذا صناعة بأن خير ﴿ إِنَّ ﴾ لم يتم ^(١) .

(ج) أن ﴿ الصَّبِيُّونَ ﴾ معطوف على فاعل ﴿ هَادُوا ﴾ وهو قول الكسائي ^(٢) ، ورُدَّ هذا لسببين ، أحدهما : أنه يوجب كون الصابئين هوداً ، والثاني : أن الضمير لم يؤكد بمفصل ^(٣) .

(د) أن ﴿ الصَّبِيُّونَ ﴾ رفعت لأن ﴿ إِنَّ ﴾ ضعيفة فلا تؤثر إلا في الاسم دون الخبر و﴿ الَّذِينَ ﴾ هنا لا يتبين فيها الإعراب ، فلزمت حالة واحدة في الرفع والنصب والخفض ، وجاز رفع ﴿ الصَّبِيُّونَ ﴾ رجوعاً إلى أصل الكلام ، وبهذا قال الفراء ^(٤) . وضعفه الزجاج ^(٥) والسمين الحلبي ^(٦) .

(هـ) أن خير ﴿ الصَّبِيُّونَ ﴾ محذوف من غير أن ينوى به التأخير ، وضعف هذا ؛ لأنه يلزم فيه الحذف والفصل ^(٧) .

(و) أن ﴿ إِنَّ ﴾ بمعنى نعم وما بعدها في موضع رفع ^(٨) .

(ز) أن النون هي حرف الإعراب ^(٩) .

(ح) أن ﴿ الصَّبِيُّونَ ﴾ في موضع نصب ، لكنه جاء على لغة بلحارث الذين يلزمون المثني الألف والجمع الواو دائماً ^(١٠) .

(١) انظر التبيان (٤٥٩/١ ، ٤٥١) .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (٣١٩/١) ، إعراب القرآن للنحاس (٣٢/٢) .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (١٩٤/٢) ، التبيان (٤٥١/١) ، جامع البيان (٢٤٦/٦) ، البحر المحيط (٥٣١/٣) .

(٤) معاني القرآن (٣١١/١ ، ٣١٠) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١٩٢/٢) .

(٦) الدر المصون (٣٥٨/٤) .

(٧) انظر التبيان في إعراب القرآن (٤٥١/١) .

(٨) انظر مشكل إعراب القرآن (٢٣٣/١) ، التبيان في إعراب القرآن (٤٥٩/١) ، البحر المحيط (٥٣١/٣) .

(٩) ذكر هذا العكبري في التبيان في إعراب القرآن (٤٥٩/١) .

(١٠) انظر معاني القرآن للفراء (١٨٤/٢) ، إعراب القرآن للنحاس (٤٥/٣) ، مشكل إعراب

القرآن (٢٣٣/١) ، التبيان في إعراب القرآن (٤٥٩/١) ، البحر المحيط (٢٥٥/٦) .

وكل الآراء السابقة هي محض تسويغ لما هو أمامهم ، يتجلى فيها التكلف وتظهر آثار الصنعة ، وبخاصة عند من حملوا الآية على التأويل بالحذف ، إذ حاولوا التبرير لقاعدة وضعت دون تدقيق ، وهي قاعدة العطف على اسم ﴿ إِنَّ ﴾ بالرفع قبل مجيء الخبر . ومعلوم أن هذه القاعدة للبصريين ، أما الكوفيون فيجيزون ذلك ، وهذا ما نقل عن الكسائي ، ونقل عن الفراء تقييد جواز ذلك بما لم يظهر فيه عمل ﴿ إِنَّ ﴾ ^(١) .

٤- رد بعضهم توجيه بعض ، وإنكار بعضهم على بعض :

من ذلك رد مكّي بن أبي طالب على الكسائي الذي يرى أن (الصائبون) في آية المائدة - السابقة - معطوف على الضمير المرفوع في (هادوا) ، قال مكّي : « وهو غلط ؛ لأنه يوجب أن يكون الصائبون والنصارى يهوداً ، وأيضاً فإن العطف على المضمّر المرفوع قبل أن يؤكد ، أو يفصل بينهما بما يقوم مقام التأكيد ، قبيح » ^(٢) .

ويتجلى هذا المعلم أكثر في توجيه قوله سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ ^(٣) . قرأ بعضهم ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ بالنصب ^(٤) ، ووجهه بأنه عطف على الوجوه والأيدي ، وذلك لأن الفقهاء مجمعون على وجوب غسل الأرجل ^(٥) .

وهذا التوجيه رده النحاة بأنه لا يجوز إلا في الكلام المهجين المعقد والمزيج المختلط دون العربي المبين ، وقد تقدم الحديث عن قراءة النصب .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (١/٣١٠ ، ٣١١) ، الإنصاف (١/١٨٥) .

(٣) مشكل إعراب القرآن (١/٣٢٣) .

(٤) سورة المائدة : ٦ .

(٥) هي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص ، انظر السبعة في القراءات ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، حجة القراءات ص ٢٢١ وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة .

(١) انظر المغني لابن قدامة (١/١٢٥) ، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢١/١٢٢-١٢٧) .

وقرئت ﴿ وأرجلكم ﴾ بالجر ^(١) ، ووجهت هذه القراءة بأن ﴿ أرجلكم ﴾ جر للمجاورة ، على حد قولهم : « جحر ضب خرب » ^(٢) ، فهو حينئذ مجرور لفظاً منصوب محلاً ؛ لأنه معطوف في المعنى على ﴿ وَجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ المنصوبين ، وذلك على اعتبار أن الثلاثة - الوجوه والأيدي والأرجل - من المغسولات .

وأنكر النحاس هذا التوجيه ، وشنع على من قال به ، فقال : « وهذا القول غلط عظيم ؛ لأن الجوار لا يجوز في الكلام أن يقاس عليه ، وإنما هو غلط ونظيره الإقواء » ^(٣) ، وقال مكّي بن أبي طالب : « وهو بعيد لا يحمل القرآن عليه » ^(٤) .

وقال بعض المحققين منكرًا لدليل المجاورة الذي يحتج به بعض النحاة ويوجهون به بعض القراءات : « هذا جحر ضب خرب » جملة أولع بها قدماء النحاة ومن بعدهم ، ولا حجة فيها من وجهين :

- الأول : أن قائلها - إن وجد - مجهول .

- الثاني : أن الوقوف على الكلمة الأخيرة بالسكون مثار تساؤل ، إذ العربي لا يقف على متحرك ، فمن أين علموا أن قائلها جر كلمة « خرب » ؟ هذا والجر على الجوار ضعيف جداً ، لم يرد بطريق موثوق إلا في الضرورة الشعرية بندرة ، والضرورات لا يحتج بها ^(٥) . وقال أبو حيان عن توجيه الجر بالمجاورة : « هو تأويل ضعيف جداً ولم يرد إلا في

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي جعفر وأبي عمرو وحزمة ، انظر السبعة في القراءات ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، حجة القراءات ص ٢٢٣ ، النشر (٢٥٤/٢) .

(٢) ممن وجه بذلك الأخفش في معانيه (٤٦٦/٢) ، وأبو زرعة في حجة القراءات ص ٢٢٣ ، والباقولي في إعراب القرآن وعلل القراءات (٣٩٩/١) .

(٣) إعراب القرآن (٤٨٥/١) .

(٤) مشكل إعراب القرآن (٢٢٠/١) .

(٥) انظر حجة القراءات ص ٢٢٣ هامش (١) .

النت حيث لا يلبس على خلاف فيه » ^(١) .

ووجهها آخرون بأن الجر في ﴿ أَرْجُلَكُمْ ﴾ على تقدير فعل محذوف يتعدى بالباء ، أي : افعلوا بأرجلكم الغسل ، ثم حذف الفعل وحرف الجر ^(٢) .

وأنكره أبو حيان فقال : « وهذا تأويل في غاية الضعف ^(٣) .

٥- توجيه الآية توجيهاً طريفاً فيه دعابة بعيداً عن القواعد النحوية :

حينما يحار النحاة العربون في توجيه قراءة صحيحة يلجأون إلى توجيهها بعيداً عن العلة الدقيقة للظاهرة النحوية التي أبرزتها تلك القراءة ، من ذلك ما جاء من توجيه لقراءة الجر في آية المائدة التي تحدثت عنها في الفقرة السابقة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ بالجر ، حيث وجهها بعضهم بأن الجر جاء لسبب اقتصادي ، قال الزمخشري : « إن الأرجل لما كانت مظنة الإسراف المذموم المنهي عنه عطفت على الثالث الممسوح لا للمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها » ^(٤) ومثله فعل أبو حيان في بعض التوجيهات ^(٥) .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰجِرَانِ ﴾ ^(٦) جاء توجيه أقرب إلى الطرافة والفكاهة ، وهو بكل تأكيد يرسم صورة للعجز عن وجود توجيه مقنع يطابق قواعد النحو ومقاييس النحويين ، فقد ذكروا أن أبا العباس البناء المتوفى سنة (٧٢١ هـ) سئل عن هذه القراءة : لَمْ لَمْ لَمْ لم تعمل ﴿ إِنَّ ﴾ نصب الاسم ورفع الخبر فيها؟ فأجاب بأنه لما لم يؤثر القول في المقول لهم - وهم فرعون وسحرته - لم يؤثر العامل في المفعول ، فقال له السائل : هذا لا ينهض جواباً فإنه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل ﴿ إِنَّ ﴾ ، فقال له : إن هذا الجواب نَوَارة

(١) البحر المحيط (٤٣٧/٣) .

(٢) البحر المحيط (٤٣٧/٣) .

(٣) المصدر السابق (٤٣٧/٣) .

(٤) الكشف (٥٩٧/١) .

(٥) البحر المحيط (٤٣٨/٣) .

(٦) سورة طه : ٦٣ . وستأتي توجيهات وقراءات متعددة في الآية لاحقاً .

لا تحتمل أن تحك بين الأكف^(١) أي لا يحمل نقداً ، وهو طرفه ودعابة .

٦- توجيهها بما يخالف القياس النحوي أو يعارضه :

من المعالم الواضحة في صنيع النحاة حينما يوجهون بعض آيات القرآن التي تشكل عليهم إعرابياً تخريجهم لها بما يخالف ما صاغوه من أقيسة وما صنعوه من قواعد .

ومن أمثلة ما وجهه النحاة بما يخالف القياس قوله سبحانه : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾^(٢) .

فقد قرأ حمزة والكسائي ﴿ يَبْلُغَنَّ ﴾^(٣) . فأعربها النحاة على أن الألف فاعل و﴿ أَحَدُهُمَا ﴾ بدل بعض ، و﴿ كِلَاهُمَا ﴾ معطوف عليه^(٤) .

وهذا الإعراب يخالف قاعدة نحوية مشهورة وهي عدم جواز الفصل بين البدل والمبدل منه بأجنبي .

ولو خرجت على أن الألف علامة للتثنية و﴿ أَحَدُهُمَا ﴾ فاعل أصبحت محمولة على لغة مستكرهة أو ضعيفة عند النحاة وهي لغة « أكلوني البراغيث » ، ثم إن هذه اللغة تجوز إذا كان الفاعل بصيغة التثنية ، وهنا كلمة ﴿ أَحَدُهُمَا ﴾ مفردة لفظاً ومعنى ، فكيف تجعل الألف علامة للمفرد ؟^(٥) .

وتجلى توجيههم القراءة بما يخالف القياس عند توجيههم القراءات الواردة في قوله

(١) انظر نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (١٨٨/٧-١٨٩) ، ونقله عبدالكريم الأسعد في مقالات منتخبة ص ١٥٦ .

(٢) سورة الإسراء : ٢٣ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (١٢٠/٢) ، الكشف عن وجوه القراءات (٤٣/٢) ، حجة القراءات ص ٣٩٩ ، التبيان في إعراب القرآن (٨١٧/٢) .

(٤) انظر التبيان (٨١٧/٢) ، البحر المحيط (٢٦/٦) .

(٥) انظر الكشف عن وجوه القراءات (٤٣/٢) ، الكشف (٤٤/٢) ، البحر المحيط (٢٦/٦) ، الحاشية العصرية على شرح شذور الذهب (١٣٨/١) .

تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَىٰ ﴾ ^(١) .

فقد قرأ ابن كثير وحفص بتخفيف ﴿ إِنَّ ﴾ ^(٢) . وقد وجهها بعض النحاة على أن ﴿ إِنَّ ﴾ بمعنى « ما » النافية واللام في خبرها بمعنى « إلا » ، والتقدير : ما هذان إلا ساحران ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ ^(٣) .

أي : إلا فاسقين ^(٤) . ورد هذا الزجاجي لمخالفته فقال : « وهذا غلط ؛ لأن اللام للإيجاب والتحقيق و « ما » للنفي ، فلا يجوز اجتماعهما في حال ، فيكون الكلام محققاً منفيّاً » ^(٥) .

ووجهت قراءة ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ بتشديد ﴿ إِنَّ ﴾ والألف في ﴿ لَسَاحِرَانِ ﴾ ^(٦) . فقد وجهت بجملة توجيهات منها : أن ﴿ إِنَّ ﴾ حرف جواب بمعنى « نعم » وهو لا يعمل كما أن « نعم » كذلك ^(٧) ، قال بهذا المبرد ^(٨) ، والزجاج ^(٩) ، ولكن رده ابن الحاجب بأنه لم يثبت إلا شاذاً ^(١٠) .

(١) سورة طه : ٦٣ .

(٢) انظر السبعة في القراءات ص ٤١٩ ، القراءات وعلل النحويين فيها (٣٨٦/١) ، الكشف (٩٩/٢) ، الكشف (٥٤٣/٢) ، البحر المحيط (٢٥٥/٦) ، النشر في القراءات العشر (٣٢٠/٢) ، وقد تقدم معنا بعض القراءات فيها .

(٣) سورة الأعراف : ١٠٢ .

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٦١/٣) ، باهر البرهان (٩١٠/٢) ، البحر المحيط (٢٥٥/٦) .

(٥) اللامات لأبي القاسم الزجاجي ص ١١٩ .

(٦) انظر السبعة ص ٤١٩ ، القراءات وعلل النحويين فيها (٣٨٦/١) ، حجة القراءات ص ٤٥٤ ، النشر (٣٢١/٢) ، الإتحاف ص ٢٠٤ .

(٧) هذا محل خلاف بين النحاة ، فعزي لسيبويه والأخفش جوازه ، وصححه ابن عصفور وأنكره أبو عبيدة . انظر المغني (٣٧/١) ، مع الهوامع (١٨٠/٢) .

(٨) المقتضب (٣٦٤/٢) .

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٣٦٣/٣) .

(١٠) الأمالي النحوية (٦٢/١) .

وقيل : إن الأصل « إنه هذان » على أن اسم « إن » ضمير الشأن محذوف والجملة بعده في محل رفع خبر ^(١) . ولكن رد هذا والذي قبله لمخالفته القياس ، قال ابن الحاجب : « لام الابتداء لا تدخل على الخبر مع كونها مبتدأ ... ولأن حذف ضمير الشأن المذكور لم يثبت إلا شاذاً في مثل قولهم : إن من يدخل الكنيسة يوماً ... ^(٢) وعلى ثبوته فهو ضعيف » ^(٣) .

ورد الغزنوي التوجيهين السابقين بقوله : « إلا أن التعسف في القولين ظاهر ؛ لأن لام التوكيد تختص بخبر (إن) ... » ^(٤) .

ومما وجهت به بعض الآيات المشكلة توجيهاً مخالفاً للقياس توجيههم لقوله تعالى : ﴿ لَيْكِنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْقَائِمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(٥) . فقد وجهها بعضهم بتوجيهات كثيرة منها :

■ أن « الْقَائِمِينَ » منصوب على المدح ، والتقدير : وأمدح المقيمين ، وهو مذهب سيبويه والبصريين ^(٦) ، وقال به ابن قتيبة وعزاه للكسائي ^(٧) ، ورجحه الزجاج ^(٨) والنحاس ^(٩) والعكيري ^(١٠) والرازي ^(١١) .

وردّ هذا القول لأنه تخريج على ما يخالف القياس من أنه لا يجوز القطع والنصب

- (١) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٦٣) ، حجة القراءات ص ٤٥٥ .
- (٢) صدر بيت عجزه : يلقى فيها جاذراً وظباء ... والبيت للأخطل في شرح شواهد المغني (١/٤٥) ، الدر (١/١١٥) ، وليس في ديوانه .
- (٣) الأمالي النحوية (١/٦٢) .
- (٤) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٢/٩١٢) .
- (٥) سورة النساء : ١٦٢ .
- (٦) انظر الكتاب (٢/٦٢-٦٤) ، الأصول (٢/٧٩) .
- (٧) تأويل مشكل القرآن ص ٥٣ .
- (٨) معاني القرآن وإعرابه (٢/١٣١ ، ١٣٢) .
- (٩) إعراب القرآن (٢/٢٣٨) .
- (١٠) التبيان في إعراب القرآن (١/٤٠٧ ، ٤٠٨) .
- (١١) التفسير الكبير (١١/١٠٨) .

على المدح إلا بعد تمام الخير^(١). قال الطبري: « وإنما تنصب العرب على المدح من نعت من ذكرته بعد تمام خبره ، قالوا : وخير ﴿ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ قوله ﴿ أُولَئِكَ سَنُوْثِيْهِمْ أَجْرًا عَظِيْمًا ﴾ ، فغير جائز نصب ﴿ الْمُقِيْمِيْنَ ﴾ على المدح ، وهو في وسط الكلام ولما يتم خبر الابتداء »^(٢).

ومن التوجيهات في الآية التي خالفت قاعدة نحوية مقررة :

■ أن ﴿ الْمُقِيْمِيْنَ ﴾ معطوف على الكاف في ﴿ قَبْلِكَ ﴾ والتقدير : ومن قبل المقيمين الصلاة ، فحذف « قبل » وأقيم المضاف إليه مقامه^(٣).

■ أو أن ﴿ الْمُقِيْمِيْنَ ﴾ معطوف على الكاف في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ويكون التقدير : « إليك وإلى المقيمين »^(٤).

■ أو أن ﴿ الْمُقِيْمِيْنَ ﴾ معطوف على الهاء والميم في ﴿ مِنْهُمْ ﴾ ، والمعنى : لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك^(٥).

وكل الأوجه الثلاثة السابقة هي بحث عن توجيه مطابق للقياس النحوي لكنها أدت إلى ما يخالفه ، حيث قال العلماء فيها : إنها لا تجوز لأنها تؤدي إلى عطف الظاهر على الضمير المحرور من غير إعادة حرف الجر^(٦).

ولهذا قال الزجاج : « وهذا عند النحويين رديء ؛ لأنه لا يعطف بالظاهر المحرور

(١) انظر معاني القرآن للفراء (١٠٧/١) وعزاه للكسائي ، وعزاه الشوكاني في فتح القدير (٥٣٧/١) للمبرد ، وذكر أن هو الذي ضعف النصب على المدح ، وفي الكامل (٣٨/٣) ما يخالف التضعيف من القول بالنصب على المدح .

(٢) جامع البيان (٣٩٦/٩ ، ٣٩٧) ، وانظر الدر المصون (١٥٥/٤) .

(٣) انظر التبيان في إعراب القرآن (٤٠٧/١) ، الدر المصون (١٥٥/٤) .

(٤) انظر تأويل مشكل القرآن ص ٥٣ ، معاني القرآن وإعرابه (١٣٠/٢) ، الدر المصون (١٥٤/٤) .

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه (١٣١/٢) ، التبيان في إعراب القرآن (٤٠٧/١) .

(٦) انظر الكتاب (٢٨١/٢ ، ٢٨٢) ، الأصول (٧٩/٢) ، معاني القرآن وإعرابه (١٣١/٢) ، وأجاز ذلك الكوفيون انظر الإنصاف (٤٦٦/٢) ، أوضح المسالك (٦١/٣) ، شرح الأشئوني (١١٤/٣ ، ١١٥) .

على الضمير المجرور إلا في الشعر ^(١) ، وقال الطبري : « هو منكر عند العرب » ^(٢) .
وأكثر العرب يرجحون في هذه الآية النصب على المدح كما ذهب إلى ذلك سيويه كما
تقدم ، ويعللون بأن هذا الباب واسع وله ما يعضده من الشعر ويستشهدون بقول الشاعر :

لا يبعدن قومي الذين همُ سُمُّ العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاهد الأزر ^(٣)

وبقول الآخر :

وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم إلا نَميراً أطاعت أمر غاويها
الظاعنين ولما يظعنوا أحداً والقائلون لمن دار نخلها ^(٤)

لكن الذي أميل إليه أن « أَلْقِيَمِينَ » معطوفة على ضمير مجرور ، ولا فرق بين أن
يكون الكاف التي في « إِلَيْكَ » أو الهاء والميم في « مِنْهُمْ » أو الكاف في « قَبْلَكَ » -
ولو كان يخالف قاعدة صنعها النحاة « وهي عدم العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة
الجار » - وذلك للأمور الآتية :

أولاً : أن الكوفيين يجيزون العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار ^(٥) .

ثانياً : أن ابن مالك يؤيد هذا الجواز في ألفيته حيث قال :

وليس عندي لازماً فقد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتاً ^(٦)

(١) معاني القرآن وإعرابه (١٣١/٢) .

(٢) جامع البيان (٣٩٧/٩) .

(٣) البيتان للخرنق بنت هفان ، انظر الكتاب (٦٤/٢) ، معاني القرآن للفراء (١٠٥/١) ، تأويل

مشكل القرآن ص ٥٣ ، الإنصاف (٤٦٨/٢) ، البحر المحيط (٣٩٦/٣) ، الخزانة (٣٠١/٢) .

(٤) البيتان لابن خياط العكلي ، انظر الكتاب (٦٤/٢) ، شرح أبيات سيويه للسيراقي (١٢/٢) ،

الإنصاف (٤٧٠/٢) ، الخزانة (٣٠١/٢) .

(٥) انظر الإنصاف (٤٦٦٣/٢) ، أوضح المسالك (٦١/٣) ، شرح الأشموني (١١٤/٣ ، ١١٥) .

(٦) انظر شرح الألفية لابن الناظم ص ٢١٢ .

ثالثاً : أنه جاءت به قراءات سبعة منها قوله سبحانه : ﴿ وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَّرَ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ ^(١) بجر ﴿ الْمَسْجِدَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ^(٢) بجر ﴿ الْأَرْحَامَ ﴾ .

رابعاً : أننا لو سلمنا بترجيح المدح ألا يستحق ﴿ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ أن يمدحوا أيضاً فتكون « والمؤتين الزكاة » ؟

٧- توجيهها بتوجيه لا يطبقونه على نظائرها من كلام العرب :

إن النحاة حينما تصادفهم آية معضلة في إعرابها ولم تستجب لقواعدهم أو لا يمكن تطويعها لأقيستهم يلجأون إلى توجيهها توجيهاً لا يحملون عليه نظائرها عند الإعراب المعتاد ، ومن أمثلة ذلك توجيههم للآية التي تقدمت سابقاً وهي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَجْرَانِ ﴾ ^(٣) ، حيث ذكروا من أوجه التخريج ما يأتي :

أن الإعراب يقتضي أن يقال « إنَّ هذان » ؛ وذلك لأن « هذا » اسم منهوك ؛ لأنه على حرفين أحدهما علة والآخر للتنبيه ، وليست من الاسم في شيء ، فلما ثني احتيج إلى ألف التنبيه ، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية ، واحتيج إلى حذف أحدهما ، فإن حذفت الألف بقي الاسم على حرف واحد ، وإن أسقطت ألف التنبيه كان في النون منها عوض ودلالة على التنبيه ، فحذفت ألف التنبيه وبقيت ألف الاسم ، فلما أعرب لم تتغير الألف عن صورتها ، فأعرب بحركات مقدرة ^(٤) . واستُبدِلَ على هذا بقوله تعالى : ﴿ فَذَٰلِكَ بُرْهَانُكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ^(٥) لم تحذف النون مع الإضافة ^(٦) ، لأن حذفها يذهب معنى التنبيه إذ لا علامة للتنبيه إلا النون .

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٢) سورة النساء : ١ . وانظر للحديث عن الآيتين : الكتاب (٢/٣٨١-٣٨٣) ، معاني القرآن للفراء (١/٢٥٢) ، (٢/٨٦) .

(٣) سورة طه : ٦٣ .

(٤) انظر الصاحبي ص ٢٩ ، ٣٠ ، ونقله عبدالكريم الأسعد في مقالات منتخبة ص ١٤٧ .

(٥) سورة القصص : ٣٢ .

(٦) كذا قالوا ، والذي يظهر أن الكاف للخطاب .

ولا يخفى أن هذا القول فيه حمل للمعقول على المنقول ، ولو وقف عند خصوص هذه الآية وبين لماذا جعلنا لحذف ألف التثنية سبباً - وهو بقاء الإشارة على حرف واحد - ولم نجعل هذا السبب يسري على الكلمة في حالة نصبها ، أي إذا جعلنا الياء أداة نصب في « هذين » مع أن الاسم يبقى على حرف واحد ؟ لكان أنفع ، ولكن ما فعله قائل هذا القول هو التماس وبحث عن سبب أعياه .

كما ذكروا من أوجه التخريج في الآية السابقة توجيهاً خصوه بالآيات المشككة ولم يصوغوا منه قاعدة تسري على نظائره ، قالوا في توجيهها :

إن الإعراب حينما لا يظهر في المفرد « هذا » جعل مقدراً في المثني ، وبني على الألف حملاً على المفرد ؛ لأنه فرّع عليه ، وقال بهذا ابن كيسان - فيما رواه عنه القفطي - حيث قال : « وذكر أن القاضي إسماعيل كان معجباً بما يأتي به ابن كيسان من مقاييس في العربية ، وكان له معه مجلس عقيب صلاة الجمعة في جامع المنصور ، فقال له يوماً : يا أبا الحسن : ما تقول في قراءة الجمهور ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ ﴾ ؟ ما وجهها على ما جرت به عادتك من الإعراب في الإعراب ؟ فأطرق ابن كيسان ملياً ثم قال : نجعلها مبنية لا معربة ، وقد استقام الأمر ، فقال له القاضي : فما علة بنائها ؟ قال ابن كيسان : لأن المفرد فيها « هذا » وهو مبني ، والجمع « هؤلاء » وهو مبني فتحمل التثنية على وجهين ، فعجب القاضي من سرعة جوابه وحدة خاطره وبعيد غوصه ... » ^(١) وجلي أن هذا التوجيه خاص بـ « هَٰذَانِ » في الآية وإلا ففي غيرها يجتمع العلماء على أن المثني من اسم الإشارة معرب لا مبني .

وقد قال بقول ابن كيسان مكِّي بن أبي طالب ^(٢) . واختاره ابن تيمية ، ثم قال : « وقد تفتن لذلك غير واحد من حذاق النحاة » ^(٣) .

ومن توجيهات الآية توجيهاً يفصح عن العجز عن معرفة الظاهرة النحوية ولا ينطبق

(١) إنباه الرواة (٥٨/٣) .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات (١٠٠/١) .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٤٨/١٥ ، ٢٤٩) .

على غيرها من النظائر ما نقل عن أبي علي الفارسي أن ﴿ هَذَا ﴾ ليس بثنية « هذا » ؛ لأن « هذا » من أسماء الإشارة ، فلا يكون أبداً إلا معرفة والتثنية من خصائص النكرات كالجمع ؛ لأن واحداً أعرف من اثنين ، فلما لم يصح تنكير « هذا » لم تصح تثنيته من لفظه ؛ ألا ترى أن « أنت وهو وهي » لما كانت معارف لم يثن على لفظها ، فلا يقال : أنتان وهوان وهيان ، ولذلك صيغ لـ « هذا » عند التثنية لفظ مخترع مبني لا يعمل فيه عامل ، ألا ترى أنهم فعلوا في « الذين » هكذا ^(١) .

ولا أدري ماذا فعل أبو علي - رحمه الله - بقوله تعالى : ﴿ إِحْدَى أَبْتَنَّى هَتَيْنِ ﴾ ^(٢) ؟

ألم يجمع النحاة على أن « ذان » للمذكر و « تان » للمؤنث ، وينصبان ويجران بالياء ^(٣) ؟

إن كل هذه التوجيهات الثلاثة تخالف استعمال العرب لـ « هذان » و « هذين » فلم لم يعتبر هذه العلل إلا في هذه القراءة وحدها ؟

إن ما سبق من تعاليل متفننة وأعاريب متعددة تدل - دون أدنى شك - على سعة معالجة النحاة وغزارة علمهم وقدرتهم على التحليل والتعليل والتوجيه ، لكنها في الوقت ذاته تبقى شاهد إثبات على أن قواعدهم لا تنطبق أحياناً على بعض آي القرآن الكريم ، أما أسباب ذلك فهي حديث الفقرة الآتية .

(١) انظر باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٩/٩١٢ ، ٩١٣) ، وهو بمعناه في المسائل

البصريات (٩/٨٥٢ ، ٨٥٣) .

(٢) سورة القصص : ٢٧ .

(٣) انظر شرح التصريح (١/١٢٧) .

ثانياً : الأسباب التي أدت إلى هذا الموقف

ينبغي أولاً أن نقر ونعترف بالجهد الذي بذله النحاة ، والذي يتجلى من خلال كثرة توجيهاتهم وطول باعهم وعمق فكرهم وخصوبة تخريجاتهم في الآيات التي أوردتها واستشهدت بها على بعض المظاهر السابقة . وهي - دون شك - أدلة واضحة على جودة ما أداره النحاة من مناقشات ، وعلى غزارة ما عندهم من وجوه التفنن وضروب المعرفة وقوة الأذهان وعمق المواهب ، على الرغم من أنهم يذهبون أحياناً إلى التحكيك بله التمحك ، وما ذلك إلا للعجز عن معرفة المغزى من مخالفة النص القرآني لقواعدهم ، وعدم مطابقته لأقيستهم ، فلم يكن أمامهم بد من ذكر الاحتمالات والحمل على تلك التوجيهات التي قد تخرج النص عن مراده أحياناً ، بل عن طبيعة اللغة ، يقول الدكتور الطناحي : « إن ذلك - أي التوسع في وجوه الإعراب - ضرب من النشاط الذهني الذي تمليه الصنعة ؛ وهذه الفروض والتقديرية التي يلجأ إليها النحاة للتفسير أو لبيان الأوجه الجائزة لم يقل أحد منهم إنها من كلام العرب ، وسيبويه إمامهم يصرح بذلك كثيراً بأن هذا تقريب أو تمثيل ولم تتكلم به العرب ... وإلا هل تظن أن عاقلاً يفسر كلام الله على مثل : « وإن استجارك أحد استجارك » ^(١) ، أو « وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين » ^(٢) ، أو « وإذا انشقت السماء انشقت » ^(٣) ، أو « ويعذب الظالمين أعد لهم عذاباً أليماً » ^(٤) ... » ^(٥) .

ولقد كان وراء موقف النحاة من بعض الآيات التي أجهدوا أنفسهم في توجيهها دون الوصول إلى رأي قاطع أو حكم نهائي - أسباب ينبغي لنا تلمسها والبحث عنها ، وأحسب أنها تنحصر فيما يأتي :

أولاً : الاستقراء الناقص ، والذي أشار إليه بعض الباحثين ، يقول الأستاذ سعيد

(١) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ سورة التوبة : ٦ .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ سورة يوسف : ٢٠ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ سورة الانشقاق : ١ .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ سورة الإنسان : ٣١ .

(٥) مقدمة تحقيق كتاب الشعر ص ٣٤ .

الأفغاني : « قواعدهم ومقاييسهم النحوية بنوها على استقراء ناقص جداً فكان أساس تلك القواعد والقوانين غير متين من الناحية النظرية على الأقل » ^(١) .

وهذا الاستقراء تجلّى فيما سبق من شواهد وآيات ، ولولاه لما صاغوا قاعدة « عدم دخول (رب) على ما يدل على المستقبل » ^(٢) التي تخالف آية أجمع القراء على قراءتها ، وهي قوله سبحانه : ﴿ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ ^(٣) ، ودفعهم هذا إلى أن يقدروا « كان » محذوفة ، والتقدير : ربما كان يود الذين كفروا ، ومعلوم أن هذا الموضع ليس من مواضع إضمار « كان » كما نص على ذلك بعضهم ^(٤) . قال أبو حيان : « ومما وردت فيه للمستقبل قول سليم القشيري :

ومعتصم بالجن من خشية الردى سirdى وغاز مشفق سيؤب ^(٥)

وقول هند أم معاوية :

يا رب قائلة غداً يا لهف أم معاوية ^(٦)

وقول جحدر :

فإن أهلك فرب فتى سيبكي علي مهذب رخص البنان ^(٧)
وفي عدة أبيات ^(٨) .

فالآية الكريمة وهذا الكم من الشواهد لم يغير رأي النحاة في أن « رب » تختص بالماضي ^(٩) .

(١) في أصول النحو ص ٦٠ .

(٢) انظر رصف المباني ص ٢٧ ، أوضح المسالك (٦٠/٣) .

(٣) سورة الحجر : ٢ .

(٤) انظر البحر المحيط (٤٤٤/٥) .

(٥) انظر البحر المحيط (٤٤٤/٥) .

(٦) انظر الجنى الداني ص ٤٥١ .

(٧) انظر رصف المباني ص ٢٧١ ، الجنى الداني ص ٤٥٢ .

(٨) انظر البحر المحيط (٤٤٤/٥) .

(٩) قال المالقي : « ومن أحكامها - أي رب - أن الفعل الذي بعد معمولها إذا كان مضارعاً فهو في معنى الماضي » رصف المباني ص ٢٧٠ ، وانظر الجنى الداني ص ٤٥١ .

ووجود الاستقراء الناقص حين صياغة القاعدة لا يعني أن النحاة قصروا ؛ فهم قد اجتهدوا قدر استطاعتهم ووضعوا القواعد وفق ما تبينوا من النصوص التي حصرها وقتذاك العقل البشري .

ثانياً : تعميم الحكم النحوي - مع كون الاستقراء ناقصاً - وهذا مظهر من مظاهر الخلل في المنهج النحوي ، وهو أمر أشار إليه كثير من المعاصرين وأفردوه بأبحاث مستقلة ، قال الأفغاني : « والحق أن النقد يجد في صرف النحاة وفي قواعد نحوهم ثغراً عدة ينفذ منها إلى الصميم ، فهم يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب ، فيجمعون ثغراً ثرية وشعرية من هذه القبيلة ومن تلك ، ومن شعر لا يعرف قائله إلى جملة غير منسوبة . يجمعون هذا إلى أقوال معروفة مشهورة ويضعون قواعد تصدق على أكثر ما وصل إليهم بهذا الاستقراء الناقص ، ثم يسدّدون هذه القواعد بمقاييس منطقية يريدون اطرادها في الكلام ، حتى إذا أتت بعضهم قراءة صحيحة السند تخالف قاعدته القياسية ، طعن فيها وإن كان قارئها أبلغ ممن يحتاج النحاة بكلامهم » ^(١) .

ويتجلى تعميم الحكم فيما نقل عن ابن حزم من قوله : « من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً ويتخذ مذهباً ، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها » ^(٢) . وقد تنبه أبو حيان لتعميم نحاة البصرة الحكم النحوي وحمله على ما وصلهم من نقل فقال : « إن لسان العرب ليس محصوراً فيما نقله البصريون فقط ، والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه » ^(٣) . وكان على النحاة أن يعلموا أن قواعدهم وأقيستهم ليست هي المستوى الوحيد للغة العربية « بل إن النحو لا يرقى أحياناً أمام القراءات القرآنية » ^(٤) .

ثالثاً : أن النحاة - رحمهم الله - منحوا القرآن ميزة في الفصاحة وأولوية في صياغة

(١) في أصول النحو ص ٣١ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٣٢ .

(٣) البحر المحيط (٣٦٢/٢) .

(٤) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٠٥ .

القواعد ، ولكن بعضهم عند التطبيق لم يلتزموا بما ألزموا به أنفسهم ، ولو فعلوا ذلك لجعلوا لغة « أكلوني البراغيث » لغة قوية لورودها في القرآن ، ولأجازوا دخول « رب » على ما يفيد المستقبل ، ولما وضعوا قاعدة « عدم جواز العطف على الضمير المحرور إلا بإعادة الجار » ، ولأجازوا الفصل بين المتضايفين بغير الظرف والجار والمحرور ، وبالتالي أخذت الدراسة النحوية منحى آخر .

وإذا كنا نلتمس لهم عذراً في أن ظواهر لغوية منفردة بمنطقها عن النظام العام لم ينقلها لهم الرواة أو لم تصلهم « وهذا أمر يمكن التماسه في كل لغة » ^(١) ، فليس من المقبول أن تكون آيات قرآنية متواترة لم يطلع عليها النحاة أو أنها كانت غائبة عن أذهانهم حين صياغة القاعدة .

إن أخذهم النصوص من غير القرآن هو الذي دعاهم إلى رفض بعض القراءات السبعة واتهام قارئها بالخطأ أو اللحن بل والتشكيك في صحة روايتها لأن « القواعد عندهم أحكام نافذة لا ينبغي مخالفتها والخروج عن مقتضاها لأي نص حتى القراءة الصحيحة ، بل إن القراءة عندهم ليست نصاً تؤخذ منه الأحكام بل نص تطبق عليه الأحكام ويخضع لسلطانها » ^(٢) .

إن نصوص القرآن - دون شك - هي خليفة بأن يستدل بها على القواعد ، ولكن الذي حدث أن النحاة سلكوا مسلكاً آخر وهو الاستدلال على صحة وسلامة النص القرآني بنص أقل منه سواء أكان شعراً أم نثراً ، وهذا موقف غريب منهم . ويعتذر لهم بعض الباحثين بأن فهم ظروف هذا الموقف منهم أمر يدفع الغرابة ؛ وتتجلى هذا الظروف في أنهم نظروا إلى القرآن نظرة تقديس « فحاولوا توثيق عربيته ، وبذلوا جهوداً تدور حوله ولا تمسه ، وهي الاستدلال عليه بكلام العرب ، وحين تناولوا نصوصه صاحبته تلك النظرة التقديسية ، فإذا صادفهم في نصوصه ما لا يتفق مع القواعد التي صاغوها وقعوا في حرج عظيم » ^(٣) .

(١) الرواية والاستشهاد باللغة ص ٦٥ .

(٢) الرواية والاستشهاد باللغة ص ١٢٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٢٦٠ .

وهذا الاعتذار لم ينظر إليه السابقون ولم يعدوه وجيهاً في دفع التهمة عن النحاة في عدم جعلهم القرآن مصدراً ، بل قال الفخر الرازي : « العجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بالبيت المجهول ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن » ^(١) . كما شنع ابن حزم على النحاة ردهم بعض الآيات لمخالفتها القياس فقال : « ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس ، أو لزهير ، أو جرير ، أو الخطيئة ، أو الطرماح ، أو للشماخ ، أو لأعرابي أسدي ، أو أسلمي ، أو تميمي ، أو من سائر أبناء العرب بوال على عقبه ، لفظاً في شعر ، أو نثر ، جعله في اللغة ، وقطع به ، ولم يعترض فيه ، ثم إذا وجد الله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه ، ولا جعله حجة ، وجعل يصرفه عن وجهه ، ويحرفه عن مواضعه ، ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه » ^(٢) .

رابعاً : أن النحاة - بطبعهم واستجابة لأهدافهم - أصحاب تعقيد وتنظيم ، والآيات التي أضحت معضلة بفعلهم - لخروجها عن قواعدهم ومخالفتها لأقيستهم - كانت مفاجئة لهم ، فما كان منهم إلا أن يوجهوها بتوجيهات مضطربة ومتعارضة ومخالفة للمعنى أو أن يضعفوها ويشككوا فيها ويتهموا القراء بالضعف أو اللحن أو الخطأ أو الروهم - كما مر معنا - .

يقول عبده الراجحي : « وقد كان القراء يرون بحق أن منهجهم أوثق وأصح من هذه الأصول والقواعد التي خضع لها النحاة وحاولوا أن يخضعوا لها اللغة » ^(٣) .

ويوضح أبو حيان في نص صريح موقف النحاة من القراء ودوافعه فيقول : في قراءة « وجعلنا لكم فيها معاش » ^(٤) - بالهمز - : « قال المازني : أصل هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدري ما العربية ، وكلام العرب التصحيح في نحو هذا ، انتهى ، ولسنا متعبدين بأقوال

(١) التفسير الكبير للرازي (٣/١٩٣ ، ١٩٤) ، وانظر في أصول النحو ص ٣٢ ، والرواية

والاستشهاد باللغة ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) الفصل في الملل والنحل (٣/١٩٢) .

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٠٤ .

(٤) سورة الأعراف : ١٠ .

نحاة البصرة ... فوجب قبول ما نقلوه إلينا ، ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة في مثل هذا ، وأما قول المازني : أصل هذه القراءة عن نافع فليس بصحيح ؛ لأنها نقلت عن ابن عامر والأعرج والأعمش ، أما قوله إن نافعاً لم يكن يدري ما العربية - وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب - فهو لا يلزمه ذلك إذ هو فصيح متكلم ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء ، وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ولا يجوز لهم ذلك ^(١) .

خامساً : من أسباب موقفهم المضطرب من الآيات المعضلة إعراباً - غير ما سبق - التمسك بالقاعدة تمسكاً شديداً على حساب المسموع ، بل وصل الأمر ببعض النحاة إلى أن يكيف ألفاظ الشاهد على قاعدته ، ليجعله شاهداً لها أو متمشياً معها ^(٢) ، وهذا الأمر بكل تأكيد لا يمكن أن يكون في آيات القرآن فأضحت مشكلة ، مما أدى إلى ظهور المعالم السابقة لموقفهم .

يقول أحد الباحثين : « لقد قام العلماء بدراستهم للغة بجد وعمق وتنظيم للمادة المروية بين أيديهم ... ولكن حملوا أنفسهم أحياناً - عن اضطرار أو قصد - على النصوص في طرق ملتوية لا تتفق مع ظاهر الرواية فيها ، فانعكست عليها آثار الصنعة الذهنية ، وكلما تأخر الزمن أوغلت الدراسة في العمق والتعقيد ، وتخلت النصوص عن مواقعها لتؤدي ما يريده الدارسون منها ، وهكذا اطردها الأسلوب العلمي المعقد الذي انحاز فيه العلماء إلى جانب القواعد ، ووقع بذلك الغرم على بعض النصوص التي خضعت مكرهة لسطوة الاثنين : القواعد والنحاة » ^(٣) .

وتمسك النحاة بالقاعدة على حساب المسموع دفعهم إلى التفريق بين المروي والقاعدة ، وأدى بهم إلى إخضاع القاعدة لمنطق إعرابي صارم ، فالقاعدة ومن صاغها ينبغي ألا يوصفا بالخطأ وأن ينزها عن الشبهة ، أما النص المنقول والمروي وناقله أو راويه

(١) البحر المحيط (٢٧١/٤ - ٢٧٢) .

(٢) انظر مثلاً على ذلك قول سيبويه في كتابه (٦١/٣) حينما قال : « ويقال وضعه النحويون » ، وانظر أمثلة أخرى في خزانة الأدب (٣٩٠/٨) .

(٣) انظر الرواية والاستشهاد باللغة ص ٦١ .

فياح الطعن فيهم ويتوقع الخطأ منهم ، ويوسم المروي بالخطأ الذي ينبغي رفضه وتجريح ناقله . وقد انساق نظر النحاة هذا للمروي على الآيات التي بدت مشككة ، وظهرت مخالفة للقواعد المتعارف عليها .

سادساً : لعل من الأسباب التي صرفت النحاة عن صياغة قواعد توافق جميع آيات القرآن الكريم وجعلتهم يضعون قواعد تعارض وتناقض بعض الآيات - التحرز الديني .

وهذا السبب الملح إليه القدماء ، وتبناه بعض المعاصرين ، نقل ابن فارس عن الفراء أنه قال : « اتباع المصحف - إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب - وقراءة القراء أحب إلي من خلافه ، قال : كان أبو عمرو بن العلاء يقرأ : ﴿ إِنَّ هَذِينَ لَسَاحِرَانِ ﴾ ^(١) ولست أجترئ على ذلك ، وقال : ﴿ فَأَصْدَقَ وَأَكُون ﴾ ^(٢) ، فزاد واواً في الكتاب ، ولست أستحب ذلك » ^(٣) . فالفراء يرى أن اتباع القراءة حبيب إليه ما دامت موافقة وجهاً ، أما قراءة أبي عمرو التي غيرت الكتابة فلا يجزئ عليها . وقال في الآية ﴿ إِنَّ هَذَانَ لَسَاحِرَانِ ﴾ : « قد اختلف فيه القراء ، فقال بعضهم : هو لحن ، ولكننا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب » ^(٤) .

ويقول أحد الباحثين : « إن طبيعة التفكير الذي فرض نفسه على دارسي اللغة يحمل بين طياته تعدد الآراء وإعمال الذهن في النص اللغوي - كما هو واضح في كتب النحو - ، والنص القرآني لا يحتمل ذلك ولا يطيقه ، فكان لابد لهم من موقف يحفظ للقرآن قدسيته الدينية في نفوسهم ونفوس غيرهم ، ويحقق لهم رغبتهم في التصرف الحر في النص المدرس » ^(٥) . وإن كنت لا أستبعد هذا ليكون أحد الأسباب التي أدت إلى ظهور الموقف المضطرب من الآيات المعضلة - كما سبق - إلا أنني أرى عدم وقوفه أمام حقيقة أن سيويوه استشهاد في كتابه بثلاثمائة آية ، ومثله فعل المبرد ، مما يعني أنهم لم يطرّحوا القرآن أو يلغوه من أذهانهم .

(١) سورة طه : ٦٣ .

(٢) سورة المنافقون : ١٠ .

(٣) الصاحبي ص ١١ ، وانظر الرواية والاستشهاد باللغة ص ١٢٧ .

(٤) معاني القرآن ١٨٣/٢ .

(٥) الرواية والاستشهاد باللغة ص ١٢٧ .

خلاصة القول

أن التخريجات والتوجيهات النحوية التي تجلت من خلال المظاهر السابقة ، قد أدت - في بعض أحوالها - إلى أن يخرج التركيب القرآني الرائع عن خاصيته بعد أن أقرَّ بها علماء البلاغة واللغة ووصفوها بأنها « خاصة بلغت ذروتها من حيث تناسق المعاني والنغمات والفكرة والجرس »^(١) . فيأتي النحاة فيقدرون ما يفسد ذلك التناسق كي تستقيم لهم القاعدة أو يحملون آياته على لغات ضعيفة مع أن القرآن يمتاز « بخلو ألفاظه وتراكيبه من الحروف المستهجنة مما يجري في لغات بعض العرب ، وكل اللغات التي في حروفها عاهة قد جاء القرآن منزهاً في تأليفه عنها »^(٢) .

إنه ينبغي على النحاة أن يقرؤا بأن القرآن لا يمكن إخضاعه لكل قواعدهم التي صيغت بمعزل عنه ، وأنه يمتاز بنظم سالم من كل صنعة ، وألفاظ بعيدة عن كل تعقيد ، وهو أسلوب يؤدي غرضه كاملاً غير منقوص ينساب - كما يقول صبحي الصالح - « انسياب الماء الذي يسقي القرى »^(٣) .

إنني أدعو من خلال - هذا العمل المتواضع - إلى إعادة دراسة كثير من قضايا النحو القرآني وتراكيبه دراسة تبعد عن منطقية العرض أو فلسفة الصناعة؛ لنستطيع أن ندرك خصائصه بعيداً عن أن يحمل أو يعضد أو يقارن بكلام العرب ، وإنما يجعل هو الأساس للتقعيد والتقييد ، ولم لا ؟ وهو لا تبلى عجائبه .

ثم إنني لا أزعم أن الأسباب التي ذكرتها سابقاً والتي دفعت النحاة إلى ذلك الموقف الذي أفصحت عنه المظاهر المذكورة - هي ولا شيء غيرها التي أدت إلى وجود المعضلات

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٨٣ .

(٢) انظر الطراز (٣/٢٩١ ، ٢٩٢) .

(٣) مباحث في علوم القرآن ص ٣٤٠ .

والمشكلات في بعض الآيات ، وإنما قد تكون هناك أسباب أخرى لم أهتم إليها ، وحسبي أنني حاولت التماسها في ثنايا كتب الأقدمين والمحدثين ، ولعل الاستجابة للدعوة بإعادة دراسة قضايا كثيرة في النحو من جديد تظهر غيرها من الأسباب أو تذهب بعضها ؛ لأن المهم في ذلك كله أن تكون الدراسة النحوية تجعل من القرآن محوراً تدور حوله بكل قراءاته وتتخذ منه مصدراً رئيساً يرسم صورة للعربية الفصيحة يقدم على كل مصدر . وهذا إن تم فسيخرج لنا قواعد نحوية جديدة ويلغي بعض القواعد التي درسناها ودرّسناها زمناً .

والله المسدد للصواب .

فهرس المصادر والمراجع

- ١- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان ، تح: د. مصطفى النحاس ، مطبعة المدني ، ط١ (١٤٠٩هـ) .
- ٢- الأصول في النحو ، ابن السراج ، تح: د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ (١٤٠٥هـ) .
- ٣- إعراب القرآن ، النحاس ، تح: زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني-بغداد ، (١٩٧٧م) . وعالم الكتب ، ط٢ (١٤٠٥هـ) .
- ٤- الأمالي النحوية ، ابن الحاجب ، تح: د. هادي حسن حمودي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط١ (١٤٠٥هـ) .
- ٥- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، القفطي ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية-القاهرة ، ط١ (١٣٦٩هـ) .
- ٦- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، أبو البركات الأنباري ، ومعه كتاب الإنصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر-بيروت .
- ٧- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، ومعه كتاب : عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية-بيروت ، د.ت. .
- ٨- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ، محمد بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي الملقب بـ « بيان الحق » ، تح: سعاد بنت صالح باقي ، مطبوعات جامعة أم القرى-مكة ، ط١ (١٤٢٠هـ) .
- ٩- البحر المحيط ، أبو حيان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت ، ط٢ (١٩٨٣م) .
- ١٠- تأويل ثلاث آيات متشابهات ، د. أحمد حسن فرحات ، دار عمار-الأردن ، ط١ (١٤٢٠هـ) .
- ١١- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، شرح أحمد صفر ، دار التراث-القاهرة ، ط١ (١٣٩٢هـ) .
- ١٢- التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري ، تح: محمد علي الجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، (١٩٦٧م) .
- ١٣- التفسير الكبير : مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، دار الفكر-بيروت ، ط٣ (١٤٠٥هـ) .
- ١٤- جامع البيان عن تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، مطبعة بولاق ، ط١ (١٣٢٩هـ) . ودار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت ، مصورة عن بولاق (١٣٢٣هـ) .
- ١٥- الجنى الداني في حروف المعاني ، حسن بن قاسم المرادي ، تح: د. فخر الدين قباوة ، أ. محمد نديم فاضل ، منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت ، ط١ (١٤٠٣هـ) .
- ١٦- الحاشية العصرية على شرح شذور الذهب ، عبد الكريم الأسعد ، دار الشواف-الرياض ، ط١ (١٤١٦هـ) .
- ١٧- حجة القراءات ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تح: سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ (١٤٢٢هـ) .

- ١٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ، طبعة بولاق ، (١٣٢٩هـ) .
- ١٩- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تح: محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي-بيروت .
- ٢٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي ، تح: د. أحمد الخراط ، دار القلم-دمشق ، ط١ (١٤٢٨هـ) .
- ٢١- ديوان بشر بن أبي خازم الأسعدي ، تح: د. عزة حسن ، منشورات وزارة الثقافة-دمشق ، ط٢ (١٣٩٢هـ) .
- ٢٢- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي ، تح: د. أحمد الخراط ، دار القلم-دمشق ، ط٢ (١٤٠٥هـ) .
- ٢٣- الرواية والاستشهاد باللغة ، د. محمد عيد ، عالم الكتب ، (١٩٩٦م) .
- ٢٤- السبعة في القراءات ، ابن مجاهد ، تح: د. شوقي ضيف ، دار المعارف-مصر ، ط٢ (١٤٠٧هـ) .
- ٢٥- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح بن جني ، تح: د. حسن هندائي ، دار القلم-دمشق ، ط١ (١٤٠٥هـ) .
- ٢٦- شرح أبيات سيويه ، السيراقي ، تح: د. محمد علي سلطاني ، دار المأمون للتراث-دمشق ، (١٩٧٩م) .
- ٢٧- شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، ومعه حاشية الصبان ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي-مصر ، د.ت. .
- ٢٨- شرح ألفية ابن مالك ، بدر الدين بن النازم ، مطبعة انتشارات ناصر خسرو-طهران .
- ٢٩- شرح التصريح على التوضيح ، خالد الأزهرى ، ومعه حاشية يس ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ٣٠- شرح شواهد المغني ، جلال الدين السيوطي ، منشورات مكتبة الحياة-بيروت .
- ٣١- الصاحبي ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، تح: السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي-مصر ، (١٩٧٧م) .
- ٣٢- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى العلوي ، مكتبة المعارف-الرياض .
- ٣٣- الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية ، إعداد محمد بن قاسم ، بيروت ، (١٣٩٨هـ) .
- ٣٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني ، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت ، (١٤٠١هـ) .
- ٣٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ، دار المعرفة ، ط٢ (١٣٩٥هـ) .
- ٣٦- فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، دار الفكر-بيروت ، ط٣ (١٩٦٨م) .
- ٣٧- في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، دار الفكر .
- ٣٨- القراءات وعلل النحويين فيها ، أبو منصور الأزهرى ، تح: نوال إبراهيم الحلوة ، (١٩٩٧م) .
- ٣٩- الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس المبرد ، مكتبة المعارف-بيروت .

- ٤٠- الكتاب ، سيبويه ، تح: عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، ط ٣ (١٤٠٣هـ) .
- ٤١- كتاب الشعر ، أبو علي الفارسي ، تح: د. محمود الطناحي ، الناشر مكتبة الخانجي-القاهرة ، مطبعة المدني ، ط ١ (١٤٠٨هـ) .
- ٤٢- الكشف عن حقائق التنزيل وغيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، تح: محمد صادق قمحاوي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر ، (١٩٧٢م) .
- ٤٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع . مكّي بن أبي طالب ، تح: محيي الدين رمضان ، بيروت ، (١٩٨١م) .
- ٤٤- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات ، نور الدين أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين الباقر ، الملقب بـ «جامع العلوم» ، تح: د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي ، دار عمار-الأردن ، ط ١ (١٤٢١هـ) .
- ٤٥- اللامات ، أبو القاسم الزجاجي ، تح: د. مازن المبارك ، المطبعة الهاشمية-دمشق ، (١٣٨٩هـ) .
- ٤٦- اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د. عبده الراجحي ، مكتبة المعارف-الرياض ، ط ١ (١٤٢٠هـ) .
- ٤٧- مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ، دار العلم للطباعة والنشر ، (١٩٦٥م) .
- ٤٨- المسائل البصريّة ، أبو علي الفارسي ، تح: د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد ، مطبعة المدني-القاهرة ، ط ١ (١٤٠٥هـ) .
- ٤٩- مشكل إعراب القرآن ، مكّي بن أبي طالب ، تح: ياسين محمد الوسواس ، مجمع اللغة العربية-دمشق ، (١٩٧٤م) .
- ٥٠- معاني القرآن ، الأخفش ، تح: د. عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، ط ١ (١٤٠٥هـ) .
- ٥١- معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، تح: عبد الجليل شلبي ، القاهرة ، (١٩٧٢م) .
- ٥٢- معاني القرآن ، الفراء ، تح: أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط ٣ (١٩٨٠م) .
- ٥٣- المغني في الفقه ، ابن قدامة ، تقديم: محمد رشيد رضا ، نشر مكتبة الجمهورية العربية-مصر ، مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٥٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني-القاهرة .
- ٥٥- مقالات منتخبة في علوم اللغة ، عبد الكريم الأسعد ، دار المعراج الدولية-الرياض ، ط ١ (١٤١٥هـ) .
- ٥٦- المقتضب ، أبو العباس المبرد ، تح: محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب-بيروت .
- ٥٧- المنع في التصريف ، ابن عصفور الإشبيلي ، تح: د. فخر الدين قباوة ، دار المعرفة ، ط ١ (١٤٠٣هـ) .
- ٥٨- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، إشراف وتصحيح علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية-بيروت .
- ٥٩- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقرئ ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، (١٩٤٩م) .
- ٦٠- مع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تح: د. عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية-الكويت ، ط ١ (١٤٠٠هـ) .

تلحين النحويين للقراء

د. ياسين جاسم المحميد

التعريف بالبحث :

قدم الباحث بمقدمة عن نشأة القراءات ، والفرق بين القراءة والقرآن ، مع تعريف وجيز بالقراء السبعة .

ولما كان بعض النحويين قد رد قراءات متواترة متصلة الإسناد إلى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فقد حاول الباحث أن يتعرف على أسباب ذلك ، فعلم أن بعض النحويين كانوا يحتكمون في ردهم إلى قواعد تحوية قعدوها ، فكانت بعض القراءات تخالف تلك القواعد ، فيسارع النحوي في ردها وتلحين قارئها ، كما خفي على بعض النحويين توجيه قراءة من القراءات ، فعلمها من وهم القارئ فلجده ، مع أنها متواترة . كما نظر بعض النحويين إلى الشائع من اللغات وعقل عن غيرها ، فرد ما غفل عنه ولحن من قراءتها .

فورد الباحث نماذج من تلحين النحويين للقراء ، فناقشها مناقشة علمية هادئة ، من أجل أن تكون مادة لدراسة جادة في تهذيب القراءات المتواترة لا يساورها شك ، وإن خالفت قاعدة نحوية . وقد اعتمد الباحث على أكثر من سبعين مرجعاً في هذا ، والله الموفق .

أستاذ النحو والصرف بقسم اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة صنعاء . ولد عام (١٩٥٠ م) . وحصل على درجة الماجستير عام (١٩٩٢ م) . وكانت رسالته : الأمر والنهي عند علماء العربية والأصوليين . والدكتوراه عام (١٩٩٥ م) . وكانت رسالته : الدراسات النحوية في تفسير ابن عطية . وله عدد من البحوث والكتب المنشورة .

المقدمة

تضمنت كتب النحو واللغة مجموعة من الردود ، على قراءات بعض القراء ، من غير المتواتر . وكنت لا أستغرب من العالم اللغوي النحوي ، أن يرد قراءة ليست متواترة ، فلما تصفحت بعض كتب النحو والتفسير ، وجدت ردوداً على بعض قراءات الأئمة القراء الكبار ، الذين تلقوا قراءاتهم بالأسانيد المتصلة ، فوصلت قراءاتهم إلى درجة التواتر ، أولئك الذين ارتضت لهم الأمة الإسلامية جيلاً عن جيل ، وتلقت تلك القراءات بالقبول . فتساءلت عن الأسباب والدواعي ، فلم أجد مسوغاً للنحاة في أن يردوا قراءة متواترة ، رويت بالسند المتصل إلى النبي ﷺ . فبادرت بكتابة هذا البحث المتواضع ، لناقش هذا الموضوع مناقشة علمية هادئة ، مع أنني على علم بأن هذا الموضوع ناقشه علماء كبار ، لكنني أحيت أن أسهم في مناقشة هذا الموضوع ، لأن لكل كاتب طريقته في الطرح والمناقشة .

أقول : إن الذي دعا القراء أن يطعنوا في بعض قراءات الأئمة الكبار ، هو اعتقادهم أن النحويين أضبط للقراءة من القراء . قال ابن جني (ت : ٣٩٢ هـ) : « والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة في « بَارِيكُمْ » لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكناً »^(١) . وقال الزمخشري : « والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الراوي ، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو » .

(١) الخصائص (٧٢/١) .

والذي يظهر لجميع الباحثين أن كثيراً من القراء هم من النحاة ، وأن كثيراً منهم يتميز بالضبط والدقة في النقل ، وأن بعضهم أعلى رتبة من بعض النحاة . فلما رجح ابن عطية الأندلسي (ت : ٥٤٦ هـ) نقل أبي الفتح ابن جني ، على نقل أبي عمرو الداني (ت : ٤٤٤ هـ) ، رد عليه أبو حيان النحوي (ت : ٧٤٥ هـ) فقال : « هذا الذي قاله من أن أبا الفتح أثبت ، كلام لا يصح ، إذ رتبة أبي عمرو الداني في القراءات ومعرفتها ، وضبط رواياتها ، واختصاصه بذلك بالمكان الذي لا يدانيه أحد من أئمة القراءات ، فضلاً عن النحاة الذين ليسوا مقرئين ، ولا رووا القرآن عن أحد ، ولا روي عنهم القرآن ، هذا مع الديانة الزائدة ، والتثبت في النقل ، وعدم التجاسر ، ووفور الحظ من العربية ، فقد رأيت له كتاباً في (كلا) ، وكتاباً في (إدغام أبي عمرو الكبير) ، دلاً على اطلاعه على ما لا يكاد يطلع عليه أئمة النحاة ولا المقرئين ، إلى سائر تصانيفه رحمه الله » ^(١) .

وإذا كانت القراءة من غير المتواتر والصحيح ، فلا حرج عندي إذا ردها أحد علماء النحو أو اللغة ، إن كان يمتلك الدليل الثابت . أما إن كانت القراءة القرآنية متواترة ، قد رويت بالأسانيد الصحيحة التي لا تقبل الشك ، فقد نقلت آراء جهابذة العلماء في قبولها وعدم جواز ردها وهي حجة على النحو لا العكس ، بعد بيان الأدلة على فصاحتها ، فهذه القراءات قد روتها الأمة جيلاً عن جيل ، عن أفصح الخلق سيدنا محمد ﷺ ، ولأنه قرأ بها وأقرأها لأصحابه ، بالصورة التي وصلت إلينا متواترة كما هي .

وسوف أناقش هذه المسألة في موضعها - إن شاء الله - بعد أن أعرف القراءات ،

ضمن ما يتطلبه البحث .

(١) البحر المحييط (٣٠٩/٤) ، وينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم (١/٢٨) .

تعريف القراءات

القراءات في اللغة : جمع قراءة ، ومعناها الجمع والاجتماع ^(١) . فالقراءة مصدر من قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا ، فهو قارئ ، وهم قراء وقارئون ^(٢) . فالعالم بالقراءة يسمى مقرئاً وقارئاً ، وقد جاء في كلام العرب ومعناه العابد الناسك ^(٣) ، وهذا معنى عربي .

والقراءة في الاصطلاح : علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم ونطقها ، من تخفيف ، وتشديد ، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف ^(٤) .

وعرف القسطلاني (ت : ٩٢٣ هـ) علم القراءات بأنه : « علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله ، واختلافهم في اللغة والإعراب ، والحذف والإثبات ، والتحريك والإسكان ، والفصل والاتصال ، وغير ذلك من هيئة النطق ، والإبدال من حيث السماع . أو هي : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً إلى ناقله » ^(٥) .

والمقرئ : هو العالم بالقراءات ، الذي رواها مشافهة ، فلو حفظ التيسير - مثلاً - ليس له أن يقرئ بما فيه ، إن لم يشافهه ممن شوفه به مسلسلاً ، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة ^(٦) .

والمقرئ المبتدي : من شرع في الأفراد ، إلى أن يفرد ثلاثاً من القراءات .
والمقرئ المنتهي : من نقل من القراءات أكثرها وأشهرها ^(٧) .

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة قرأ (٧٩/٥) .

(٢) تاج العروس مادة قرأ (١٠١/١) .

(٣) أساس البلاغة (١٠٠/١) .

(٤) القراءات وأثرها في علوم العربية (١٦/١) .

(٥) لطائف الإشارات (١٧٠/١) .

(٦) ينظر : منجد المقرئين ص ٤٩ .

(٧) المصدر السابق ص ٤٩ .

واختلاف القراء في القراءات كاختلاف الآثار التي رويت في الأحكام ، فمنها المجمع عليه ، السائر المعروف ، ومنها المتروك المكروه عند الناس ، المعيب من أخذ به . إلا أن أبا الخير محمد بن الجزري (ت : ٨٣٣ هـ) قد فرق بين اختلاف الفقهاء واختلاف القراء ، قال : « اختلاف القراء كله حق وصواب ، نزل من عند الله ، وهو كلامه لا شك فيه ، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي ، والحق في نفس الأمر فيه واحد ، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر ، نقطع بذلك ، ونؤمن به » ^(١) . وهذا مخصوص بالقراءات المتواترة والصحيحة دون ما كان ضعيف السند ، فالضعيف سنداً يمكن فيه الخطأ بل هو راجح .

وعلم القراءات من أشرف العلوم ، لما له من تعلق بكتاب الله . وقد أمرنا الباري ﷻ أن نتعبده بتلاوة كتابه الكريم تلاوة صحيحة ، فقال : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ ^(٢) . ويمكن لنا أن نتعرف على أركان القراءة الصحيحة ، التي يجوز للمسلم أن يتعبد بها ، والتي تصح بها صلاة المصلي ، بعد أن نعرض بإيجاز عن نشأة القراءات .

لمحة وجيزة عن نشأة علم القراءات

لقد نزل القرآن الكريم منجماً على قلب الرسول ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاماً . قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَرٍ ﴾ ^(٣) . وإن أول ما نزل منه - على أرجح الأقوال - قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ^(٤) . فهذه الآيات هن أول رحمة رحم الله بها الدنيا ،

(١) النشر في القراءات العشر (١/٥٩) .

(٢) سورة المزمل : ٤ .

(٣) سورة الإسراء : ١٠٦ .

(٤) سورة العلق : ١ - ٥ .

وأول نعمة أنعم الله بها على البشرية منذ انقطاع آخر وحي . وإن آخر آية نزلت في أرجح الأقوال ^(١) هي : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ^(٢) . وإن نزول القرآن منجماً هو بمثابة نشوء للقراءات ، فقد أقرأ جبريل النبي ﷺ القرآن الكريم من أوله إلى آخره آية آية ، وكان رسول الله ﷺ يعلم الصحابة بعد نزول الآيات مشافهة ، وهم بدورهم يعلمونها من سواهم . وكان النبي الكريم يتلو الآيات على أصحابه حسب لهجاتهم الفصيحة ، تيسيراً عليهم . فيأخذونها عنه مشافهة بلهجاتهم التي تختلف من قبيلة إلى أخرى .

ثم إن الصحابة رضي الله عنهم قد اختلف أخذهم وتلقيهم عن رسول الله ﷺ ، بسبب نزول القرآن على سبعة أحرف كل حسب ما سمع ، فلما تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال ، اختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم ، وأخذ تابعي التابعين عن التابعين ، وهلم جرا ، حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين ، الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات ، يضبطونها ويتقنونها وينشرونها .

وحينما استحر القتل بالقراء في حروب الردة ، أي : بعد وفاة النبي ﷺ . طلب عمر بن الخطاب (ت : ٢٣ هـ) من أبي بكر (ت : ١٣ هـ) أن يجمع القرآن الكريم ، فقال : « إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ... » ^(٣) . فلم يزل عمر يراجع أبا بكر حتى شرح الله صدره لذلك . فأمر زيد بن ثابت (ت : ٤٥ هـ) مع بعض الصحابة ، وهم أبي بن كعب (ت : ٢٢ هـ) ، وعبد الله بن مسعود (ت : ٣٢ هـ) ، وعثمان بن عفان (ت : ٣٥ هـ) ، وعلي بن أبي طالب (ت : ٤٠ هـ) ،

(١) ينظر فتح القدير (١/٣٨٠) .

(٢) سورة البقرة : ٢٨١ .

(٣) صحيح البخاري ، رقم الحديث (٤٧٠١) ، (١٩٠٧/٤) ، وينظر : السبعة في القراءات ص ٦ .

وطلحة بن عبيد الله (ت : ٣٦ هـ) ، وحذيفة بن اليمان (ت : ٣٦ هـ) ، وأبو الدرداء (ت : ٣٣ هـ) ، وأبو هريرة (ت : ٥٧ هـ) ، وأبو موسى الأشعري (ت : ٤٩ هـ) رحمهم الله ، أمرهم أن يتتبعوا القرآن ويجمعوه ^(١) .

« والاعتماد في نقل القرآن على الحفاظ ، ولذلك أرسل [عثمان رضي الله عنه] كل مصحف مع من يوافق قراءته ، في الأكثر . وليس بلازم . وقرأ كل مصر بما في مصحفهم ، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء قوم أسهروا ليلهم في ضبطها ، وأتبعوا نهارهم في نقلها ، حتى صاروا في ذلك أئمة للاقتداء ، وأنجماً للاهتداء ، فأجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم . ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ودرايتهم ، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم ، وكان المعول فيها عليهم » ^(٢) .

أركان القراءة الصحيحة

القراءة الصحيحة ما توافرت فيها الأركان الثلاثة المعروفة لدى القراء ، وهي : صحة السند ، وموافقة رسم المصحف الإمام ، وموافقة العربية ولو بوجه من وجوهها . وأول من أشار إلى هذا الضابط هو أبو جعفر الطبري ^(٣) (ت : ٣١٠ هـ) ، ثم الحسين بن أحمد بن خالويه ^(٤) (ت : ٣٧٠ هـ) ، ثم مكّي بن أبي طالب القيسي ^(٥) (ت : ٤٣٧ هـ) ، ثم

(١) تنمة الحديث (٤٧٠١) ، والسبعة ص ٦ .

(٢) ينظر : مناهل العرفان ص ٤١٢ ، وهذه الكلمة نقلها الزرقاني عن النويري في شرحه على الطيبة .

(٣) ينظر : الإبانة ص ٦٠ ، حيث نقل نصاً من كتاب (القراءات) للطبري ، صرح فيه بشرط صحة السند ، وموافقة الرسم ، ويؤخذ موافقة اللغة منهما .

(٤) القراءات لابن خالويه ص ١٨ ، مخطوط مصور عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة . ينظر : القراءات القرآنية ، تاريخ وتعريف ص ٤٣ ، وينظر : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١٦٢/١) .

(٥) الإبانة ص ١٠ ، ١٠٣ ، ١٣٩ .

أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي ^(١) (ت : بعد ٤٣٠ هـ) ، ثم أبو عمرو الداني ^(٢) (ت : ٤٤٤ هـ) ، ثم أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة ^(٣) (ت : ٦٦٥ هـ) ، ثم أبو الخير محمد بن محمد المعروف بابن الجزري ^(٤) . قال ابن الجزري : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة ، التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها » ^(٥) .

وقد نظمها ابن الجزري في طيبة النشر بقوله :

وكل ما وافق وجه نحو	وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسناداً هو القرآن	فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت	شدوده لو أنه في السبعة ^(٦)

وإليك تفسير هذه الضوابط :

١- أن توافق القراءة اللغة العربية بوجه من الوجوه . قال ابن الجزري : « وقولنا في الضابط ولو بوجه من وجوه النحو سواء أكان أفصح أم فصيحاً ، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله ، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع ، وتلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح ... وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية » ^(٧) .

(١) المصدر السابق (٩/١) .

(٢) المصدر السابق (٩/١) .

(٣) المرشد الوجيز ص ١٤٥ ، ١٧١ .

(٤) النشر في القراءات العشر (٤٤/١) ، وينظر : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١٦٣/١) .

(٥) النشر في القراءات العشر (٩/١) .

(٦) ينظر : شرح طيبة النشر في القراءات العشر ص ٥ .

(٧) ينظر : النشر في القراءات العشر (١٠/١) ، و مناهل العرفان (٤١٨/١) .

٢- أن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، كقراءة ابن عامر :

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ في سورة البقرة بغير واو ، و ﴿ بالزبر وبالكتاب المنير ﴾ في سورة « آل عمران » بزيادة الباء في الاسمين ، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي . ومثل :

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ في سورة الفاتحة بغير ألف ، فإنه كتب بغير ألف بعد الميم في جميع المصاحف ، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً . ويندرج فيه ما وقع الاختلاف فيه بالحركة والسكون ، مثل ﴿ القدُس ﴾ ، وبالتخفيف والتشديد مثل ﴿ ينشركم ﴾ في يونس ، وبالقطف والوصل المعبر عنه بالشكل ، مثل ﴿ آذْخُلُوا ﴾ في غافر ، وباختلاف الإعجام مثل ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ ، وبالإعجام والإهمال مثل ﴿ نُنْشِئُهَا ﴾ ، وكذا المختلف في كيفية لفظها ، كالمدغم والمسهل والممال والمرفق ، فإن المصاحف العثمانية هكذا كلها . ودخل في هذا قراءة ابن كثير في ﴿ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ من سورة التوبة ، فإنه ثابت في المصحف الكوفي .

واعلم أن من خالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً ، إذا ثبتت القراءة به ، ووردت مشهورة . ألا ترى أنهم يعدون إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء ﴿ تَسْغَلْنِي ﴾ في الكهف ، وقراءة ﴿ أكون من الصالحين ﴾ ، ونحو ذلك ، من مخالف الرسم غير المردود ، لتمشيه مع صحة القراءة ، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها^(١) .

٣- صحة إسنادها ، والمراد بصحة الإسناد أن يروي هذه القراءة عدل ضابط عن

(١) ينظر : النشر في القراءات العشر (١١/١-١٢) ، ومناهل العرفان (٤١٩/١) .

مثله ، وهكذا إلى الرسول ﷺ ، من غير شذوذ ولا علة قاذحة ^(١) .

وإن كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة يحكم بقبولها .

ويمكن لكل من لم يتحقق من القراءة الصحيحة المكتملة الأركان أن يقع في الخطأ ، وقد وقع الأعرابي الذي قرأ في أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الخطأ .

ذكر ابن الأنباري في نزهة الألباء ، قال : « يروى أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ ؟ فأقرأه رجل سورة براءة ، فقرأ : ﴿ أَنْ اللَّهَ بِرِئَاءِ مَنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ بجر اللام ، فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه ، فقال : يا أعرابي تبرأ من رسول الله ﷺ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قدمت المدينة ، ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يقرئني ؟ فأقرأني هذا سورة براءة ، فقال : (إن الله برئ من المشركين ورسوله) . فقلت : أو قد برئ الله تعالى من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله ، فأنا برئ منه ، فقال عمر رضي الله عنه : ليس هكذا يا أعرابي ، فقال : كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ﴿ أَنْ اللَّهَ بِرِئَاءِ مَنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ . فقال الأعرابي : أنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم ، فأمر عمر رضي الله عنه أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة ^(٢) .

من خلال هذه الرواية ندرك مدى ارتباط القراءة بسلامة اللغة ، ذلك أن الأعرابي بفطرته وسليقته أدرك وجه القراءة الخاطئة من الصائبة .

(١) ينظر : النشر (١٣/١) .

(٢) نزهة الألباء ص ١٩-٢٠ ، وينظر مناهل العرفان (٤٢٠/١) .

الفرق بين القرآن والقراءة

يتساءل كثير من الناس : ما الفرق بين القراءة والقرآن ؟ ودار حول هذا الموضوع مناقشات ومناظرات ، قديماً وحديثاً . فتعددت الأقول في ذلك ، و سأجمل ما قاله العلماء في قولين مشهورين :

القول الأول : وهو رأي مكّي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧ هـ) ، وبدر الدين الزركشي (ت : ٧٩٤ هـ) ، وهو التفريق بين القراءة والقرآن . مع اختلاف في وجهات النظر .

فيرى مكّي أن التفريق بين القراءة والقرآن له شروط ، فإن كانت القراءة :

١ - منقولة عن الثقات إلى النبي ﷺ .

٢ - شائعة في العربية .

٣ - موافقة لرسم المصحف .

فهي القراءة التي يقرأ بها ، يعني هي قرآن . وإن اختلف شرط من هذه الشروط ، فليست بقراءة يقرأ به ، يعني ليست بقرآن^(١) .

ونقل هذا عن أبي عمرو الداني^(٢) (ت : ٤٤٤ هـ) ، وذكره السخاوي (ت : ٦٤٣ هـ) في جمال القراء^(٣) ، وصرح بموافقة مكّي أبو شامة في المرشد الوجيز^(٤) .

(١) الإبانة عن معاني القراءات ص ٥٧ - ٥٨ - ١٠٠ ، وينظر : القراءات وأثرها في التفسير

والأحكام (١١٣/١ - ١١٤) .

(٢) ينظر : النشر في القراءات العشر (٩/١) .

(٣) جمال القراء (٢/٤٤٠) .

(٤) المرشد الوجيز ص ١٧١ - ١٧٢ .

ويرى الزركشي أن هناك فرقاً بين القراءة والقرآن ، يفيد أنهما حقيقتان متغايرتان ، يختلف عما ذهب إليه مكّي ، قال : « اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على (محمد ﷺ) للبيان والإعجاز . والقراءات : هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف ، أو كيفيتها ، من تخفيف ، وتثقيل ، وغيرهما . ولا بد من التلقي والمشافهة ، لأن القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع » ^(١) .

القول الثاني : أصحاب هذا القول لم يفرقوا بين القرآن والقراءة ، فكل قراءة عندهم هي قرآن ، وهذا القول نقله ابن الجزري في منجد المقرئين ^(٢) ، عن ابن دقيق العيد (ت : ٧٠٢ هـ) . ويرى ابن الجزري : أن القراءة المتواترة هي قرآن ، كما يرى أن القراءة المشهورة هي قرآن .

قال معقّباً على القراءات المشهورة : « هذا وشبهه وإن لم يبلغ مبلغ التواتر صحيح مقطوع به ، نعتقد أنه من القرآن ، وأنه من الأحرف السبعة التي نزل بها ، والعدل الضابط إذا انفرد بشيء تحتمله العربية والرسم تلقي بالقبول ، قطع به وحصل به العلم » ^(٣) . ويرى ابن الجزري أن القراءات العشرة كلها متواتر مقطوع به ، منزل على النبي ﷺ وهو من الأحرف السبعة ^(٤) .

والذي يظهر لي أن القراءات المتواترة هي قرآن ، نزلت على النبي ﷺ ، وأن كل ما وافق السبع من الثلاث المعشرة هو قرآن ، وأن القراءات الشاذة ليست بقرآن ، لأن كثيراً منها أشبه بالتفسير . أما المتواترة فهي ما رسم في المصاحف . فالمصحف الذي يقرأ به اليوم في معظم العالم الإسلامي هو قراءة حفص عن عاصم ، والمصحف الذي يقرأ به في

(١) مقدمة البرهان في علوم القرآن (١/٥ - ١٣) .

(٢) منجد المقرئين ص ٢٠ - ٢١ ، وينظر : النشر في القراءات العشر (١/١٥) .

(٣) منجد المقرئين ص ١٩ ، وينظر : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١/١٥٢) .

(٤) منجد المقرئين ص ١٦ ، والمصدر السابق (١/١٥٢ - ١٥٣) .

المغرب ، هو قراءة ورش عن نافع ، والمصحف الذي يقرأ به في السودان ، هو قراءة الدوري عن أبي عمرو . فالقرآن هو القراءة المتواترة ولا فرق . وهناك أدلة من السنة المطهرة ، تشير إلى أن القراءات المتواترة هي قرآن - مع أنني أعتقد أن هذه الأحاديث لا تفوت العلامة الزركشي وغيره من العلماء ، الذين فرقوا بين القراءة والقرآن ، ومن هذه الأحاديث : ما رواه عبد الرحمن بن أبي ليلى من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : « إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، فقال أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك » ، ثم أتاه الثانية فقال : « إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين » ، فقال : « أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك » ، ثم أتاه الثالثة فقال : « إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف » ، فقال : « أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك » ، ثم جاءه الرابعة فقال : « إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا » ^(١) .

وكذلك حديث عمر رضي الله عنه قال : « سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها ، فكدت أن أعجل عليه ، ثم أمهلته حتى انصرف ، ثم لبيته بردائه ، فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله ، اقرأ ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هكذا أنزلت » ، ثم قال لي : اقرأ ، فقرأت ، فقال : هكذا أنزلت . إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه » ^(٢) .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأني جبريل عليه السلام على

(١) صحيح مسلم بشرح النووي رقم الحديث (١٩٠٣) ، (٣٤٤/٦) .

(٢) رواه البخاري (١٠٠/٦) ، ومسلم (٢٠٢/٢) ، واللفظ لمسلم .

حرف واحد فراجعته ، فلم أزل أستزيده ، ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف ^(١) .
فهذه الأحاديث تدل على أن القراءات التي قرأ بها النبي ﷺ هي قرآن ، لأن القراءات هي امتداد للأحرف السبعة ، لا كما يقول بعضهم : إنها تمثل حرفاً واحداً . والله أعلم بالصواب .

وقد انتهج علماء القراءات - منذ عصر الصحابة - أسلوباً علمياً دقيقاً ، في انتقال قراءة القرآن من المعلم إلى المتعلم : فلم يكن الشيخ يأذن لتلميذه بالإقراء إلا بعد أن يسمع التلميذ من الشيخ أولاً ، ثم يعرض على شيخه ما سمعه منه . وقد صنع رجال الحديث النبوي الشريف في تحمل السنة شيئاً قريباً من هذا ، غير أنهم اكتفوا في تحمل الحديث بالسماع من لفظ الشيخ ، ولا كذلك علماء القراءات ^(٢) .

فأئمة القراءات خدموا الأمة والملة ، وحافظوا على الكتاب والسنة ؛ يقول السيوطي فيهم : « لما اتسع الخرق ، وكاد الباطل أن يتلبس بالحق ، قام جهابذة الأمة وبالعوا في الاجتهاد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ ، بأصول أصلوها وأركان فصلوها » ^(٣) .

من هم القراء السبعة ؟

لما انتهت رياسة علم القراءات إلى ابن مجاهد (هو أبو بكر أحمد بن يوسف بن العباس بن مجاهد ت : ٣٢٤ هـ) ، شرع في اختيار قراءات ، نظر فيها إلى كل إمام اشتهرت

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه (١٠٠/٦) ، ومسلم في صحيحه (٢٠٢/٢) ، وينظر : المغني

في توجيه القراءات العشر (٥٠/١) .

(٢) ينظر إتحاف فضلاء البشر ص ٥ .

(٣) الإتيقان في علوم القرآن (١٠٤/١) . وينظر : الوجيز في أصول القراءات وتوجيهها من لغة العرب

ص ٢ .

قراءته ، وفاق قراء عصره ضبطاً وإتقاناً ، وضالت ممارسته للقراءة والإقراء ، وشهد له أهل مصره بالأمانة في النقل وحسن الدين وكمال العلم ، واتباع خط المصحف المنسوب إلى مصره ، فأفرد من كل مصر إماماً هذه صفته ، قراءته على مصحف مصره ، فكان أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها ، والكسائي من أهل العراق ، وابن كثير من أهل مكة ، وابن عامر من أهل الشام ، ونافع من أهل المدينة ، وكلهم ممن اشتهرت أمانته ، وطال عمره في الإقراء ، وارتحل الناس إليه من البلدان ^(١) .

وقد علل مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) سر اختيارهم سبعة ، فقال :

« ليكونوا على وفق مصاحف الأمصار السبعة » ^(٢) ، وتيمناً بأحرف القرآن السبعة ... على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمنع ذلك ، إذ عدد القراء الموثوق بهم أكثر من أن يحصى ^(٣) .

ولعل من المفيد أن نستعرض هؤلاء الأئمة الذين اختارهم ابن مجاهد ، حسب ترتيب الإمام الشاطبي لهم في « حرز الأمانى » ، وحسب ترتيب ابن الجزري لهم في طيبة النشر :

الأول : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي : اختلف في كنيته ، ف قيل : أبو رويم ، وقيل : أبو محمد ، وقيل : أبو الحسن . قال نافع : « قال لي أستاذي أبو جعفر : قد عرفنا اسمك ، فما كنيتك ؟ فقلت : إن أبي سماني نافعاً ، ترى أن تكنيني ؟ فقال :

(١) الإبانة ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) بزيادة مصحف لأهل اليمن ، ومصحف لأهل البحرين إلى الخمسة المشهورة ، ولم نجد ابن مجاهد إمامين في هذين المصرين ، فاستعاض عنهما بإمامين من أهل الكوفة ، لكثرة القراء بها ، قاله أبو شامة في مرشد المقرئين ص ١٦٢ . وينظر : من قضايا القرآن ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٣) الإبانة ص ٥١ .

أنت وجهك حسن ، وخلقك حسن ، وقراءتك حسنة ، وأنت أبو الحسن » ^(١) ، إمام أهل المدينة في القراءة ، قرأ على سبعين من التابعين ، وأقرأ الناس دهرًا طويلًا . قال عنه الإمام مالك : نافع إمام الناس في القراءة ، (ت : ١٦٩ هـ) ^(٢) .

الثاني : عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان الداري المكي ، أبو معبد ، وقيل أبو محمد ، وقيل أبو بكر ، وقيل : أبو عباد ، وقيل : أبو المطلب ، إمام أهل مكة في القراءة ، تصدر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن . كان فصيحاً بليغاً ، قال عنه الأصمعي : كان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد بن جبر ، وما زال هو الإمام المجمع عليه بالقراءة حتى مات سنة (١٢٠ هـ) ^(٣) .

الثالث : أبو عمرو زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله المازني البصري . ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة ^(٤) ، قرأ بالكوفة والبصرة على جماعة كثر ، وليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه ، سمع أنس بن مالك ، كان عالماً بالقرآن والعربية ، مع الثقة والأمانة والدين ، قال عنه يونس بن حبيب : والله لو قسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان ، لكانوا كلهم علماء زهاداً ، والله لو رآه رسول الله ﷺ

(١) تنظر ترجمته في : وفيات الأعيان (٣٦٨/٥ - ٣٦٩) ، وسير أعلام النبلاء (٣٣٦/٧ - ٣٣٨) ، وغاية النهاية (٣٣٠/٢) ، وتهذيب التهذيب (٤٠٧/١٠ - ٤٠٨) ، وشذرات الذهب (٢٧٠/١) ، وغاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار (١٢/١) ، ومعرفة القراء الكبار (١٠٧/١) .

(٢) ينظر : غاية النهاية (٣٣٠/٢) ، معرفة القراء الكبار (١٠٨/١) .

(٣) تنظر ترجمته في هداية القاري ص ٢٨ ، وفيات الأعيان (٤١/٣ - ٤٢) ، وسير أعلام النبلاء (٣١٨/٥ - ٣٩٢) ، وتهذيب التهذيب (٣٦٧/٥) ، وشذرات الذهب (١٥٧/١) .

(٤) غاية الاختصار (٣٥/١) .

لسرد ما هو عليه . توفي بالكوفة سنة (١٥٤ هـ) ^(١) .

الرابع : أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي الشامي ،
(من يحصب دهمان) ^(٢) . عربي صريح النسب ، قال عنه الإمام ابن الجزري : « بلغت
قراءته التواتر ، كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين ، الذين أخذوا القراءة عن
الصحابة » ^(٣) ، كان إمام جامع دمشق وقاضيها وشيخ الإقراء بها . توفي بدمشق سنة
(١١٨ هـ) ^(٤) .

الخامس : أبو بكر عاصم بن أبي النجود ، واسم أبي النجود : بهدلة ، الأسدي ،
شيخ الإقراء بالكوفة ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد السلمي ، فجلس في موضعه ،
ورحل إليه الناس من الأقطار ، جمع بين الفصاحة والإتقان ، كان ضابطاً صدوقاً ، روى
عنه أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ، وعدد كبير من الأئمة ، توفي على أرجح
الأقوال سنة (١٢٧ هـ) ^(٥) .

السادس : أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات التميمي الكوفي ،

(١) تنظر ترجمته في هداية القاري ص ٦٤٨ ، ووفيات الأعيان (٣/٤٦٦-٤٧٠) ، وسير أعلام النبلاء
(٦/٤٠٧-٤١٠) ، وتهذيب التهذيب (١٢/١٧٨) ، وشذرات الذهب (١/٢٣٧-٢٣٨) .

(٢) ينظر : جمهرة أنساب العرب ص ٤٧٨ .

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/٢٦٢) .

(٤) تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء (٥/٢٩٢) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/٤٢٣-٤٢٥) ،

وتهذيب التهذيب (٥/٢٧٤) ، وشذرات الذهب (١/١٥٦) ، وغاية الاختصار في قراءات

العشرة أئمة الأمصار (١/٢٩) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٤٤٩) .

(٥) تنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/١٠٩) ، وسير أعلام النبلاء (٥/٢٥٦) ، غاية النهاية

(١/٣٤٦-٣٤٩) ، وتهذيب التهذيب (٥/٣٨) ، ومعرفة القراء الكبار (١/٨٨) ، وهداية

القاري ص ٢٨ .

كانت له الإمامة في الإقراء بعد عاصم ، كان حجة ثقةً ثبتاً بصيراً بالفرائض عالماً بالعربية ، حافظاً للحديث ، فقال عنه سفيان الثوري : « غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض » (ت : ١٥٦ هـ) ^(١) .

السابع : علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي الكسائي الكوفي ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات ، أخذ اللغة عن الخليل بن أحمد ، فصار إماماً في القراءات واللغة والنحو ، وإماماً للمدرسة النحوية الكوفية ، توفي سنة (١٨٩ هـ) ^(٢) .

القراءات في كتب النحويين

القراءات أصل في كتب النحو ، لأن القرآن الكريم بقراءاته المتواترة أصل للنحو العربي ، ولأن النحو قد ارتبط بالقرآن الكريم منذ نشأته . وقد صرح بذلك علماء العربية منذ عهد سيويه (ت : ١٨٠ هـ) ، وحتى المتأخرين من النحاة :

يقول سيويه : « في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ ^(٣) ، في لغة أهل الحجاز ، وبنو تميم يرفعونها ، إلا من درى كيف هي في المصحف » ^(٤) .

(١) تنظر ترجمته في : طبقات ابن سعد (٣٨٥/٦) ، ووفيات الأعيان (٢١٦/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٩٢-٩٠/٧) ، وغاية النهاية (٢٦١/١-٢٦٣) ، وشذرات الذهب (٢٤٠/١) ، ومعرفة القراء الكبار (١١٠/١) ، غاية الاختصار (٥٦/١) ، شرح طيبة النشر ص ١٠ ، وهداية القاري ص ٦٤٨ .

(٢) ينظر : غاية النهاية (٦٢/١) ، ووفيات الأعيان (٢٩٥-٢٩٧/٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٣١/٩) ، وتهذيب التهذيب (٣١٣/٧-٣١٤) ، وشذرات الذهب (٣٢١/١) ، ومعرفة القراء الكبار (١٢٠/١) ، وهداية القاري ص ٦٨٥ .

(٣) سورة يوسف : ٣١ .

(٤) الكتاب (٥٩/١) .

ويعلق الزركشي (ت : ٧٩٤ هـ) على كلام سيويه بقوله : « وإنما كان كذلك لأن القراءة سنة مروية عن النبي ﷺ ولا تكون القراءة بغير ما روي عنه »^(١) . ويقول سيويه أيضاً : « فأما قوله ﷺ : « إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ »^(٢) ، فإنما هو على قوله : « زيدا ضربته ، وهو عربي كثير . وقد قرأ بعضهم : « وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ »^(٣) . إلا أن القراءة لا تخالف ، لأن القراءة سنة »^(٤) .

ويقول أبو عمرو الداني (ت : ٤٤٤ هـ) : « والأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل والرواية . إذا ثبت عنهم لم يردّها قياس عربية ، ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة ، فلزم قبولها والمصير إليها »^(٥) .

تلحين النحويين للقراء

المعروف أن النحويين احتجوا بالقراءات القرآنية ، كما احتجوا بعموم كلام العرب ، فلا يوجد كتاب من كتب النحو المعتمدة إلا واستدل بالقراءات القرآنية . وأرى أن ما نقل من طعن بعض النحويين في بعض القراءات ، محمول على أن القراءة لم تثبت لديه بما تقوم به الحجة ، أو لأن الذي اجتهد قد غلب على ظنه أن هذه القراءة خطأ ، أو وهم من أحد الرواة الذين نقل عن طريقه هذه القراءة التي طعن فيها^(٦) .

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٣٢٢) .

(٢) سورة القمر : ٤٩ .

(٣) فصلت : ١٧ .

(٤) الكتاب (١/١٤٨) .

(٥) عن المنجد : ٦٥ .

(٦) ينظر القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام (١/٢٤٩) .

وقد استمد علماء اللغة قواعدهم من كتاب الله تعالى ، و كلام رسول الله ﷺ ، وكلام العرب الفصيح . فقعدوا القواعد ، لتكون حامية للقرآن والسنة ، بل لتكون في خدمة كتاب الله . والحق أنه إذا ثبتت القراءة حسب الأركان التي مرت بنا قبل قليل ، فينبغي أن تكون القراءة هي الحكم على القاعدة النحوية ، لا أن نرجع نحن بالقراءة إلى القاعدة النحوية ^(١) .

ومعروف لدى الباحثين - كذلك - أن القراءات المتواترة حجة عند النحاة ، وقد ارتضوها ووافقوا عليها . وأن بعض القراءات لم يرتضها بعض النحويين ، فتأولها ، أو عارضها معارضة صريحة أو خفية ، لسبب من الأسباب لا لأن القراءات ليست حجة عنده .

من أسباب تلحين النحويين للقراء

اعتمد النحويون في تلحين القراء على جملة من الأسباب ، منها :

١- أنهم كانوا يحتكمون إلى قواعدهم التي قعدوها هم ، أو قوانينهم التي سنوها ، فرد البصريون قراءات متواترة ، كالفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وهي قراءة ابن عامر ، وكالعطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض ، وهي قراءة حمزة ، وغيرها مما سيرد - إن شاء الله - في هذا البحث .

٢- أحياناً يخفى توجيه القراءة على بعض النحويين ، فيسارع إلى ردها ، كقراءة ﴿ هت لك ﴾ بكسر الهاء ، وفتح التاء ، التي قال عنها أبو علي الفارسي (ت : ٣٧٧ هـ) : « إنها وهم من الراوي » ^(٢) . وكقراءة حمزة ﴿ إِلَّا أَنْ تَخَافَا ﴾ ^(٣) بالبناء للمفعول ، قال

(١) انظر مناهل العرفان (١/٤١٥) .

(٢) الحجة في القراءات (٤/٤٢٠) .

(٣) سورة البقرة : ٢٢٩ .

الفراء عنها : « ولا يعجبني ذلك »^(١) . وكقراءة ابن كثير ﴿ إِن قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاً كَبِيراً ﴾^(٢) بكسر الخاء وفتح الطاء والمد ، قال أبو حيان في البحر : « قال النحاس : لا أعرف لها وجهاً ، ولذلك جعلها أبو حاتم غلطاً »^(٣) .

٣- ينظر بعض النحويين إلى الشائع من اللغات ، ويغفل عن غيره ، كقراءة ابن عامر ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ ﴾^(٤) . جاء في الكتاب : في « غدوة » لغتان ، اللغة الأولى استعمالها معرفة ، علم جنس ، فلا تدخل عليها أل ، واللغة الثانية : استعمالها نكرة ، فيجوز تعريفه^(٥) . إلا أن أبا عبيدة لحن ابن عامر ، وقال : إنما قرأ تلك القراءة اتباعاً لخط المصحف ، وليس في إثبات الواو في الكتاب دليل على القراءة بها ، لأنهم كتبوا الصلاة والزكوة بالواو ﴿ الصَّلَاةُ ﴾ ﴿ الزَّكَاةُ ﴾^(٥) .

٤- رد بعض النحويين قراءة ربما وافقت القياس ، كقراءة ﴿ أَيْمَةٌ ﴾ بالياء ، وقد قال الزمخشري : « فأما التصريح بالياء فليس بقراءة ، ولا يجوز أن تكون قراءة ، ومن صرح بها فهو لحن »^(٦) . وهي قراءة نافع في أحد وجهيه^(٧) .

يقول ابن خالويه (ت : ٣٧٠ هـ) : « قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن ، لا خلاف في ذلك »^(٨) . وقد شنع ابن حزم (ت : ٤٥٦ هـ) على النحاة الذين يردون بعض القراءات ،

(١) معاني القرآن (١/١٤٥) .

(٢) البحر المحيط (٦/٣٢) ، وينظر : إعراب القرآن للنحاس (١/٣١٤) .

(٣) سورة الكهف : ٢٨ .

(٤) الكتاب (٢/٤٨) .

(٥) البحر المحيط (٤/١٣٦) .

(٦) الكشف (٢/١٤٢) ، وينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم (١/٢٢) .

(٧) ينظر : غيث النفع ص ١١٤-١١٥ .

(٨) نقلاً عن المزهر في علوم العربية (١/٢١٣) ، وينظر القراءات وأثرها في التفسير (١/٢٤٦) .

لمخالفتها القياس بزعمهم ، ثم هم يثبتون اللغة بما هو دون القراءة ، فقال : « ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس (ت نحو : ١٣٠-١٨٠ ق. هـ) ، أو لزهير (ت : ١٣ ق. هـ) ، أو لجرير (ت : ١١٠ هـ) ، أو الخطيئة (ت : ٤٥ هـ) ، أو الطرماح (ت نحو : ١٢٥ هـ) ، أو للشماخ (ت : ٢٢ هـ) ، أو لأعرابي أسدي ، أو أسلمي ، أو تميمي ، أو من سائر أبناء العرب بوأل على عقبه ، لفظاً في شعر ، أو نثر ، جعله في اللغة ، وقطع به ، ولم يعترض فيه ، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه ، ولا جعله حجة ، وجعل يصرفه عن وجهه ، و يحرفه عن مواضعه ، ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه ، وإذا وجد لرسول الله ﷺ كلاماً فعل به مثل ذلك » ^(١) . وسوف أناقش بعض النحاة الذين ردوا بعض القراءات المتواترة . ولما رأيت كثيراً من النحاة يلحن قراءة ابن عامر وقراءة حمزة ، أحببت أن أقدمهما ، وأتوسع في مناقشة هاتين القراءتين ، إن شاء الله تعالى :

أمثلة من تلحين النحويين للقراء وردود عليها

إن كتب النحو واللغة والتفسير وغيرها قد تضمنت نصوصاً كثيرة في الطعن على الأئمة القراء ، الذين تواترت قراءاتهم ، وارتضتها الأمة بالقبول . وقد أحصيت أكثر من خمسين موضعاً في الرد على قراءات سبعة متواترة ، قرأ بها الأئمة الأعلام . ولا أستطيع من خلال هذا البحث أن أناقش النحويين في كل المواضع ، فإنه يحتاج إلى دراسة مستفيضة . لكنني سأذكر أمثلة - هنا - لإيضاح الفكرة ومناقشتها :

مثال (١)

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُؤُهُمْ ﴾ ^(٢) .

(١) الفصل في الملل والنحل (١٩٢/٣) ، وينظر القراءات وأثرها في التفسير (١/٢٤٧) .

(٢) سورة الأنعام : ١٣٧ .

قرأ ابن عامر ﴿ زَيْنَ ﴾ بضم الزاي ، على ما لم يسم فاعله ، و﴿ قَتَلَ ﴾ بالرفع ، على أنه مفعول لم يسم فاعله ، و﴿ أَوْلَدَهُمْ ﴾ بالنصب ، وخفض همزة شركائهم ، فتكون قراءة الباقيّن بفتح الزاي والياء ، ونصب لام قتل ، وخفض دال أولادهم ، ورفع همزة شركائهم^(١) .

* التلحين :

ردّ هذه القراءة أبو زكريا الفراء ، إلا أن ردّه لم يكن صريحاً ، بل ذكر أنه لم يعرف جهتها . قال : « وفي بعض مصاحف أهل الشام ﴿ شركائهم ﴾ بالياء .

فإن تكن مثبتة عن الأولين فينبغي أن يقرأ ﴿ زين ﴾ ، وتكون « الشركاء » هم الأولاد ، لأنهم منهم في النسب والميراث ... فإن كانوا يقرؤون ﴿ زَيْنَ ﴾ ، ولست أعرف جهتها ، إلا أن يكونوا منها آخذين بلغة قوم يقولون : « أتيتها عشايا » ثم يقولون في تشية الحمراء : « حمرايان » فهذا وجه أن يكونوا قالوا : زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ، وإن شئت جعلت زين إذا فتحته فعلاً لإبليس ، ثم تخفض الشركاء باتباع الأولاد »^(٢) .

قال مكّي : « وهذه القراءة فيها ضعف »^(٣) .

وقال نصر بن علي الشيرازي الفارسي النحوي (ت : ٥٦٥ هـ) : « بنى الفعل للمفعول ، وأسنده إلى القتل ، وأعمل القتل الذي هو مصدر الفعل ، وأضافه إلى

(١) ينظر : السبعة ص ٢٧٠ ، والتيسير ص ١٠٧ ، والكشف عن وجوه القراءات (٤٥٣/١) ،

والموضح في وجوه القراءات وعللها (٥٠٥/١) ، والوافي في شرح الشاطبية ص ٢٦٨ .

(٢) معاني القرآن (٣٥٧/١-٣٥٨) .

(٣) الكشف (٤٥٤/١) .

الشركاء، وهو فاعل، ونصب الأولاد، لأنه مفعول به، وفصل بالأولاد بين المضاف والمضاف إليه، والتقدير: زين لهم قتل شركائهم أولادهم، فقدم وأخر، وهو قبيح، قليل في الاستعمال»^(١).

سبحان الله العظيم، كيف تكون قبيحة؟ وهي قراءة متواترة، رويت بالسند المتصل إلى النبي ﷺ.

وأما الطبري فقد استقبح هذه القراءة أيضاً، فردها معتمداً في ذلك على القاعدة النحوية، التي لا تميز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول. يقول: «قرأ أهل الشام ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ﴾ بضم الزاي ﴿إِكْثِيرَ مَنْ أَلْمُشْرِكِينَ قَتَلَ﴾ بالرفع، ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ بالنصب، ﴿شركائهم﴾ بالخفض، بمعنى: وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، ففرقوا بين الخافض والمخفض... وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح»^(٢).

وأما الزمخشري فردها كذلك بقوله: «وأما قراءة ابن عامر ﴿قتل أولادهم شركائهم﴾ برفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء، على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مردوداً»^(٣).

* الرد :

ومن صوب هذه القراءة: ابن مالك، وأبو حيان، وابن الجزري، والأشموني، والصبان، والسيوطي، والآلوسي، وغيرهم. وأكتفي بما قاله ابن مالك، وأبو حيان،

(١) الموضح في وجوه القراءات وعللها (١/٥٠٦).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨/٣١).

(٣) الكشف (٢/٥٤).

وابن الجزري ، قال ابن مالك في الكافية الشافية :

فصل مضاف شبه فعل ما نصب مفعولاً أو ظرفاً أجز ولم يعب
فصل يمين واضطراراً وجداً بأجنبي أو بنعت أو ندا^(١)

فقد أجاز ابن مالك أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه بما نصبه المضاف ، من مفعول أو ظرف أو ما يشبهه^(٢) .

وممن دافع عن هذه القراءة أبو حيان الأندلسي النحوي ، قال وهو يرد على الزمخشري : « وأعجب لعجمي ضعيف في النحو^(٣) ، يرد على عربي صريح محض ، قراءة متواترة ، موجود نظيرها في لسان العرب ، في غير ما بيت ... وأعجب لسوء ظن الرجل بالقراء الأئمة ، الذين تخيرتهم هذه الأمة ، لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم وفهمهم وديانتهم ... وإذا كانوا قد فصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالجملة في قول بعض العرب : هو غلام - إن شاء الله - أخيك . فالفصل بالمفرد أسهل^(٤) . »

وقد استدل أبو حيان في رده على الزمخشري بقول أبي الفتح : « إذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال العربي ، وما جاء به ، فإذا كان فصيحاً ، وكان ما أورده يقبله القياس ، فالأولى أن يحسن الظن به ، لأنه يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة ، قد طال عهدها وعفا رسمها » . ثم استدل بقول أبي عمرو بن العلاء المشهور : « ما انتهى إليكم مما

(١) ينظر : شرح ابن عقيل على الألفية (٨٩/٣) .

(٢) ينظر : المصدر السابق (٨٩/٣) .

(٣) ليس الزمخشري ضعيفاً في العربية ، فهو إمام من أئمتها ، إلا أنه جانب الصواب في رده لقراءة متواترة .

(٤) البحر المحيط (٢٩٩/٤) .

قالته العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » ^(١) .

أما ابن الجزري فقال : « قلت : والحق في غير ما قاله الزمخشري ، ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأي والتشهي . وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل ؟ بل الصواب جواز مثل هذا الفصل ، وهو الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول في الفصح الشائع الذائع اختياراً . ولا يختص ذلك بضرورة الشعر . ويكفي في ذلك دليلاً هذه القراءة الصحيحة المشهورة ، التي بلغت التواتر . كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين ، الذين أخذوا عن الصحابة ، كعثمان بن عفان وأبي الدرداء رضي الله عنه ، وهو مع ذلك عربي صريح ، من صميم العرب . فكلامه حجة ، وقوله دليل لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به ، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وروى وسمع ورأى ... » ^(٢) .

وهذه الأدلة كافية لأن يعتقد الباحث أن هذه القراءة ليست قبيحة كما قال بعضهم ، ولا ضعيفة ، بل هي أجدر بالتقدير من القاعدة النحوية المستحدثة ، وقد تحقق نقلها بالتواتر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . فهل القدسية للقراءة المتواترة ؟ أو للقاعدة النحوية ؟

فاللسان العربي اشتمل على كثير من الأساليب التي ورد فيها الفصل بين المتضايين ، بأشكال وأنواع شتى ، في شعر الأعشى ، وعمرو بن كلثوم ، وبجير بن زهير ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وتأبط شراً ، والفرزدق ، وجريز ، وأبي زيد الطائي ، وأبي حية النميري ، وذو الرمة ^(٣) .

وهذه القراءة قوية في النقل والمعنى .

أما النقل : فوردت شواهد كثيرة ، منها قول الشاعر :

(١) البحر المحيط (٢٣٠/٤) ، وأثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ص ٧٥-٧٦ .

(٢) النشر في القراءات العشر (٢٦٣/٢) .

(٣) ينظر : نظرية النحو القرآني ص ٨٢ .

عتوا إذ أجبناهم إلى السلم رأفة فسقناهم سوق البغاث الأجادل^(١)

حيث فصل بين المضاف وهو « سوق » ، والمضاف إليه وهو « الأجادل » .
والأجادل : جمع أجدل ، وهو طائر ضعيف ، بقوله : البغاث . وقول الشاعر :

فرججتُها بمزججة زج القلوص أبي مزادة^(٢)

حيث فصل بين المضاف « زج » ، والمضاف إليه « أبي مزادة » ، بالمفعول
« القلوص » . وجاء مثله قراءة بعض السلف^(٣) ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾^(٤) ،

حيث نصب ﴿ وَعْدِهِ ﴾ على أنها مفعول به للمصدر ﴿ مُخَلِّفَ ﴾ . وكقول الشاعر :

ما زال يوقن من يؤمك بالغنى وسواك مانع فضله المحتاج^(٥)

ففصل بالمفعول « فضله » بين المضاف « مانع » ، والمضاف إليه « المحتاج » .

وأما المعنى ، فمن أوجه :

١ - كون الفاصل فضلة ، فإنه صالح لعدم الاعتداد به .

(١) وبعده : ومن بلغ أعقاب الأمور فإنه جدير بهلك آجل أو معاجل

وهو من شواهد الأشموني في شرحه على ألفية ابن مالك ، رقم (٤٩٧) .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء (٣٥٨/١) ، والخصائص (٤٠٦/٢) ، والحجة لأبي زرعة ص ٣٧٣ ،

والفريد في إعراب القرآن الكريم للمتجرب الهمداني (١٧٧/٣) . وهو من شواهد الأشموني في

شرح على ألفية ابن مالك برقم (٤٩٩) .

(٣) هي قراءة ذكرها الزمخشري في الكشف (٥٣٠/٢) ووصفها بالضعف ، وذكرها الهمداني في

الفريد في إعراب القرآن المجيد (١٧٧/٣) ، والجمل في حاشيته على الجلالين (١٦٤/٤) . وقال :

هي قراءة جماعة من القراء . وذكرها الأشموني في شرحه على الألفية (٢٧٦/٢) .

(٤) سورة إبراهيم : ٤٧ .

(٥) هو من شواهد الأشموني في شرحه على ألفية ابن مالك رقم (٥٠٠) .

- ٢- أنه غير أجنبي ، يعني : الفاصل ، لأنه معمول للمضاف وهو المصدر .
- ٣- أن الفاصل مقدر التأخير ، لأن المضاف إليه مقدر التقديم ، لأنه فاعل في المعنى ، حتى إن العرب لو لم تستعمل مثل هذا الفصل ، لاقتضى القياس استعماله ، لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبي كثيراً ... وإذا كانوا قد فصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالجملة في قول بعض العرب : « هو غلام - إن شاء الله - أخيك » ، فالفصل بالمفرد أسهل ^(١) .
- وهذه الأدلة كافية ، مع أن كتب التفسير والنحو مملوءة بالشواهد .

مثال (٢)

قال تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ^(٢) .

قرأ حمزة الزيات الكوفي ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ، بالخفض ، عطفاً على الضمير المخفوض بالباء ، وقرأ الجمهور ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ بالنصب ^(٣) .

* التلحين :

أنكر هذه القراءة وحرّم القراءة بها المبرد ، حيث قال : « لو صليت خلف إمام يقرأ بالكسر حملت نعلي ومضيت » ^(٤) .

وضعّفها الزمخشري بقوله : « والجر على عطف الظاهر على المضمّر ليس بسديد ، لأن الضمير المتصل متصل كاسمه ، والجار والمجرور كشيء واحد ، فكانا في قولك : مررت

(١) ينظر : إعراب القرآن للسفاسي ، مخطوط ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك (٩٧٩/٢) وما بعدها .

(٢) سورة النساء : ١ .

(٣) السبعة ص ٢٢٦ ، والتيسير ص ٩٣ ، والكشف عن وجوه القراءات (٣٧٥/١) ، والنشر (٢٢٧/٢) ، والواق في شرح الشاطبية ص ٢٤٢ .

(٤) الكامل في اللغة والأدب (٧٤٩/٢) .

به وزيد ، وهذا غلامه وزيد ، شديدي الاتصال ، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبهه العطف على بعض الكلمة ، فلم يجز . ووجب تكرار العامل ، كقولك : مررت به وبزيد ^(١) .

وخطأها الزجاج فقال : « فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر . وخطأ أيضا في أمر الدين عظيم ، لأن النبي ﷺ قال : « لا تحلفوا بآبائكم » فكيف يكون تتساءلون به وبالرحم على ذا ^(٢) .

وضعها نصر بن علي بن محمد الفارسي النحوي ، حيث قال : « والأرحام بالخفض ، قرأها حمزة وحده ، وهو ضعيف ، لأنه عطفه على الضمير المجرور بالباء ، وهذا يضعف من جهة القياس والاستعمال جميعاً ^(٣) » .

* الرد :

هذه القراءة مسندة إلى النبي ﷺ ، قال بصحتها جمع من النحويين واللغويين ، منهم : ابن جني ، وابن يعيش ، وأبو حيان الأندلسي ، وابن زنجلة ، وغيرهم .

- يقول ابن جني : « ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس ، ... لحمزة أن يقول لأبي العباس : إنني لم أحمل الأرحام على العطف على المجرور المضمّر ، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت : وبالأرحام ، ثم حذف الباء لتقدم ذكرها ، كما حذف لتقدم ذكرها في نحو قولك : بمن تمرر أمر ، وعلى من تنزل أنزل ، ولم يقل أمرر به ، ولا أنزل عليه ، لكن حذف الحرفين لتقدم ذكرهما ^(٤) » .

(١) الكشف (٤٩٣/١) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٦/٢) .

(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها (٤٠٢/١) .

(٤) الخصائص (٢٨٥/١) .

وقال ابن يعيش : « إن أكثر النحويين قد ضعف هذه القراءة نظراً إلى العطف على المضمّر المخفوض ... ثم قال : ويحتمل وجهين آخرين غير العطف على المكني المخفوض : أحدهما : أن تكون الواو واو قسم ، وهم يقسمون (بالأرحام) ويعظمونها - وجاء التنزيل على مقتضى استعمالهم ، ويكون قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ، جواب القسم . والوجه الثاني : أن يكون قد اعتقدوا أن قبله باء ثانية ، حتى كأنه قال وبالأرحام ، ثم حذف الباء لتقدم ذكرها ^(١) .

وأما أبو حيان فلا يكتفي بالرد على من ضعف هذه القراءة ، بل يرد عليهم عامة ، وعلى ابن عطية خاصة فيقول : « وما ذهب إليه البصريون وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية ، من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار ، ومن اعتلّاهم لذلك غير صحيح . بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك ، وأنه يجوز ... » ^(٢) . وأضاف أبو حيان : « وأما قول ابن عطية : ويرد عندي هذه القراءة ... إلى آخر كلامه ، فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ، ولا بطهارة لسانه ، إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ ، قرأ بها سلف الأمة ، واتصلت بأكابر قراء الصحابة ، الذين تلقوا القرآن من رسول الله ﷺ بغير واسطة ، عثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأقرأ الصحابة أبي بن كعب ؓ ، عمد إلى ردها هو بشيء خطر له في ذهنه ؛ وهذه الجسارة لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري ، فإنه كثيراً ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم . وحمزة ؓ أخذ القرآن عن سليمان بن مهران الأعمش ، وحران بن أعين ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وجعفر بن محمد الصادق . ولم يقرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر ، وكان حمزة صالحاً ورعاً ثقة في الحديث ... » ^(٣) . وبعد هذا البيان لا بد لي من كلمة أقولها :

(١) شرح المفصل (٧٨/٣) .

(٢) البحر المحيط (١٤٤/٢) وما بعدها .

(٣) المصدر السابق (١٥٦/٣) .

تمسك معظم النحويين بالقاعدة المعروفة لدى البصريين ، التي لا تجيز عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض . ولو أنعمنا النظر في القرآن الكريم لرأينا شواهد كثيرة ، ورد فيها عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض . ولا أدري لم أهملها النحاة ! مع أنهم احتجوا بأبيات شعر سمعت عن بعض العرب ، وبنصوص من كلام العرب الفصحاء ، وكتاب الله قمة الفصاحة والبيان . فمن الشواهد التي وردت في القرآن الكريم :

١- قوله تعالى : ﴿ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ^(١) .
فـ ﴿ الْمَسْجِدِ ﴾ بقراءة الجر معطوف على الهاء في ﴿ بِهِ ﴾ دون إعادة الخافض ^(٢) .

٢- قوله تعالى : ﴿ وَتَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٣) .
أجاز الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) أن تكون ﴿ مَا ﴾ في موضع خفض ، لأنها معطوفة على الضمير المخفوض في ﴿ فِيهِنَّ ﴾ أي : يفتيكم الله فيهن وما يتلى عليكم غيرهن ^(٤) .

٣- قوله تعالى : ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ . و ﴿ الْمُقِيمِينَ ﴾ عند الكسائي في موضع خفض بالعطف على الكاف في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ، والتقدير « يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلاة ، وهم الأنبياء ، أو الملائكة » ^(٥) . وقيل : هو عطف على الكاف في قوله : ﴿ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ، أي

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٢) ينظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤٥٤/١) .

(٣) سورة النساء : ١٢٧ .

(٤) معاني القرآن (٢٩٠/١) ، وينظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٧٩٧/١) .

(٥) ينظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد (٨١٨/١) .

يؤمنون بالذي أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة ، وهم الأنبياء^(١) .

فهذه الآيات جاءت في القراءات السبعة المحكمة ، وهذا الذي جعل أبا حيان يقول عن قراءة حمزة : « ومن ادعى اللحن فيها أو الغلط على حمزة فقد كذب »^(٢) .

ولذلك كان ابن مالك على صواب تام حين قال في ألفيته مخالفا رأي البصريين ، ومؤيداً قراءة حمزة :

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازماً قد جعلاً
وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتاً^(٣)

وحينما عدد أبو حيان مذاهب النحاة في جواز العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض قال : « والذي نختاره ، أنه يجوز ذلك في الكلام مطلقاً ، لأن السماع يعضده ، والقياس يقويه ، أما السماع فما روي من قول العرب : (ما فيها غيره وفرسه) ، بحر الفرس ، عطفاً على الضمير في (غيره) والتقدير : (ما فيها غيره ، وغير فرسه) »^(٤) .

مثال (٣)

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ إِذْ أُنْزِلَ إِلَيَّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَخْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَزْجُوا رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٥) .

(١) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن (١/٢٧٦) ، والفريد (١/٨١٨) .

(٢) البحر المحيط (٢/١٤٧) .

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/٢٣٩) .

(٤) البحر المحيط (٢/١٤٧) ، وينظر : نظرية النحو القرآني ص ٧٦-٧٧ .

(٥) سورة الزمر : ٩ .

قرأ نافع وابن كثير وحمزة بتخفيف الميم ﴿ أَمَّنْ ﴾ ، وقرأ الباقون بالتشديد ^(١) .

* التلحين :

ضعف هذه القراءة ولحن من قرأ بها : أبو الحسن الأخفش ، فقال : « القراءة بالتخفيف ضعيفة » ^(٢) ، وضعفها كذلك أبو حاتم ^(٣) .

* الرد :

هذه القراءة - كما هو معلوم - متواترة ، رويت عن كبار القراء ، إلا أنه لحنها بعض النحويين - كما ترى - ولو تتبعنا وجوهها في العربية ، لرأينا مسوغاتها اللغوية بيّنة . فالألف يجوز أن تكون للنداء ، ويجوز أن تكون للاستفهام ، إن أضمر معادل .

قال الفراء : الهمزة للنداء ، كأنه قيل : يا من هو قانت ، ويكون قوله : قل ، خطاباً له ^(٤) .

وقال مكي بن أبي طالب القيسي : « وحجة من خففه أنه جعله نداء ، فالألف للنداء ، ودليله قوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ﴾ ناداه ، شبهه بالنداء ، ثم أمره ، ويحسن أن تكون الألف للاستفهام ، على أن تضرع معادلاً للألف في آخر الكلام ، تقديره : أمن هو قانت كمن هو بخلاف ذلك ، ودل عليه قوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . ولا بد من هذا الإضمار ، لأن التسوية تحتاج إلى اثنين ، وإلى

(١) التيسير ص ١٨٩ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٢٣٧) ، والموضح في وجوه

القراءات (١/١١١٢) ، والنشر في القراءات العشر (٢/٣٦٢) ، والوافي في شرح الشاطبية في

القراءات السبع ص ٣٥٣ .

(٢) ينظر البحر المحيط (٩/١٨٩) .

(٣) ينظر المصدر السابق (٩/١٨٩) .

(٤) البحر المحيط (٩/١٨٨) .

جملتين ، والقراءتان متقاربتان حستان ^(١) .

ولا يختلف كلام أبي البركات الأنباري كثيراً عما قاله مكّي . إذ يقول : « من قرأ بالتخفيف ففيه وجهان :

أحدهما : أن تكون الهمزة للاستفهام بمعنى التنبيه ...

والثاني : أن تكون الهمزة للنداء ، يامن هو قانت أبشر فإنك من أهل الجنة ... » ^(٢) .

وقال نصر بن علي في الموضح : « والوجه أن الألف للاستفهام ، و « من » موصولة بمعنى الذي ، و « هُوَ قَنِيتُ » صلتها ، والتقدير : أامن هو قانت كمن جعل لله أنداداً ، وليس للنداء ههنا موضع » ^(٣) .

وهذا أبو حيان النحوي يحتاج لها من الشعر والنثر ، فيقول : « « أَمَّن » بتخفيف الميم ، والظاهر أن الهمزة لاستفهام التقرير ، ومقابلة محذوف لفهم المعنى ، والتقدير : أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله : « قل تمتع بكفرك » ؟ ويدل عليه قوله : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » . ومن حذف المقابل قول الشاعر :

دعاني إليها القلب إنني لأمرها سميع فما أدري أرشد طلابها ^(٤)

تقديره : أرشد طلابها أم غي » .

(١) الكشف عن وجوه القراءات (٢٣٧/٢) ، وينظر : النشر (٣٤٧/٢) ، وزاد المسير (١٦٥/٧) ، وتفسير النسفي (٥١/٤) .

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٣٢٢/٢) .

(٣) الموضح (١١١٢/٣) ، يشير إلى الذين فسروا الهمزة بأنها حرف نداء .

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ينظر : شرح أشعار الهذليين (٤٣/١) ، وهو من شواهد المغني برقم

(٤) ، وبلا نسبة في شرح الأشموني (٣٧١/٢) .

مثال (٤)

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ ^(١) .

قرأ حمزة : ﴿ تَخَافَا ﴾ بضم الياء على البناء للمفعول ، وقرأ الباقون بفتح الياء على البناء للمعلوم ^(٢) .

* التلحين :

لحن هذه القراءة الفراء ، وقال : « لا يعجبني ذلك ... وأما ما قاله حمزة فإنه إن كان أراد اعتبار قراءة عبد الله ^(٣) فلم يصبه - والله أعلم - لأن الخوف إنما وقع على ﴿ أَنْ ﴾ وحدها ، إذ قال : ألا يخافوا أن لا ، وحمزة قد أوقع الخوف على الرجل والمرأة وعلى أن ^(٤) ؛ ألا ترى أن اسمها في الخوف مرفوع بما لم يسم فاعله ... » ^(٥) .

(١) سورة البقرة : ٢٢٩ .

(٢) التيسير ص ٨٠ ، والسبعة ص ١٨٢ ، والكشف عن وجوه القراءات (١/٢٩٤) ، والنشر في

القراءات العشر (٢/٢٩٧) ، وينظر : مصحف القراءات العشر ص ٣٦ .

(٣) يريد قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) جاء في حاشية معاني القرآن للفراء (١/١٤٦) : « يريد أنه على قراءة حمزة ﴿ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا ﴾

بناء الفعل للمفعول ، يكون الفعل قد عمل في نائب الفاعل ، وفي أن ومعمولها ، وكأن الفعل قد

عمل في أكثر من معمول واحد الرفع ، وهذا غير مألوف إلا على وجه التبعية . والنحويون

يصححون هذا الوجه بأن يكون ﴿ أَلَّا يُقِيمَا ﴾ بدل اشتمال من نائب الفاعل » .

(٥) معاني القرآن (١/١٤٥) .

* الرد :

وجه جوازها أن الخوف في الحقيقة لا ينبغي أن يكون واقعاً عليهما ، لأنهما لا يخافان ترك حدود الله تعالى ، بل يخاف عليهما ذلك ، فلهذا بني الفعل للمفعول به ، فأسند إليهما ، والتقدير : إلا أن يخافا على أن لا يقيما حدود الله ، فحذف الجار وأوصل الفعل ، فموضع أن وما بعده نصب بوقوع الفعل عليهما ^(١) .

والمعنى : أنه بني الفعل للمفعول ، وهذا على تعديّة خاف إلى مفعولين ، أحدهما أسند الفعل إليه ، والآخر « أن » بتقدير حرف جر محذوف ، فموضع « أن » خفض بالجار المقدر أو في محل نصب ، لأنه لما حذف الجار صار الفعل إلى المفعول الثاني ، مثل : أستغفر الله ذنباً ، وأمرتك الخير ^(٢) .

وقد احتج لقراءة حمزة مكّي بن أبي طالب القيسي بقوله : « وحجة قراءة حمزة بضم الياء أنه بني الفعل للمفعول ، والضمير في « تخافاً » مرفوع لم يسم فاعله ، يرجع للزوجين ، والفاعل محذوف ، وهو الولاية والحكام ، والخوف بمعنى اليقين ، وقيل بمعنى الظن » ^(٣) . والمعنى : إلا أن يعلم الزوجان ألا يقيما حدود الله .

وجاء في الفريد : « وقرئ « إلا أن تخافاً » على البناء للمفعول ، على أن يكون الخلع إلى الحاكم ، أي : إلا أن يخافا الحاكم الزوجين ، ثم حذف الفاعل وأقيم ضمير الزوجين مقامهما » ^(٤) .

قال أبو حيان : « طعن في هذه القراءة من لا يحسن توجيه كلام العرب ،

(١) الموضح في وجوه القراءات وعللها (٣٩٧/١) .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٠٧/١) .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٩٥/١) .

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤٦٧/١) .

وهي قراءة صحيحة مستقيمة في اللفظ وفي المعنى ... » ^(١) .
وأعتقد أن هذه الأدلة كافية على صحة قراءة حمزة ، علاوة على أنها متواترة ، قد
قرأ بها أفصح الخلق سيدنا رسول الله ﷺ .

مثال (٥)

قال تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ ^(٢) .
قرأ حمزة والكسائي بإضافة ﴿ مِائَةٍ ﴾ إلى ﴿ سِنِينَ ﴾ ، ولم يضيف الباقون ^(٣) .

* التلحين :

خطأ هذه القراءة أبو حاتم ، قال أبو حيان : « وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة ،
ولا يجوز له ذلك » ^(٤) ، كما خطأها المبرد في المقتضب ، قال : « وقد قرأ بعض القراء
بالإضافة فقال : ﴿ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ﴾ وهذا خطأ في الكلام غير جائز ، وإنما يجوز في
الشعر للضرورة » ^(٥) .

* الرد :

سأنقل آراء جهابذة اللغة والنحو والقراءات ، ليتبين للقارئ أن تلحين المبرد وغيره
ليس من المسلمات التي لا يرد عليها :

(١) البحر المحيط (٢/٢٢٩) .

(٢) سورة الكهف : ٢٥ .

(٣) السبعة ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، والنشر (٢/٣١٠) ، والكشف عن وجوه القراءات (١/٥٨) ،
وينظر : مصحف القراءات العشر المتواترة ص ٢٩٦ .

(٤) البحر المحيط (٧/١٦٤) .

(٥) المقتضب (٢/١٧١) .

قال القراء : « ومن العرب من يضع السنين في موضع سنة ، فهي حيثئذ في موضع خفض لمن أضاف » ^(١) .

وقال المهدوي : « ... ومن أضاف ولم ينون ، فإنه أوقع الجمع موقع الواحد ، فبين به كما يبين بالواحد ، وأخرج الكلام على أصله ، لأن قولك عندي ثلاثون درهماً وما أشبهه معناه : عندي ثلاثون من الدراهم ، فكذلك ثلاثمئة سنة ، أصلها : ثلاثمئة من السنين ، لكنهم استعملوا التفسير بالواحد ، وكثر ذلك حتى صار التفسير بالجمع شاذاً . وقد قيل : من نون إنما جاء به على التفسير أيضاً ، وذلك أنه لما قال : ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة وقع الإبهام عند السامعين هل هي سنون ؟ أو أشهر ؟ أو أيام ؟ فقال : سنين على جهة البيان » ^(٢) .

ولا يختلف رأي مكّي بن أبي طالب القيسي عما قاله المهدوي : « وحجة من أضاف أنه أجرى الإضافة إلى الجمع كالإضافة إلى الواحد ، في قولك : ثلاث مائة درهم وثلاث مائة سنة ، وحسن ذلك ، لأن الواحد في هذا الباب إذا أضيف إليه بمعنى الجمع ، فحُمِلَ الكلام على المعنى ، وهو الأصل ، لكنه يبعد لقلة استعماله ، فهو أصل قد رفض استعماله ، وقد منعه المبرد ولم يجزه ، ووجهه ما ذكرناه » ^(٣) .

وأما القاضي عبد الحق بن عطية فاحتج لها - كذلك - وبين أن سنين بمنزلة سنة : « وقرأ حمزة والكسائي ويحيى وطلحة والأعمش بإضافة « مائة » إلى « سينين » وترك التنوين ، وكأنهم جعلوا « سينين » بمنزلة سنة ، إذ المعنى بهما واحد . قال أبو علي : إذ هذه الأعداد التي تضاف في المشهور إلى الآحاد نحو ثلثمائة

(١) معاني القرآن (١٣٨/٢) .

(٢) شرح الهداية (٣٩٤/٢) .

(٣) ينظر : الكشف عن وجوه القراءات (٥٨/٢) .

رجل وثوب قد تضاف إلى الجموع» ^(١).

وممن احتج لها الإمام ابن زنجلة ، حيث قال : « قال قوم ^(٢) : ليست هذه القراءة مختارة ، لأن العرب إذا أضافت هذا الجنس أفردت ، فيقولون : (عندي ثلثمائة دينار) ، ولا يقولون : (عندي ثلثمائة دينار) ، ولا يقولون (هؤلاء ثلثمائة رجال) ، إنما يقولون (ثلثمائة رجل) . بل هذه القراءة مختارة . وحجتها [أي حمزة والكسائي] أنهما أتيا بالجمع بعد قوله (ثلثمائة) على الأصل ، لأن المعنى في ذلك هو الجمع . وذلك أنك إذا قلت (عندي مئة درهم) فالمعنى مئة من الدراهم . والجمع هو المراد من الكلام ، والواحد إنما اكتفي به من الجمع ، إذا قيل (ثلثمائة سنة وثلثمائة رجل) لأن الواحد ها هنا يؤدي على معنى الجمع بذكر العدد قبله ، فعاملوا الأصل الذي هو مراد المتكلم ولم يكتفيا بالواحد من الجمع » ^(٣).

هذه هي آراء علماء العربية ، من أهل اللغة والنحو والقراءات ، فهل بعد هذا البيان من شك في هذه القراءة المتواترة وهل يجوز ردها ، أو التشكيك في صحتها ؟

مثال (٦)

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ ^(٤).

قرأ ابن كثير بكسر الخاء والمد ﴿ خطاء ﴾ ، وقرأ ابن ذكوان بفتح الخاء والطاء من غير مد ، وقرأ الباقر بكسر الخاء وإسكان الطاء من غير مد ، وكلهم نون وهمز ^(٥).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٥١٠) .

(٢) يعني بالقوم : الفراء ومن وافقه .

(٣) حجة القراءات ص ٤١٤ .

(٤) سورة الإسراء : ٣١ .

(٥) السبعة ص ١٨٢ ، والنشر (٢/٢٢٧) ، والكشف عن وجوه القراءات (٢/٤٥) ، وينظر :

مصحف القراءات العشر ص ٢٨٥ .

* التلحين :

قال النحاس : « فأما قراءة من قرأ : كان خطاء ، بالكسر والمد ، فلا يعرف في اللغة ، ولا في كلام العرب » ^(١) ، وقال أبو حاتم : هذه القراءة غلط غير جائز ، ولا يعرف هذا في اللغة ^(٢) . وقال المهدوي : « وقراءة ابن كثير على أنه مصدر ما قد استعمل مطاوعه ، وفيه بعد » ^(٣) .

* الرد :

هو مصدر خاطأ على فاعل بخاطئ ، مثل قاتل يقاتل قتالاً ، وقد جاء مطاوعه « تخاطأ » على تفاعل ، قال الشاعر وهو يصف مهابة :

تخاطأه القنّاص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب ^(٤)

فإذا جاء تخاطأ حصل منه خاطأ ، وإن لم يستعمل ^(٥) .

قال أبو علي الفارسي : « هي مصدر من خاطأ بخاطئ ، وإن كنا لم نجد خاطأ ، ولكن وجدنا تخاطأ ، وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه ، ومنه قول الشاعر :

ألا أبلغا خلتي جابراً بأن خليلك لم يقتل
تخاطأت النبل أحشائه وأخر يومي فلم يعجل ^(٦)

(١) معاني القرآن (١٤٨/٤) .

(٢) ينظر : البحر المحيط (٤٣/٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٩١/١٠) .

(٣) شرح الهداية (٣٨٥/٢) .

(٤) ينسب هذا البيت لمحمد بن البصري . وموضع الشاهد فيه قوله : « تخاطأه » حيث جاء تخاطأ على تفاعل ، ومن معانيه مطاوعة فاعل ، فإذا جاء تخاطأ حصل منه خاطأ ، وإن لم يستعمل . ينظر : الموضح في وجوه القراءات وعللها (٧٥٥/٢) .

(٥) ينظر : المصدر السابق (٧٥٥/٢) .

(٦) البيتان لأوفى بن مطر المازني ، ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة (٥/٢) ، ولسان العرب مادة « خ ط أ » ، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/١٠) ، والفريد في إعراب القرآن المجيد (٢٧١/٣) .

وقال الآخر في كمأة :

تخاطأه القعاص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب
فكان هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل » ^(١) .

وقال ابن مالك :

لفاعل : الفاعل ، والمفاعله وغير ما مر السماع عادله
أي : كل فعل على وزن فاعل فمصدره فاعل فعلاً ومفاعلة ، مثل ضارب ضارباً
ومضاربة ، وقاتل قتالاً ومقاتلة ، وخاصم خصاماً ومخاصمة ^(٢) .
فهل يجوز لأحد أن يرد قراءة لأنه لا يعرف وجهها في العربية ؟ أو يردها لأن
استعملها في العربية عن طريق السماع ، ولم يصل إليه ذلك السماع ؟ أو يردها لأنها
تستعمل في العربية على قلة ؟ إن هناك ألفاظاً فصيحة لم يستعملها العرب ، فنزل بها
القرآن ، فظن بعض النحاة أن هذه القراءة على لغة ليست فصيحة .

مثال (٧)

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ ^(٣) .
قرأ ابن عامر بفتح الهمزة ﴿ أنهم ﴾ ، وقرأ الباقون بكسرها ﴿ إِيَّاهُمْ ﴾ ^(٤) .

(١) الحجة (٩٧/٥) ، وينظر : البحر المحيط (٣٢/٦) ، وفيه القناص .

(٢) ينظر : شرح ابن عقيل (١٣١/٣) .

(٣) سورة الأنفال : ٥٩ .

(٤) السبعة ص ٣٠٨ ، والكشف عن وجوه القراءات (٤٩٤/١) ، والنشر في القراءات العشر

(٢/٢٧٧) ، ومصحف القراءات العشر المتواترة ص ١٨٤ .

* التلحين :

استبعد هذه القراءة أبو عبيد ، وأبو حاتم ، قال أبو حيان : « واستبعد أبو عبيد وأبو حاتم قراءة ابن عامر ، ولا استبعاد فيها لأنها تعليل للنهي ، أي لا تحسبهم فائتين لأنهم لا يعجزون ، أي لا يقع منك حساب لفوتهم ، لأنهم لا يعجزون ، أي لا يفوتون » ^(١) .

* الرد :

وجه الصواب في هذه القراءة على تقدير اللام ، وهو متعلق بما قبله تعلق المفعول له ، والتقدير لا يحسن الذين كفروا سبقوا لأنهم لا يفوتون ^(٢) .

جاء في الكشف : « وقرئ بالفتح بمعنى : لأنهم ، كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل ، إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف ، والمفتوحة تعليل صريح » ^(٣) .

قال القاضي عبد الحق بن عطية : « وقرأ ابن عامر وحده من السبعة » لأنهم لا يعجزون « بفتح الألف من » أنهم « ، ووجه أن يقدر بمعنى لأنهم لا يعجزون ، أي لا تحسن عليهم النجاة لأنهم لا ينجون » ^(٤) .

فخلاصة آراء العلماء في هذه الآية أن القراءة على حذف لام التعليل ، فالجمله في تأويل مصدر هو علة للنهي ، أي لأنهم لا يعجزون ^(٥) .

(١) البحر المحيط (٤/٥١٠) .

(٢) الموضح في وجوه القراءات (٢/٥٨٢) .

(٣) الكشف (٢/٢١٩) .

(٤) المحرر الوجيز (٢/٥٤٥) .

(٥) التحرير والتنوير (٩/١٤٤) .

مثال (٨)

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾^(١) .
 قرأ ابن عامر وحده ﴿ بِالْغَدَاةِ ﴾ بالواو ، وكذلك في الكهف ، وقرأ الباقون ﴿ بِالْغَدَاةِ ﴾ بدون واو^(٢) .

* التلحين :

خطأ هذه القراءة أبو عبيدة ، قال : « إنما نرى ابن عامر والسلمي قرأ تلك القراءة اتباعاً للخط ، وليس في إثبات الواو في الكتاب دليل على القراءة بها ، لأنهم كتبوا الصلاة والزكاة بالواو »^(٣) .

* الرد :

وجه ذلك أن غدوة وإن كان اسماً علماً صيغ لهذا الوقت المعلوم^(٤) ، ومن حقه أن لا يدخله الألف واللام ، فإنه قدّر فيه التنكير والشياع ، وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من الأعلام ، نحو ما حكاه سيبويه عن العرب : هذا يوم اثنين مباركاً فيه^(٥) ، فلما قدر في غدوة التنكير ، جوز إدخال الألف واللام عليه ، وهذا كما يقال : لقيته فينة ،

(١) سورة الأنعام : ٥٢ .

(٢) السبعة ص ٢٥٨ ، ٣٩٠ ، والتيسير ص ١٠٢ ، والكشف (١/١) ، والموضح (١/٤٦٩) ، والنشر (٢/٢٥٨) .

(٣) البحر المحيط (٤/١٣٦) .

(٤) الغدوة : البكرة مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس ، ينظر لسان العرب ، مادة « غ د ا » .

(٥) قال سيبويه : « اعلم أن غدوة وبكرة جعلت كل واحدة منهما اسماً للحين ، كما جعلوا (أم حنين) اسماً للدابة معرفة ، فمثل ذلك قول العرب : هذا يوم اثنين مباركاً فيه ، وأتيتك يوم اثنين مباركاً فيه ، جعل اثنين اسماً له معرفة ، كما تجعله اسماً لرجل » ، الكتاب (٣/٢٩٣) .

غير منصرف^(١) ، ثم تقول : لقيته الفينة بعد الفينة ، فندخل الألف واللام على ما يستعمل معرفة^(٢) .

قال أبو حيان مصوباً قراءة ابن عامر وراداً على أبي عبيدة : « وهذا من أبي عبيدة جهل بهذه اللغة ، التي حكاهما سيويو والخليل ، وقرأ بها هؤلاء الجماعة ، وكيف يظن بهؤلاء الجماعة القراء أنهم إنما قرؤوا بها لأنها مكتوبة في المصحف بالواو ؟ والقراءة إنما هي سنة متبعة . وأيضاً فابن عامر عربي صريح ، كان موجوداً قبل أن يوجد اللحن ، لأنه قرأ القرآن على عثمان بن عفان ونصر بن عاصم ، أحد العرب الأئمة في النحو ، وهو ممن أخذ علم النحو عن أبي الأسود الدؤلي مستنبط علم النحو ، والحسن البصري ، وهو من الفصاحة بحيث يستشهد بكلامه ، فكيف يظن بهؤلاء أنهم لحنوا واغثروا بخط المصحف ؟ ولكن أبو عبيدة جهل هذه اللغة ، وجهل نقل هذه القراءة فتجاسر على ردها عفا الله عنه »^(٣) .

مثال (٩)

قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾^(٤) .

قرأ قالون ﴿ أَرْجِهْ ﴾ باختلاس كسرة الهاء ، وقرأ ورش والكسائي بكسر الهاء ، وقرأ ابن كثير وهشام ﴿ أَرْجِئْهُ ﴾ بإشباع ضمة الهاء ، وقرأ أبو عمرو ﴿ أَرْجِئْهُ ﴾ باختلاس ضمة الهاء ، وقرأ ابن ذكوان ﴿ أَرْجِئْهُ ﴾ باختلاس كسرة الهاء ، وقرأ الباقون بترك الهمز وإسكان الهاء^(٥) .

(١) للعلمية والتأنيث .

(٢) الموضح في وجوه القراءات (٢٦٩/١-٢٧٠) .

(٣) البحر المحيط (١٣٦/٤) .

(٤) سورة الأعراف : ١١١ .

(٥) السبعة ص ٢٨٧-٢٨٩ ، والموضح في وجوه القراءات وعللها (٥٤٣/٢) ، والنشر في القراءات العشر (٣١١/١-٣١٢) ، ومصحف القراءات العشر المتواترة ص ١٦٤ .

* التلحين :

لحن أبو علي الفارسي قراءة ابن كثير ﴿ أَرْجُئْهُ ﴾ ، وقال : وهذا غلط . وقال أيضاً : ضم الهاء مع الهمز لا يجوز ^(١) .

* الرد :

قال ابن زنجلة : « أَرْجُئْهُ مهموزة بواو بعد الهاء في اللفظ . وأصل هذه الهاء التي للمضمر أن تكون مضمومة بعدها واو كقولك (ضربتهو يافتى) و (مررت بهو يافتى) ... وعلامة الأمر في (أَرْجُئْهُ) زيادة الهمزة » ^(٢) .

فوجه هذه القراءة أنه أمر من أَرْجَأْتُ الأمر إذا أخرته ، فالأصل فيه الهمز ، والهاء أصله الضم أيضاً ، وأن يتصل به واو بعده ، فأجراه ابن كثير على الأصل في إلحاق الواو ؛ لأنه جعل الهاء فاصلاً بين الساكنين ، فلم يجتمعا ^(٣) .

وقال أبو حيان : « وما ذهب إليه الفارسي وغيره من غلط هذه القراءة ، وأنها لا تجوز قول فاسد ، لأنها قراءة متواترة روتها الأكابر عن الأئمة ، وتلقتها الأمة بالقبول ، ولها توجيه في العربية ... فلا وجه لإنكار هذه القراءة » ^(٤) .

مثال (١٠)

قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) .

(١) البحر المحيط (١٣٥/٥) .

(٢) حجة القراءات ص ٢٩٠ .

(٣) ينظر : الموضح في وجوه القراءات (٥٤٣/٢) .

(٤) البحر المحيط (١٣٥/٥) .

(٥) سورة الأنبياء : ٨٨ .

قرأ أبو بكر (شعبة) وابن عامر بنون واحدة ، وتشديد الجيم . وقرأ الباقون بنونين وبالتخفيف ^(١) .

* التلحين :

لحن هذه القراءة الزجاج ، حيث قال : « فأما ماروي عن عاصم بنون واحدة فلحن لا وجه له ، لأن ما لا يسمى فاعله لا يكون بغير فاعل . وقد قال بعضهم : نجى النجاء المؤمنين ، وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم » ^(٢) .

ولا أعجب من رأي الزجاج في تلحين هذه القراءة المتواترة ، لكنني أعجب من رأي إمام من أئمة القراءات ، احتج للقراءات ودافع عنها ، هو مكّي بن أبي طالب القيسي ، حيث جعلها غير متمكنة في العربية ، إذ يقول : « وحجة من قرأ بنون واحدة أنه بنى الفعل للمفعول ، فأضمر المصدر ، ليقوم مقام الفاعل ، وفيه بعد من وجهين : أحدهما أن يقوم المفعول مقام الفاعل دون المصدر ، فكان يجب رفع (المؤمنين) ، وذلك مخالف للخط . والوجه الثاني : أنه كان يجب أن تفتح الياء من (نجى) ، لأنه فعل ماض ، كما تقول : (رُمي وكُلم) فأسكن الياء ، وحقها الفتح . فهذا الوجه بعيد في الجواز . وقيل : إن هذه القراءة على طريق إخفاء النون الثانية في الجيم . وهذا أيضاً بعيد ، لأن الرواية بتشديد الجيم والإخفاء لا يكون معه تشديد . وقيل : أدغم النون في الجيم ، وهذا أيضاً لا نظير له ، لا تدغم النون في الجيم في شيء من كلام العرب لبعدهما بينهما . وإنما تعلق من قرأ هذه القراءة أن هذه اللفظة في أكثر المصاحف بنون واحدة ، فهذه القراءة إذا قرئت بتشديد

(١) السبعة ص ٢٤٢ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع (١١٣/٢) ، والموضح في وجوه القراءات وعللها (٤٣٥/١) ، والنشر في القراءات العشر (٢٥٣/٢ ، ٢٥٤) ، وينظر : مصحف القراءات العشر المتواترة ص ٣٢٩ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣٠٤/٣) .

الجيم ، وضم النون ، وإسكان الياء غير متمكنة في العربية »^(١) .
وليس غريباً أن يصف الزمخشري توجيه هذه القراءة بالتعسف ، وذلك بقوله :
« والنون لا تدغم في الجيم ، ومن تمحل لصحته فجعله فعل ، وقال : نجى النجاء المؤمنين ،
فأرسل الياء وأسندته إلى مصدره ، ونصب المؤمنين بالنجاء ، فمتعسف بارد التعسف »^(٢) .

* الرد :

قال الفراء : « ... أضمر المصدر في نجى فنوي به الرفع ، ونصب ﴿ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
فيكون كقولك : ضرب الضرب زيداً ، ثم تكني عن الضرب فتقول : ضرب زيداً .
وكذلك نجى النجاء المؤمنين »^(٣) .

فتأويل هذه القراءة : نجى النجاء المؤمنين ، فيكون « النجاء » مرفوعاً ، لأنه اسم ما لم
يسم فاعله ، و ﴿ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ نصب لأنه خير ما لم يسم فاعله ، فتقول : « ضرب الضربُ
زيداً » . وحجتهم قراءة أبي جعفر ؛ قرأ ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا ﴾^(٤) . وقال أبو عبيد : يجوز
أن يكون أراد : ﴿ تُنْجِي ﴾ فأدغم النون في الجيم ، و ﴿ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ نصب لأنه مفعول به ،
فـ (نجى) على ما ذكره أبو عبيد فعل مستقبل ، وعلامة الاستقبال سكون الياء^(٥) .

جاء في الفريد في إعراب القرآن المجيد : « وقرئ ﴿ نَجَّى ﴾ بنون واحدة ، وتشديد
الجيم وإسكان الياء ، وفيه أوجه : أحدها : أنه فعل ماض مبني للمفعول مسند إلى مصدره ،
وإسكان يائه تخفيف والمؤمنين نصب ، لأنه المفعول الثاني ، أي : نجى النجاء المؤمنين ،

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع (١١٣/٢) .

(٢) الكشف (١٣٣/٣) .

(٣) معاني القرآن (٢١٠/٢) .

(٤) سورة الجاثية : ١٤ .

(٥) حجة القراءات ص ٤٦٩ .

كقولك : ضرب الضرب زيداً ، وأنشد :

ولو ولدت فقيرةً جرّو كلبٍ لسب بذلك الجرّو الكلاباً^(١)

أي لسب السب ... والثاني : أنه فعل مستقبل ، إلا أن النون أدغمت في الجيم بعد قلبها جيماً ، وهذا ضعيف ، لأن النون تخفى عند الجيم ، ولا تدغم فيها . والثالث : أن أصله ننجي بنونين ، الأولى مضمومة ، والثانية مفتوحة ، فحذفت الثانية كراهة اجتماع المثلين ، كما حذفت إحدى التائين من ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾^(٢) ، و﴿ تَسَاءَلُونَ ﴾^(٣) وشبههما ، فبقي « نجى » كما ترى ، وهذا أقرب الأوجه^(٤) .

وبعد هذه الجولة أقول : لقد دافع عن القراء كثير من جهابذة اللغة والنحو والتفسير والقراءات ، فردوا على من لحن قراءات متواترة من النحويين ، نسوق بعض تلك الردود :

قال الصفاقسي : « القراءة لا تتبع العربية ، بل العربية تتبع القراءة ؛ لأنها مسموعة من أفصح العرب بإجماع ، وهو نبينا محمد ﷺ »^(٥) .

وقال الفخر الرازي : « أنا شديد العجب من هؤلاء النحويين ، إذا وجد أحدهم بيتاً من الشعر ولو كان قائله مجهولاً ، جعله دليلاً على صحة القراءة ، وفرح به ، ولو جعل

(١) هذا البيت لجرير بن عطية يهجو به الفرزدق ، وينظر : الخصائص (٣٩٧/١) ، وخزانة الأدب

(١٦٣/١) ، والحجة لابن خالويه ص ٢٢٦ ، ومع الهوامع (١٦٢/١) .

(٢) في قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٣) في قوله : ﴿ تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ، سورة النساء : ١ .

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٠٠/٣) .

(٥) غيث النفع ص ٤٩ ، ٥٠ .

صحة القراءة دليلاً على صحته ، لكان أولى » ^(١) .

وقال أبو حيان : « القراءة سنة متبعة ، ويوجد فيها الفصح والأفصح ، وكل ذلك من تيسيره تعالى القرآن للذكر » .

وقال ابن الجزري : « حتى إن بعضهم قطع في قوله **عَلَيْكَ** : « مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا » ^(٢) أن الإدغام الذي أجمع عليه الصحابة **عليه** والمسلمون لحن ، وأنه لا يجوز عند العرب ، لأن الفعل الذي هو (تأمن) مرفوع ، فلا وجه لسكونه ، حتى أدغم في النون التي تليه . فانظر يا أخي إلى قلة حياء هؤلاء من الله تعالى يجعلون ما عرفوه من القياس أصلاً ، والقرآن العظيم فرعاً ، حاشا العلماء المقتدى بهم من أئمة اللغة والإعراب ... » ^(٣) .

ولما كان أكثر القراء الذين تعرضوا للرد والتلحين من النحويين ، هما ابن عامر الشامي ، وحمزة الزيات الكوفي ، رأيت أن أسوق بعض شهادات العلماء فيهما ، ليتبين للقارئ مَنْ هو ابن عامر ، وَمَنْ هو حمزة :

قال أبو علي الأهوازي : « كان عبد الله بن عامر إماماً عالماً ، ثقة فيما أتاه ، حافظاً لما رواه ، متقناً لما وعاه ، عارفاً فهماً قيماً فيما جاء به ، صادقاً فيما نقله ، من أفاضل المسلمين ، وخيار التابعين ، وأجلة الراوين ، لا يتهم في دينه ، ولا يشك في يقينه ، ولا يرتاب في أمانته ، ولا يطعن عليه في روايته ، صحيح نقله ، فصيح قوله ، عالياً في قدره ، مصيباً في أمره ، مشهوراً في علمه ، مرجوعاً إلى فهمه ، لم يتعد فيما ذهب إليه الأثر ، ولم يقل قولاً يخالف فيه الخبر » ^(٤) .

(١) من : دراسات لأسلوب القرآن (٢٧/١) .

(٢) سورة يوسف : ١١ .

(٣) منجد المقرئين ص ٢٠٠ .

(٤) طبقات القراء (٤٢٥/١) .

وقال أبو حيان : « ابن عامر عربي صريح ، كان موجوداً قبل أن يوجد اللحن ؛ لأنه قرأ القرآن على عثمان بن عفان ، ونصر بن عاصم أحد الأئمة في النحو ، وهو ممن أخذ علم النحو عن أبي الأسود الدؤلي مستنبط علم النحو » ^(١) .

وقال ابن الجزري عن ابن عامر : « كان إماماً كبيراً ، وتابعياً جليلاً ، وعالمًا شهيراً ، أمّ المسلمين بالجامع الأموي في أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وناهيك بذلك منقبة ، وجمع له بين الإمامة والقضاء ومشیخة الإقراء بدمشق ، ودمشق إذ ذاك دار الخلافة ، ومحط رجال العلماء والتابعين ، فأجمع الناس على قراءته ، وعلى تلقيها بالقبول ، وهم الصدر الأول الذين هم أفاضل المسلمين » ^(٢) .

وأما ابن مالك فقال في الكافية الشافية عند حديثه عن المتضايين :

وعمدتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر ^(٣)

وأما حمزة فقال عنه ابن الجزري : « وكان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش ، وكان ثقة كبيراً ، حجة راضياً قيماً بكتاب الله ، مجوداً عارفاً بالفرائض والعربية ، حافظاً للحديث ، ورعاً عابداً ، خاشعاً ناسكاً ، زاهداً قانتاً لله ، لم يكن له نظير » ^(٤) .

وقال سفيان الثوري : « غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض » ^(٥) .

وقال عنه أيضاً : « ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر » ^(٦) .

(١) البحر المحيط (١٣٦/٤) .

(٢) النشر في القراءات العشر (١٤٤/١) .

(٣) الكافية الشافية (٩٧٩/٢) .

(٤) النشر في القراءات العشر (١٦٦/١) .

(٥) طبقات القراء (٢٦٣/١) .

(٦) المصدر السابق (٢٦٣/١) .

وقال عنه الذهبي : « كان إماماً حجة ، قيماً بكتاب الله ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالفرائض والعربية ، عابداً خاشعاً قانتاً لله » ^(١) .

وقال حمزة عن نفسه : « ما قرأت حرفاً إلا بأثر » ^(٢) .

(١) معرفة القراء الكبار (١/١١٢) .

(٢) المصدر السابق (١/١١٤) .

ثبت المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- إتخاف فضلاء البشر في القراءات العشر ، الشيخ أحمد الدمياطي ، طبع دار الندوة - بيروت ، د.ت .
- ٣- الإبانة عن معاني القراءات ، مكّي بن أبي طالب القيسي ، تح : د. عبد الفتاح شليبي ، المكتبة الفيصلية ، ط ٣ (١٤٠٥هـ) .
- ٤- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، ط ١ (١٩٩٩م) .
- ٥- أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ، طبع مؤسسة علي جراح الصباح - الكويت ، ط ٣ (١٩٨٧م) .
- ٦- أساس البلاغة ، الزمخشري ، تح : عبد الرحمن محمود ، دار المعرفة - بيروت ، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .
- ٧- إعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، تح : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب - بيروت ، ط ٢ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .
- ٨- البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي النحوي ، دار الفكر - بيروت ، ط ٢ (١٣٩٨هـ-١٩٨٧م) .
- ٩- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - صيدا ، ط ٢ ، بلا .
- ١٠- البيان في إعراب غريب القرآن ، أبو البركات الأنباري ، تح : د. طه عبد الحميد طه ، طبع دار الهجرة - إيران ، (١٤٠٣هـ) .
- ١١- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، دار مكتبة الحياة ، بلا .
- ١٢- التفسير الكبير ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٣ ، بلا .
- ١٣- تفسير النسفي ، عبد الله بن أحمد النسفي ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، بلا .
- ١٤- تهذيب التهذيب ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، مطبعة دار المعارف النظامية ، دار صادر - بيروت ، ط ١ ، بلا .
- ١٥- التيسير في القراءات السبع ، الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، مطبعة الدولة - استانبول ، (١٩٣٠م) ، أعادت طبعه مكتبة المثنى ، ببغداد .
- ١٦- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، طبع دار الحديث - القاهرة ، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
- ١٧- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تح : عبد الرزاق المهدي ، طبع دار الكتاب العربي ، ط ١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

- ١٨- جمال القراء وكمال الإقراء ، علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ، تح: عبد الكريم الزبيدي ، دار البلاغة - بيروت ، ط ١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .
- ١٩- جمهرة أنساب العرب ، علي بن أحمد بن حزم ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٤٠٣هـ) .
- ٢٠- الحجة في القراءات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تح: د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٥ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .
- ٢١- حجة القراءات ، ابن زنجلة ، تح: سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .
- ٢٢- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد ، أبو علي الفارسي ، تح: بدر الدين قهوجي ، وبشير جويجاتي ، طبع دار المأمون - دمشق ، ط ١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
- ٢٣- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تح: علي النجار ، دار العربي ، بيروت ، د.ت. .
- ٢٤- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ط ١ (١٩٧٢م) .
- ٢٥- الدراسات النحوية في تفسير ابن عطية ، د. ياسين جاسم المحيمد ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ (٢٠٠٠م) .
- ٢٦- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .
- ٢٧- سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، بلا .
- ٢٨- السبعة في القراءات ، ابن مجاهد ، تح: د. شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ١٩٧٢م .
- ٢٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، المكتبة التجارية - بيروت ، بلا .
- ٣٠- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الفكر ، بلا .
- ٣١- شرح أشعار الهذليين : صنعة أبي سعيد السكري ، تح: عبد الستار أحمد فراج ، ومراجعة محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة - القاهرة . بلا .
- ٣٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، تح: محيي الدين عبد الحميد ، طبع مكتبة دار التراث - القاهرة ، ط ٢٠ (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) .
- ٣٣- شرح طيبة النشر ، محمد بن محمد بن الجزري ، تح: الشيخ علي محمد الضباع ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ١ (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م) .
- ٣٤- شرح الكافية الشافية ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك ، تح: د. عبد المنعم أحمد هريدي ، دار المأمون للتراث - مكة المكرمة ، ط ١ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .
- ٣٥- شرح المفصل ، ابن يعيش ، المطبعة المنيرية - مصر ، (١٩٢٨م) .

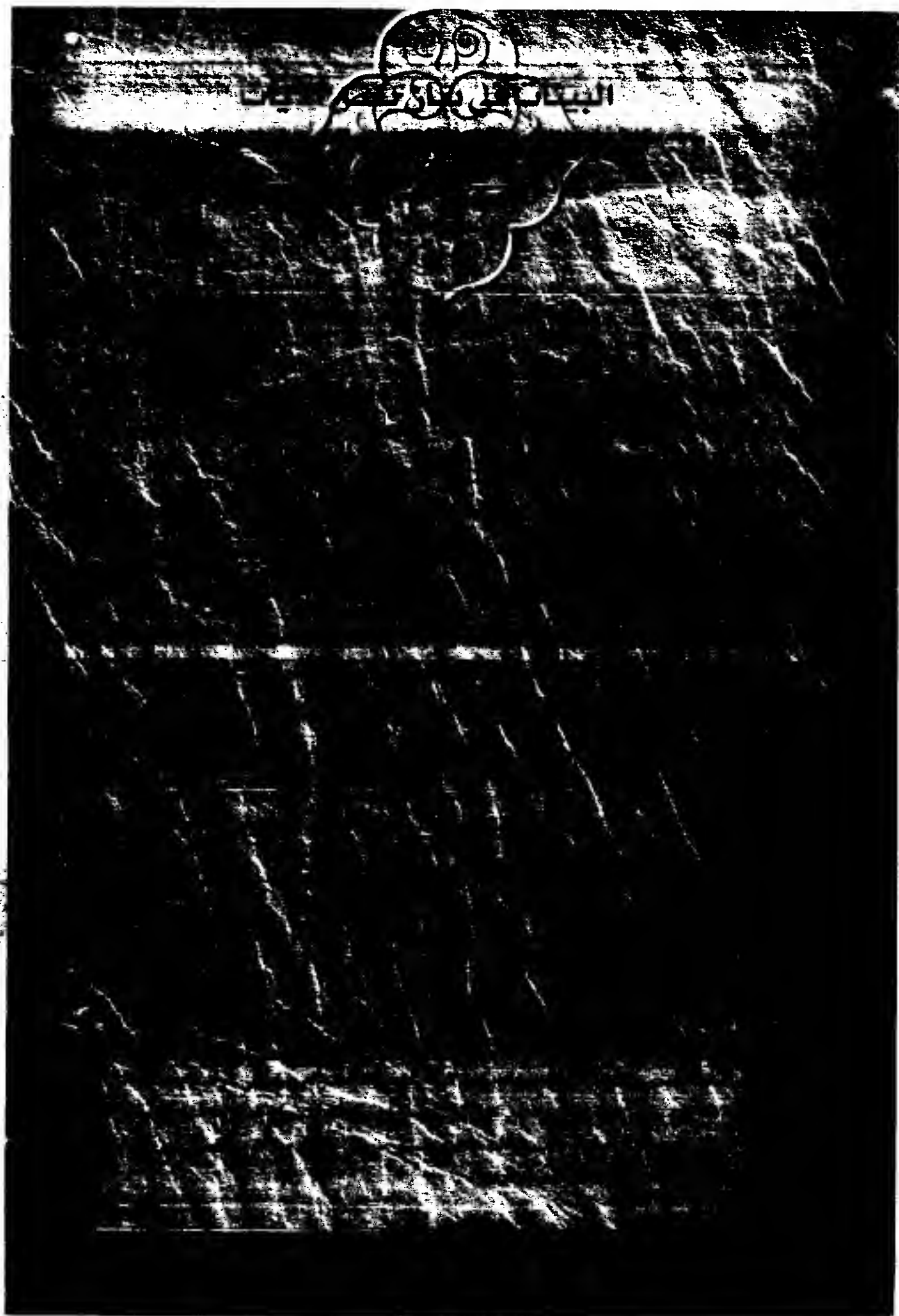
- ٣٦- شرح الهداية ، الإمام أبو العباس أحمد بن عمّار المهدي . تح : د. حازم سعيد حيدر ، طبع مكتبة الرشد - الرياض ، ط ١ (١٩٩٥م) .
- ٣٧- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، المطبعة المنيرية - مصر ، (١٩٢٨م) .
- ٣٨- صحيح مسلم بن الحجاج بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د.ت. .
- ٣٩- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، تصحيح أدوارد سخر ، مطبعة ليدن ، (١٣٣٢هـ) .
- ٤٠- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار ، الهمداني العطار ، تح : د. أشرف محمود فؤاد طلعت ، طبع الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - جدة ، ط ١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .
- ٤١- غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري ، طبعة برجتراسر ، ط ٢ (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) .
- ٤٢- غيث النفع في القراءات السبع ، علي النوري الصفافسي ، بهامش سراج القارئ المبتدئ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ٣ (١٢٧٣هـ-١٩٥٤م) .
- ٤٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار المؤيد - الرياض ، ط ١ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) .
- ٤٤- الفريد في إعراب القرآن المجيد ، المنتجب حسين بن أبي العز الهمداني ، دار الثقافة - الدوحة ، ط ١ (١٤١١هـ-١٩٩١م) .
- ٤٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، تح : د. يوسف البقاعي ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) .
- ٤٦- القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، الشيخ محمد فهد خاروف ، مراجعة الشيخ محمد كريم راجح ، مكتبة المهاجر - دمشق ، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .
- ٤٧- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ، د. محمد بن عمر بن سالم بازمول ، دار الهجرة - الرياض ، ط ١ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .
- ٤٨- القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) .
- ٤٩- القراءات وأثرها في علوم العربية ، د. محمد سالم محيسن ، دار الجليل - بيروت ، ط ١ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م) .
- ٥٠- الكامل في اللغة والأدب ، محمد بن يزيد المبرد ، مؤسسة المعارف - بيروت ، د.ت. .
- ٥١- الكتاب ، سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط ٣ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .

- ٥٢- الكشف ، محمود بن عمر الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت ، ط ١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .
- ٥٣- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها ، مكّي بن أبي طالب القيسي ، تح: د. محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ (١٤٢٠هـ-١٩٨١م) .
- ٥٤- لطائف الإشارات لفنون القراءات ، شهاب الدين القسطلاني ، تح: الشيخ عامر السيد عثمان ، والدكتور عبد الصبور شاهين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (لجنة إحياء التراث الإسلامي) ١٣٩٢هـ .
- ٥٥- لمحات في علوم القرآن ، محمد الصباغ ، بيروت ، ط ١ (١٩٧٤م) .
- ٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، القاضي عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تح: عبد السلام الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .
- ٥٧- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة ، تح: طيار آلتى قولاج ، دار صادر - بيروت ، (١٣٩٥هـ) .
- ٥٨- الزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تح: محمد أحمد جاد المولى وزملائه ، دار الفكر ، بلا .
- ٥٩- المستنير في تخريج القراءات المتواترة ، د. محمد سالم محيسن ، دار الجيل - بيروت ، ط ١ (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) .
- ٦٠- معاني القرآن الكريم ، الإمام أبو جعفر النحاس ، تح: محمد علي الصابوني ، طبع جامعة أم القرى ، ط ١ (١٩٨٨م) .
- ٦١- معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، تح: عبد الجليل عبده الشلبي ، عالم الكتب ، ط ١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
- ٦٢- معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب - بيروت ، ط ٣ (١٤٠١هـ-١٩٨١م) .
- ٦٣- معاني النحو ، أ. د. فاضل السامرائي ، دار الحكمة - بغداد ، د.ت. .
- ٦٤- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، اعتنى بطبعه د. محمد عوض مرعب ، والآنسة فاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .
- ٦٥- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، شمس الدين الذهبي ، تح: بشار عواد معروف ، وشعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
- ٦٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تح: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر - بيروت ، ط ٥ (١٩٧٩م) .

- ٦٧- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ، د. محمد سالم محيسن ، دار الجليل - بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ، ط ٣ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
- ٦٨- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٩٨٨م) .
- ٦٩- منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، محمد بن محمد بن الجزري ، اعتنى به علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد - المملكة العربية السعودية ، ط ١ (١٤١٩هـ) .
- ٧٠- من قضايا القرآن ، أ. د. إسماعيل أحمد الطحان ، مكتبة الأقصى - قطر ، ط ٢ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م) .
- ٧١- الموضح في وجوه القراءات وعللها ، نصر بن علي بن محمد أبو عبد الله النحوي ، تح: د. عمر حمدان الكبيسي ، جدة ، ط ١ (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) .
- ٧٢- النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد الجزري ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د. ت. .
- ٧٣- نزاهة الألباء في طبقات الأدباء ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تح: إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار - الزرقاء ، ط ٣ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .
- ٧٤- نظرية النحو القرآني ، أحمد مكي الأنصاري ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط ١ (١٤٠٥هـ) .
- ٧٥- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي ، ط ١ (١٤٠٢هـ) .
- ٧٦- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، عبد الفتاح القاضي ، طبع مكتبة الوادي - جدة ، ومكتبة الدار - المدينة المنورة ، ط ٦ (١٩٩٥م) .
- ٧٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .

تم القسم العربي





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فقد حظي تفسير الإمام ناصر الدين البضاوي - رحمه الله تعالى - المسمى بـ « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » باهتمام العلماء ومزيد عنايتهم به ، فأكبوا عليه دراسة وتدريساً ، ونقداً وتعليقاً ، ووضعوا عليه الشروح والرسائل والخواشي المتعددة ، حيث أخذت المكتبة التفسيرية من ذلك حيزاً كبيراً ، ومن هؤلاء المهتمين بهذا التفسير القيم الإمام علي القاري - رحمه الله تعالى - الذي تناول بعض ما فسر البضاوي من الآيات ، فألف حوله رسائل نافعة من التعقيب والتعليق والتوضيح .

وقد وقفت على بعض النسخ المخطوطة من تلك الرسائل ، ومنها : الرسالة المسماة بـ « البينات في بيان بعض الآيات » ، وهي رسالة لطيفة شرح فيها بعض عبارات الإمام البضاوي في تفسيره « أنوار التنزيل » - وهي الآية (١٥٨) من سورة الأنعام - ، فرأيت أن أقوم بتحقيقها وإخراجها لما لها من أهمية في الدراسات التفسيرية والعقدية .

وقسمت العمل فيها إلى قسمين :

الأول : في دراسة المؤلف .

الثاني : في دراسة المؤلف .

أما القسم الأول

فلست بحاجة إلى إطالة النفس فيه لأمرين :

أحدهما : لأن الإمام علي القاري - رحمه الله تعالى - لم يكن من العلماء المغمورين الذين لم يكشف النقاب عن مآثرهم بعد . إنما هو من العلماء المشهورين الذين كثرت

الكتابة حولهم ، وقد أخذت المكتبة الإسلامية حيزاً لا بأس به من مؤلفاته المحققة في مختلف الفنون .

وثانيهما : أن هذا العمل لم يكن بأول عمل أقوم به في تحقيق رسائل هذا الإمام ، فقد سبق أن حققت رسالته المسماة بـ « قراءة البسملة أول سورة براءة »^(١) ، وقد قدمت هناك دراسة عن المؤلف ، ولذا فسأقتصر - هنا - على ما لا بد منه في التعريف بهذا الإمام الجليل ، وبكتبه ورسائله التفسيرية - إن شاء الله تعالى - .

وتشتمل هذه الدراسة على :

اسمه ، ولقبه ، ونسبته ، ووفاته - رحمه الله تعالى - ، وثناء العلماء عليه ، وتعريف بأهم ما وصل إلينا من كتبه ورسائله في التفسير وعلوم القرآن ، ونقتصر على هذا ، حيث إن الرسالة التي نقوم بتحقيقها في التفسير .

اسمه :

نور الدين علي بن سلطان محمد القاري الهروي ثم المكي الحنفي ، لم يختلف العلماء في اسمه ولكن وقع خلاف في اسم أبيه ، فقليل : سلطان بن محمد ، وقيل : محمد بن سلطان ، وقيل : محمد سلطان .

والصحيح : ما ذكرناه ، لتصريح المؤلف بذلك في بعض تصانيفه ، ومنها : هذه الرسالة ، حيث قال في مقدمتها : « أما بعد : فيقول الملتجئ إلى حرم ربه الباري : علي ابن سلطان محمد القاري - غفر لهما وستر عيوبهما - » .

وقوله في مقدمة تفسيره « أنوار القرآن » : « خادم الكلام القديم ، والحديث

(١) نشرته مجلة الدراسات الإسلامية التي تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية ، إسلام آباد - باكستان ، العدد الرابع ، المجلد الثامن والعشرون ، سنة (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

النبوي : علي بن سلطان محمد القاري الهروي ^(١) ، وقوله في رسالة « المسألة في البسملة » : « وأنا أفقر عباد الله الغني المغني ، علي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي ، عاملهما بلطفه الحفي وكرمه الوفي » ^(٢) .

وبعد هذا ، فلا اعتبار بخلاف من خالف ، ولا معنى لإطالة النقاش في ذلك ، فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب ^(٣) .

لقبه :

للإمام ملا علي القاري - رحمه الله تعالى - ثلاثة ألقاب عرف بها ، وهي :
نور الدين ، الملا ، والقاري .

وسنذكر تعريفا مختصرا عن كل لقب من هذه الألقاب :

١- نور الدين ^(٤) : وهو لقب معروف ، لا سيما في وسط الأعاجم ، يطلق على من بلغ مرتبة متقدمة في العلم ، وربما وضعوه اسماً لبعض الأشخاص ، ومثله في ذلك : ضياء الدين وقمر الدين وشمس الدين ونجم الدين وبحر الدين وعلم الدين وحسام الدين ونحوها .

٢- ملا : وهي كلمة فارسية - على ما يبدو - تعني : العالم ، فقد جاء في كتاب « برهان قاطع » وهو باللغة الفارسية ما ترجمته : ملا - بضم الأول وتشديد الثاني - وتنطق « منلا » في اللغة التركية ، والظاهر أنها منحدرة من كلمة مولى بالعربية ،

(١) انظر مقدمة تفسير (أنوار القرآن) ق (١) - نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة - .

(٢) انظر خاتمة الرسالة في البحث المشار إليه قبل قليل .

(٣) انظر مجمع الأمثال (٩١/٢) رقم (٢٨٣٠) ، أي قد استغني عن الخطب ، وجهيزة - بفتح أوله - اسم أمة كانت قد أخبرتهم بالقول الفصل .

(٤) انظر كشف الظنون (٤٤٥/١ و ٧٤٣) ، إيضاح المكنون (٢١/١ و ٢٩٤ و ٢٩٨ و ٥٤١) ، هدية العارفين (٧٥١/١) .

ومعناها : السيد والمخدوم ... ومعناها في الفارسية الحديثة : فقيه ومثقف ومتعلم وفاضل وروحاني^(١) .

وذكر الزبيدي أن النسبة إلى المولى مولوي ، قال : ومنه استعمال العجم المولوي للعالم الكبير ، ولكنهم ينطقون به ملاً وهو قبيح^(٢) .

وفي قاموس الفارسية : « ملاً » رجل الدين ، المتعلم ، المثقف ، السيد ، الرئيس^(٣) .
وفي المعجم الذهبي : « ملاً » أستاذ ، شيخ ، معلم الأولاد في الكتاب ، رجل ديني^(٤) .

أقول : وقوله « معلم أولاد في الكتاب » هو اللفظ المتبادر من إطلاق الملاّ في بلادنا - العراق - ، وقد يتوسع في ذلك فيطلق على بعض طلبة العلم ، وربما على بعض العلماء^(٥) .

٣- القاري : هو اللقب الذي اشتهر به هذا الإمام ، حتى إنه ولقب الملاّ لا يكادان يفارقانه ، فكثيراً ما يقال : ملا علي القاري .

والقاري : اسم فاعل من قرأ يقرأ فهو قارئ ، وسهلت الهمزة في الآخر تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، فقليل : قاري بدل : قارئ .

وسبب إطلاق هذا اللقب عليه : تمكنه من علم القراءات ، وإتقانه لها وحذقه فيها^(٦) .

(١) برهان قاطع - باللغة الفارسية ، للشيخ محمد بن خلف التبريزي ، تح : د. محمد معين (٧٠٣/٤) .

نقلاً عن الأسرار المرفوعة لملا علي القاري تحقيق الشيخ الصباغ ص ٢١ هامش (٢) .

(٢) انظر تاج العروس (٤٠١/١٠) .

(٣) انظر قاموس الفارسية ص ٦٨١ .

(٤) انظر المعجم الذهبي ص ٥٤٧ .

(٥) ومن اللطائف أن بعضهم يرى أن الملا منحوت من قولهم : من لا مثيل له !

(٦) انظر مختصر نشر النور (٣٢١/٢) ، البضاعة المزجاة ص ٣ .

وأما نسبته :

فإلى ثلاث - أيضاً - وهي : الهروي ، المكي ، الحنفي .

١- الهروي : نسبة إلى هراة - بفتح الهاء والراء ثم ألف بعدها هاء - : وهي مدينة عظيمة مشهورة ، من أمهات مدن خراسان ، قال ياقوت : لم أر بخراسان عند كوني بها سنة ٦٠٧ هـ مدينة أجمل ولا أعظم ولا أحسن ولا أكثر أهلاً منها .^(١)

وقد ولد الإمام القاري في هذه المدينة العريقة ، وأخذ عن علمائها ، وتعد في عصرنا الحاضر ثاني أكبر المدن بجمهورية أفغانستان الإسلامية .

٢- المكي : نسبة إلى مكة المكرمة ، مأوى أفئدة المسلمين ، وقد هاجر إليها هذا الإمام فراراً بدينه من ظلم وبطش الصفويين بعد استيلائهم على هراة ، واستقر بها ، وفيها لمع نجمه ، وذاع صيته ، ومنها انتشرت مصنفاته .

٣- الحنفي : نسبة إلى مذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - لالتزامه به ، وهو وإن كان شديد التمسك به والدفاع عنه والانتصار له ، إلا أنه كان محارباً للتعصب ، داعياً لاتباع الحق ، متمسكاً بالدليل ، مقتدياً بالسنة ، يقول في رسالته « المسألة في البسملة » : « فافتح بصرك للإنصاف ، واغمض عين الاعتساف ، وانظر إلى ما قال ، ولا تنظر إلى مَنْ قال ، وتأمل ما صح عن أبي حنيفة رحمته الله أنه قال : لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا ، وقد تبعه الشافعي في هذا المقال بقوله : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، واضربوا قولي عرض الحائط »^(٢) .

(١) انظر معجم البلدان (٣٩٦/٥) وقال في صفتها : « فيها بساتين كثيرة ، ومياه غزيرة ، وخيرات كثيرة ، ومحشوة بالعلماء ، وممنوعة بأهل الفضل والثراء » . وانظر الأنساب (٤٠٣/١٣) ، والنبات (٣٨٦/٣) .

(٢) انظر البحث المشار إليه سابقاً .

وفاته :

توفي هذا الإمام الجليل بعد عمر مبارك قطعه في الجد والتحصيل ، والتدريس والتأليف ، في شهر شوال من سنة (١٠١٤هـ - الموافق ١٦٠٦م) - على أصح الأقوال وأرجحها - ، وذلك بمكة المكرمة ، ودفن بمقبرة المعلاة في الحجون - رحمه الله تعالى ورضي عنه - .

ثناء العلماء عليه :

لقد كان الإمام ملا علي القاري - رحمه الله تعالى - رجلاً صالحاً ، برّاً ، تقياً ، متعافياً ، يأكل من كسب يده ، ويأنف من الوقوف على باب الأمراء^(١) ، كما إنه كان على درجة عالية من الضبط والإتقان ، والتضلع بمختلف العلوم السائدة في عصره ، وإن هذا ليتأكد من خلال ما سطره عنه العلماء الذين عاصروه ، والذين جاءوا بعده ، وكما قالوا : إنما يعرف الفضل من الناس ذووه ، وسنقتصر على بعض النماذج من أقوالهم ، متمشين مع منهج الاختصار الذي أردناه لهذه الدراسة لما ذكرنا في المقدمة ، فمن ذلك :

- ما كتبه الشيخ محمد أمين المحبي^(٢) حيث قال :

« علي القاري ، نزيل مكة ، أحد صدور العلم ، فريد عصره ، الباهر السميت في التحقيق وتنقيح العبارات ، شهرته كافية عن الإطراء في وصفه »^(٣) .

(١) جاء في سيرته : أنه كان ذا خط حسن ، وكان يكتب بيده كل سنة مصحفاً ثم يبيعه ، فيقتات من ثمنه ، وقد كان الناس يتنافسون في شراء ذلك المصحف ، ويزيدون في ثمنه ، وقد رأيت ورقة بخط يده كتبت فيها بعض قصار السور .

(٢) هو الشيخ الجليل محمد أمين بن فضل الله المحبي الدمشقي الحنفي ، مؤرخ ، أديب ، شاعر ، لغوي ، مشارك في بعض العلوم ، توفي سنة (١١١١هـ) - رحمه الله تعالى - . انظر هدية العارفين (٣٠٧/٢) ، معجم المؤلفين (٧٨/٩) .

(٣) انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/١٨٥-١٨٦) .

وقوله : « واشتهر ذكره ، وطار صيته ، وألف التأليف الكثيرة اللطيفة ، المتأدية المحتوية على الفوائد الجليلة » ، وذكر طرفاً منها ^(١) .

- وقد وصفه الشيخ العصامي ^(٢) بأنه :

« الجامع للعلوم العقلية والنقلية ، والمتضلع من السنة النبوية ، أحد جماهير الأعلام ، ومشاهير أولي الحفظ والأفهام » ^(٣) .

- وترجم له السيد محمد صديق خان ^(٤) في إتحاف النبلاء المتقين ، ونقل عبارة الشيخ العصامي المتقدمة ^(٥) .

- وقال الشيخ حسين المكي ^(٦) : علي بن سلطان محمد ، علامة زمانه ، وأوحد

(١) المرجع السابق .

(٢) هو الشيخ الفاضل عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ، صاحب التاريخ المشهور المسمى بـ « سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي » ، ولد بمكة المكرمة وتوفي بها سنة (١١١١هـ) - رحمه الله تعالى . انظر البدر الطالع (١/٤٠٢-٤٠٣) ، الأعلام (٤/٣٠٩) .

(٣) انظر سمط النجوم العوالي (٤/٣٩٤) .

(٤) هو السيد محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني ، البخاري القنوجي ، ولد في قنوج بالهند ، ثم سافر إلى بهوبال طلباً للمعيشة ، ففاز بثروة وافرة ، وتزوج ملكة بهوبال ، وصنف التصانيف الكثيرة ، توفي سنة (١٣٠٧هـ) . انظر الأعلام (٧/٣٦-٣٧) ، إيضاح المكنون (١/١٠) .

(٥) انظر إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين ص ٣٢٥ .

(٦) هو الشيخ الجليل حسين بن محمد سعيد عبد الغني المكي ، من علماء القرن الرابع عشر الهجري ، درس في المدرسة الصولتية بمكة المكرمة ، وتخرج منها ، وتولى منصب إدارة المدرسة الهاشمية ، ودرس بالمسجد الحرام ، وعين في العهد السعودي عضواً بمجلس المعارف ، وعضواً برئاسة القضاء ، توفي سنة (١٣٦٦هـ) - رحمه الله تعالى - ، من مؤلفاته إرشاد الساري إلى مناسك القاري ، فتح الوهاب شرح تحفة الطلاب ، الإبانة في جعرانة وغيرها . انظر سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للشيخ عمر عبد الجبار ص ٩٦-٩٨ .

عصره وأوانه ، والمتفرد الجامع لأنواع العلوم العقلية والنقلية ، والمتضلع من علوم القرآن والسنة النبوية ، وعالم بلد الله الحرام ، والمشاعر العظام ، وأحد جماهير الأعلام ، ومشاهير أولي التحقيق والأفهام ^(١) .

- وأما الشوكاني ^(٢) : فقد نوّه بعلو منزلته ، وأشار إلى بلوغه مرتبة الاجتهاد ^(٣) .

- كما عده العلامة اللكنوي ^(٤) من المحددين ، فقد ذكر في ترجمته : أن له رسائل لا تعد ولا تحصى (!) وأن كل مؤلفاته نفيسة في بابها ، فريدة مفيدة ، بلغت إلى مرتبة المحددية على رأس الألف من الهجرة ^(٥) .

(١) انظر إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري ص ٥ هامش (٥) .

(٢) هو الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، من كبار علماء اليمن ، كان زيدي المذهب ثم مال إلى الاجتهاد ، وكان يرى تحريم التقليد ، نشأ بصنعاء وتوفي بها سنة (١٢٥٠هـ) ، وقد كتب ترجمة نفسه - رحمه الله تعالى - قال في آخرها : وهو الآن يسأل الله الذي لا إله إلا هو الحليم الكريم ، رب العرش العظيم ، أن يحسن ختامه ، وينيله من خيري الدارين مرامه ، ويسدده في أقواله وأفعاله ، وينزع حب الدنيا من قلبه حتى ينظر إلى الحقيقة ، فيفوز نيل دقائق الطريقة ولا تخرجه من هذه الدنيا إلا بعد أن يسبح في بحار حبك ، ويغسل أدران قلبه بمياه قربك ، فأنت إذا شئت جعلت المرید مراداً فنال مراداً .

إذا كان هذا الدمع يجري صباية على غير لبلى فهو دمع مضيع

انظر البدر الطالع (٢١٤/٢-٢٢٥) ، الأعلام (١٩٠/٧-١٩١) .

(٣) انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٤٤٥/١-٤٤٦) .

(٤) هو العلامة الجليل الشيخ محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي ، الهندي ، أبو الحسنات الحنفي ، صاحب التصانيف الشهيرة في المنقول والمعقول ، وكان عالماً بالفقه والحديث والتراجم ، توفي سنة (١٣٠٤هـ) - رحمه الله تعالى - . انظر الرسالة المستطرفة ص ١١٥ ، الفوائد البهية ص ٢٤٨-٢٤٩ ، هامش (١) - وقد ترجم لنفسه - ، الأعلام (٥٩/٧) .

(٥) انظر التعليقات السنية ص ٨-٩ ، وطرب الأمثال ص ٢٨٦-٢٨٧ .

- وقال الشيخ المحقق محمد إدريس الكاندهلوي^(١) : اخذت الجليل ، والفاضل النبيل ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، الشيخ نور الدين علي بن سلطان محمد الهروري القاري^(٢) .

ومما يدل على عظيم منزلة الملا علي القاري ، وعلو مقامه في نظر العلماء أن علماء مصر يوم بلغهم خبر وفاته ، صلوا عليه بجامع الأزهر صلاة الغائب في مجمع حافل يجمع أربعة آلاف نسمة فأكثر^(٣) .

ما وصل إلينا من كتبه ورسائله في التفسير وعلوم القرآن :

لم تكن ثقافة الإمام علي القاري - رحمه الله تعالى - قاصرة على فن من فنون العلم ، بل كانت شاملة لكثير من فنون العلوم ، فهو كما برع في التفسير وعلوم القرآن ، برع في الحديث وعلومه ، وفي الفقه وأصوله ، وفي الصرف والنحو والبلاغة والمنطق ، وغيرها من العلوم العقلية والنقلية - كما تقدم في شهادات العلماء له - .

وقد ذكرنا هذا لئلا يفهم من اقتصارنا على كتبه في التفسير أنه لم يبدع في غيرها ، وإنما كان اقتصارنا على كتبه التفسيرية ، لأن الرسالة التي نقوم بتحقيقها في التفسير ، ولأن الباحثين قد تناولوا ذلك - كما تقدم - .

وسأكتفي - أيضا - بسرد أسماء كتبه ورسائله وحواشيه ، مع الإشارة إلى بعض أماكن وجودها ، وقسمتها إلى ثلاث مجموعات :

الأولى : في كتبه . الثانية : في حواشيه . الثالثة : في رسائه .

(١) هو الشيخ المحقق العلامة محمد إدريس الكاندهلوي ، كان عالماً جليلاً ، ذا باع طويل في التفسير والحديث والفقه ، وألف في ذلك عدة مصنفات ، منها : الفتح السماوي بتوضيح البيضاوي ، ومعارف القرآن (تفسير في تسع مجلدات) ، ومنحة الحديث في شرح ألفية الحديث ، ودلائل الفرقان على مذهب النعمان ، وغيرها ، توفي في لاهور سنة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) - رحمه الله تعالى - . انظر تذكرة علماء البنجاب (٢٠٩ - ٢١٥) .

(٢) انظر التعقيب لصحيح عنى مشكاة المصابيح ص ٦ .

(٣) انظر خلاصة الأثر (٣ - ١٨٦) .

كتبه في التفسير :

١- أنوار القرآن وأسرار الفرقان - في جزأين - وهو تفسير يجمع بين المأثور والمعقول ولطائف الإشارات ، توجد منه نسخ كثيرة في مكتبات العالم ، منها :

(أ) جامعة استنبول بتركيا برقم (٦١٥ / ٨ / ٣٨٩٨) .

(ب) الظاهرية / دمشق برقم (٧٣٩١ / علوم القرآن) - الجزء الثاني من سورة يونس إلى سورة القصص .

(ج) بلدية الاسكندرية - مصر برقم (١٠٧٦ / ب) .

٢- تفسير القرآن أو تفسير الهروي في ثلاثة أو أربعة أجزاء ، وهو غير تفسير أنوار القرآن ، توجد منه - كذلك - نسخ كثيرة في مختلف مكتبات العالم ، منها :

(أ) أسعد أفندي (السليمانية) - تركيا برقم (٢٧٠) ، بعنوان : تفسير الهروي .

(ب) دار الكتب المصرية - القاهرة برقم (٢٠٩) بعنوان تفسير الملا علي القاري في ثلاث مجلدات ، وبرقم (٢١٠) في مجلدين .

(ج) سليم آغا - استنبول - تركيا برقم (٨٥) .

(د) سالار جنك حيدر آباد دكن - الهند برقم (f ٤٦٠) و (t / ٣٨) ناقص .

حواشيه التفسيرية :

١- الجمالين على تفسير الجلالين ^(١) .

(١) هما الإمامان : جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم اخلي الشافعي (ت : ٨٦٤ هـ) - وقد كتب الأخ الأستاذ محمد أمين أمود رسالته في الما جستير في منهجه بإشرافنا - و جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الإمام المشهور (ت : ٩١١ هـ) - رحمهما الله تعالى - .

وتوجد منه نسخ كثيرة في مختلف مكتبات العالم ، منها :

- أ (الحرم المكي - مكة المكرمة برقم (١٨٠ / علوم القرآن) .
- ب (رامبور - الهند برقم (٥٠٨ / تفسير) .
- ج (العبدلية - جامع الزيتونة - تونس برقم (١٧٣ / ١٠٩) .
- د (الفاتح (السليمانية) - استنبول - تركيا برقم (٤٨٩) .
- هـ (دار الكتب المصرية - القاهرة - برقم (٩٨) .

٢- حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي^(١) (ت : ٦٨٥هـ) .

كتب الله تعالى لتفسير الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل القبول والخطوة لدى العلماء ، فأقبلوا عليه يدرسونه ويدرسونه ، وتناولوه بالشرح والتعليق ، واعتنوا بتخريج أحاديثه ، وتحقيق قراءاته .

وقد كان من بين هؤلاء العلماء الإمام ملا علي القاري ، فكتب عليه حواشيه وتعليقاته ، واعتنى بتخريج أحاديثه وتحقيق بعض عباراته ، وقد كانت تعليقاته بمثابة الرسائل الصغيرة . وتتمثل جهوده في هذا التفسير بما يلي :

أ - الرسالة العطائية ، وهي رسالة في ورقتين في الكلام على عبارة في تفسير البيضاوي . توجد نسخة منها في مكتبة إسحاق الحسيني في القدس الشريف برقم (٢٩ / ٥) .

(١) هو الإمام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، أبو الخير أو أبو سعيد أو أبو محمد ، البيضاوي مولداً ، الشيرازي نشأة ، التبريزي وفاة ، الشافعي مذهباً ، الفقيه المفسر الأصولي النحوي المتكلم كان إماماً ميرزاً ، نظاراً ، صالحاً ، متعبداً ، زاهداً ، ولي قضاء القضاة بشيراز ، توفي سنة (٦٨٥ هـ) - رحمه الله تعالى - . انظر طبقات الشافعية الكبرى (١٥٧/٨ - ١٥٨) . البداية والنهاية (٦٠٦، ١٧) . طبقات المفسرين لنداودي (٢٤٨/١ - ٢٤٩) ، معجم المفسرين (٣١٨/١) .

ب- صنعة الله في صيغة صبغة الله ، في تحقيق كلام البيضاوي ، وتوجد منه عدة نسخ في مختلف المكتبات منها : مكتبة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٢٥٨٣) ، رئيس الكتاب بتركيا برقم (١٥ / ١١٤٦ ، الدولة - برلين - ٢٢٦٢ LBG ٢٩٥) .

ج- الفيض السماوي في تخريج قراءات البيضاوي . وهو كتاب يقع في (١٨٢) ورقة ، توجد منه نسخة في مكتبة الفاتح بتركيا برقم (٤١) .

د- رسالة فيما قاله البيضاوي في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ ^(١) ، وهي التي نقوم بتحقيقها ، وسيأتي وصفها والكلام عليها في آخر هذه الدراسة - إن شاء الله تعالى - .

هـ- فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل : توجد نسخة منه في مكتبة رشيد أفندي برقم (١٠٨) ، السليمانية - استنبول .

و- رسالة في تحقيق كلام البيضاوي : توجد نسخة منها في الدولة - برلين برقم (٢٩ LBG ٨٦٨) .

ز- رسالة فيما ذكره البيضاوي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ ^(٢) ، (١٣٤٢ ب) ، وغير ذلك من التعليقات والحواشي .

رسائله التفسيرية :

تقدم ذكر بعض الرسائل في تعليقاته على تفسير البيضاوي ، ويضاف إلى ذلك :

(١) المسألة في البسمللة ^(٣) .

(١) سورة الأنعام : ١٥٨ .

(٢) سورة التوبة : ٣٦ .

(٣) تقدمت الإشارة إليها في أول البحث .

(٢) البينات في تفسير بعض الآيات . ولها أسماء أخر مثل : البينات في بعض الآيات ، أو البينات في بيان بعض الآيات ، وتوجد منها عدة نسخ في مختلف مكتبات العالم ، منها : الحميدية بتركيا رقم (١٤٣٩/١٨) .

(٣) تفسير سورة القدر ، وأوائل سورة الدخان : توجد نسخة منها في مكتبة جاريت (يهودا) برنستون برقم (٤٢٩ - ٣٠٦٤) . وفي بعض المكتبات الأخرى .

(٤) تفسير آية ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ الآية ^(١) : توجد في بعض المكتبات منها : أسعد أفندي - السليمانية - استنبول ضمن مجموع برقم (١٦٩٠) .

(٥) توفيق المتعارضات في التفسير : توجد نسخة منها في مكتبة : كوبريلي زاده - استنبول - تركيا ، ضمن مجموع برقم (١٥٩٠) .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ أَقَامُوا مَكَرَ اللَّهِ ﴾ الآية ^(٢) : توجد نسخة منها في دار الكتب المصرية - القاهرة برقم (٣٦٠) مجاميع .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ الآية ^(٣) : توجد نسخة منها في ترنو والي بتركيا برقم (١١٠١ / ٢) .

(٨) رسالة في التفسير : توجد نسخة منها في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل في العراق برقم (١٣٧٣٢) ، ومكتبة الأوقاف في بغداد برقم (١٣٧٣٢/٤) مجاميع ^(٤) .

(٩) العلامات البينات في فضائل بعض الآيات : توجد نسخة منها في مكتبة الفاتح

(١) سورة الأعراف : ٣١ .

(٢) سورة الأعراف : ٩٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢١٠ .

(٤) قال الأستاذ الدكتور عبد الله الجبوري : والرسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَنْتَقِبْ أَدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ... نظر مهير من محصوآت لعربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد (١١١/١) . فعلى هذا تكون هي الرسالة المتقدمة برقم (٤) .

بتركيا برقم (٥/٥٣٣٢) ، ونسخة بدار الكتب المصرية (الرقم الخاص ٦٢٤) - تفسير ،
(و الرقم العام ٤٤٠٤٠) ، وفي مكتبتني نسخة عنها .

(١٠) رسالة في علامات الوقف في القرآن : توجد نسخة منها بمكتبة لاهي بتركيا
برقم (٥/٥٦) .

(١١) رسالة في فضائل القرآن وتلاوته : توجد نسخة منها في مكتبة خسرو باشا
برقم (٥٤ - ٧٤٩ - ٤ و) ضمن مجموع .

هذا عرض سريع لما ذكر في فهارس المخطوطات ^(١) ، ومن أراد الوقوف على مزيد من
التفاصيل فليرجع إلى ما كتب في جهود الملا علي القاري في التفسير والحديث ، ومن ذلك :

- (١) ملا علي القاري الهروي محدثاً ^(٢) .
- (٢) ملا علي القاري وجهوده في التفسير ^(٣) .
- (٣) ملا علي القاري حياته وآثاره ^(٤) .
- (٤) الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث ^(٥) .

وللإمام ملا علي القاري - رحمه الله تعالى - كتب مطبوعة في شروح الشاطبية
والمقدمة الجزرية في علم القراءات .

-
- (١) وقد ذكر في الفهرش الشامل (٢/٦٦٦-٦٦٦) رسائل أخرى ، ولكن يبدو أن هناك تكراراً
لبعض الرسائل للتشابه في الأسماء - والله تعالى أعلم - .
 - (٢) وهي رسالة دكتوراه من جامعة البنجاب - إعداد الأستاذ نافع أبو بكر ، وقد كان لي شرف
متابعة الطالب فيها .
 - (٣) وهي رسالة ماجستير - إعداد هارون خطيبي بإشرافنا .
 - (٤) وهي رسالة دكتوراه من جامعة روم بتركيا ، إعداد عبد الباقي توران .
 - (٥) وهي رسالة ماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة - إعداد خليل إبراهيم قوتلاي .

القسم الثاني : دراسة المؤلف

ويشتمل على : عنوانه ، وصفه ، أماكن وجوده ، صحة نسبه إلى مؤلفه ، ومنهجه فيه .

عنوانه :

اختلف في عنوان هذه الرسالة إلى ثلاثة عنوانات :

أولها : البينات في بيان بعض الآيات . وبعضها بدون « بيان » .

وثانيها : رسالة فيما قاله البيضاوي في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ .

وثالثها : البينات في تباين بعض الآيات .

وأنسب هذه العنوانات : الأول ، وهو الذي اعتمدته في التحقيق وذلك لموافقه للمضمون حيث بين فيه مؤلفه بعض آيات الكتاب الكريم وهو الآية (١٥٨) من سورة الأنعام .

وأما العنوان الثاني : فهو وإن كان أوضح من الأول ، في الدلالة على المضمون ، إلا أن الأول أخصر منه مع وفائه بالغرض فكان أنسب .

وأما الثالث : فلا يصحّ عنواناً لهذا المخطوط ، لمخالفته لمضمونه ، فالظاهر أنه تحرف عن بيان ، وخطأ النسّاخ في مثل هذا وارد لتقارب حروف الكلمتين ، أو أنه عنوان لرسالة أخرى ^(١) .

وصف نسخة الأصل :

نص على عنوانها في الصفحة الأولى حيث كتب : رسالة المسمى : البينات في بيان بعض الآيات . وهو تحريف صوابه : الرسالة المسماة - وقد بينت ذلك في التحقيق - .

(١) وهو الراجح ، فقد وقفت على مخطوطة بهذا العنوان . مغايرة لهذه المخطوطة ، وفي مكتبي نسخة عنها .

وهذه النسخة مصورة في ميكروفيلم عن أصل محفوظ في مكتبة الأسد بدمشق برقم (١٣٥٣٥) وفي الأحمديّة بحلب برقم (٣٠٩) في الجمهورية العربية السورية .
ورقم الفيلم في مركز جمعة الماجد للتراث (٨٩٤) - فهارس المركز رقم (٣٨٧١) - برلين (٩٨٣/١) .

عدد الأوراق : (٨) ثماني أوراق ، ضمن مجموع يضم عدداً من رسائل الإمام ملا علي القاري - رحمه الله تعالى - ، تبدأ من (ل ١٠٨ ب - ل ١١٥ أ) .

وعدد الأسطر : (١٥) خمسة عشر سطرًا بمعدل (١٣) ثلاث عشرة كلمة في السطر الواحد ، وهي نسخة واضحة ، وكلماتها مقروءة ما عدا بعض الكلمات اليسيرة ، كما أن بعض النقاط لم تظهر في الصورة التي عندي مثل : المجرد وكسبت ، وقد تظهر بعض الحروف دون بعض مثل : « اليأس »^(١) ، وقد يختصر الناسخ بعض الكلمات و يرمز لبعض مثل : « المصب » بدل « المصنّف » و « ح » بدل « حينئذ » ، وربما حذف بعض الحروف نحو : « القيمة » بدل « القيامة » ، و « منع » بدل « مانع » ، وقد يذكر المؤنث ويؤنث المذكر - وتكرّر هذا في الرسالة - ، وقد يكتب جزء الكلمة في آخر السطر وبقيتها في أول السطر الجديد ، وقد يلحق بعض الكلمات بين السطرين أو في الحاشية ، وما تقدم قد تشترك فيه النسختان ، واكتفيت ببيان ذلك هنا لوضوحه - إلا ما دعت الحاجة إلى بيانه - ، ولثلا يثقل البحث بالهوامش .

وليس على هذه النسخة اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

وصف نسخة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة :

نص على عنوانها في صفحة مستقلة أول الرسالة هكذا : « رسالة المسمى بالبينات في بيان بعض الآيات - للملا » .

(١) كتبت « البأس » بموحدة .

وقد يسر الله تعالى لي الوقوف على هذه النسخة ، وهي مصورة في ميكروفيلم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ضمن مجموع برقم (٢٤٣١) .

وعدد اللوحات : (٦) ست لوحات ، تبدأ من (ل ٣٢ أ - ل ٣٧ أ) .

وعليها بعض التعليقات لبعض القراء المتأخرين - كما يبدو من الخط - ، و موضع واحد يظهر أنه بخط النسخة .

وخطها مقروء ، وقد أسعفني في تصحيح بعض ما أشكل عليّ قراءته من نسخة الأصل ، وفي هذه النسخة بعض الكلمات الساقطة وغير الواضحة ، وقد بينت ذلك في مواضعه من هوامش التحقيق .

ورمزت لهذه النسخة بالحرف (م) .

عملي في هذه الرسالة :

- كان أول ما قمت به أن نسخت المخطوط ، وقابلته بالنسخة الأخرى .
- ثم بعد هذا قارنته مع عبارة الإمام البيضاوي في تفسيره ﴿ أنوار التنزيل ﴾ ، فجعلت عبارته بين هلالين ، وكتبتها بخط بارز تمييزاً لها عن كلام المؤلف ، وقد ساق المؤلف عبارة البيضاوي كما هي ، إلا في أربعة مواضع حصل فيها تحريف أو إسقاط لبعض الجمل ، وهي :

- ١- نقل من تفسير البيضاوي « ينظرون » وفيه : ينتظرون .
- ٢- وعند قوله « وقرأ حمزة والكسائي بالياء » سقط قول البيضاوي بعده : « هنا وفي النحل » .

٣- وعند قوله « الدخان » سقط قول البيضاوي قبله : « عشر آيات » .

٤- وعند قوله : « وإهلاك الكلي » سقطت قبله كلمة : « العذاب » .

وقد بينت ذلك في مواضعه .

منهج المؤلف ومصادره في هذه الرسالة :

ثم شرعت في دراسة الرسالة ، واستخلاص منهج المؤلف فيها ، وبيان موارده فأقول :

افتتح الملا علي القاري - رحمه الله - رسالته هذه بمقدمة قصيرة ضمنها براءة استهلال على طريقته في السجع الذي يفتتح به مؤلفاته ، وذكر اسمه واسم أبيه ولقبه - كما هي عادته - حيث قال : « أما بعد : فيقول الملتجئ إلى حرم ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري - غفر ذنوبهما وستر عيوبهما - .. » إلخ .

ثم بعد أن أثنى على الإمام ناصر الدين البيضاوي - رحمه الله تعالى - ، شرع بنقل تفسيره للآية (١٥٨) من سورة الأنعام من تفسيره الشهير : « أنوار التنزيل » شارحاً ومعلقاً .

وقد تنوعت موارده في ذلك فشملت الأصول والتفسير والحديث والقراءات والنحو والعقيدة وغيرها ، وقد يفصح عن أسماء بعض المؤلفين كالإمام البغوي وابن الحاجب والطبي والسيد معين الدين الصفوي وغيرهم ، وقد يكتفي باسم المرجع كأن يقول : « ذكر صاحب المدارك » - يريد الإمام النسفي - ، وقد يقول : « ومنها قول بعضهم » ، دون ذكر الاسم أو الكتاب .

وله تعقبات متنوعة ، منها :

تعقب العصام - وهو عصام الدين الإسفرايني - في موضعين : الأول عند قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ ، والثاني : عند قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ ^(١) .

(١) سورة الأنعام : ١٥٨ .

ومنها : تعقب الخطيب القزويني بقوله : « والعجب من الخطيب » ، وتعقب الجعبري ، بقوله : « وأما ما ذكره الجعبري ... » إلخ .

وقد يتعقب البيضاوي نفسه ، كقوله : « فالمصنف خالف الجمهور ... » إلخ .

وأما ما يتعلق بالأحاديث الواردة في أشراف الساعة ، فقد نقل طرفاً مما ذكره السيوطي في الدر المنثور ، ذاكراً أسماء من عزا إليهم السيوطي من المحدثين كالإمام أحمد وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابن أبي حاتم وابن أبي شيبة والبيهقي وغيرهم ، إلا أنه لم يلتزم الترتيب الذي مشى عليه السيوطي في العزو ، فقد يقدم بعضهم على بعض ، وذلك كتقديمه ابن المنذر على الطبراني ، وعبد الرزاق على عبد بن حميد .

وبعد أن انتهى من بيان ما ذكره الإمام البيضاوي في تفسير الآية قال :

« بقي في تحقيق المقام مباحث منقولة عن العلماء الأعلام » .. فنقل عن أبي الليث السمرقندي من الخفية وعن الحلبي من الشافعية وغيرهما ما يتعلق بهذه المسألة ، وذكر الأحاديث والآثار الواردة في ذلك وناقشها ، مبيناً الصحيح والأصح وما يتعارض منها . وختم بالحديث الوارد في تحديد زمن مجيء الآيات ، وبين المراد بذلك .

هذا ملخص لبيان طريقة الملا علي القاري في تناوله لكلمة الإمام البيضاوي في تفسير هذه الآية الكريمة .

والآن أشرع في تحقيق نص الرسالة المسماة بالبينات في بيان بعض الآيات ، مستعيناً بالله تعالى ، سائله جل وعلا الفتح والتوفيق :

اللوحة الأولى من نسخة الأصل

[الرسالة المسماة] ^(١) بالبينات في بيان بعض الآيات ^(٢) / ١٠٨ ب

بسم الله الرحمن الرحيم - رب زدني علماً يا كريم -

الحمد لله الذي أظهر الآيات الواضحات في كلامه ^(٣) القديم ، وأبرز العلامات اللاتحات في الآفاق من كل إقليم ^(٤) ، والأنفس المخلوقة في أحسن تقويم ^(٥) ، والصلاة والتسليم على من خلق بالخلق ^(٦) العظيم ^(٧) ، وجبل بالقلب السليم ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه الثابتين على الصراط المستقيم ، والمقيمين على الطريق القويم ^(٨) . أما بعد :

فيقول الملتجئ إلى حرم ربه الباري ^(٩) علي بن سلطان محمد القاري - غفر ذنوبهما

وستر عيوبهما - :

إن الخير العلامة والبحر الفهامة ، عمدة المتبحرين وزبدة المتأخرين ، من أرباب الأصول والمفسرين ، مولانا القاضي البيضاوي ^(١٠) ، تالت عليه آثار الرحمة وأنوار

(١) في الأصلين : « رسالة المسمى » ، وصوابه ما أثبت .

(٢) كتب عنوان الرسالة في « م » في صفحة مستقلة .

(٣) الكلام : هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ، هو بها أمر وناه ونحى ، عبر عنها نظم ما أوحاه إلى رسله - عليهم الصلاة والسلام - كالقرآن والتوراة والزبور والإنجيل ، ومن الأدلة قوله تعالى :

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ النساء : ١٦٤ . انظر : كبرى اليقينيات الكونية للبوطي ص ١٢٤ .

(٤) إشارة إلى آيات الله الكونية ، وفيه براءة استهلال .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين : ٤ .

(٦) لم تظهر نقطة الخاء في الأصل ، وظهرت في (م) .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم : ٤ .

(٨) تكاد تقرأ في الأصل : « القديم » ، والمنبث من (م) .

(٩) يريد مكة المكرمة ، التي استوطنها بعد رحلته إليها كما تقدم في ترجمته - رحمه الله تعالى - .

(١٠) تقدمت ترجمته في الدراسة .

النعمة إلى يوم الدين ، قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ ^(١) : (أي ما ينتظرون) ^(٢) إشارة إلى أن هل استفهامية ^(٣) للإنكار ، والنظر بمعنى الانتظار ، وإنما لم يحمله على التقرير ليستقيم المعنى بالاستثناء الآتي في المبنى ^(٤) ، وأما قول العصام ^(٥) : جعل الاستفهام للإنكار وأنكر ^(٦) الرضا في الاستفهام بهل ، والأظهر أنه للتقرير ^(٧) . فقاصر في مقام التحرير ^(٨) .

وفي تحقيق هذه المسألة : لا يستغنى عن المغني ^(٩) المقوي ^(١٠) لأهل التفسير ^(١١)

(١) سورة الأنعام : ١٥٨ ، وعامها : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِمْتِنَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّهُ مُنْتَظِرُونَ ﴾ .

(٢) في الأصل وفي (م) : « ينظرون » ، والتصويب من أنوار التنزيل (٢/٢٢٣) .

(٣) في (م) : « استفهام » بدل : « استفهامية » .

(٤) وهو قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ .

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن عربشاه من ذرية أبي إسحاق الإسفراييني ، المشتهر بعصام الدين ، كان بخرأ في العلوم ، له التصانيف الحسنة النافعة في كل فن منها : « الأطول في شرح تلخيص المفتاح » للقرطبي في علوم البلاغة ، و« حاشية على تفسير البيضاوي » ، وشروح وحواشي في المنطق والتوحيد والنحو - طبع بعضها - ، توفي سنة (٩٤٥ هـ) . انظر : شذرات الذهب (١٠/٤١٧) وفيها : توفي في حدود سنة (٩٥١ هـ) ، الأعلام (١/٦٦) .

(٦) فاعل جعل وأنكر : البيضاوي .

(٧) انظر حاشيته على البيضاوي ، (وهي مخطوطة في الهند بمكتبة خدا بخش ٦٥/٣٦ فهارس) ، وقد رجعت إلى هذه المخطوطة عند تفسير هذه الآية (ل ٣٠٩ أ) ، فلم أجد فيها هذه العبارة ، والظاهر أنها في الجزء الثاني ولم يتيسر لي الحصول عليه ، وأنا على أمل الوقوف عليها فيه - إن شاء الله تعالى - .

(٨) في (م) : « التعليل » بدل : « التحرير » .

(٩) يريد : « مغني اللبيب » لابن هشام النحوي ، انظر فيه : (١/٣٨٦-٣٩١) - الكلام على هل - .

(١٠) في م : « والمقوي » .

(١١) مثل بن هشام - رحمه الله تعالى - : « ما تفسير القرآن ؟ فقال : أعني نعي ! ذلك لأنه ملأه بحروف والكلمات والآيات القرآنية . وانظر البحر عيظ لأبي حيان في بيان أهمية علم النحو بمفسر (١/٣٠١) .

(يعني) : أي يريد الحق سبحانه بالضمير ^(١) (أهل مكة) ^(٢) أي كفارهم حينئذ ^(٣) ، لأن الآية / ل ١٠٩ - من جملة السورة التي بأسرها مكية ^(٤) [والأظهر] ^(٥) أن الضمير لمن ذكر قبل هذه الآية بقوله : ﴿ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ ^(٦) فكأنه قال : هل ينظر ^(٧) المعرضون عن الآيات البينات المقرونة بالمعجزات ، والعلامات الدالات المكنونة في الآفاق والأنفس من الكائنات .

وقد يقال : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ^(٨) في القضية ، فيكون الضمير لجميع الكفار الموجودين ومن بعدهم ليشمل الشاهدين ^(٩) للآيات الآتية ، ولا يبعد أن يكون الضمير لجميع الخلائق ^(١٠) لزيادة التهويل ويشير إليه ﴿ قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ .

(١) وهو الواو في قوله تعالى : ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ .

(٢) سقط لفظ « مكة » من (م) .

(٣) كتب في الأصل وفي (م) « ح » بدل : « حينئذ » ، وهذه عادته في كل موضع .

(٤) سورة الأنعام من السور المكية المتفق عليها ، إلا أن منهم من ذكر أن فيها بعض الآيات المدنية ، والأصح أن السورة كلها مكية كما ذكر المصنف - رحمه الله تعالى - . انظر التحرير والتنوير (١٦١/٧-١٦٣) . وأحسن تعريفات المكى : أنه ما نزل قبل الهجرة . انظر مناهل العرفان (١٦٠/١) قال : « وهو المشهور ، وهو تقسيم صحيح سليم لأنه ضابط حاصر ومطرّد لا يختلف » .

(٥) في الأصل : « وأظهر » ، والتصويب من (م) .

(٦) سورة الأنعام : ١٥٧ ، وختامها : ﴿ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ .

(٧) في (م) : « ينظروا » ، وهو خطأ ظاهر .

(٨) وهي قاعدة أصولية مذكورة في كتب الأصول وعلوم القرآن ، والمراد هنا : أن الأمر وإن نزل في أهل مكة إلا أن الحكم عام لهم ولغيرهم من الكفار .

(٩) في (م) : « المشاهدين » ، وكلاهما صحيح .

(١٠) أي : فيشمل المؤمنين ، وهذا بعيد - والله أعلم - لقوله في نهاية الآية : ﴿ قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ وهو خطاب لغير أهل الإيمان .

ثم لا يخفى أن قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ أبلغ من أن يقال : ما ينتظرون ^(١) ، لزيادة دلالة هل للإنكار على مجرد النفي في الأخبار ، وللمبالغة المفهومة من النظر الذي هو أقرب من المتقرب ^(٢) في مقام العبر ^(٣) ، فعبير عن الانتظار بالنظر نظراً لكمال تحققه وقرب وقوعه ، (وهم ما كانوا منتظرين) : أي في الحقيقة (لذلك) ، أي لما سيأتي من إتيان الملائكة وغيره ، بل منكرين لما ^(٤) هنالك .

والعجيب من الخطيب ^(٥) في قوله : يعلم من [كلامه] ^(٦) أنه غير باق على معناه الحقيقي لكن لم يظهر أن معناه المجاز ^(٧) المستعمل منه أي شيء ^(٨) ، وكأنه نظر إلى قوله ^(٩) : (ولكن لما كان يلحقهم) - أي العذاب - (لحوق المنتظر) في هذا الباب (شبهوا بالمنتظرين) ^(١٠) لما يأتيهم من رب الأرباب .

(١) في (م) : « ينظرون » ، وهو تصحيف ، والصواب ما في الأصل .

(٢) في (م) : « المتقرب » .

(٣) في (م) : « القرب » .

(٤) لفظ « لما » : ساقط من (م) .

(٥) هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي قاضي القضاة ، جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق من كتبه : « تلخيص المفتاح في المعاني والبيان » ، و« الإيضاح في شرح التلخيص » ، كان أديباً بالعربية والتركية والفارسية ، توفي سنة (٧٣٩ هـ) . انظر البداية والنهاية (١٤/١٨٥) ، الدرر الكامنة (٤/٣) ، طبقات الشافعية الكبرى (٩/١٥٨-١٦١) ، هدية العارفين (٦/١٥٠) ، الأعلام (٦/١٩٢) .

(٦) غير واضحة في الأصل ، تكاد تقرأ : « مكانه » ، وأثبتها من (م) ، والمراد : كلام الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - .

(٧) في (م) : « المجازي » .

(٨) ولا وجه للعجب ، لأن الخطيب يريد أن هذا من باب : خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر - والله تعالى أعلم - وقد رجعت إلى كتابي التلخيص والأيضاح فلم أقف على هذه العبارة .

(٩) أي قول البيضاوي .

(١٠) انظر أنوار التنزيل (٢/٢٢٣) .

والمعنى : أقمنا حجج الوجدانية وأدلة صحة الرسالة ، وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة مما ينتظرون بعد إنكار / ل ١٠٩ ب - القرآن وتكذيب رسول آخر الزمان شيئاً^(١) من الأحوال حالاً من [الأحوال]^(٢) .

﴿ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ : (ملائكة الموت) ، أي لقبض أرواحهم (أو العذاب) ، ولا مانع من الجمع بل هو أقرب إلى الصواب ، لأن الموت لا يشك أحد في إتيانه ، بل كل أحد ينتظر حلول زمانه .

ولعل الفرق مبني على أن التخويف إما بالعذاب في العقبي ، وإما بالعذاب النازل في الدنيا ، والمعنى : أنه لا بد من أحدهما ، ولا مانع من اجتماعهما .

(وقرأ حمزة^(٣) والكسائي^(٤) : بالياء)^(٥) - يعني بالتذكير -^(٦) ، وكان حقه أن يبينه بالتحية^(٧) لئلا يشتبه بالفوقية .

(١) كذا في النسختين ، والظاهر أنه مفعول لينتظرون .

(٢) في الأصل : « أحوال » ، والتصويب من (م) .

(٣) هو الإمام العلم حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفي ، أبو عمارة أحد القراء السبعة ، كان عالماً بالقراءات ، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول ، قال الثوري : « ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر » ، وقال ابن حجر : « صدوق زاهد ربما وهم » ، توفي سنة ست أو ثمان وخمسين ومائة . انظر الجرح والتعديل (٣/٢١٢) ، الوافي بالوفيات (١٣/١٧٢-١٧٣) ، تهذيب التهذيب (٣/٢٤-٢٥) ، تقريب التهذيب (١/١٩٩) .

(٤) هو الإمام أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي ، انتهت إليه رئاسة القراء بالكوفة بعد حمزة الزيات ، استوطن بغداد وكان يعلم بها الرشيد ثم الأمين من بعده ، من تصانيفه : « معاني القرآن » ، و« القراءات » ، و« المتشابه في القرآن » وغيرها ، الصحيح أنه توفي سنة (١٨٩ هـ) . انظر غاية النهاية (١/٥٣٥-٥٤٠) ، تاريخ بغداد (١١/٤٠٣-٤١٥) ، الأعلام (٤/٢٨٣) .

(٥) في أنوار التنزيل زيادة : « هنا وفي النحل » .

(٦) أي ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُم ﴾ ، وكذا في آية النحل .

(٧) أي يصرح بذلك كما في ضبط الأعلام ونحوها .

والحاصل : أن الجمهور قرءوا بتأنيث ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ ^(١) نظراً إلى لفظ فاعله ^(٢) ، ومن قرأ بتذكيره نظر إلى أن فاعله غير مذكر ^(٣) ، وأما ما ذكره الجعيري ^(٤) من أن فاعله مذكر فغير مستقيم ؛ لأن الملائكة لا يوصفون بالذكر والآنوثة .

﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ : إتيان الرب من [الآيات] ^(٥) التشابهات المتعلقة بصفات الذات ، تؤمن به ونزعه عن ظاهره ^(٦) .

وحمل بعضهم هذه الآية ونحوها من سائر الآيات والأحاديث التشابهات : على أن [لله] ^(٧) - سبحانه - تجلياً صورياً ^(٨) ، وهو بذاته على أكمل صفاته أزلياً وأبدياً ، (أي

(١) في الأصل : ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ والمثبت من (م) .

(٢) وهو لفظ ﴿أَلْمَلَكُوتُ﴾ .

(٣) في حاشية الأصل كلام غير واضح في الصورة ، وقد رجعت إلى الميكروفلم - ل ١٠٩ - فلم تنيسر لي قراءته .

(٤) هو الإمام إبراهيم بن عمر بن خليل أبو إسحاق الجعيري - بضم الجيم - ، عالم بالقراءات ، من فقهاء الشافعية ، توفي سنة (٧٣٢ هـ) . انظر طبقات الشافعية (١/٦٥ و ٦٦) ، الدرر الكامنة (٥٠/١) ، الأعلام (٥٦/١) .

(٥) كلمة « الآيات » سقطت من الأصل ، وأثبتها من (م) .

(٦) وهو مذهب السلف ، قال الإمام البغوي - رحمه الله تعالى - في تفسيرها (١٤٤/٢) : « بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة » .

(٧) في الأصل : « الله » ، والتصويب من (م) .

(٨) يريد آثار القدرة الإلهية في عبادته ، وللقاضي المظهري - رحمه الله تعالى - كلام طويل في توضيح ذلك ، حيث قال في تفسيره (٢٥٠/١-٢٥١) : ولأصحاب القلوب في تلك الآيات - أي التشابهات - سبيل آخر وهو : أن لله سبحانه تجليات في بعض مخلوقاته وظهورات لا كيف لها ... وتلك لا تستدعي حدوث أمر في ذاته تعالى وكونه محلاً للحوادث ومنتزلاً عن مرتبة التنزيه ، بل هي مبنية على حدوث أمر في الممكن ، كما أن المرأة المحاذية للشمس كلما صقلت انجلى الشمس فيها ، ويظهر في المرأة آثارها من الإضاءة والإحراق ، وهذه التجليات هي المصدق لقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ الأعراف : ١٤٣ ، وقوله تعالى : ﴿يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ البقرة : ٢١٠ ... إلخ . وقد وضحه ملا عبي القاري - رحمه الله تعالى - بمثل هذا في مخطوطته : « العلامات البيئات في فضائل بعض الآيات » وقال : « ولكن ههنا مرة الأقدام لسلكي هذا نقام ... إلخ » .

أمره بالعذاب) ، إشارة إلى مضاف مقدر في المقام ^(١) ، ليستقيم معنى الكلام .

والمراد به : عذاب يوم القيامة لثلاث تكرار العبارة ، (أو كل آياته) بتقدير مضاف ومضاف إليه (يعني آيات القيامة) ، أي الآيات الواقعة في يوم القيامة ^(٢) ، (وأخلاق الكلي) ^(٣) أي العقوبة الكاملة لأرباب الندامة وأصحاب الملامة ، وهذا أقرب / لـ ١١٠ أ - وأنسب (لقوله ﴿ أَوْيَاتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾) قال البغوي ^(٤) : يعني طلوع الشمس من مغربها ، عليه أكثر المفسرين ، ورواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ^(٥) حديثاً مرفوعاً ^(٦) ،

(١) وهو لفظ « أمر » أي أمر ربك . وقد جاء مصرحاً به في قوله تعالى : ﴿ أَوْيَاتِي أَمْرِي ﴾ سورة النحل : ٣٣ . وهو مذهب الخلف ، والإمام أحمد وهو من أئمة السلف قال في هذا الموضع بالتقدير المذكور . انظر ما فصله الرازي في هذا الموضع في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب (١٤ / ٨) ، وفي تفسير الآية (١٠) من سورة البقرة (٢٢٩ / ٥ - ٢٣٦) .

(٢) غير واضحة في الأصل .

(٣) في أنوار التنزيل (٢ / ٢٢٣) : « والعذاب والهلاك الكلي » .

(٤) هو الإمام المفسر المحدث الفقيه الحافظ ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، قال الذهبي : « الإمام العلامة القدوة الحافظ ، شيخ الإسلام ، محيي السنة ، صاحب التصانيف » ، وقال ابن كثير : « برع في العلوم ، وكان علامة زمانه فيها وكان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً ، توفي سنة (٥١٦ هـ) - رحمه الله تعالى - . انظر طبقات الشافعية الكبرى (٧ / ٧٥ - ٨٠) ، النجوم الزاهرة (٥ / ٢٢٣) .

(٥) هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، أبو سعيد الخدري ، له ولأبيه صحبة ، وروى الكثير ، ومات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين ، وقيل : أربع وسبعين رضي الله عنه . انظر الإصابة (٢ / ٣٥) .

(٦) انظر معالم التنزيل (٢ / ١٤٤) . وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه الإمام أحمد (٣ / ٣١) ، والترمذي برقم (٣٠٧١) وقال : هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه - كتاب تفسير القرآن - ومن سورة الأنعام (٥ / ٢٤٧) . وأخرج الترمذي حديثاً آخر برقم (٣٠٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، الآية : الدجال والذابة وطلوع الشمس من المغرب أو من مغربها » . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » (٥ / ٢٤٧) .

[فالمصنف ^(١)] خالف الجمهور بقوله : (يعني أشرط الساعة) يعني الآيات الخاصة التي هي مقدمة القيامة الصغرى ، وهي النفخة الأولى قبل النفخة الثانية التي هي حقيقة القيامة الكبرى .

وقد ورد أن ما بين النفختين أربعون سنة ^(٢) ، ويقول الحق سبحانه حينئذ : ﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ويجب بنفسه : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ ^(٣) .

(وعن حذيفة) أي ابن أسيد رضي الله عنه ^(٤) كما ^(٥) في حديث مسلم ^(٦) وغيره ^(٧) .

(١) غير واضحة في الأصل ، وأثبتها من (م) . والمراد بالمصنف : الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - .
(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٩٥٥ دون قوله (سنة) ، وتامه : « قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوماً ، قال : أبيت ... » إلخ . كتاب الفتن وأشرط الساعة : باب ما بين النفختين (٢٢٧٠/٣ - ٢٢٧١) ، وقوله : « أبيت » أي أبيت أن أجزم بأن المراد أربعون يوماً أو سنة أو شهراً ، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم « أربعون سنة » كما ذكر المؤلف . انظر شرح النووي على مسلم (٩١/١٨ - ٩٢) ، وأخرج ابن جرير أثراً بإسناد صحيح عن قتادة : « ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِيَّامٍ يَنْظُرُونَ ﴾ » الزمر : ٦٨ . قال نبي الله : بين النفختين أربعون ، قال : قال أصحابه : فما سألناه عن ذلك ولا زادنا على ذلك ، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة » . جامع البيان (٣٢/٢٤) ، وما أورده المؤلف ذكره السيوطي في الدر (٦٣٢/٥) ، وقال : « أخرجه ابن المبارك عن الحسن وزاد : الأولى يميت الله بها كل حي ، والأخرى يحيي الله بها كل ميت » .
(٣) سورة غافر ، آية : ١٦ ، وتامها : ﴿ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

(٤) هو الصحابي الجليل حذيفة بن أسيد - بفتح أوله - ويقال : أمية بن أسيد بن خالد الغفاري ، أبو سريحة - مهملتين وزن عجيبة - ، مشهور بكنيته ، شهد الحديبية ، وذكر فيمن بايع تحت الشجرة ، ثم نزل الكوفة ، وروى أحاديث ، أخرج له مسلم وأصحاب السنن ، قال ابن حبان : مات سنة اثنتين وأربعين رضي الله عنه . انظر الإصابة (٣٣٢/١) ، أسد الغابة (٣٨٩/١) ، مشاهير علماء الأمصار رقم (٢٨٨) ص ٥٨ .

(٥) في (م) : « كان » ، وهو تحريف ظاهر .

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٩٠١) في كتاب الفتن وأشرط الساعة ، مع اختلاف في بعض الألفاظ وتقديم وتأخير (٢٢٢٥ - ٢٢٢٧) .

(٧) وأخرجه - أيضاً - الترمذي بنحوه برقم (٢١٨٣) وقال : « وهذا حديث حسن صحيح » . في كتاب الفتن : باب ما جاء في الخسف (٤١٤ - ٤١٥) .

وأما قوله : (والبراء بن عازب رضي الله عنه) ^(١) فلم يعرف مخرج عنه :

(كنا) أي معشر الصحابة ([تذاكر] ^(٢) الساعة) - أي ساعة القيامة وما فيها من الأحوال والأهوال ، وما ينفع حينئذ من الأقوال والأعمال - ، (إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ) أي ظهر وطلع وبرز ولمع من عليّة ^(٣) - كما في رواية - ، (فقال : ما تذكرون ؟) وفي رواية : ماذا تذكرون ؟ فما استفهامية وذا زائدة - وهو بفتح أوله على أنه حذف منه إحدى التائين - (قلنا : تذاكر الساعة) ، أي لعل ذكرها يعيننا على الطاعة ، (قال : إنها) - أي القيامة الكبرى - (لا تقوم حتى تروا) أي تشاهدوا - أيها الأمة (قبلها) أي قبل مشاهدتها - (الدخان) ^(٤) ، قال تعالى في الدخان : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٥) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ .

(١) هو الصحابي الجليل البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري ، الأوسي ، يكنى أبا عمارة ويقال : أبو عمرو ، صحابي بن صحابي رضي الله عنه وقد روى عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث ، قال : « استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ، وشهدت أحداً » ، توفي سنة اثنتين وسبعين . انظر الإصابة (١/١٤٧) .

(٢) في الأصل : « تذكر » ، والمثبت من (م) .

(٣) عليّة - بضم العين وكسرها - : غرفة ، والجمع : العلالي . النهاية (٣/٢٩٥) ، مادة : علا .

(٤) في أنوار التنزيل (٢/٢٩٣) : « عشر آيات : الدخان » - وهو الموافق لما في صحيح مسلم .

(٥) سورة الدخان : ١٠ و ١١ . وانظر تفسير الآية في : تفسير ابن كثير (٤/٢١٠-٢١٣) فقد ذكر خلاف العلماء في المراد بالدخان في الآية الكريمة ، فمنهم من يرى أن الدخان قد مضى ، وعلى هذا ابن مسعود وجماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير الطبري ، وقال آخرون : لم يمض الدخان بعد ، بل هو من أمارات الساعة ، كما في حديث حذيفة رضي الله عنه .

ثم ساق أثراً عن ابن عباس رضي الله عنه يفيد أن الدخان لم يمض وقال : « وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه خبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها التي أوردوها مما فيه مقنع ، ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ أي بين واضح يراه كل أحد ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ يَغْشَى النَّاسَ ﴾ أي يتغشاهم ويعمهم ، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه : ﴿ يَغْشَى النَّاسَ ﴾ .

وورد في حديث أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما ^(١) : ثم يخرج الدخان / ١١٠ ب - فيأخذ المؤمن منه كهيئة الزكمة ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالشيء الحنيد ^(٢) (ودابة الأرض) ^(٣) .

وفي الحديث - أيضاً - : يبيت الناس يسرون إلى جمع ^(٤) ، وتبيت دابة الأرض تسري إليهم فيصبحون وقد جعلتهم بين رأسها وذنبها ، فما من مؤمن إلا تمسحه ، ولا منافق ولا كافر إلا [تخطمه] ^(٥) ، (وخسفاً بالمشرق وخسفاً بالمغرب) لكفار أهلها ^(٦) لا على وجه الاستئصال ، فلا يرد فيه نوع من الإشكال ^(٧) ، (وخسفاً بجزيرة العرب) وحدها - معروفة ، وسميت ^(٨) جزيرة : لإحاطة بحر فارس وبحر السودان ونهر دجلة

(١) كلمة « عنهما » ساقطة من (م) .

(٢) لم تظهر نقطة الذال في الأصل ، وأثبتها من (م) . والحنيد : هو الحار الذي يقطر ماؤه بعد الشيء ، ومنه : حنذ الشاة يحنذها حنذاً وتحناذاً : شواها وجعل فوقها حجارة محماة لتنضجها ، والحنيد : الماء المسخن . انظر القاموس (١/٦٦٢) ، وتاج العروس (٩/٣٩٨) مادة : حنذ .

(٣) أخرجه في الفتن والملاحم (٤/٤٨٥) - بزيادة فيه ستأتي - وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، تعقبه الذهبي فقال : « قلت : ابن البيلمي ضعيف وكذا الوليد » . في المستدرک وتلخيصه : « الدجال » بدل « الدخان » ، والظاهر أنه خطأ مطبعي .

(٤) لعله يريد : مزدلفة .

(٥) في الأصل : « تخطم » ، والمثبت من (م) ، وفيها تقديم كافر على منافق .

(٦) يفيد : أن المسلمين لا يخسف بهم .

(٧) حيث إن الله تعالى لم يعذب هذه الأمة بالاستئصال كرامة لنبيها ﷺ ، وهو أحد وجوه تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ قال : « من آمن تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من المسخ و الخسف والقذف » . انظر جامع البيان (١٧/١٠٦) ، الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٥٠) ، مدارك التنزيل للنسفي (٣/٩١) ، الدر المنثور (٤/٦١٣) ، فتح القدير (٣/٤٣٣) .

(٨) في (م) : « وسميتها » ، وهو تحريف .

والفرات بها - ، (والدجال ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأجوج ومأجوج) - بالهمزة فيهما ويبدل ^(١) - ، (ونزول عيسى) عليه السلام ، ([ونارا]) ^(٢) تخرج من عدن ^(٣) - الروا العاطفة فيها بمجرد الجمعية لا لترتيب وقوع أفراد القضية ، فإنه ثبت في الأحاديث النبوية :

أن الدجال يحصر المهدي في حصن بيت المقدس ، فينزل عيسى عليه السلام ويقتل الدجال ^(٤) ، ثم يكون أجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها آخر الآيات ، وعند ظهور غيره باب التوبة مفتوح ، والدخول في الإسلام مفسوح . وكذا الروايات الحديثية مختلفة في نظم هذه الآيات المؤتلفة ، وتفاصيلها يحتاج إلى مجلدات مؤلفة .

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ : لم يتعرض المصنف لتفسير هذا البعض ^(٥) ، وكأنه فهم أنه من باب وضع الظاهر موضع المضمّر .

قال ^(٦) السيد معين الدين الصفوي ^(٧) : أي الآيات التي تضطربهم / ل ١١١ -

(١) أي تبدل الهمزة ألفاً للتسهيل .

(٢) في الأصل : « نار » ، وهو خطأ نحوي ، والتصويب من (م) .

(٣) وعند مسلم : « وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم » .

(٤) أخرج الترمذي برقم (٢٢٤٤) عن مجمع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

يقول : « يقتل ابن مريم الدجال بباب لد » . قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

كتاب الفتن : باب ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال (٤/٤٤٧) .

(٥) دخول « أل » التعريف على « بعض » لم يرتضه بعض العلماء .

(٦) في (م) : « وقال » .

(٧) هو السيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد ، معين الدين الحسيني الحسيني

الإيجي الشافعي ، عمل تفسيراً في مجلد ضخّم ، ورسالة في تفسير سورة الكوثر ، قال صاحب

كشف الظنون : « له جوامع البيان في التفسير » ، وذكر صاحب معجم المطبوعات أنه طبع مرتين

باسم : « جامع البيان في تفسير القرآن » ، توفي سنة (٩٠٥ هـ) ، وقال السخاوي عنه : « ونعم

الرجل أصلاً ووصفاً - رحمه الله تعالى - » . انظر الضوء اللامع (٣٧/٨-٣٨) ، كشف الظنون

(١/٤٥٢ و ٦١٠) ، هدية العارفين (٢/٢٢٣) ، طبقات المفسرين للأذنه وي رقم (٤٩٦) ص-

٣٧٢-٣٧٣ ، معجم المفسرين (٢/٥٤٩) .

إلى الإيمان [وكلاهما] ^(١) مخالف لنص من أنزل عليه القرآن ، وفوض إليه البيان في هذا الميدان ، حيث ثبت بطرق متظافرة كادت أن تكون متواترة ، أن المراد بها : طلوع الشمس من مغربها ^(٢) ، ولأن هذه الآية من بين الآيات هي التي يترتب عليها قوله سبحانه : ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ﴾ كالمختصر (- بفتح الضاد أي : من حضره علامات الموت - ، فقد ورد أن الله يقبل توبة [العبد] ^(٣) ما لم يغرغر ^(٤) ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ ^(٥) التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ^(٦) ^(٧) آتَيْنَ ﴾ (إذا صار الأمر عياناً) ، أي ولو بعض العيان ، (والإيمان برهاني) - جملة حالية - ، والمعنى : أن المطلوب من الإنسان هو الإيمان الغيبي الناشئ عن دليل محقق أو تقليد نبي مصدق .

والحاصل : أن الشارع جعل هذه الآية ^(٨) أعظم الآيات ، وما بعد ظهورها من جملة إيمان اليأس ^(٩) وتوبة اليأس في الحالات ^(١٠) ، وإلا فهي آية كسائر خوارق العادات ،

(١) في الأصل : « وكلاها » ، والتصويب من (م) ، والمراد : ما فهم عن المصنف وما ذكره السيد الصفوي .

(٢) من المعلوم في أصول التفسير : أنه إذا ثبت تفسير عن رسول الله ﷺ فلا يصار إلى غيره .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل ، وأثبتته من (م) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد برقم (٦٣٧٢) من حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والترمذي برقم

(٣٥٣٧) في كتاب الدعوات : باب فضل التوبة والاستغفار ، وابن ماجه برقم (٤٢٥٣) في

كتاب الزهد : باب ذكر التوبة .

(٥) في (م) : « ليست » ، بدون واو .

(٦) سورة النساء : ١٨ ، ونماها : ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

(٧) وضع في (م) هنا : إشارة .

(٨) وهي آية طلوع الشمس من مغربها .

(٩) كتبت في الأصل بالموحدة .

(١٠) كذا في الأصل وفي (م) ، ونعنه يريد : الحالات العيانية المتقدمة ، وهي التي لا يقبل فيها الإيمان

ولا التوبة .

والإيمان نافع والتوبة مقبولة عند رؤية المعجزات . (وقرئ) أي في الشواذ ^(١) :
 ﴿ تنفع ﴾ - بالتاء - أي التأنيث (لإضافة الإيمان إلى ضمير المؤنث) أي اكتسابه ^(٢)
 التأنيث بمجاورة ^(٣) النفس ، وفيه إشارة صوفية أن الميل إلى النفس يخرج الشخص عن
 مقام الرجال الكمل الأحوال ^(٤) ^(٥) ، وجوز أن يكون التأنيث باعتبار معنى الإيمان ،
 وهو : المعرفة أو العقيدة .

﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامَنْتَ مِنْ قَبْلُ ﴾ : أي من قبل ظهور هذه الآية ، والجملة ^(٦) (صفة ^(٧)
 ﴿ نَفْسًا ﴾) أي : صفة احترازية ^(٨) .

(﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ : عطف على آمنت) ، أي : أو / ل ١١١ ب - لم
 تكن كسبت في إيمانها خيراً ، أي ، توبة فإنها منبع الخيرات ، ومعدن المبرات ،
 [فتويته] ^(٩) ^(١٠) للتعظيم لا للتعميم .

(١) انظر كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٤٢ ونسبها إلى ابن سيرين وابن عمر ، وذكرها ابن
 جني في المحتسب ونسبها إلى أبي العالية (٢٣٦/١) ، البحر المحيط (٢٥٩/٤) - طبعة دار الفكر - .

(٢) في (م) : « واكتسابه » .

(٣) لم تظهر نقطة الجيم في الأصل ، والمثبت من (م) ، وانظر ما فصله ابن جني في المحتسب
 (٢٣٦/١-٢٣٨) .

(٤) كذا في الأصل ، وفي (م) بإدخال أل على المضاف ، وهذا كقول صاحب الأمالي في مقدمته
 (٢/١) : « ... المبارك الطلعة ، الميمون الغرة ، الجسم الفضائل ... » .

(٥) وهي إشارة بعيدة ، والتفسير الإشاري له شروطه وقواعده . انظر مناهل العرفان (٦٨/٢) .

(٦) أي : جملة ﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامَنْتَ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

(٧) كتب في الأصل بين السطرين كلام لم أستطع أن أقرأ منه غير هذه الكلمات : فيه أن التاء في
 المعرفة ليست للتأنيث بل في نفس كلمة اللهم إلا أن يقال : إن تاء الفعل .. إنها الصورة . ()

(٨) بمعنى : أن النفس المؤمنة تنفع .

(٩) في الأصل ، معنوية ، والتصويب من م .

(١٠) أي : تنوين قوله : ﴿ خَيْرًا ﴾ .

وحاصله : أنه من باب اللف التقديري ، أي لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل أو لم تكن كسبت فيه خيراً ، والمعنى : أنه حينئذ لا ينفعهم تلهفهم على ترك الإيمان ولا تأسفهم على ترك التوبة عن العصيان .

وهذا هو الموافق للآيات الواردة والأحاديث الشاهدة على أن مجرد الإيمان نافع مع ارتكاب العصيان ، وهو المطابق لسياق الآية وسباقها ولحاقها ، حيث وردت تحسراً لمن ترك الإيمان وآخر التوبة عن العصيان إلى أن أغلق باب التوبة وفتح أبواب النعمة ^(١) . قال البغوي : « يريد لا يقبل إيمان ^(٢) كافر ولا توبة فاجر » ^(٣) ، وصاحب المدارك ^(٤) فسر ﴿ حَتَّىٰ ﴾ بالإخلاص ^(٥) وقال : « أي كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضاً » ^(٦) ، قلت : « وفي معنى المنافق المرائي الموافق » ^(٧) ، ثم قال ^(٨) : « أو توبة ، وتقديره : لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل ^(٩) انتهى » ^(١٠) .

والحاصل : أنه إذا لم يؤمن أحد قبل طلوع الشمس وآمن بعده لم يقبل إيمانه ، وإذا

(١) كذا في الأصل وفي (م) ، ولعلها تحرفت عن « النعمة » .

(٢) في (م) : « كل كافر » - وليست عند البغوي - .

(٣) انظر معالم التنزيل (١٤٤/٢) وفيه : « فاسق » بدل « فاجر » .

(٤) وهو الإمام أبو البركات النسفي - رحمه الله تعالى - .

(٥) في (م) : « إخلاصاً » .

(٦) انظر مدارك التنزيل (٦٨/١) وفيه : « أي إخلاصاً كما .. » إلخ .

(٧) كلمة « الموافق » ساقطة من (م) .

(٨) أي : الإمام النسفي - رحمه الله تعالى - صاحب المدارك .

(٩) كلمة « قبل » ساقطة من (م) .

(١٠) انظر مدارك التنزيل (٦٨/١) وفيه : « أو توبته » .

آمن قبله إلا أنه لم يخلصه أو فسق فيه ولم يتب منه ، أو لم يعمل عملاً صالحاً ثم أخلص بعده أو تاب من معصيته ، أو زاد في طاعته لم يقبل ، فتأمل فانه موضع زلل ومحل خطئ .

ولا يبعد أن يكون المراد : ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ﴾ تحصيلاً وإتيانها تكميلاً ، أو التقدير : ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ﴾ نفعاً مطلقاً / ل ١١٢ أ - أو نفعاً كاملاً .

﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ ﴾ لم تكن ﴿ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ : على أنه من باب اللف من غير تقدير ولا كسبها كما اختاره ابن الحاجب ^(١) ، والطيبى ^(٢) وسائر أرباب التحقيق وأصحاب التدقيق والله ولي التوفيق .

(والمعنى) - أي بحسب الفحوى - : (أنه لا ينفع الإيمان حينئذ) أي وقت ظهور طلائع الايقان ﴿ نَفْسًا ﴾ : أي شخصاً (غير مقدمة) أي هي (إيمانها) ، أي في زمانها

(١) هو الإمام العلامة الفقيه المالكي ، الأصولي ، النحوي ، المقرئ ، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، أبو عمرو جمال الدين ، ابن الحاجب ، من كبار العلماء بالعربية ، كردي الأصل ، كان أبوه حاجباً فعرف به ، من تصانيفه الكافية في النحو والشافية في الصرف ، وغيرهما ، توفي بالإسكندرية سنة (٦٤٦ هـ) - رحمه الله تعالى - ترجم له شيخنا العلامة عبد الكريم المدرس في كتابه « علماؤنا في خدمة العلم والدين » الخاص بتراجم علماء الأكراد . انظر غاية النهاية (٥٠٨/١) ، وفيات الأعيان (٣١٤/١) ، علماؤنا في خدمة العلم والدين ص ٣٧٣-٣٧٤ ، الأعلام (٢١١/٤) .

(٢) غير واضحة في الأصل ، وأثبتها من (م) ، والطيبى : هو الإمام المشهور الحسين بن محمد بن عبد الله ، شرف الدين الطيبى ، صاحب شرح المشكاة وحاشية الكشاف ، والتبيان في المعاني والبيان وغيرها ، من علماء الحديث والتفسير والبيان ، كان آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة ، وحاشيته على الكشاف هي أنفس حواشيه على الإطلاق دخل مسجداً عند بيته فصلى السنة قاعداً ، وجلس ينتظر الإقامة للفريضة ففضى نحوه متوجهاً إلى القبلة في يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة (٧٤٣ هـ) - رحمه الله تعالى - . الدرر الكامنة (٦٨/٢) ، البدر الطالع (٢٢٩/١-٢٣٠) ، الأعلام (٢٥٦/٢) .

على ذلك اليوم مع بقائها على حالها وفي شأنها ، (أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيراً) ، أي عملاً من أعمال الخير مطلقاً ، (وهو دليل) أي بحسب الظاهر (لمن لم يعتبر الإيمان المجرد عن العمل) وهم المعتزلة وبعض المبتدعة ^(١) ، لأنه سوى بين عدم الإيمان والإيمان الذي لم تكسب فيه خيراً من الأركان ، وقد ردت ^(٢) أدلتهم بالكتاب والسنة كما في عقائد علماء الأمة من أهل السنة والجماعة ^(٣) .

(وللمعتبر) أي للإيمان المجرد - وهو المعتبر عند الأكثر - :

* (تخصيص هذا الحكم) وهو اعتبار العمل السابق (بذلك اليوم) بقرينة تخصيص حكم الإيمان السابق بذلك اليوم باتفاق القوم ، ولا يلزم من عدم نفع الإيمان المجرد أو مع عدم الكسب الحادث في ذلك الزمان أن لا ينفع في الآخرة ما سبق [منهما] ^(٤) قبل ذلك من الأحيان .

* (وحمل التردد) - أي وللمعتبر أيضاً حمل التردد المفهوم من ﴿ أَوْ ﴾ - (على اشتراط النفع بأحد الأمرين) وهما : الإيمان وكسب الخير ، على أن ﴿ أَوْ ﴾ لعدم الخلو ^(٥) (على معنى لا ينفع نفساً [خلت] عنهما ^(٦) إيمانها) ، غايته أن الإيمان معتبر بدون العمل بخلاف العكس فتأمل .

(١) انظر الكشف (٦٣/٢) وحاشيته الإنصاف لابن المنير ، حيث قال بعد أن بين رأي الزمخشري : « فهذا بأن يدل على رد الاعتزال أجدر من أن يدل له - والله الموفق - » .

(٢) في (م) : « وردت » ، وهو تحريف .

(٣) انظر حاشية العصام ل ٣٠٩ أ ، وأخرج الطبري برقم (١٤٢١٢) عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل » . قال محقق الطبري : « وهذا خير صحيح الإسناد » . وانظر رقم (٤٠٦٨) عند ابن ماجه ، وسنن أبي داود ، كتاب الملاحم : أمارات الساعة ، وغيرها .

(٤) في الأصل : « منها » . والتصويب من (م) .

(٥) في الأصل وفي (م) : « واخنع » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر حاشية العصام ل ٣٠٩ أ .

(٦) في الأصل وفي (م) : « خلا » . وفي (م) : « عنها » . ونسبت من نور التنزيل (٢٢٣/٦) .

* (والعطف) أي وله عطف كسبت / ل ١١٢ ب - (على لم تكن) ، أي لا على آمنت كما سبق وأن أو بمعنى الواو ، (بمعنى لا ينفع نفساً إيمانها الذي أحدثته حينئذ) ، أي بعد مشاهدة هذه الآية الواضحة ، (وإن كسبت فيه خيراً) بكسر « إن » على أنها وصلية ، أو بفتحها على أنها مصدرية عطفاً على إيمانها ، أي : ولا ينفع نفساً كسبها فيه خيراً مما أحدثته حينئذ .

وللعصام هنا ^(١) من الكلام ما لا يوافق المرام ، بل يرد عليه الملام ، وهو قوله : يريد أن المراد أنهم ينتظرون في الإيمان وقت [إتيان] ^(٢) ملائكة الموت ، أو العذاب ، أو أمر الرب بالعذاب ، أو كل آياته - يعني آيات القيامة والهلاك الكلي - ، أو بعض آيات القيامة ، ولا ينفع إيمانهم في شيء من هذه الأوقات .

ويأباه أنه لم يبين عدم نفع الإيمان إلا وقت إتيان بعض الآيات إلا أن يقال : بيان عدم النفع عند إتيان البعض يغني عن بيان عدم [النفع] ^(٣) عند إتيان الكل . انتهى ^(٤) .

ولا يخفى أن هذا ممنوع عند أرباب العقول ، ومرفوع عند أصحاب النقول ، لأن الإيمان بعد ظهور الدجال الذي من جملة الآيات مقبول ، بلا خلاف منقول ، وكذا سائر الآيات ، وإنما يختص عدم النفع بسطوع طلوع الشمس من مغربها كما جاء بالتصريح ، في الأحاديث الواردة في الصحيح .

(١) في (م) : « ههنا » .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من (م) .

(٣) في الأصل وفي (م) : « نفع » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت .

(٤) لم أجده فيما وقفت عليه من حاشيته ، والظاهر أنه في الجزء الثاني الذي لم يتيسر لي الحصول عليه .

منها ^(١) : ما أخرجه عبد الرزاق ^(٢) وأحمد ^(٣) وعبد بن حميد ^(٤) والبخاري ^(٥) ومسلم ^(٦) وأبو داود ^(٧) والنسائي ^(٨) وابن ماجه ^(٩) وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه ^(١٠) والبيهقي في البعث ^(١١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ^(١٢) ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها » / ل ١١٣ أ - ثم قرأ الآية .

ومنها : ما أخرجه الطيالسي ^(١٣) وسعيد بن منصور ^(١٤) وأحمد ^(١٥) وعبد بن

(١) الآثار الآتية نقلها المصنف من الدر المنثور (١٠٩/٣-١١٦) إلا أنه لم يلتزم بترتيب السيوطي في العزو .
(٢) أخرج في مصنفه بعض أحاديث أشراط الساعة ، وليس فيها هذا اللفظ (٣٧٨/١١) - باب أشراط الساعة ، وأخرج في تفسيره عن قتادة قال : آية موجهة ، طلوع الشمس من مغربها أو ما شاء الله (٢٢٢/٢) .

(٣) في المسند في مواضع متعددة ، انظر رقم (٧١٢١ و ٢٧٣٥٥) .
(٤) انظر الدر المنثور (١٠٩/٣) ، وذكره في فتح القدير (١٨٢/٢) وعزاه إلى الصحيحين وغيرها دون تعيين .

(٥) أخرجه برقم (٤٦٣٦) في التفسير : باب « لا ينفع نفساً إيمانها » (٢٢٢/١٠) .
(٦) أخرجه برقم (١٥٧) في الإيمان : باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٣٧/١) .
(٧) أخرجه في سننه برقم (٤٣١٢) في كتاب الملاحم : باب أمارات الساعة (٤٤/٥) .
(٨) أخرجه في سننه الكبرى بنحوه برقم (١١١٧٧) ، (٣٤٣/٦) .
(٩) أخرجه في سننه برقم (٤٠٦٨) في كتاب الفتن : باب طلوع الشمس من مغربها (١٣٥٢/٢) .
(١٠) انظر الدر المنثور (١٠٩/٣) .

(١١) بحث عنه في البعث والنشور فلم أقف عليه ، وعزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (١٠٩/٣) ، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٨٠/٩) .

(١٢) كلمة « طلعت » ساقطة من (م) .
(١٣) أخرجه في مسنده ص ١٦٠-١٦١ وفيه : « أربعون عاماً أو مسيرة أربعين عاماً » ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه (٢٢٢/٢) .

(١٤) أخرجه في سننه برقم (٩٤٠) في آخر حديث موصول (١١٩) .
(١٥) في المسند برقم (١٧٦٣٤) .

حميد^(١) والترمذي وصححه^(٢) والنسائي^(٣) وابن ماجه^(٤) وابن [المنذر]^(٥) والطبراني^(٦) وأبو الشيخ وابن مردويه^(٧) والبيهقي^(٨) عن صفوان بن عسال عن النبي ﷺ قال : « إن الله جعل بالمغرب باباً عرضه سبعون عاماً مفتوحاً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله ، فذلك « يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا » ، ولفظ ابن ماجه : « فإذا طلعت من نحوه لا ينفع نفساً إيمانها » .

ومنها : ما أخرجه عبد الرزاق^(٩) وأحمد^(١٠) وعبد بن حميد^(١١) ومسلم^(١٢)

-
- (١) انظر الدر المنثور (١١١/٣) وفيه : « قبله » بإسقاط « من » .
 (٢) أخرجه مطولاً في سننه برقم (٣٥٣٦) في الدعوات : باب في فضل التوبة والاستغفار وقال : « هذا حديث حسن صحيح » (٥١٠/٥-٥١١) .
 (٣) أخرجه في سننه برقم (١١١٧٨) ، (٣٤٤/٦) .
 (٤) أخرجه في سننه برقم (٤٠٧٠) في كتاب الفتن : باب طلوع الشمس من مغربها (١٣٥٣/٢) .
 (٥) في الأصل : « منذر » ، والتصويب من (م) ، وانظر الدر المنثور (١١١/٣) .
 (٦) أخرجه في الكبير برقم (٧٣٦٠ و ٧٣٦١) ، (٥٩/٨) .
 (٧) انظر الدر المنثور (١١١/٣) .
 (٨) أخرجه في سننه الكبرى في مواضع من كتاب الطهارة : في باب الوضوء من النوم (١١٨/١) ، وفي باب رخصة المسح على الخفين (٢٨٢/١) ، ولكنه اقتصر على صدر الحديث ، وليس فيه ما هو مذكور هنا ، وأخرجه في المدخل برقم (٣٥٠) ص ٢٥٢ .
 (٩) لم أقف على هذا اللفظ في مصنفه ولا تفسيره .
 (١٠) في المسند برقم (٨٨٨٥ و ٩٢٢٥ و ١٠٢٠٣) .
 (١١) انظر الدر المنثور (١١١/٣) .
 (١٢) أخرجه برقم (٢٧٠٣) في كتاب الذكر والدعاء : باب استحباب الذكر والاستغفار (٢٠٧٦/٣) .

والبيهقي في البعث ^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .

ومنها : ما أخرجه أحمد ^(٢) وعبد بن حميد ^(٣) وأبو داود ^(٤) والنسائي ^(٥) مرفوعاً : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس [من مغربها] » ^(٦) .

ومنها : ما أخرجه ابن أبي شيبة ^(٧) ومسلم ^(٨) والنسائي ^(٩) وأبو الشيخ في العظمة ^(١٠) والبيهقي في الأسماء والصفات ^(١١) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ييسر يده [بالليل] ^(١٢) ليتوب مسيء النهار ، وييسر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » .

(١) بحث عنه في « البعث والنشور » فلم أقف عليه ، وعزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (١١١/٣) .

(٢) في المسند برقم (١٦٤٦٣) .

(٣) انظر الدر المنثور (١١١/٣) .

(٤) أخرجه في سننه برقم (٢٤٧١) في الجهاد : باب في الهجرة هل انقطعت ؟ (٢٠١/٣) .

(٥) أخرجه في سننه برقم (٨٧١١) ، (٢١٧/٥) .

(٦) سقطت من الأصل ، وأثبتها من مراجع التخريج .

(٧) في مصنفه برقم (٣٤٢٠٤) في كتاب ذكر رحمة الله : باب ما ذكر في سعة رحمة الله (٦٠/٧) .

(٨) أخرجه برقم (٢٧٥٩) في كتاب التوبة : باب قبول التوبة من الذنوب (٢١١٣/٣) .

(٩) أخرجه في سننه برقم (١١١٨٠) ، (٣٤٤/٦) .

(١٠) أخرجه في كتاب العظمة برقم (١٠) ، (٤٣١/٢) ، وبأطول منه برقم (١١) ، (٤٣٢/٢) .

(١١) انظر (٥٢/٢) باب ما جاء في إثبات اليدين .

(١٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من (م) .

والأحاديث المرفوعة والموقوفة ^(١) في هذا المعنى [كثيرة] ^(٢) شهيرة - كما في الدر المنثور في التفسير المأثور - ^(٣).

ومما يستعان به في تفسير الآية :

ما أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه ^(٤) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صبيحة تطلع / ل ١١٣ ب - الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة ^(٥) وخنازير ، وتطوى الدواوين وتحف الأقلام ، لا يزداد في حسنة ولا ينقص من سيئة » فقرأ ^(٦) الآية ، وفيه دلالة على أن إحداث الإيمان ، وزيادة عمل الأركان ، لا يقبل في ذلك الزمان ، لمن كان قبله من أهل الكفر والكفران ^(٧) ، أو من أرباب الفسق والعصيان ، أو من أصحاب التقصير والتوان .

ويؤيده : ما أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج ^(٨) في تفسير الآية : « لا ينفعها الإيمان إن آمنت ، ولا أن تزداد في عمل لم تكن عملته » .

(١) الواو من قوله : « والموقوفة » ساقطة من (م) .

(٢) في الأصل : « كثير » ، والتصويب من (م) .

(٣) أوردها السيوطي - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية ، انظر (١١٧-١٠٨/٣) .

(٤) انظر الدر المنثور (١١٢/٣) وفيه ذكر الآية الكريمة : ﴿ لَا يَنْفَعُ تَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ

كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ .

(٥) لفظ « قردة » ألحقه في (م) بين السطرين .

(٦) كتب في الأصل وفي (م) « قرأ » هكذا : « قراء » .

(٧) هذا من باب المبالغة ، وفيه مراعاة السجع .

(٨) انظر الدر المنثور (١١٠/٣) وفيه : « ولا تزداد في عمل إن لم تكن عملته » .

وما أخرجه ابن أبي حاتم ^(١) وأبو الشيخ ^(٢) عن مقاتل ^(٣) في قوله : ﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ : « يعني المسلم الذي لم يعمل في إيمانه ^(٤) خيراً ، وكان قبل الآية مقيماً على الكبائر » .

وما أخرجه ابن أبي حاتم ^(٥) وأبو الشيخ ^(٦) عن السدي ^(٧) في قوله : ﴿ أَوْ كَسَبَتْ ^(٨) فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ يقول :

- (١) أخرجه برقم (١١٩٨) ، وإسناده حسن (٨٧٩/٢) .
- (٢) انظر الدر المنثور (١١٠/٣) ، وفتح القدير (١٨٢/٢) .
- (٣) هو مقاتل بن حيان النبطي - بفتح النون والموحدة - أبو بسطام البلخي ، قال الذهبي : « كان إماماً صادقاً ناسكاً خيراً ، كبير القدر ، صاحب سنة واتباع » ، وقال ابن حجر : « صدوق فاضل ، أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعاً كذبه ، وإنما كذب الذي بعده » - مقاتل بن سليمان - ، توفي قبل الخمسين ومائة بأرض الهند . انظر تذكرة الحفاظ (١٧٤/١) ، التهذيب (٢٧٧/١٠-٢٧٩) ، التقريب (٢٧٢/٢) . أقول : إذا أطلق مقاتل ينصرف إلى ابن حيان ، وإذا أريد الآخر نص عليه .
- (٤) كتبت ناقصة في (م) ، هكذا : « إما خير » .
- (٥) أخرجه برقم (١١٩٧) وإسناده حسن ، وفيه بعد قوله « تصديقها » : « خيراً » ، وبعد قوله : « صالحاً » : « هؤلاء أهل القبلة » .
- (٦) انظر الدر المنثور (١١٠/٣) وزاد بعد قوله « صالحاً » : « هؤلاء أهل القبلة » ، وفتح القدير (١٨٢/٢) .
- (٧) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي - بضم المهملة وتشديد الدال - أبو محمد الكوفي ، وهو السدي الكبير ، كان يقعد في سدة باب الجامع فسّمى السدي ، قال يحيى القطان : « لا بأس به » ، وقال أحمد : « ثقة » ، وقال ابن معين : « في حديثه لين » ، وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » ، وقال العجلي : « ثقة عالم بالتفسير راوية له » ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن حجر : « صدوق يهم ورمي بالتشيع » ، مات سنة سبع وعشرين ومائة . أقول : من المعلوم أن القطان من المتشددين في الحكم على الرجال ، فكونه يقول فيه : « لا بأس به » ، دال على صدقه وأن حديثه حسن . انظر الجرح والتعديل (١٨٤/٢-١٨٥) ، الميزان (٧٢-٧١/١) ، التهذيب (٣١٣-٣١٤) ، التقريب (٧١/١-٧٢) .
- (٨) قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَسَبَتْ ﴾ ، ألحقه في الأصل بين السطرين .

« كسبت في تصديقها عملاً صالحاً ، وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيراً فعملت بعد أن رأت الآية لا ^(١) يقبل منها ، وإن عملت قبل الآية خيراً ثم عملت بعد الآية خيراً قبل منها » .

فهذا وأمثاله من كلام السلف ما يظهر فيه خلاف ما عليه بعض الخلف ، والسابقون الأولون أولى بالاعتبار عند أولى الأبصار ، فإن [قولهم] ^(٢) صدر عن منابع الأسرار وبدائع الأنوار .

﴿ قُلِ ^(٣) أَنْتَظِرُوا ﴾ : أي ما تقدم من ظهور الأسباب .

﴿ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ : لكم العذاب المضاعف بالحجاب ^(٤) ، (وعيد لهم) أي أمر تهديد (أي انتظروا إتيان أحد الثلاثة) هي :

قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ الخ ، (فإننا منتظرون له) ^(٥) أي : لأحدها (وحينئذ لنا الفوز) أي الظفر الجميل ، (وعليكم ^(٦) الويل) ^(٧) أي الهلاك الويل كما قام به الدليل / ل ١١٤ أ - وورد به التنزيل ، وفي هذا إقناط لهم عن إيمانهم ، وإشعار بإصرارهم على كفرانهم ، فحتم الله لنا بالحسنى وبلغنا المقام الأسنى .

(١) في (م) : « لم » بدل : « لا » ، وكذلك في الدر المنثور كما تقدم في تخريجه .

(٢) في الأصل : « نقولهم » ، وهو تحريف ، والتصويب من (م) .

(٣) في الأصل : « وانتظروا » ، والصواب ما أثبت ، وجاء في (م) على الصواب .

(٤) وهو حجابهم عن ربهم تبارك وتعالى ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففون : ١٥ .

(٥) كلمة : « له » ساقطة من (م) .

(٦) الواو ساقطة من (م) .

(٧) انتهى هنا كلام الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - .

بقي في تحقيق هذا المقام : مباحث منقولة عن [العلماء] ^(١) الأعلام :

منها : ما نقل عن الإمام أبي الليث السمرقندي ^(٢) منا ^(٣) والحليمي ^(٤) من الشافعية : أن عدم نفع الإيمان الحادث في ذلك الزمان وكذا نفي فائدة كسب الإحسان في تلك الأحيان ، إنما هو بالنسبة إلى من آمن ومات عقيب إيمانه وقت المعاناة ، وأما من امتد أجله وعاش واستمر على ذلك الإيمان ، فإن توبته مقبولة وإيمانه مقبول ، ففيه نظر ظاهر لأنه خلاف ظاهر الآية ، وما ورد من الأحاديث في السنة حيث وقع الإطلاق من غير تفصيل في المسألة ^(٥) ، فلا بد من رواية نقل صريح ، أو دلالة عقل صحيح .

ومنها قول بعضهم ^(٦) : « إن بعد مشاهدة هذه الآية لا تقبل التوبة إلى قيام الساعة » - وهو ظاهر الآية - ، ويؤيده حديث : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » ^(٧) .

وكذا حديث : « لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » ^(٨) .

(١) في الأصل وفي (م) : علماء ، وهو خطأ صوابه ما أثبت .
(٢) هو الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، المعروف بإمام الهدى ، من كتبه : « تفسير القرآن » ، و« النوازل في الفقه » ، و« تنبيه الغافلين وبستان العارفين » وغيرها ، توفي سنة (٣٧٣ هـ) ، وذكر الذهبي وفاته سنة خمس . انظر سير أعلام النبلاء (١٦/٣٢٢) ، الجواهر المضية (٣/٥٤٤-٥٤٥) ، تاج التراجم ص ٢٧٥ رقم (٣٠٨) .

(٣) أي من الحنفية لأن المصنف حنفي .

(٤) هو الإمام الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم - باللام - ، الشيخ الإمام أبو عبد الله الحليمي ، شيخ الشافعيين بما وراء النهر ، توفي سنة (٤٠٣ هـ) . انظر طبقات الشافعية الكبرى (٤/٣٣٣-٣٤٣) ، شذرات الذهب (٣/١٦٧) .

(٥) قوله « في المسألة » ساقط من (م) .

(٦) لم أعرف من هو .

(٧) تقدم تخريجه .

(٨) تقدم تخريجه .

إذ لابد في هذا التخصيص من فائدة ، وقد صرح في حديث : « أنه إذا أغلق ^(١) باب التوبة لا يقبل لعبد بعد ذلك توبة ، ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك » ^(٢) .

ومنها قول بعضهم ^(٣) : « إن هذا الحكم - وهو عدم صحة ^(٤) التوبة - خاص بمن شاهد تلك الآية ، وأما من ولد بعدها ولم يشاهدها فإيمانه مقبول وتوبته صحيحة ، وكذا من لم يكن من أهل التمييز ^(٥) حال رؤية الآية » .

وهذا هو الموافق للأصول الدينية والقواعد الشرعية ، لأنه سبحانه دعا الخلق إلى التوحيد وتصديق / ل ١١٤ ب - النبوة ، فإذا كان الإيمان أو التوبة وجد غير اضطرارية ^(٦) يكون مقبولا بالضرورة ، إلا أنه يحتمل أن لا ^(٧) يمتد قدر هذه المدة قبل قيام الساعة ، فقد ورد : « أنه لو نتج رجل ^(٨) مهراً ^(٩) لم يركبه ^(١٠) حتى تقوم الساعة ، من لدن

(١) في (م) : « غلب » ، وهو تحريف .

(٢) ذكره في الدر المنثور ضمن حديث مطول (١١٥/٣) . وقال : « أخرجه ابن مردويه بسند واه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم » (١١٤/٣-١١٥) ، وفيه : « لم تقبل » بدل : « لا يقبل » ، و« تنفعه » بدل : « ينفعه » .

(٣) لم أعرف من هو .

(٤) كلمة « صحة » ساقطة من (م) .

(٥) كلمة التمييز غير منقوطة الزاي وكتبت بياء واحدة في الأصل ، وفي (م) : تكاد تقرأ : « اليمين » .

(٦) كذا في الأصل وفي (م) .

(٧) كلمة « لا » سقطت من (م) .

(٨) نتج فلان الشيء : تولاه حتى أتى نتاجه . المعجم الوسيط (٨٩٩/٢) ، وانظر القاموس (٤٢٩/١) ، النهاية (١٢/٥) مادة : نتج .

(٩) في (م) : « مهر » وهو خطأ نحوي جاء على الصواب في الأصل .

(١٠) في (م) : « يرتكبه » ، وفي الدر : « لم يركب » .

طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور» ^(١) .

لكنه معارض لحديث : « لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران فيقول أحدهما لصاحبه : متى ولدت ؟ فيقول : زمن طلعت الشمس من مغربها » ^(٢) . إلا أن الحديث الأول أصح والله أعلم .

فإن قلت : قد ورد أن أول الآيات خروجاً : طلوع الشمس من مغربها ، وإذا كان أول الآيات مشاهدة هذا الحال ، فبالضرورة يكون قبل خروج الدجال ، ومن المقرر : أن عيسى عليه السلام يقتله ، والإيمان في زمانه مقبول حتى ترتفع الجزية من الأحكام ، ولم يكن ^(٣) إلا السيف أو الإسلام ؟ قلت : الظاهر أن المراد بأول الآيات ^(٤) : الآيات السماوية من اختلال نظام الأفلاك والكواكب وأمثالها .

ويؤيده ما ورد في أحاديث متعددة : « أن الآيات خرزات منظومات فإذا انقطع السلك تبع بعضها بعضاً » ^(٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : « الآيات كلها في ثمانية أشهر » . وعن أبي العالية : « في

(١) ذكره في الدر المنثور (١١٥/٣) ضمن حديث مطول وقال : « أخرجه ابن مردويه بسند واه عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس رضي الله عنه برقم (٧٥٢٩) بلفظه إلا أنه قال : « يقول » بدل : « فيقول » (٨٣/٥) ، وهو في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث باختلاف يسير برقم (٧٩٨) : باب طلوع الشمس من المغرب ص ٢٥٠ ، وميزان الاعتدال (١٦٠/٦) ، والكامل في الضعفاء (١١٨/٦) .

(٣) في (م) : ولم يبق .

(٤) في حاشية (م) : وضع إشارة وكتب : فيه أن أولها نزوله . ولم يتبين لي موضع الإشارة .

(٥) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه برقم (٧٠٠٠) ، ولفظه قال صلى الله عليه وسلم : « الآيات خرزات منظومات في سلك ، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً » .

« ستة أشهر »^(١) . وعن قتادة : « أن كل آية في سنة » - والله أعلم -^(٢) .

فإن قلت : قد ورد في حديث صحيح : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل »^(٣) : الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها »^(٤) / ل ١١٥ أ - .

قلت : يحمل على المجموع لا على كل فرد ، إذ^(٥) ثبت بطرق متعددة كادت أن تكون متواترة - بل هي متواترة المعنى - : أن بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إيمان^(٦) ولا توبة ، بل صح حديث : « لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها »^(٧) ، ولم يأت في حديث صريحاً أن بعد خروج الدجال مخصوصة^(٨) أو الدابة ينقطع^(٩) التوبة .

ولعله^(١٠) كان في بدء الأمر مبهماً عنده عليه السلام ، ثم تبين على وجه النظام .

ويؤيده : ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه^(١١) مرفوعاً : « خمس لا أدري أيتها أول من

(١) ذكرهما في الدر المنثور (١١١/٣) .

(٢) لم أقف على من نسبه إلى قتادة .

(٣) كتب في (م) : « أو ك... » كأنه يريد أن يكتب : « أَوْكَسَبَتْ » ثم ترك ذلك ، وهي ثابتة في صحيح مسلم كما سيأتي في التخريج .

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٥٨) في كتاب الإيمان : باب بيان الزمن الذي لا تقبل فيه الإيمان ، وفيه : تقديم طلوع الشمس ، وتنمة الآية « أَوْكَسَبَتْ فِي إيمَانِهَا خَمْرًا » .

(٥) في (م) : « إذا » ، وهو تحريف .

(٦) في (م) : « إيمانه » .

(٧) تقدم تخريجه .

(٨) كذا في الأصل وفي (م) ، ولعلها : « بخصوصه » .

(٩) في (م) : « ينفع » بدل : « ينقطع » .

(١٠) في (م) : « ولعل » .

(١١) كلمة « عنه » كتبت في حاشية الأصل .

الآيات ، وأيتهن جاءت لا ينفع نفساً إيمانها : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ويأجوج ومأجوج ، والدخان ، والدابة ^(١) .

ولعل هذا هو السر في إيهام الأمر بقوله : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ^(٢) ءَايَاتِ رَبِّكَ ﴾ مع ما فيه من التبجيل والتهويل .

ويقويه أنه ورد في حديث صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ : « أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى ، فأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها » ، قال عبد الله - وكان يقرأ الكتب - ^(٣) : وأظن أولهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها ^(٤) .

وقد صحّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « مضت الآيات غير أربع : الدجال والدابة ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، والآية التي يحتم بها الأعمال : طلوع الشمس من مغربها » ، ثم قرأ : ﴿ يَوْمَ ^(٥) يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ ﴾ الآية قال : « فهي طلوع الشمس من مغربها » ^(٦) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (م) : ألحق كلمة بعض بين السطرين .

(٣) أي كتب بني إسرائيل ، حيث نسب إليه أنه أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب يوم اليرموك ، انظر ما ورد في ذلك والتعليق عليه في كتاب : « الإسرائيليات في التفسير والحديث » ص ٦٥ - ٧٠ للدكتور محمد حسين الذهبي - رحمه الله تعالى - .

(٤) أخرجه الإمام أحمد مطولاً برقم (٦٨٤٢) ، (٢٠١/٢) ، وأبو داود برقم (٤٣١٠) في الملاحم : باب علامات الساعة (٤٣/٥) ، وابن ماجه برقم (٤٠٦٩) في كتاب الفتن : باب طلوع الشمس من مغربها ، وأخرجه مسلم برقم (٢٩٤١) بمثله دون قوله : « قال عبد الله ... » إلخ . كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٢٦٠/٤) .

(٥) كتب في (م) بعد كلمة « يوم » : « القيامة » وضرب عليها .

(٦) ذكره في الدر المنثور (١١٢/٣) ، وقال : « أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن مردويه والحاكم وصححه » ، وفيه : « أربعة » ، ولم يذكر لفظ : « مأجوج » .

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن دابة الأرض تخرج ثم الدخان ، وإن التوبة لمفتوحة حتى ^(١) تطلع الشمس من مغربها » ^(٢) .

وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « أن الدجال يخرج فيقتله عيسى عليه السلام ، فيمكث الناس في ذلك حتى يكسر سد يأجوج ومأجوج فيموجون ويفسدون ، ويستغيث الناس ولا يستجابون ، فيبعث الله ^(٣) دابة من الأرض ، ولا يلبثون إلا قليلاً حتى تطلع الشمس من مغربها ، وجفت الأقلام وطويت الصحف ، ولا تقبل من أحد توبة » ^(٤) .
فنسأل الله حسن الخاتمة ، وتوفيق التوبة الخالصة .

ثم رأيت أخرج ابن ماجه ^(٥) والحاكم وصححه ^(٦) - لكن الدميري ^(٧) تعقبه ^(٨) -
عن أبي قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الآيات بعد المائتين » .

(١) في (م) : « ثم » بدل « حتى » ، وهو الموافق لما في المستدرک .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) في (م) : فيبعث الله عليهم .

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٥٩١/٢ و ٥٩٤) ، والعقيلي في الضعفاء برقم (٩٠٠) ، (٣١٤/٢) ، والطبراني في الكبير مطولاً برقم (٩٧٦١) ، (٣٥٧-٣٥٤/٩) .

(٥) في سننه برقم (٤٠٥٧) في كتاب الفتن : باب الآيات (١٣٤٨/٢) وفي الزوائد : « في إسناده عون بن عمارة العبدي وهو ضعيف » ، وقال السيوطي : « هذا الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات » ... إلخ .

(٦) أخرجه في الفتن والملاحم (٤٢٨/٤) وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، وتعقبه الذهبي فقال : « قلت : أحسبه موضوعاً ، وعون ضعفه » .

(٧) هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، أبو البقاء كمال الدين ، باحث أديب ، من فقهاء الشافعية ، من كتبه : « حياة الحيوان » ، و« الديباجة شرح كتاب ابن ماجه في

الحديث » ، توفي سنة (٨٠٨ هـ) . انظر الأعلام (١١٨/٧) .

(٨) لعله في كتابه « الديباجة » ، ولم أقف عليه .

والظاهر - والله أعلم - : أن يكون المراد بالمائتين ^(١) بعد [الألف] ^(٢) السابع ، ولكن ^(٣) هل المراد بالآيات مطلق أشراط الساعة ، أو الآيات المتتابعة التي تكون مبدؤها طلوع الشمس من مغربها ؟ الله ^(٤) سبحانه أعلم بحقيقتها ^(٥) .
تم بحمد الله سبحانه ^(٦) .

(١) كتب في (م) بعد المائتين : « مطلق أشراط الساعة » وضرب عليها .

(٢) في الأصل : « ألف » ، والتصويب من (م) .

(٣) في (م) : لكن بدون واو .

(٤) في (م) : « والله » .

(٥) قال السندي في شرح ابن ماجه (٣٨٩/٤) : « قوله : (الآيات بعد المائتين) : المراد بالآيات الصغار التي هي كالمقدمات للكبار ، مثل : فشَوَّ الكذب ، أو الكبائر ، والمراد بالمائتين : المائتان بعد الألف ، ويحتمل أن يكون الكلام مسوقاً لإفادة أن المائتين من الآيات ، وليس المراد أنها متصلات بمضي المائتين » .

(٦) في (م) : كتب بدل هذه الجملة : « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

فهرس أهم المراجع

- بعد القرآن الكريم :

- ١- إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء والمحدثين ، الشيخ صديق حسن خان القنوجي (ت : ١٣٠٧هـ) ، مطبوع باللغة الأردية وفيه كثير من العبارات باللغة العربية ، (١٢٨٨هـ) .
- ٢- الإسرائيليات في التفسير والحديث ، د. محمد حسين الذهبي (ت : ١٣٩٦هـ) ، دار التوفيق النموذجية - القاهرة ، ط ٣ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .
- ٣- الأسماء والصفات ، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ، تح : الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٢ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م) .
- ٤- الإصابة في تمييز الصحابة رحمهم الله ، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٥- الأعلام ، الأستاذ خير الدين بن محمود الزركلي (ت : ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين .
- ٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، الإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البضاوي (ت : ٦٨٥هـ) ، بهامش حاشية محيي الدين شيخ زاده ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٧- أنوار القرآن ، الإمام ملا علي القاري (ت : ١٠١٤هـ) ، مخطوط ، توجد صورة منه في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- ٨- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، العالم الفاضل إسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني البغدادي (ت : ١٣٣٩هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .
- ٩- البحر المحيط ، الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان (ت : ٧٥٤هـ) ، مطابع النصر الحديثة - الرياض .
- ١٠- البداية والنهاية ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) ، تح : د. عبد الله عبد المجيد التركي ، هجر للطباعة ، ط ١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) .
- ١١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) ، دار المعرفة - بيروت .
- ١٢- البضاعة المزجاة لمن يطالع المرقاة في شرح المشكاة ، العلامة محمد عبد الحليم بن عبد الرحيم الجشتي ، المكتبة الإمدادية - ملتان - باكستان ، ط ١ (١٣٩٢هـ-١٩٧٤م) .
- ١٣- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت : ٨٠٧هـ) ، تح : مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، دار الطلائع للنشر والتوزيع - القاهرة .

- ١٤- تاج التراجم فيمن صنف من الحنفية ، الإمام الحافظ أبو العدل قاسم بن قَطْلُونِغا الحنفي (ت : ٨٧٩هـ) ،
تح : إبراهيم صالح ، دار المأمون للتراث - دمشق ، ط ١ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .
- ١٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، الإمام اللغوي محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني
الزبيدي (ت : ١٢٠٥هـ) .
- ١٦- تذكرة علماء البنجاب (باللغة الأردية) ، د. أختر واهي ، طبعة المكتبة الرحمانية لاهور - باكستان ،
ط ١ (١٤٠٠هـ-١٩٨١م) .
- ١٧- التعليق الصريح على مشكاة المصابيح ، الشيخ المحقق محمد إدريس الكاندهلوي (ت : ١٣٩٤هـ) ، طبع
دمشق .
- ١٨- التعليقات السنية على الفوائد البهية ، الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت : ١٣٠٤هـ) ،
قديمي كتب خانة - كراتشي - باكستان .
- ١٩- تفسير القرآن ، الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت : ٢١١هـ) ، تح : د. مصطفى مُسلم محمد ،
مكتبة الرشد - الرياض ، ط ١ (١٤١٠هـ-١٩٨٩م) .
- ٢٠- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن
أبي حاتم الرازي (ت : ٣٢٧هـ) ، رسائل علمية مطبوعة على الآلة الكاتبة .
- ٢١- التفسير الكبير « مفاتيح الغيب » ، الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر الطبرستاني الملقب بفخر الدين
الرازي (ت : ٦٠٦هـ) ، دار الفكر - بيروت ، ط ٣ .
- ٢٢- تقريب التهذيب ، الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ، تح : عبد الوهاب عبد اللطيف ،
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .
- ٢٣- تهذيب التهذيب ، الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، مطبعة دائرة المعارف النظامية في الهند ، ط ١
(١٣٢٥هـ) .
- ٢٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن « تفسير الطبري » ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت :
٣١٠هـ) ، تح : محمود محمد شاكر ، دار المعارف - مصر ، ورجعت - أيضاً - إلى طبعة دار الفكر - بيروت .
- ٢٥- الجامع لأحكام القرآن ، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت : ٦٧١هـ) ، دار الكتاب العربي
للطباعة النشر - القاهرة ، (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) .
- ٢٦- الجرح والتعديل ، الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت : ٣٢٧هـ) ، مطبعة دائرة
المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند ، ط ١ .
- ٢٧- الجواهر المنضية في طبقات الحنفية ، الإمام محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفا محمد بن محمد
القرشي (ت : ٧٧٥هـ) ، مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الدكن الهند ، ط ١ .

- ٢٨- حاشية العصام على البيضاوي ، مخطوطة في مكتبة خدا بحش - الهند (ميكروفيلم بمكتبة الأخ الفاضل الدكتور ولي الدين الندوي) .
- ٢٩- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، الشيخ محمد بن فضل الله المحبي الدمشقي (ت : ١١١١هـ) ، طبع بمصر ، (١٢٧٤هـ) .
- ٣٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت : ٩١١هـ) - دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) .
- ٣١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، الإمام ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - الهند ، ط ١ (١٣٤٨هـ) .
- ٣٢- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، الإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ٢ (١٤٠٠هـ) .
- ٣٣- زوائد الهيثمي - مسند الحارث بن أسامة (ت : ٢٨٢هـ) ، تح : د. حسين أحمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة - المدينة المنورة ، ط ١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .
- ٣٤- سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ، الشيخ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي (ت : ١١١١هـ) ، المطبعة السلفية .
- ٣٥- سنن الترمذي (ت : ٢٩٧هـ) ، تح وشرح : الأستاذ أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٣٦- سنن سعيد بن منصور (ت : ٢٢٧هـ) ، تح : د. سعد بن عبد الله آل حميد ، دار الصميعي - الرياض ، ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .
- ٣٧- سنن ابن ماجه (ت : ٢٧٥هـ) ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٣٨- سنن ابن ماجه بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي (ت : ١١٣٨هـ) ، تح : الشيخ خليل مأمون شيجا ، دار المعرفة - بيروت .
- ٣٩- سنن النسائي الكبرى ، تح : د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .
- ٤٠- سير أعلام النبلاء ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٤١- سير وتراجم علمائنا في القرن الرابع عشر ، الشيخ عمر عبد الجبار ، جدة ، ط ٣ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) .
- ٤٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الإمام شهاب الدين عبد الحي أحمد بن محمد المشهور بابن العماد الحنبلي (ت : ١٠٨٩هـ) ، تح : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير - دمشق - بيروت ، ط ١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

- ٤٣- صحيح البخاري (ت : ٢٥٦هـ) مع شرحه فتح الباري ، الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ، دار أبي حيان .
- ٤٤- صحيح مسلم (ت : ٢٦١هـ) ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٤٥- الضعفاء ، الإمام أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي (ت : ٣٢٢هـ) ، تح : عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
- ٤٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، المؤرخ الناقد الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت : ٩٠٢هـ) ، منشورات مكتبة الحياة - بيروت .
- ٤٧- طبقات الشافعية الكبرى ، الإمام تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت : ٧٧١هـ) ، تح : عبد الفتاح محمد الخلو ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .
- ٤٨- طبقات المفسرين ، الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الداودي (ت : ٩٤٥هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٤٩- طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنه وي - من علماء القرن الحادي عشر ، تح : سليمان بن صالح الحزري ، مكتبة دار العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط ١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .
- ٥٠- طرب الأمائل بترجم الأفاضل ، الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت : ١٣٠٤هـ) ، مطبوع مع التعليقات السنية - المتقدم .
- ٥١- العظمة ، الإمام عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ (ت : ٣٦٩هـ) ، تح : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة - الرياض ، ط ١ (١٤٠٨هـ) .
- ٥٢- العلامات البيئات في فضائل بعض الآيات ، الإمام علي بن سلطان محمد القاري (ت : ١٠١٤هـ) ، نسخة مصورة عن مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٦٢٤ - تفسير) .
- ٥٣- غاية النهاية في طبقات القراء ، الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري (ت : ٨٣٣هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ٣ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .
- ٥٤- الفتن ، الإمام أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي (ت : ٢٨٨هـ) ، تح : سمير أمين الزهيري ، مكتبة التوحيد - القاهرة ، ط ١ (١٤١٢هـ) .
- ٥٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر .
- ٥٦- الفردوس بمأثور الخطاب ، أبو شجاع شيرويه بن شهريار الديلمي (ت : ٥٠٩هـ) ، تح : السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٩٨٦م) .
- ٥٧- الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت : ١٣٠٤هـ) ، مطبعة قديمي كتب خانة - كراتشي - باكستان .

- ٥٨- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، مؤسسة آل البيت - مآب - الأردن - عمان ، (١٩٨٩م) .
- ٥٩- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، د. عبد الله الجبوري ، مطبعة الإرشاد - بغداد ، ط١ (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) .
- ٦٠- قاموس الفارسية ، د. عبد المنعم محمد حسنين ، نشر الكتاب اللبناني - بيروت .
- ٦١- القراءات الشاذة ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالويه (ت : ٣٧٠هـ) ، المطبعة الرحمانية - مصر ، ط١ (١٩٣٤م) .
- ٦٢- الكامل في ضعفاء الرجال ، الإمام أبو محمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت : ٣٦٥هـ) ، تح : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر - بيروت ، ط٣ (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م) .
- ٦٣- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، الإمام أبو القاسم جبار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- ٦٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، العلامة المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي المعروف بحاجي خليفة (ت : ١٠٦٧هـ) ، دار الفكر - بيروت .
- ٦٥- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الميداني (ت : ٥١٨هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار القلم - بيروت .
- ٦٦- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت : ٣٩٢هـ) ، تح : علي النجدي ناصف وغيره ، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ، (١٣٨٦هـ) .
- ٦٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل « تفسير النسفي » : الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت : ٧٠١هـ) ، دار الفكر - بيروت .
- ٦٨- المستدرك على الصحيحين في الحديث ، الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم (ت : ٤٠٥هـ) ، مطابع النصر الحديثة - الرياض .
- ٦٩- مسند الطيالسي ، الحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود - المعروف بأبي داود الطيالسي (ت : ٢٠٤هـ) ، دار المعرفة - بيروت .
- ٧٠- المصنف ، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت : ٢٣٥هـ) ، تح : كمال يوسف الحوت ، دار التاج - بيروت ، ط١ (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) .
- ٧١- المصنف ، الإمام أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت : ٢١١هـ) ، تح : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط٢ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- ٧٢- معالم التنزيل « تفسير البغوي » ، الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت : ٥١٦هـ) ، تح : خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة - بيروت .

- ٧٣- معجم البلدان ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت : ٦٢٦ هـ) ، دار صادر - بيروت ، (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) .
- ٧٤- المعجم الذهبي : فارسي - عربي ، د. محمد القنوجي ، دار العلم للملايين - بيروت .
- ٧٥- المعجم الكبير ، الإمام سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (ت : ٣٦٠ هـ) ، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم - الموصل ، ط ٢ (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م) .
- ٧٦- معجم المؤلفين : تراجم مصنفى الكتب العربية ، الأستاذ عمر رضا كحالة (ت : ١٤٠٨ هـ) ، مطبعة الترقى - دمشق ، (١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م) .
- ٧٧- معجم المفسرين ، عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط ٢ .
- ٧٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، الإمام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري النحوي (ت : ٧٦١ هـ) ، تح : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار نشر الكتب الإسلامية - لاهور ، ط ١ (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) .
- ٧٩- مناهل العرفان في علوم القرآن ، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، تح : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٢ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) .
- ٨٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت : ٧٤٨ هـ) ، تح : الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٩٩٥ م) .
- ٨١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت : ٨٧٤ هـ) ، طبعة مصورة عن دار الكتب .
- ٨٢- النهاية في غريب الحديث والأثر ، الإمام أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت : ٦٠٦ هـ) ، تح : محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ١ (١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م) .
- ٨٣- هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني البغدادي (ت : ١٣٣٩ هـ) ، استنبول ، (١٩٥١ م) .
- ٨٤- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت : ٧٦٤ هـ) ، طبع على نفقة الجمعية الألمانية للبحث العلمي ، ط ٢ (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) .

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الهادي الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد : ففي رمضان يطيب الكلام على القرآن ، ففيه ابتداء نزوله ، وسطع نوره ، وتدفتت بركاته ، وعمت هباته .

والكلام على القرآن كلام طويل الفصول ، متشعب الأغراض ، متعدد الجوانب ، مختلف المنازع .

وأريد في هذه الافتتاحية أن أتحدث عن جانب من جوانب نشر معارفه ، وتعميم هداياته ، وبث روحه ، وإعلان أحكامه ، وصبغ الأمة بصبغته . ولقد كان لعلماء الأمة في هذه الميادين جولات مظفرة ، وقاموا بنشر معارف القرآن خير قيام ، كل ذلك اقتداء بالنبي المبلغ الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله القرآن على قلبه ، ويسره بلسانه ، وكلفه ببيانه قولاً وعملاً .

وقد تعددت وجوه نشر المعارف القرآنية ، فكان من ذلك تأليف الكتب ، والإملاء على الناس والتدريس ، وبيان المعاني والمباني من خلال المجالس العامة .

* فأما تأليف الكتب فقد بلغت المصنفات في التفسير للقرآن كله أو بعضه أعداداً كبيرة جداً ، واستقصاؤها يطول كثيراً ، ومن ألقى نظرة على كتب طبقات المفسرين ومعاجمهم ، وكتب الفهارس والتراجم العامة والخاصة رأى من ذلك الكم الكبير .

* وأما الإملاء على الناس والتدريس (وفي هذا نوع خصوصية إذ يكون موجهاً إلى طبقة خاصة من المتعلمين والمحصلين) فهو كثير أيضاً ، ويذكر هنا الأخفش (ت : بعد : ٢٠٧ هـ) والفراء (ت : ٢٠٧ هـ) والزجاج (ت : ٣١١ هـ) الذين أملوا على طلابهم « معاني القرآن » ، والعالم الأديب عمر بن عثمان الجنزي (ت : ٥٥٠ هـ) الذي شرع في إملاء تفسير قيل عنه : لو تم لم يوجد مثله .

كما يذكر هنا : قاضي قضاة الشام يونس بن بدران المصري الدمشقي (ت : ٦٢٣ هـ) الذي درس تفسير القرآن في المدرسة العادلية الكبيرة ، فلما أكمل التفسير توفي عقب

ذلك . ومثله لعلامة بن عقيل النحوي (ت : ٧٦٩ هـ) فقد ولي درس التفسير بالجامع الصولوني في القاهرة بعد شيخه أبي حيان الأندلسي ، وختم به القرآن تفسيراً في مدة ثلاث وعشرين سنة ، ثم شرع في أول القرآن بعد ذلك ، فمات في أثناء ذلك .

* وأما تفسير القرآن في المجالس العامة ، مجالس الوعظ والتذكير ، والإرشاد والتبصير - وهو مقصودي الأول من هذه الافتتاحية - فقد كان للعلماء فيه جهود موفقة مشكورة ، وأياد ناصعة مبرورة ، وعاد من ذلك على الأمة خير وفير ، ونفع كبير . وكانت هذه المجالس منارات هدي ، وإشعاع صلاح ، ومثابات توبة وإنابة .

وللعلماء في هذه المجالس طرائق فمّنهم من يختار موضوعاً يشبعه كلاماً وتحقيقاً ، ومنهم من يختار آية يفيض في الكشف عنها كما ذكر عن الإمام أبي عثمان الصابوني النيسابوري (ت : ٤٤٩ هـ) فقد أقام شهراً في تفسير آية . ومنهم من يختار سورة أو سوراً وهكذا .

فأما من بدأ من أول القرآن وفسره في مجالسه على التوالي ، وختم القرآن كله ، أو استأثر الله به قبل الإتمام ، فقد وقفت على عدد منهم ، وأحب أن أذكرهم وأذكر بهم هنا ، وهم :

١ - الفقيه المفسر الحافظ الصوفي الواعظ عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي - نسبة إلى مدينة هراة في أفغانستان - (ت : ٤٨١ هـ) .

كان يفسر القرآن في مجلس التذكير ، فذكر أبو عبد الله الحسين بن محمد الهروي الكتبي في تاريخه أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتدأ في تفسير القرآن ، ففسره في مجالس التذكير سنة (٤٣٦ هـ) .

وفي سنة (٤٣٧ هـ) افتتح القرآن يفسره ثانياً في مجالس التذكير .

قلت : ويفهم من هذا أنه انتهى من تفسيره وبدأ بختمه ثانية .

قال المؤرخ الكتبي : « وكان الغالب على مجلسه القول في الشرع ، إلى أن بلغ إلى قوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (البقرة : ١٦٥) فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة ، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة ، وبنى عليها مجالس كثيرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] بنى عليها ثلاثمائة وستين مجلساً .

فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [النور : ٤٣] كف بصره . سنة (٤٧٣ هـ) .

ولما بلغ إلى قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] قال : « في كل اسم من أسماء الله تعالى سر خفي » . وأخذ يفسر خفايا

الأسماء حتى بلغ « المميت » ، فأخرج من البعد في الفتنة الأخيرة (سنة ٤٧٨ هـ) .
فلما عاد سنة (٤٨٠ هـ) عقد المجلس على أمر جديد ، ولم يكمل الكلام على
الأسماء الحسنی . وأخذ يستعجل في التفسير ، ويفسر في مجلس واحد مقدار عشر آيات
أو نحوها . يريد أن يختم في حياته ، فلم يقدر له ذلك ، وتوفي وقد انتهى إلى قوله عز
وجل : ﴿ قل هو نبي عظيم * أنتم عنه معرضون ﴾ [ص : ٦٧ - ٦٨] .
وقال محمد بن طاهر الحافظ : سمعت شيخنا الأنصاري يقول : إذا ذكرت التفسير
فإنما أذكره من مئة وسبعة تفاسير .

٢ - الإمام الحافظ الفقيه الأديب الخطيب الواعظ أبو بكر محمد بن أبي المظفر
منصور السمعاني (ت : ٥١٠ هـ) .

قال ولده الإمام الحافظ أبو سعد : « من عجيب ما اتفق أن آخر مجلس أملاه كان افتتاحه
بقوله ﷺ : « إن أمامكم عقبة كؤوداً ، لا يجوزها المثقلون ، فانا أحب أن أتخفف لتلك
العقبة .

وكان قد وصل في التفسير الذي يذكره في مجلس الوعظ إلى قوله تعالى : ﴿ اليوم
أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة : ٣] .
وتوفي عقب ذلك ، ابن ثلاث وأربعين سنة .

٣ - الإمام المفسر الحافظ الفقيه الواعظ الأكبر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي
البغدادی (ت : ٥٩٧ هـ) .

وكانت له المجالس التي سارت بذكرها الركبان ، واتفق على الثناء عليها وعظم
الانتفاع بها الخاص والعام ، وقد وفقه الله لتفسير القرآن في مجالسه وختمه ، وفي ذلك
يقول في تاريخه « المنتظم » في حوادث سنة (٥٧٠ هـ) - وكان له فيها من العمر ستون
سنة - : « وفي يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى : انتهى تفسيري للقرآن في المجلس
على المنبر ، فإني كنت أذكر في كل مجلس منه آيات من أول الختمة على الترتيب ، إلى
أن انتهى ، فسجدت على المنبر سجدة الشكر ، وقلت : ما عرفت أن واعظاً فسر القرآن
كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن ، فالحمد لله المنعم .
ثم ابتدأت في أول ختمة ، وأنا أفسرها على الترتيب ، والله قادر على الإنعام بالإتمام
والزيادة من فضله » .

وينتهي تاريخه هذا بسنة (٥٧٤ هـ) فلا ندرى هل أتم هذه الختمة أو لا ؟ وإذا أتمها
فمتى ؟ كما أنه لم يذكر كم استغرق التفسير الأول من الزمن لنقيس عليه ، وقد عاش الشيخ
بعد هذا زمناً طويلاً : « ٢٨ » سنة إلا أنه قضى خمس سنوات منها منفياً إلى واسط .
أما قوله : « ما عرفت أن واعظاً فسر القرآن كله في مجلس الوعظ » ، فلعلة لم يبلغه

ما نقل عن شيخ عبد الله الأنصاري النهروني . أو لم يصح عنده . وعلى أية حال فالأولية لأحدهما .

هذا ، وقد أفاد من الإمام ابن الجوزي تلامذته وطلابه كما سيأتي معنا في المثاليين الآتيين :

٤- الفقيه الواعظ المفسر محمد بن أبي القاسم الخضر الحراني ، شيخ حران وعالمها وخطيبها (ت : ٦٢٢ هـ) .

ولد في حران ، ورحل إلى بغداد طالباً للعلم ، ولازم أبا الفرج ابن الجوزي وسمع منه كثيراً من مصنفاته ، وقرأ عليه كتابه « زاد المسير في علم التفسير » قراءةً بحث وفهم ... ورجع إلى بلده ، وجد في الاشتغال ، ثم أخذ في التدريس والوعظ والتصنيف ، وشرع في إلقاء التفسير بكرة كل يوم بـ « حران » في سنة (٥٨٨ هـ) ، وواظب على ذلك حتى فسر القرآن خمس مرات ، انتهى آخرها إلى سنة (٦١٠ هـ) ، وكان مجموع ذلك في ثلاث وعشرين سنة ، ذكر هذا في أول « تفسيره » الذي صنفه ... وله تصانيف كثيرة منها : « التفسير الكبير » في مجلدات كثيرة ، وهو تفسير حسن جداً .

٥- الشيخ المقرئ الواعظ محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي الشيرازي الأصل ، ابن الحنبلي (ت : ٦٥٢ هـ) .

أخذ عن أبي الفرج بن الجوزي ، وحفظ الكثير ، وعرف بالتفسير ، وقدم مصر ، ودخل الأندلس سنة (٦٥١ هـ) وعبر سبته ، وتكلم في الوعظ بجامعها أشهراً ، وجال في الأندلس ، ورجع إلى سبته ، وتوجه إلى أزمور ، وقدم مراکش وهو يعظ في كل ذلك ، فافتتح مجلسه بالتفسير بعد الخطبة والدعاء وشيء من أخبار الصالحين ومن كلام ابن الجوزي ، ويختم بفصل من السير ، ومجالسه على التوالي ، يبدأ اليوم من حيث انتهى بالأمس ، وكلامه في ذلك متقن ، يشهد بحسن تقدمه .

وهو إن كان يمزج التفسير بغيره ، إلا أن افتتاحه به على التوالي يجعلنا ندخله في هذا الباب .

٦- العلامة الشيخ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت : ٧٢٨ هـ) .

توفي والده وكان له حينئذ إحدى وعشرون سنة ، فقام بوظائفه بعده ، فدرس بدار الحديث العسكرية في أول سنة (٦٨٣ هـ) ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع لتفسير القرآن العظيم ، وشرع من أول القرآن ، فكان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر ، وبقي يفسر في سورة نوح عدة سنين أيام الجمع كما في « الذيل » لابن رجب .

٧- الإمام المفسر الحافظ المؤرخ الأديب إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ) .
وقد فسر القرآن كله في مجالسه في جامع الظاهر بالحسينية خارج القاهرة - آنذاك -
وذكر هذا في تاريخه « إظهار العصر » فقال : « في يوم الجمعة ثامن عشره - أي رمضان
من سنة (٨٦٠ هـ) - ختمت تفسير القرآن العظيم في جامع الظاهر بالحسينية خارج
القاهرة ، عن نيف وعشرين سنة ، أعان الله على إكماله مرة أخرى ، وأعظم النفع بذلك
آمين . ثم ابتدأت يوم الجمعة خامس عشره في ختمة أخرى ، فتكلمت على تفسير
الفاتحة متبركاً بالختم والابتداء في رمضان ، ولا سيما خامس عشره ، فإن القرآن أنزل
على ما روي في الرابع والعشرين منه إلى السماء الدنيا . وكنت أنظر في غالب الأمر
« الكشاف » و « تفسير البيضاوي » و « النهر » لأبي حيان ، وأضيف إلى ذلك ما يفتحه
الله عليّ ممّا أحفظ من الأحاديث والسير وغير ذلك » .

٨- العلامة المفسر الواعظ محيي الدين محمد بن إبراهيم النكساري (ت: ٩٠١ هـ) .
قال طاشكبري زاده عنه : « كان يذكّر الناس تارة في جامع أيا صوفية ، وتارة في جامع
السلطان محمد خان - في مدينة إسلام بول - وقد حضر السلطان بايزيد خان في جامع
أيا صوفية لاستماع تفسيره ، وقد ختم تفسير القرآن العظيم في جامع أيا صوفية ، ثم قال :
أيها الناس إني سألت الله تعالى أن يمهلني إلى ختم تفسير القرآن العظيم ، ولعل الله تعالى
يختمني عقيب ذلك . فدعا الله سبحانه وتعالى بالختم على الخير والإيمان ، فأمن الناس
لدعائه . ثم أتى بيته ومرض وتوفي رحمه الله تعالى » .
وفي هذا العصر يذكر :

٩- الشيخ المفسر الداعية محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٩ هـ) .
وهو أشهر مفسري هذا العصر ، وقد آتاه الله علماً وفهماً ، وقدرة على تسهيل المسائل
العلمية ، فهو بحق مقنع الخاصة ، وممتع العامة ، وقد بدأ بتفسير القرآن ، وفسره في
مساجد متعددة في القاهرة وغيرها ، ولعله وصل إلى الجزء الثامن والعشرين منه ، وكان
لمجالسه صدى كبير ، وانجذب إليها مستمعوها على اختلاف طبقاتهم ، وكان الشيخ
- مع ذلك - لا يسمي ما يقوله تفسيراً ، إنما يسميه خواطر .

وبعد : فقد قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ يُوْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩] : « الحكمة : المعرفة بالقرآن ، ناسخة
ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله » .
وقال أبو الدرداء : « الحكمة : قراءة القرآن والفكرة فيه » .

وقال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٠ هـ) : « الفهم والإصابة في القرآن » .

وقال قتادة بن دعامة (ت: ١١٧ هـ) : « القرآن والفقه فيه » .

فما أخرجنا إلى التحلي بهذه الحكمة ، والاستنارة بأنوار القرآن ، والاعتصام به .
إن القرآن حبل الله المتين الذي من تمسك به نجا . وفي الأمة اليوم أهوال ومخاوف
ومهالك ، فهل تتمسك بكتاب ربها لتنجو من أمواج طاغية عاتية هادرة تكتسح كل
شيء .

والتمسك بالقرآن لا بد أن يقوم على وعي عميق ، وفهم دقيق لهذا الكتاب الذي يضمن
لأهله - إذا علموه وفهموه وحكموه - الفلاح والنجاح ، وكما قال التابعي الجليل إياس بن
معاوية (ت : ١٢٢ هـ) : « مثل الذين يقرءون القرآن ولا يعرفون تفسيره كمثل قوم جاءهم
كتاب من ملكهم ليلاً ، وليس عندهم مصباح ، فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب !
ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب » .
فيا أمة القرآن عوداً عوداً إلى القرآن ... إلى عوالمه الرحبية ، وإشراقاته الهادية ، وسعاداته
الغامرة ، وإلى ظلاله الندية ، ومنهجه المنير ، وحكمه العدل .

وإني لأرجو أن تتبنى وزارات الأوقاف في العالم الإسلامي هذه الطريقة المذكورة وأن
تعمل على إقامة مثل هذه المجالس ، وتوكل أمرها إلى علماء مفسرين ربانيين ، لينشروا
معارف القرآن كاملة شاملة ، وحبذا أن يكون في كل مدينة مسجد أو أكثر تقام فيه مثل
هذه المجالس ويعلن عنها وتنقل عبر أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة ، ليستطع في
النفوس نور القرآن ، ويطرده الظلمات الجاثمة والعفونات المتراكمة ، وهذا أقل واجباتنا
تجاه كتاب ربنا .

ولنتذكر مقولة الإمام محمد بن جرير الطبري : « إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم
تأويله ، كيف يلتذ بقراءته ؟ » .

ولنتخذ من رمضان موعداً للصالح مع القرآن لفظاً ومضموناً ، معنيٍّ ومبنيٍّ ، إيماناً
وإسلاماً ، سلوكاً وإحساناً ، دنيا وآخرة ، حكماً وأحكاماً .

ويسر « الأحمدية » أن تخصص عددها هذا وهديتها تلك للبحوث القرآنية ، راجية أن
يتقبل الله منها إسهامها في خدمة كلامه الحكيم وشرعه القويم .
والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله وسلم على المبلغ الأول سيدنا محمد ، وعلى آله
وصحبه أجمعين .

د. عبد المصطفى الأنيس

مدير التحرير